الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعـة الأميـر عبد القـــادر
للعلوم الاسلامية - قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

# العلاقات بين الإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السُّودان خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العلوم الانسانية- تاريخ

تخصص: تـــاريخ المغرب الأوسط وحضـــارته في العصـــر الوسيـــط

من إعداد الطالب:
محمـد العيد تيتـه

إشراف الأستاذ الدكتور:
يوسف عـــابد

أعضاء لجنة المناقشة

| الإسم واللقب | الرتبة | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| أ.د/ إبراهيم بن مهية | أستاذ | جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة- | رئيسا |
| أ.د/ يوسف عابد | أستاذ | جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة- | مشرفًا ومقررًا |
| أ.د/ كمال بن مارس | أستاذ | جامعة 08 ماي 1945 – قالمة | مناقشا |
| أ.د/ رابح أولاد ضياف | أستاذ | جامعة 08 ماي 1945 – قالمة | مناقشا |
| أ. أحمد بن خيرة | أستاذ محاضر- أ | جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي | مناقشا |
| أ. عبد الخليل قريان | أستاذ محاضر- أ | جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة- | مناقشا |

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات، آية/13

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# شكر وعرفان

– ما يسعني في هذه اللحظة المباركة وقد أتممت رسالتي إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الكريم الفاضل **الأستاذ الدكتور يوسف عابد** الذي ما فَتِئَ أن قدم لي كل المساعدات وأحاطني بالعناية والرعاية والمرافقة حتى أنجزت هذا العمل المتواضع الذي هو بين أيدكم. راجيا من المولى عز وجل أن يجازيكم عني أحسن جزاء ويجعلها في ميزان حسناتكم.

– كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة فأنا ممتن للجميع وشاكرا لهم على حسن صنيعهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الإهداء

✓ إلى الوالدين الكريمين، أطال الله في عمرهما.

✓ إلى زوجتي الغالية التي تكبدت معي مصاعب إنجاز أطروحتي وصبرت على ذلك.

✓ إلى أبنائي زكرياء–مريم–فاطمة.

✓ إلى إخوتي وأخواتي وأُسَرِهِمْ كل باسمه.

✓ إلى كل الأصدقاء والأحباب ورفاق دربي كل باسمه.

✓ إلى وطني الغالي "الجزائر" الذي نسأل الله له العافية والأمان من كل شر وبلاء.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# لائحة المختصرات

-تح: تحقيق.

-تر: ترجمة.

-تص: تصحيح.

-تع: تعريب.

-تق: تقديم.

-ج: جزء.

-د.س.ن: دون سنة نشر.

-د.م.ن: دون مكان نشر.

-ط: طبعة.

-مج: مجلد.

-مر: مراجعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مـقـدمـة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**مقدمة:**

يندرج موضوع الأطروحة في إطار التَّواصل الحضاري الذي كان طرفاه بلاد المغرب بقسمه الأوسط وبلاد السُّودان خلال العصر الوسيط، تجسدت في عدة مجالات منها السياسية والتجارية والثقافية. وقد ساعد التقارب الجغرافي بينهما في توطيد هذه العلاقات ومد جسورها، خاصة إذا علمنا بأن بلاد السودان تميل جغرافيا إلى بلاد المغرب عموما وبلاد المغرب الأوسط خصوصا لصعوبة اتصالها بأي منطقة أخرى، وقد أَقَرَّ أحد الجغرافيين القدامى ذلك بأن ليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغرب؛ لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم.

وقد نتج عن هذا الاتصال الجغرافي علاقات وروابط بين المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط والمراكز الحضارية لبلاد السودان، خاصة مع انخراط سكان بلاد المغرب واعتناقهم الإسلام منتصف القرن الأوَّل الهجري/السابع الميلادي، دخلت المنطقة مرحلة جديدة من تاريخها حيث بدأت الصِّلات تتبلور، بتأمين المسالك الواصلة إلى بلاد السُّودان بحفر الآبار وتنظيم المواصلات معها، ليسهل على مرتاديها الولوج في أحسن الظُّروف.

إن اختياري للموضوع له عدَّة أسباب منها كوني أحد أبناء المراكز الحضارية لصحراء المغرب الأوسط "أسوف" التي نحن بصدد دراسة علاقاتها ببلاد السودان خلال العصر الوسيط، ضف إلى ذلك الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي حظي به الإقليم وَمَثَّلَ حلقة اتصال وترابط بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصَّحراء، من ذلك أيضاً الرَّغبة في الكشف وإزالة الغموض عن تاريخ صحرائنا في العصر الوسيط والذي أراه لم يحظى بما فيه الكفاية من الدِّراسات الأكاديمية.

إن الغوص في حيثيات وتفاصيل تاريخ بلاد السُّودان يزيدني رغبةً وتشوقًا للولوج إليه، خاصة إذا علمنا أنَّ من علماء وشيوخ ورجال الدَّعوة ورجال الطُّرق الصُّوفية والتُّجار المنتمون للمراكز الحضارية للإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وفي مقدمتهم وارجلان وتوات، قد ساهم أغلبهم في التجارة العابرة للصحراء، إضافة إلى ذلك كان لهؤلاء حظوة ومنزلة مرموقة لدى سلاطين وملوك بلاد السُّودان، حيث تخرج على أيديهم العديد من طلبة العلم أصبحوا فيما بعد علماء وشيوخ يضرب بهم المثل في العلم والورع، وساهموا في نشر الثَّقافة العربية الاسلامية كالشيخ علي بن يخلف المزاتي والشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، كأحد دوافع توجهي لاختيار الموضوع، والذي تَوَصَّلْتُ إلى تحديد عنوانه، فوسمته بـ:

**"العلاقات بين الإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السُّودان خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م)"**

وبخصوص الإطار المكاني للدراسة فإن المجال الجغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م) لم يكن واضح المعالم باستثناء الشمال الذي يحده سلسلة جبال الأطلس

الصحراوي، وأما الشرق فيمكننا تحديده بالخط الشاقولي الرابط بين بلاد قسطيلية وغدامس وغرب السودان الأوسط، ومن الغرب يحده الخط الفاصل لشرق حاضرة سجلماسة وجنوب المغرب الأقصى، وأما الجنوب فالمجال مفتوح.

فالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إذن هو المجال المحور بين الخط العمودي المنحدر من بلاد قسطيلية وغدامس شرقا والخط الفاصل بين الحدود الغربية لحاضرة توات وسلسلة جبال الأطلس الصحراوي شمالا، وأما جنوبا فالمجال مفتوح.

وأما بلاد السودان التي تمتد من البحر المحيط غربا إلى بحر القلزم شرقا، تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي الغربي والأوسط والشرقي، فإن المجال الجغرافي المخصوص بالدراسة يقتصر على الغربي والأوسط دون الشرقي، والسبب في ذلك يرجع إلى فتور وضعف العلاقة بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط والسودان الشرقي الذي ينحاز في أغلب الفترات التاريخية إلى القرن الإفريقي لدرجة أنه يسمى ببلاد الزنج.

سبعة قرون كاملة هي الإطار الزَّماني للدراسة، كانت الانطلاقة بداية من القرن الثَّالث الهجري/التَّاسع الميلادي نظرا لقلة المصادر التي تناولت الموضوع قبل ذلك العهد، وهي في الأغلب مصادر جغرافية وأخرى خاصة بالرَّحلات، أمَّا المصادر التَّاريخيَّة فهي نادرة أو تكاد تكون منعدمة، ضف إلى ذلك أنَّ العلاقات أصبحت واضحة المعالم بداية من القرن الثَّالث الهجري/التَّاسع الميلادي بحسب المصادر الأباضيَّة وأعني هنا كُتب السِّير نظراً لأنَّ صحراء المغرب الأوسط كانت مسرحا وملجأ للجماعات الأباضيَّة أثناء وبعد سقوط الإمامة بتيهرت، وانهيته بالقرن التَّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي لتوفر المصادر التي تناولت حاضرة توات التي حظيت بعلاقات مع بلاد السُّودان خلال القرن التَّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وبعده.

وتعد الدراسة التي أنجزها المستشرق البولوني تاديوس ليفينسكي الموسومة بـ "دراسات مغربية سودانية"[1] من جزئين والتي عثرت عليها باللغة الفرنسية من الدِّراسات المهمة التي تناولت مجال العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان أنارت لي الطَّريق وساهمت بشكل جليٍّ في انطلاقتي البحثيَّة وفهمي للموضوع، ضف إلى ذلك الدراسة التي قدمها إبراهيم بكير بحاز الموسومة بـ"الدَّولة الرُّستميَّة–دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية (160-296هـ/777-909م)"[2]. ففي الفصل الخامس حول التِّجارة الخارجيَّة مع بلاد السُّودان الغربي تناول مسالك التِّجارة مع السُّودان وألحق وارجلان في ذلك لإرتباطها بمسلك تجاري يمر بتادمكة ليصل إلى كوكو.

---

[1]-**Etudes maghrébines et soudanaises**, Editions Scientifiques de Pologne, Pologne,1983, t 01-02.

[2]– جمعية التراث، القرارة–غرداية، ط02، 1414هـ/1993م.

ويأتي مسعود مزهودي الذي أدلى بدلوه من خلال الدراسة التي طبعت والموسومة بـ"الأباضيَّة بالمغرب الأوسط منذ سقوط الدَّولة الرُّستميَّة إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م)"[1] حيث أشار في الفصل الثالث المعنون بالحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط إلى علاقة وارجلان التِّجاريَّة وهي إحدى المراكز الحضاريَّة للإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط ببلاد السُّودان.

كما أن إصدار مُحَمَّد صالح ناصر لمؤلفه الذي جعل عنوانه بِـ "دور الأباضيَّة في نشر الإسلام بغرب إفريقيا"[2]، تعرض فيه لدور إباضية المغرب الأوسط في نشر الاسلام في حواضر بلاد السُّودان، ومن ذلك أيضا يأتي عمر بن لقمان حمو بوعصبانة بدراسة حول وارجلان والموسومة بـ "معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان من نهاية الدَّولة الرستميَّة إلى زوال سدراتة"[3] حيث أدرج في طياتها صلات وارجلان التِّجاريَّة ببلاد السُّودان الغربي والأوسط مع توضيحه للمسالك الواصلة إلى تلك الرُّبوع.

وفي المقابل قد أتحفنا مبروك مقدم بدراسة خصصها لشخصية "الإمام مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلِّمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلاميَّة بإفريقيا الغربيَّة خلال القرن التَّاسع الهجري الخامس عشر للميلاد"[4]، والتي كشفت لنا اسهامات هذه القامة الثقافية والعلمية في بلاد السُّودان، علاوة على ذلك فقد صَنَّفَ كل من عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ دراسة حول "دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثَّقافة العربيَّة بإفريقيا الغربيَّة"[5] وإن كانت متأخرة عن الإطار الزماني للدراسة.

وفي نفس السِّياق فقد عثرت على دراسة باللغة الفرنسيَّة لجاكوب أوليل الموسومة بـ"اليهود في الصَّحراء-توات خلال العصر الوسيط"[6]، والتي تطرق صاحبها إلى دور يهود توات التِّجاري مع بلاد السودان، كما ساهمت فاطمة بوعمامة بدراسة تطرقت من خلالها إلى تطور نشاط يهود المغرب الأوسط الذين انتجعوا صحرائه مع بلاد السُّودان والتي وسمتها بـ"اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)"[7].

ومن الرَّسائل والأطروحات الجامعية التي لها علاقة بالموضوع تأتي الرِّسالة التي ناقشها عباس عبد الله الموسومة بـ: "الدَّور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السُّودان الغربي من القرنين 9 و10هـ/15-

---

[1]- جمعية التراث، القرارة-غرداية، 1417هـ/1996م.

[2]- دار الضامري، سلطنة عمان، 1413هـ/1992م.

[3]-مديرية الثقافة، ورقلة، 1418هـ/1997م.

[4]- دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 1427هـ/2006م.

[5]- الشروق، الجزائر، 1430هـ/2009م.

[6]- Les Juifs au Sahara – Le Touat au Moyen Age, CNRS Editions, Paris, 1994.

[7]- مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/2011م.

16م"[1] والذي بدوره عالج في فصلها الرَّابع إسهامات علماء توات في بلاد السُّودان الغربي من الجانب الثَّقافي، ضف إلى ذلك مذكرة ماجستير لعبد القادر مباركية حول "التُّجار والتِّجارة المغربيَّة إلى إفريقيا جنوب الصَّحراء من خلال المصادر الأباضيَّة الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م"[2]، أين تطرق من خلالها إلى مكانة وارجلان في التجارة العابرة للصحراء من خلال النُّصوص المستخرجة من المصادر الأباضيَّة التي تدل على ذلك.

وأما مذكرة الماجستير الموسومة بـ"المدينة الدَّولة في المغرب الأوسط – وارجلان أنموذجا"[3] لصاحبها لصاحبها عمار غرايسة، عَرَّجَ من خلالها إلى علاقات وارجلان التِّجارية مع بلاد السُّودان، ومن بعده إلياس حاج عيسى الذي عالج مدينة وارجلان من الجانبين الاقتصادي والفكري وتطرق إلى علاقاتها التِّجاريَّة والثَّقافيَّة مع بلاد السُّودان والموسومة بـ "مدينة وارجلان-دراسة في النشاط الإقتصادي والحياة الفكرية- (في الفترة 4-10هـ/10-16م)"[4].

كان الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن التاسع الهجري/ القرن التاسع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي منفلت سياسيا عن سلطة الدولة المركزية بالمغرب الأوسط على الرغم من انتماء القبائل له، إلا أنه ارتبط اجتماعيا بالحكم المركزي في الشمال، إلى جانب ذلك فقد قامت علاقات اقتصادية جاءت نتيجة تفاعل الجماعات القبلية في الإقليم بنظيراتها في المنطقة على غرار غدامس وقسطيلية وسجلماسة وغيرها.

وعلى هذا جاءت الإشكالية على النحو التالي: **ما مدى مساهمة العوامل الطَّبيعيَّة إلى جانب النَّشاط السُّكاني في تشكيل المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان وإلى أي مدى ارتبطت بالتَّواصل فيما بينهما؟**

ويتفرع من الإشكاليَّة الرَّئيسيَّة العديد من التَّساؤلات التي سأحاول الإجابة عليها من خلال فصول الدِّراسة، والتي نسوغها في الآتي:

---

[1]- مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 1421-1422هـ/2000-2001م.

[2]- مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة،1432-1433هـ/2011-2012م.

[3]- مذكرة ماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م.

[4]- مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ-شعبة التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر،1429-1430هـ/2008-2009م.

– ما مفهوم الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط؟ طبيعة مجاله الجغرافي وتركيبته السكانية؟

– ما طبيعة المجال الجغرافي إلى جانب التركيبة السكانية لبلاد السودان؟

– كيف نَشَأَتْ المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان وتطورت خلال القرون الثالث والتاسع الهجريين/ التاسع والخامس عشر الميلاديين؟

– ما هي المسالك التي كانت القوافل ترتادها للدخول إلى بلاد السُّودان انطلاقا من كبرى المراكز التجارية للإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وارجلان وتوات، إلى جانب وسائل النقل والمواصلات المعتمدة فيما بينهما؟

– ما هي المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان؟

– فيما تمثلت السلع التِّجاريَّة المتبادلة بين تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجار بلاد السودان إلى جانب الوسائل المعتمدة في المعاملات التِّجاريَّة؟

– ما الدَّور الذي أَدَّاهُ اليهود في التِّجارة العابرة للصحراء، وما السِّلع التي احتكروها واختصوا بها في تجارتهم مع بلاد السُّودان؟

– ما مدى مساهمة الهجرات العربية والبربرية، والتجار، والعلماء والفقهاء ورجال الدعوة، ومشائخ الطرق الصوفية في انتشار الثقافة العربية الاسلامية في بلاد السودان؟

– فيما تمثلت مظاهر الثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد السودان؟

–ما هي المراكز الثَّقافيَّة للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان؟

وقصد الإجابة عن هذه التسَّاؤلات المطروحة، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي الذي يعتمد أساسا على الوصف والتحليل والاستدلال والاستقراء مع الاستعانة بالجغرافيا، خاصة وأنَّ المادة العلمية المعتمدة أغلبها كتب الرِّحلة والجغرافيا اعتمد مؤلفوها في تدوينها عن الملاحظة أو روايات شفوية كان أصحابها شهود عيان.

من خلال المادة العلميَّة المتحصل عليها، فقد تم تقسيم الأطروحة إلى مقدمة وخاتمة وثلاث فصول، جاءت على النحو التالي:

الفصل الأوَّل أدرجت فيه مجال الدِّراسة جاء تحت عنوان "المراكز الحضاريَّة للإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السُّودان (3هـ-9هـ/9م-15م)"، حيث تم التَّعرض فيه إلى دراسة طرقي التَّواصل وأقصد هنا الإقليم الصَّحراوي للمغرب والأوسط وبلاد السُّودان من الجانب الجغرافي والمجالي والتَّركيبة السُّكانية لكلٍّ منهما، مع التَّفصيل في مفهوم الإقليم، ثم تطرقت إلى نشأة المراكز الحضارية وتطورها. ومن ذلك فقد أدرجنا الخرائط الجغرافيَّة لمعرفة مواقع المراكز الحضاريَّة حتى تتضح الرُّؤيا والإدراك.

وجاء الفصل الثَّاني الموسوم بـ "العلاقات التِّجاريَّة بين الإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السُّودان(3هـ-9هـ/9م-15م)"، ليفصح لنا المجال للتعرف عن طبيعة هذه العلاقات التي كانت السَّباقة إلى مد جسور التَّواصل والصِّلات فيما بينهما. لقد تم التَّعرض إلى المسالك الواصلة إلى بلاد السُّودان التي كانت ترتادها القوافل التِّجاريَّة انطلاقا من كبرى المراكز التِّجاريَّة للإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وارجلان ومن بعدها توات. ثم تأتي وسائل النَّقل المعتمدة والتي خلصنا إلى نوعين الأوَّل منها وسائل نقل بريَّة، استخدم فيها وسائل نقل حيوانية كالجمال، والحمير؛ ووسائل نقل بشرية مارسها الإنسان. وأمَّا النوع الثَّاني أين اعتمد على الملاحة النَّهريَّة والتي كان لها حضور كثيف في بلاد السُّودان لاستعمالها نهر النِّيجر وروافده. وبعد ذلك عرجنا على ذكر المراكز التِّجاريَّة لطرفي التواصل، والسِّلع التِّجاريَّة المتبادلة ووسائل التَّعامل التِّجاري المتداولة في تلك الحقبة موضوع الدِّراسة. وقد قمنا أيضا بإدراج دور اليهود في التِّجارة العابرة للصَّحراء، أين وقفنا على المراحل التي مرت بها هذه التِّجارة، مع الإشارة إلى السِّلع التي اختصوا بها في تجارتهم مع بلاد السُّودان.

وأما الفصل الثالث فقد خصصناه إلى "العلاقات الثقافية بين الإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السُّودان(3هـ-9هـ/9م-15م)"، لمعرفة ما قامت به الحواضر الصَّحراوية للمغرب الأوسط وتفاعلها خارج محيطها. وقد قمنا بالإشارة إلى وسائل انتشار الثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة في بلاد السَّودان انطلاقا من الإقليم الصَّحراوي للمغرب الأوسط ممثلا في مراكزه الحضاريَّة، وتعرضنا من خلاله إلى الأدوار التي قامت بها كل من الهجرات البربرية والعربيَّة، والتُّجار، والعلماء والفقهاء ورجال الدَّعوة، ومشائخ الطُّرق الصُّوفيَّة.

وكان من نتائج تلك الوسائل السَّالفة الذِّكر أن ظهرت في بلاد السُّودان مظاهر الثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة بها تجسدت في انتشار اللغة العربيَّة، وإدراج وتعميم النِّظام التَّعليمي بمراحله، ضف إلى ذلك تطرقنا إلى فن العمارة الدِّينيَّة التي تمكنا من رصد نمطين مختلفين في هذا الفن المتعلق أساسا بتشييد المساجد، وهما: الأباضية والمالكية، وفن العمارة المدنية الخاص بتشييد المنازل واستعمال مواد البناء. وتطرقنا فيما بعد إلى المراكز الثَّقافيَّة لكل من الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان وقمنا بتوضيح الرُّؤية عن الوضع الثَّقافي لكل حاضرة مع إفادتها بلائحة بأسماء الشُّيوخ الذين برزوا ويرجع لهم الفضل في تفعيل الحركة الثَّقافيَّة والعلميَّة فيها.

وختاما لما قدمناه في الكشف عن فصول البحث تأتي الخاتمة كحوصلة لما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات، ونظرا لأهمية الموضوع فقد أرفقنا الخاتمة بآفاق مستقبلية لعلها تجد آذانا صاغيَّة من قبل السلطات العليا للبلاد لأجل إعادة وإحياء هذه الصِّلات وحماية المجال الحيوي للبلاد، كما فَعَلَتْ الدَّولة الرُّستميَّة ذلك قصد الحفاظ عن كيانها وارتبطت بعلاقات وطيدة مع بلاد السُّودان.

**– الدِّراسة النقدية للمصادر والمراجع:**

**1–المصادر:**

يمكن تلخيص المصادر التي تم الاستعانة بها في هذه الدراسة في الآتي:

–كتاب تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني(ت420هـ/1029م)، هو أحد كُتَّاب الدولة الصنهاجية وشعرائها، أرشدنا إلى تواجد بقايا من الروم الذين آثروا البقاء عن الهجرة مقابل دفع الجزية وبالتالي أصبحوا ضمن التركيبة السكانية التي انصهرت في بلاد الزاب إحدى حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط.

–كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي(ت حوالي 474هـ/1081م)، يعد من كتب الطبقات استفدت منه في جزئه الأول عند تناول المؤسسات الثقافية في حاضرة توات وأشار إلى قدم مؤسسة الكُتَّاب في بلاد المغرب بالموازاة مع تواجد المساجد والتي كانت حاضرة خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

–كتاب طبقات مشائخ المغرب لأحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ/1271م)، نسبة إلى درجين السفلى من بلاد الجريد، ينتمي لعائلة أمازيغية أباضية تقية عالمة، أصلها من تيمجار قرية في جبل نفوسة. يعد من المصادر الأباضية المهمة التي عنت بسيرة مشائخ وعلماء بلاد المغرب الأباضيين إلى غاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، قسمه صاحبه إلى جزئين، جزء خاص بالتاريخ، والجزء الثاني للسيرة. تكمن أهميته في الإحاطة بالحياة العلمية والمذهبية والاجتماعية لمشائخ أباضية بلاد المغرب، واعتماده على مصادر لم تصلنا وأخرى ناقصة بحسب تاديوس ليفينسكي. إضافة إلى ذلك احتوى على معلومات قيمة عن واحات وارجلان وأريغ وأسوف وغيرها. استفدت منه في الإفصاح عن النشاط التجاري والثقافي لرجال الدعوة والمشائخ الأباضية في المراكز الحضارية لكلا الضفتين، ومساهمتهم الفعالة في ذلك.

–كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لمؤلفه عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ/1406م)، يعد هذا المصنف من الموسوعات التاريخية التي مازالت إلى اليوم تحظى باهتمام المختصين في ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية، وقد تم الاعتماد على جزئين منهما: السادس والسابع حيث استفدت منه عندما تطرقت إلى التركيبة السكانية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط أين وجدنا بأن قبائل زناتة قد استوطنت حواضره، وكذلك القبائل العربية الهلالية التي حَلَّتْ بالمنطقة خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وأهم فروعها التي استقرت بالمنطقة.

–كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي(ت902هـ/1497م)، جمع فيه صاحبه ما عَلِمَهُ كما صرح ذلك من أهل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي من سائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء. استفدت منه في ذكر سير

شخصيات علمية ساهمت في الحركة الثقافية في حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وأخص بالذكر بلاد الزاب.

- كتاب السير لأحمد بن عبد الواحد الشماخي(ت928هـ/1522م)، ينتمي صاحب هذا المؤلف إلى أسرة علمية يمتد جذورها إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بجبل نفوسة. اعتمد صاحبه في تصنيفه على طبقات مشائخ المغرب للدرجيني في معظمه وفيه ذكر لسيرة رجال الدعوة والمشائخ الأباضية لبلاد المغرب. ضف إلى ذلك تكتسي مادته أهمية فائقة في التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي لبلاد المغرب عامة وللحواضر الصحراوية خاصة خلال العصر الوسيط. أفادني عندما تطرقت إلى المراكز الثقافية لصحراء المغرب الأوسط وأشرت إلى لائحة بأسماء العلماء والشيوخ الأباضية، الذين كان لهم حضور ونشاط ثقافي علمي في تلك الحواضر.

- كتاب درة الحجال في اسماء الرجال لصاحبه أحمد ابن القاضي المكناسي(ت 1025هـ/1616م)، يعد من كتب الطبقات الذي عني بتراجم الكثير من الأعيان المشهورين الذين عاشوا ما بين أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وأوائل القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. يتضمن هذا الكتاب تراجم وسير لعلماء وأدباء، إضافة إلى كل من له شهرة من النابهين. استفدت منه في جزئه الأول والثالث في الكشف عن سيرة بعض علماء توات الذين كان لهم دور في الحركة الثقافية بالمنطقة، وكانوا طرفا مؤثرا في بلاد السودان.

-كتاب نيل الابتهاج في تطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي(ت 1036هـ/1627م)، ينحدر صاحب الابتهاج من أسرة سودانية كلها علماء كان لهم الأثر البالغ في نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية في بلاد السودان عامة ومدينة تمبكتو خاصة. ويعد هذا الكتاب ذيل لمصنف ابن فرحون(ت799هـ/1396م) الموسوم "بالذيباج المذهب في معرفة أعيان المذهب". وقد اقتصر المؤلف على سير الأعلام من فقهاء وعلماء المذهب المالكي الذين عاشوا قبله والذين عايشهم. استفدت منه عند الإشارة إلى لائحة العلماء الذين كان لهم دور ثقافي وعلمي في المراكز الثقافية في بلاد السودان.

-كتاب تاريخ السودان لمؤلفه عبد الرحمن السعدي(ت1066هـ/1656م)، غلب على الكتاب الروايات الشفوية وقلما اعتمد على مصدر مكتوب باستثناء الحلل الموشية أو نيل الإبتهاج لأحمد بابا التنبكتي الذي نقل منه جل تراجم علماء تمبكتو الذين تطرق لسيرتهم. استفدت منه عند الإشارة إلى المراكز الثقافية لبلاد السودان في معرفة سيرة علماء حاضرتي تمبكتو وجنى، والوضع الثقافي السائد خلال الفترة المتقدمة من الدراسة.

**ب- المصادر الوصفية:**

تعددت كتب الرحلة والجغرافيا التي استخدمتها في هذه الدراسة، نوجزها فيما يلي:

-كتاب البلدان لليعقوبي(ت284هـ/897م)، عاش زمن الدولة العباسية وهو من كتابها، يعد أول من كتب حول بلاد السودان خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث أشار إلى الكيانات السياسية السائدة في تلك الحقبة. وقد استفدت منه في معالجة نشأة المراكز الحضارية في بلاد السودان.

-كتاب صورة الأرض لمؤلفه ابن حوقل النصيبي(ت367هـ/977م)، عمل بالتجارة وبدأ تجواله من بغداد، دخل بلاد المغرب ووصل إلى بلاد السودان وزار أودغشت وغانة وبعض المدن السودانية الأخرى. يعتبر مصدرا أساسيا في دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية لبلاد المغرب الاسلامي. كانت معلوماته دقيقة ومفصلة تنم على كفاءة صاحب المصنف واتقانه للكتابة. استفدت منه في شرح مفهوم الإقليم، وتحديد بلاد السودان مع ذكر جغرافيته، وعن المعاملات التجارية بين التجار في أودغست.

- كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري(ت380هـ/ 990م)، أفادني هذا المصنف من خلال المعلومات التي صرح بها صاحبه بخصوص مفهوم الإقليم، ويعتبر المقدسي أول من فسر مفهوم الإقليم تفسيرا ميدانيا حيث عَدَّدَ لنا مكوناته، وجعله يشمل الكورة، والقصبة، والمدينة ثم القرية، إضافة إلى ذلك استفت منه في تحديد مجال بلاد السودان الجغرافي.

-كتاب المسالك والممالك للبكري(ت487هـ/1094م)، أندلسي المنشأ والموطن لم يغادر الأندلس، استقى معلومات من كتاب المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الوراق(ت363هـ/973م) التي تخص بلاد المغرب والسودان. معلوماته كانت غزيرة حول بلاد السودان. استفدت منه في الكشف عن تضاريس بلاد السودان وطبيعتها، وأتاح لي الفرصة لمعرفة المسلك الذي ربط بين تادمكة ووارجلان وصولا إلى كوكو، وقد تطرق أيضا إلى ذكر بعض الجاليات العربية التي استقرت بمملكة غانة.

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي(ت560هـ/1160م)، استخدمته في معرفة مواطن القبائل البربرية التي انتجعت حاضرة وارجلان، وأدلى بدلوه بخصوص مفهوم الإقليم وأفادني في الكشف عن المجال الجغرافي لبلاد السودان، وأهم الكيانات السياسية القائمة في تلك الفترة. ويبدو من خلال المعلومات الغزيرة التي احتوى عليها المصنف فإنه أشار إلى تواجد تجار وارجلان في المدن السودانية على غرار مدينة كوكو، وبلاد غانة وبلاد ونقارة، وَأَبَانَ أيضا عن المسلك الذي يربط وارجلان ببلاد السودان.

-كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول(كان حيا خلال القرن 6هـ/12م)، عاش زمن دولة الموحدين، قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أقسام خصص الجزء الثالث منه لبلاد المغرب والسودان، سجل فيه ما عاينه بخصوص حواضر المغرب الأوسط الصحراوية والمدن السودانية. لقد أَقَرَّ صاحب الاستبصار بتواجد حاضرة أسوف خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وقد أفادني في معرفة الوضع الاقتصادي للحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط وكذلك بلاد السودان، وبأهم السلع والبضائع التي اشتهرت بها كل

منطقة. وقد كشف أيضا عن التركيبة السكانية للمدن السودانية، وأثبت بتواجد صلات تجارية بين المراكز التجارية لكلا الطرفين.

-كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م)، من النخبة الأندلسية التي سكنت إفريقية زمن الحفصيين، تقلد عدة مناصب في الدولة. أَبَانَ ابن سعيد المغربي عن الدور التجاري المهم الذي كانت وارجلان قد أَدَّتْهُ مع بلاد السودان من خلال عدد القوافل التجارية الكثيرة التي تلج إلى تلك الربوع، إضافة إلى ذلك وَضَّحَ حدود بلاد السودان وفق النظام الفلكي، ومن ذلك أيضا أفادني في معرفة المدن السودانية وموقعها الجغرافي.

-كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري(ت749هـ/1348م)، تقلد مؤلفنا رئاسة ديوان الانشاء بالقاهرة زمن حكم السلطان الناصر مُحَمَّد بن قلاوون لمصر، كانت معلوماته مفيدة حول مملكة مالي أين تطرق إلى حدودها السياسية والجغرافية، إضافة إلى ذلك تعرض إلى مملكة كانم وتاريخ دخول الاسلام بها، وتعرض إلى الوضع الثقافي لمملكة مالي على عهد الملك منسى موسى. وقد أشار أيضا إلى نشاط أهل تاكدة التجاري ورسم محطات الطريق الغربي اللمتوني.

-كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لمحمد بن عبد الله بن مُحَمَّد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة(ت770هـ/1368م)، من أشهر الرحالة المسلمين، زار العديد من أقطار الأرض وحل ببلاد السودان على عهد السلطان منسى سليمان ملك مالي. تتضمن الرحلة الكثير من الأخبار ونوادر الحكايات وعجائب المخلوقات، وهو يكتسي أهمية كبرى باعتباره وصفا حيا لما شاهده الرحالة خلال رحلته. أفادني في وصفه للمدن السودانية ووضعها الاقتصادي والثقافي، ضف إلى ذلك أشار إلى محطات المسلك التجاري بين توات وتاكدة خلال القرن الثامن الهجرب/الرابع عشر الميلادي.

-كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان الشهير بليون الإفريقي(ت بعد 957هـ/1571م)، ينحدر الوزان من قبيلة بني زيات الزناتية، التي تقع أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف بالمغرب الأقصى. يحتوي هذا المصنف على معلومات دقيقة وغزيرة حول المدن الصحراوية للمغرب الأوسط وبلاد السودان من خلال وصفه للمجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الجغرافي. استخدمته في معرفة النشاط التجاري للمراكز التجارية السودانية والحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط لتفادي النقص في المعلومات خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

**2-المراجع:**

يمكن تلخيص المراجع التي استطعت الاستعانة بها في هذه الدراسة في الآتي:

-موسوعة التاريخ الإسلامي- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن لمؤلفه أحمد شلبي استخدمته في الكشف عن المراكز الثقافية لبلاد السودان وأهم مؤسساتها الثقافية والعلمية.

-تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط لصاحبه إسماعيل حامد إسماعيل علي، استفدت منه في التعريف بالمراكز الحضارية لبلاد السودان.

-التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر لصاحبه الهادي المبروك الدالي، أفادني في ذكر المؤسسات الثقافية لبعض المدن السودانية التي كانت تحت حكم مملكة كانم منها كانو وكاتسينا.

-القبائل الأمازيغية (أدوارها-ومواطنها-وأعيانها) بصاحبه بوزياني الدراجي، استفدت منه في معرفة مواطن وخصائص القبائل البربرية التي انتجعت صحراء المغرب الأوسط.

- تاريخ المسلمين في إفريقية لتقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي، هذا الكتاب يحتوي على معلومات قيمة وغزيرة ومفصلة حول تاريخ الدول التي قامت في بلاد السودان وانتشار الإسلام بها. وقد اعتمدت عليه في نشأة المراكز الحضارية السودانية وتطورها وأهم المحطات التي طرأت عليها.

-من عرب مالي والنيجر كنتة الشرقيون لبول مارتي، استخدمته في دور الهجرات العربية والبربرية ومساهمتها في انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان تجسد في قبيلة كنتة التي استوطنت توات وهاجرت إلى ولاتة، إضافة إلى ذلك أبان المؤلف عن الدور الذي قام به الشيخ المغيلي في نشره للطريقة القادرية في بلاد السودان وتلقينها للشيخ عمر الشيخ بن أحمد الكنتي.

-كتاب غصن البان في تاريخ وارجلان لإبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، يعد هذا الكتاب من الدراسات التي أسهمت في تقديم وتفصيل تاريخ وارجلان السياسي والثقافي. استخدمته في الحديث عن وارجلان ونشأتها.

- كتاب الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد لأحمد مطير سعد غيث، اختصت هذه الدراسة حول مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع السوداني بغرب إفريقيا، حيث تطرق صاحبه إلى الإشارة للمؤثرات التي طرأت على المجتمع على جميع الأصعدة السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي. وقد استفدت منه في الكشف عن وسائل انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان.

-كتاب معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراتة لعمر لقمان بوعصبانة، هذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير طبعت تطرق من خلالها صاحبها إلى الدور الحضاري لوارجلان من نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى غاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر

الميلادي. أفادني هذا الكتاب عندما أشرت إلى وارجلان التي تمثل أهم مركز تجاري للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وعلاقتها مع بلاد السودان.

-كتاب دور الأباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا لمحمد صالح ناصر، حاول صاحبه الإشارة إلى مساهمة الجماعات الأباضية من شيوخ ورجال الدعوة في نشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء مع إبراز المواطن التي حل بها هؤلاء. وقد استخدمته في إبراز الدور الدعوي لأباضية الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بغرب ووسط إفريقيا ومساهمتهم في الجانب الثقافي.

- المدينة الدولة في المغرب الأوسط-وارجلان أنموذجا لعمار غرايسة، تتوفر هذه المذكرة على معلومات غزيرة ومفيدة لمن أراد معرفة تاريخ وارجلان في العصر الوسيط، وعلى ما يبدو لم تحظ العلاقات الخارجية مع بلاد السودان بما فيه الكفاية. استخدمتها في وصف مؤسسات وارجلان الثقافية والنشاط الثقافي لهذه الحاضرة.

-مدينة وارجلان-دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية- (في الفترة 4-10هـ/10-16م) لصاحبها إلياس حاج عيسى، مذكرة ماجستير وقد استفدت منها في الجانبين التجاري والثقافي مع المراكز الحضارية لبلاد السودان.

-إنتاج الفكر الأباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقاله من القرن 3هـ/9م إلى القرن 9هـ/15م لصالحبها علال بن عمر، أطروحة دكتوراه العلوم ساهمت بشكل مفصل في إبراز دور الجماعات الأباضية في الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط وأخص بالذكر أسوف، أريغ، وارجلان، وميزاب الثقافي والعلمي. استخدمتها في وصف الحركة الثقافية لهاته المراكز الحضارية السالفة الذكر وأهم أعلامها.

-الحياة العلمية في إقليم توات خلال القرون08-10 هجرية لزينب سالمي، وهي عبارة عن مذكرة ماجستير حاول صاحبها إماطة اللثام عن الحركة الثقافية التي كانت توات تحظى بها خلال القرنين الثامن والعاشر الهجريين/الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين. أفادتني في معرفة المؤسسات الثقافية والعلمية لحاضرة توات وكذا أبرز علمائها وأعلامها الذين كان لهم صيت ودور في الحياة العلمية التي شهدتها توات.

-الحركة العلمية في بلاد السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية من القرن 5هـ-10هـ/11م-16م لصاحبتها ناهد بوسكين، مذكرة ماجستير من خلالها حاول صاحبها إبراز دور المؤسسات العلمية والقائمين عليها من علماء وشيوخ وطلبة العلم في تنشيط الحركة العلمية في بلاد السودان الأوسط، وتأثيرها على المجتمع قرابة ستة قرون كاملة. استفدت منها في الإشارة إلى المراكز الثقافية لبلاد السودان الأوسط وأهم المؤسسات الثقافية والعلمية القائمة على ذلك.

-العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان لصاحبها مبخوت بودواية، أطروحة دكتوراه ساهمت في تسليط الضوء على الصلات الثقافية والتجارية للمغرب الأوسط مع

السودان الغربي في حكم دولة بني زيان أين أشار الباحث إلى الدور الذي أَدَّتْهُ توات في ربط هذه الصلات مع إبراز مساهمة الشيخ المغيلي ونشاطه في بلاد السودان. استخدمتها في إثراء الحركة الثقافية لتوات وعلاقة علمائها مع بلاد السودان.

**3-المراجع باللغة الأجنبية:**

-كتاب اليهود في الصحراء-توات خلال العصر الوسيط لصاحبه جاكوب أوليل، يعتبر جاكوب أوليل من المهتمين بتاريخ اليهود، خصص كتابه عن اليهود في توات خلال العصر الوسيط. أفادني عندما تناولت نشاطهم التجاري بتوات وأهم السلع التي اختص بها اليهود في تجارتهم مع بلاد السودان.

-كتاب ورقلة مدينة صحراوية لجون ليثو، تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن تاريخ وارجلان منذ نشأتها إلى ما بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر. تعرض من خلال طيته إلى أهم المحطات التاريخية التي مرت بها وارجلان، وشمل جميع الأصعدة. وقد استخدمته في تاريخ تأسيس وارجلان، والدور الذي أَدَّتْهُ هذه الحاضرة في التجارة العابرة للصحراء.

-كتاب دراسات مغربية سودانية لتاديوس ليفينسكي، يتكون من جزئين، صاحب هذا الكتاب بولوني من المهتمين بتاريخ الجماعات الأباضية وعلاقتها ببلاد السودان، وقد أسهب مؤلفه في ذكر المحطات والمراحل للمسالك التي تربط وارجلان بالمدن الأخرى، وأحصى عشرون مسلك منها عشرة نحو الشمال، والأخرى نحو بلاد السودان. وقد افادني عند الإشارة إلى المسالك التي كانت وارجلان تصلها ببلاد السودان.

-كتاب الواحات الصحراوية لصاحبه (أ.ج.ب) مارتن، تطرق من خلاله إلى دراسة الواحات الصحراوية الغربية للمغرب الأوسط توات وقورارة وتيديكلت منذ نشأتها إلى العام 1902 تاريخ صدور الكتاب من جميع النواحي الاجتماعية، الثقافية، السياسية، والاقتصادية. استخدمته عندما تناولت تاريخ دخول الإسلام إلى توات، علاوة على ذلك أفادني بنص الرسالة التي أرسلها سلطان كانم-برنو إلى وجهاء وعلماء توات خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي يحثهم فيها على المجيء إلى ملكته لنشر الثقافة العربية الاسلامية مقابل مزايا يتمتعون بها.

-كتاب لوحة جغرافية عن غرب إفريقيا في العصر الوسيط من خلال المصادر المكتوبة، التقاليد والآثار لمؤلفه ريمون موني، يمثل هذا الكتاب رسالة دكتوراه قام صاحبها باستقراء المصادر المكتوبة العادات والتقاليد ومعاينة بقايا الأثار. استخدمته في الكشف عن وسائل النقل السائدة في بلاد السودان خلال العصر الوسيط، وللإشارة إلى المؤسسات الثقافية والعلمية للمراكز الحضارية لبلاد السودان الغربي على غرار المساجد.

-كتاب نشر أشكال العمارة الدينية الاسلامية العابرة للصحراء لمؤلفه الألماني جوزيف شاخت، هذا الكتاب عبارة عن تقرير أعده جوزيف شاخت حول العمارة الدينية الاسلامية العابرة للصحراء نشره معهد

البحث الصحراوي بجامعة الجزائر سنة 1954م، عن الإباضية ولاسيما إباضية وارجلان وسدراتة ووادي ميزاب. وجاءت هذه الدراسة مستندة إلى المقارنة والملاحظة والتحليل النظري، قام بها في بعض مدن بلاد السودان الغربي والأوسط، وفي المقابل توجه نحو قرى وادي ميزاب ووارجلان وجربة. وأثبت من خلال ذلك إلى أن الطراز المعماري الإباضي ولا سيما في بناء المساجد والمصليات في السودان الغربي والأوسط ضاربة بجذورها في تاريخ المنطقة. وقد أفادني هذا التقرير عندما تناولت العمارة الدينية الأباضية العابرة إلى جنوب الصحراء الكبرى.

ومن المصاعب التي واجهتني لإنجاز هذه الأطروحة هي الإطار الزماني للدراسة الذي مس قرابة سبعة قرون كاملة (3هـ-9هـ/9م-15م) أعتبره طويلا، على الرغم من وجوب ذلك، والذي يصعب الإلمام بجميع مصادر تلك الحقبة، ومن ذلك أيضا المصادر السودانية كلها متأخرة عن الإطار الزماني لموضوع الأطروحة، إضافة إلى ذلك فإن الوضع المضطرب في دولة مالي حال دون الوصول إلى مراكز الأرشيف الخاصة بالمخطوطات التي تزخر بها والتي تعرضت إلى الحرق والتخريب والتي من بينها مركز أحمد بابا للمخطوطات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الأول

# المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة(3هـ-9هـ/9م-15م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الأول: المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة(3هـ-9هـ/9م-15م)

عرفت المنطقة الممثلة بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان نشأة العديد من المراكز الحضارية، التي كانت طرفا في التواصل الحضاري فيما بينهما حيث شهدت الفترة الممتدة بين القرون الثالث والتاسع الهجريين/التاسع والخامس عشر الميلاديين نشاطا ملحوظا أقرته المصادر الإخبارية وكتب الرحالة والجغرافيين.

وسنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على مفهوم الإقليم من خلال المصادر الوسيطة، وممتلكات كل من الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان الجغرافية والتركيبة السكانية ومجالها، إضافة إلى ذلك نعرج على المراكز الحضارية من حيث نشأتها.

## المبحث الأول: الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط (المفهوم، المجال، الجغرافيا)

### المطلب الأول: مفهوم الإقليم

قراءة في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي حول مفهوم الإقليم مفادها بأن: "لابد لكلّ إقليم من كور[1] ثم لكلّ كورة من قصبة[2] ثم لكلّ قصبة من مدن[3]"[4]، من خلال قراءتنا لنص المقدسي تبين أن الإقليم يشتمل على أصقاع بها عدة قرى ولكل قرية تحتوي على قصبة أو ما يسمى بالقصر أو وسط المدينة، وهو ما يتطابق مع بلاد الزاب الذي قاعدته بسكرة التي صَوَّرَهَا لنا البكري ما نصه: "وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة"[5]. وهذا ما يجعلنا بأن نقول بأن بلاد الزاب تمثل إقليما يشتمل على العديد من المدن والقرى ولها قصبة تسمى بسكرة.

---

[1]- **الكورة:** جمع كور. وهي كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة تجمع اسمها. اسماعيل العربي: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 339؛ ومنها قول البكري: "وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة". ينظر: البكري: **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج02، ص ص 229-230.

[2]- **القصبة:** القصر أو جوفه والمدينة، وقصبة القرية: وسطها، وقصبة السواد: مدينتها، وقيل: القصبة هي القرية. يقول المقدسي: "فأما الحجاز فقصبته مكة ومن مدنها يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة". ينظر: المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ط03، ص 69.

[3]- **المدينة:** جمع مدن، مدن بالمكان: أقام به ومنه المدينة وتجمع على مدائن ومدن، والمدين: الحصن يبنى في أسطمه (بعض أو معظم) الأرض، وكل أرض يبنى بها حصن في أسطمها فهي مدينة. يقول الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : "... مدينة صيداء في البلاد الشامية على ساحل البحر المالح فيها سور حجارة .. وهي مدينة كبيرة عامرة". ينظر: الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 370.

[4]- المقدسي: المصدر السابق، ص 47.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص ص 229-230.

وأما الإدريسي فقد أدرج الحصن إلى جانب القرى والمدن لمفهوم الإقليم وسجل لنا ذلك ما نصه: "كل إقليم منها عدة مدن وحصون وقرى[1]"[2]. البكري وصف لنا وارجلان بأنها تشتمل على العديد من الحصون ونقرأ ما نصه: "وارجلان وهي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى أغرم أن يكامن"[3]، ومن جهة أخرى أَقَرَّ صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار بأن وارجلان تتكون من مدن عديدة وسجل لنا ذلك بقوله: "وارجلان في طرف الصحراء مما يلي إفريقية: وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن"[4].

إن امتلاك وارجلان على العديد من المدن والحصون يجعلها تشكل بحسب الإدريسي إقليما قائما بذاته على غرار إقليم بلاد الزاب.

الحموي في معجمه طرح لنا أربع اصطلاحات لمفهوم الإقليم نذكر منها الذي يهمنا في الآتي:

**-اصطلاح العامة وجمهور الأمّة:** "وهو جار على ألسنة الناس دائما، وهو أن يسمّوا كل ناحية مشتملة على عدّة مدن وقرى إقليما، نحو الصين، وخراسان[5]، والعراق، والشام، ومصر، وإفريقية، ونحو ذلك. فالأقاليم، على هذا، كثيرة لا تحصى"[6]. وهذا المفهوم ينطبق على بلاد الزاب التي تمثل بسكرة كبرى مدنه وقاعدته بحسب صاحب كتاب الاستبصار الذي أَقَرَّ ذلك ما نصه: "مدينة بسكرة: وهي مدينة كبيرة، وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها"[7].

ومن خلال ما سبق طرحه بخصوص مفهوم الإقليم تبين لنا بأنه يشتمل على العديد من الكور والأصقاع، ولكل كورة قصبة أو قاعدة، وبها العديد من القرى والمدن. وقد بَيَّنَا بأن الحواضر الصحراوية

---

[1]- **القرية:** المصر الجامع، وقيل: من المساكن والأبنية والضياع وقد تطلق على المدن، ويقال: القرية كل مكان اتصلت به الأبنية. والجمع قرى. يقول المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: "والرقيم قرية على فرسخ من عمّان على تخوم البادية فيها مغارة لها بابان". ينظر المقدسي: المصدر السابق، ص 175.

[2]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 09.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 371.

[4]- مؤلف مجهول: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 224.

[5]-**خراسان:**تشتمل على كور عظام وأعمال جسام، وكانت خراسان تسمّى في القديم بلد أشيرية، سمّيت بأشور بن سام بن نوح، وهو أوّل من اعتمر ذلك الصقع بعد الطوفان. وحدّها الّذي يحيط بها: من شرقها سجستان وبلد الهند الّذي ضمّها إلى سجستان وما يتّصل بها من ظهر الغور كلّه إلى الهند وخطّتا ديار الخلج في حدود كابل ووخان على ظهر الختل كلّه وغير ذلك من ناحية بلد الهند، وغربها مفازة [الغزية] ونواحي جرجان، وشمالها ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك يسير على ظهر الختل، وجنوبها مفازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وما يتّصل بها. فجعلناه كلّه إقليما واحدا وضمنا الختل إلى ما وراء النهر، وهي أقرب إلى بخارا منها إلى خراسان. وكور خراسان وأعمالها الّتي يتفرّق فيها الحكّام وأصحاب البرد نيّف وثلاثون عملا. ينظر : البكري: المصدر السابق، ج02، ص 19.

[6]- الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1995، ج01، ص 26.

[7]- مؤلف مجهول: **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، المصدر السابق، ص 173.

للمغرب الأوسط على غرار وارجلان وبلاد الزاب وغيرها من الحواضر قد شكلت كل واحدة منها إقليما منفردا بذاته، وعليه فإن مجموع هذه الأقاليم تشكل ما يسمى بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط الذي نحن بصدد دراسة علاقاته مع بلاد السودان خلال الفترة موضوع الدراسة.

**المطلب الثاني: المجال الجغرافي والتركيبة السكانية**

**أ-المجال الجغرافي:**

يقع الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ضمن ما يسمى بالصحراء الوسطى الإفريقية، وهي تعد القسم الأكبر من الصحراء الكبرى، هذه الأخيرة حدودها تمتد من السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي إلى غاية جنوب أدرار أفوغاس[1] وجنوب مرتفعات آير بين خطي طول 10° شرقا و5° غربا، وبين دائرتي عرض 33° و17° شمالا[2]. والمجال الجغرافي للدراسة يتوسط الصحراء الوسطى التي تضم أيضا كل من جنوب المغرب الأدنى، وجبال أدرار أفوغاس بمالي ومرتفعات الآير بالنيجر.

إن المجال الجغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م) لم يكن واضح المعالم باستثناء الشمال الذي يحده سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، وأما الشرق فيمكننا تحديده بالخط الشاقولي الرابط بين بلاد قسطيلية وغدامس بالمغرب الأدنى وغرب السودان الأوسط، ومن الغرب يحده الخط الفاصل شرق حاضرة سجلماسة وجنوب المغرب الأقصى، وأما الجنوب فالمجال مفتوح.

فالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خلال الفترة موضوع الدراسة هو ذلك المجال المحور بين الخط العمودي المنحدر من بلاد قسطيلية وغدامس وغرب السودان الأوسط شرقا والخط الفاصل بين الحدود الغربية لحاضرة توات غربا وسلسلة جبال الأطلس الصحراوي شمالا، وأما جنوبا فالمجال مفتوح. (الخريطة رقم01).

---

[1]-**أدرار أفوغاس**: أدرار كلمة بربرية معناها "جبل" وتطلق على عدد من المناطق الجبلية في الصحراء منها: أدرار أفوغاس: كتلة جبلية أو جملة مرتفعات تقع بالصحراء الجنوبية (السودان الغربي). وهو امتداد لإقليم الهقار وتمتاز نباتاته بالصبغة الساحلية على الأقل في الوديان إلا أن كتامة الأرض تقل معها العيون والآبار وتقطن قبائل التوارق هذه الهضاب. ينظر: عبد العزيز بنعبد الله: **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**، مطبعة فضالة، المغرب، 1981، ج04، ص 08.

[2]- مُحَّد رشدي جراية: **"الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100 ق.م-1000 ق.م"**، إشراف: أ.د عبد العزيز بن لحرش، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص تاريخ الحضارات القديمة، غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 15.

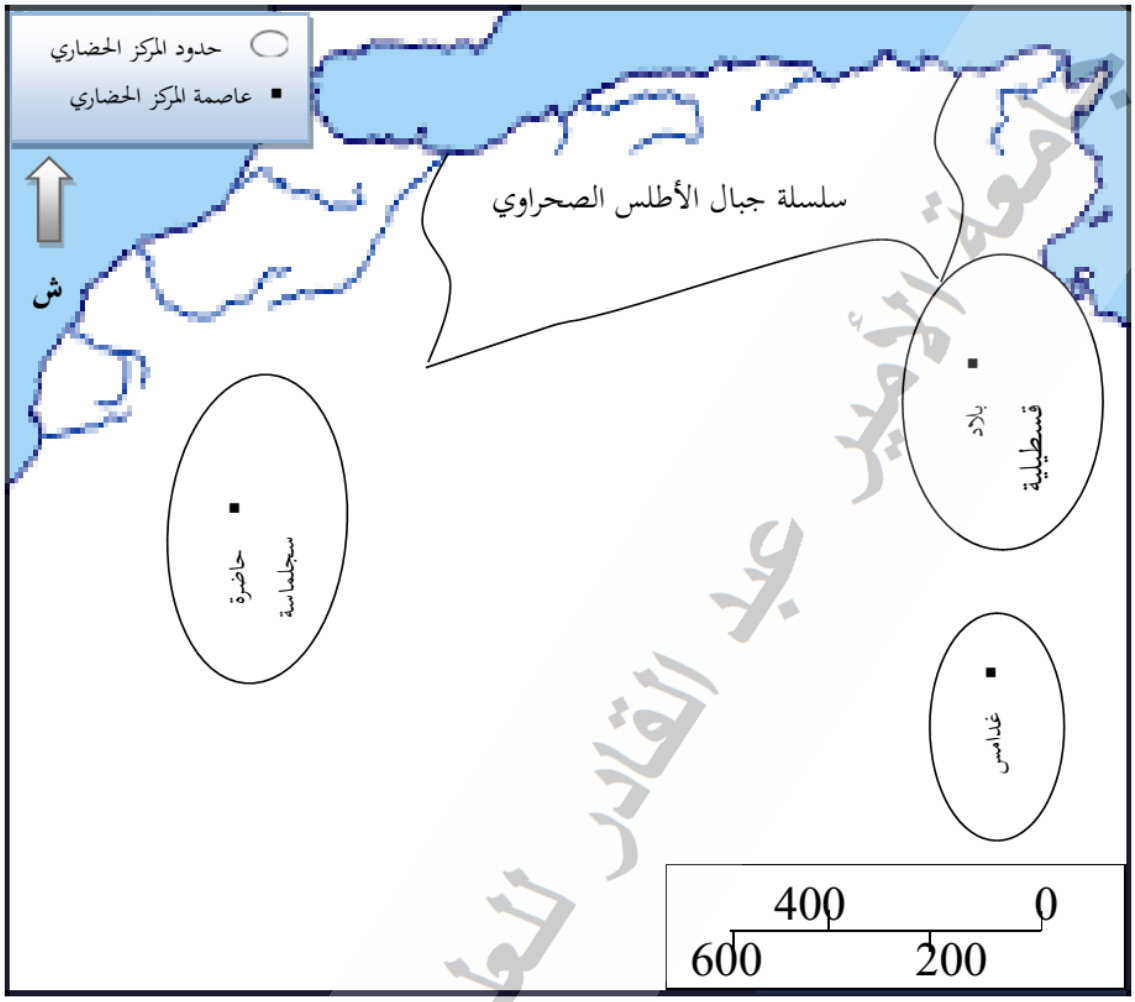


الخريطة رقم 01: توضح المجال الجغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

من إعداد الطالب

**ب-التركيبة السكانية:**

عرف الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط انتجاع العديد من القبائل التي استطاعت أن تتعايش وتتكيف مع المناخ البارد شتاء والحار والجاف صيفا، أين كشفت المصادر الإخبارية عن تواجد قبيلة زناتة البترية بفروعها المختلفة، وقبائل لواتة ومغراوة، ثم تأتي القبائل العربية وعلى رأسهم بنو هلال وسليم.

وأما الحراطين وهم نتاج تزاوج السكان الأصليين للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بزنجيات جلبوا من بلاد السودان، ثم يأتي اليهود الذين كان لهم حضور مميز بالمنطقة بامتهانهم تجارة القوافل العابرة للصحراء، إضافة إلى ذلك تشير الدراسات إلى تواجد بقايا الروم الذين آثروا الحياة جنبا إلى جنبا مع السكان الأصليين.

وفيما يلي نأتي على سرد مواطنهم وانتجاعهم في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط.

**1-قبيلة زناتة:**

إن أشهر القبائل الأمازيغية التي انتجعت صحراء المغرب الأوسط وشماله هي قبيلة زناتة بفروعها المختلفة التي سنأتي على ذكرها، وتجلى ذلك في تصريح ابن خلدون بأن قبيلة زناتة: "الأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة"[1]، وأضاف أيضا بأنهم: "جيل قديم العهد معروف العين والأثر، وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلّب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطّف الناس من العمران والإباية عن الانقياد للنصفة"[2].

قراءة في كتاب القبائل الأمازيغية (أدوارها -ومواطنها-وأعيانها) لبوزياني الدراجي مفادها أن قبيلة زناتة تتميز بـ: "النزعة المتطرفة؛ التي تميل إلى تجاهل الآخرين، والانسياق إلى الغزو، والإغارة على العمران، والاعتداء على ممتلكات الناس؛ هي من خصائصهم أيضا"[3].

ومن وجهة نظر بوزياني الدراجي بأن قبيلة زناتة تتصف بالعدوانية وتجاهل الآخرين، مبالغ فيها لأن هذه القبيلة كان لها حضور فعال ومساهمة كبيرة في العمران البشري أين ما حلت، نجدها قد شاركت في قيام دولة الإمام الرستمية بتيهرت، وتأسيس دولة بني مدرار بسجلماسة، وفي كل من وارجلان وباقي الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الأوسط، وقد أضاف كل من ابن حوقل والبكري بأن قبيلة زناتة كانت طرفا في إزدهار أودغشت ببلاد السودان.

وقد كتب تاديوس ليفينسكي ما نصه: "إن سكان الصحراء البربر الذين لعبوا دورا مهما في نشأة العلاقات بين شمال إفريقيا ومصر من جهة، والسودان من جهة أخرى، ينتمون إلى فرعين كبيرين من القبائل البربرية، وهما قبيلتا صنهاجة وزناتة"[4]. وبخصوص زناتة والقبائل الأمازيغية الأخرى أشار أيضا ما نصه: "أما بالنسبة لقبائل زناتة وقبائل البربر الأخرى، مثل مزاتة ولواتة، الذين كانوا يعيشون أساسا في المنطقة الشمالية من الصحراء، جزء منهم كانوا من البدو الرحل، والجزء الآخر منهم من المستقرين"[5].

إن هذه القبائل يضيف تاديوس ليفينسكي قد كانت طرفا "على الأرجح بعد الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا في تأسيس الواحات الجميلة في الصحراء الجزائرية، على غرار أسُوف، وأريغ، ووارجلان،

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001، ج07، ص 03.

[2]- ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

[3]-بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية (أدوارها-ومواطنها-وأعيانها)**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج01، ص 243.

[4]-LEWICKI(T): **Etudes maghrébines et soudanaises**, Editions Scientifiques de Pologne, Pologne,1983, t 02, p 44.

[5]- LEWICKI(T): Op.cit, p 44.

تيديكلت، وتوات"[1].

وفيما يلي نتطرق إلى فروع قبيلة زناتة التي انتجعت صحراء المغرب الأوسط واستقرت بها.

### 1-1-بنو واركلا:

سَجَّلَ ابن خلدون في مصنفه العبر بأن بني واركلا من بطون زناتة وأضاف المصر المنسوب إليهم ما نصه: "بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة كما تقدّم، من ولد فرني بن جانا،...، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة. ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا"[2].

وقد عرفوا بالتجارة مع بلاد السودان، حيث أثبت ذلك ابن خلدون في تصريح له هذا نصه: "وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان يسكنها التجّار الداخلون لها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة، ويعرف رئيسه باسم السلطان، شهرة غير نكيرة بينهم"[3].

### 1-2- بنو يفرن:

أدرج ابن خلدون بني يفرن في الطبقة الأولى من قبيلة زناتة البترية، حيث أَقَرَّ بأنها من أوسع بطونهم[4]. وينسبهم ابن حزم الأندلسي في جمهرته إلى أنّ: "بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا"[5]. وأضاف أيضا بأن قبيلة بنو يفرن فشى فيهم المذهب الإباضي والصفري[6]. وكان انتشارهم في عهد الفتح الإسلامي بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط[7]، ثم انتجع بنو يفرن وارجلان : "وسكانه لهذا العهد من بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة"[8].

### 1-3-بنو يالدس:

بنو يالدس هم بطن من قبيلة وامانوا، صرح ذلك ابن خلدون بقوله: "ومن بطون بني ومانوا هؤلاء بنو يالدس"[9]، انتجعوا القصور الجنوبية التي تسمى توات، قال عنهم ابن خلدون: "واختطوا في المواطن

---

[1]- LEWICKI(T): Op.cit, p 44.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 69.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70؛ بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج01، ص293.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 15.

[5]- ابن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط05، ص 496.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 16؛ عمر لقمان بوعصبانة: **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراتة**، مديرية الثقافة، ورقلة، 1997، ص 44.

[7]- محمد بن عميرة: **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 18.

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70.

[9]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 76.

القصور والأطم، واتخذوا بها الجنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه، فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة، ويسمى وطن توات، وفيه قصور متعدّدة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها"[1].

امتهنت قبيلة بنو يالدس التجارة في هاته القصور الصحراوية التي اتخذوها موطنا لهم، وأصبحت هذه القصور بمثابة محطّات رئيسية لقوافل التجار المتنقلين بين بلاد السودان وأقطار المغرب، وعليه فقد ازداد نموها العمراني، وتضاعف ثراؤها، وازدهرت تجارتها[2].

**1-4- بنو درجين:**

بنو درجين هم إحدى بطون قبيلة زناتة البترية، التي اعتنقت المذهب الأباضي الوهبي. وإلى هذه القبيلة ينسب تأسيس بلدة درجين الكائنة غربي نفطة ببلاد الجريد بالجنوب التونسي. تواجدت هذه القبيلة بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبالضبط بأسوف كان جراء الخراب الذي تعرضت له قلعتهم وقاموا "بهجرتهم التي تمت العام 1048-1049م[3]، قادمين من قلعة بني درجين(منطقة بالجريد)، والذين استقروا بأسُوف"[4].

وقد أشار صالح باجية في مصنفه الأباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى بأن قبيلة بني درجين: "امتازت بالصولة وقوة الشوكة لذلك توافر زعماؤها وقوادها الحربيون الذين أدّوا دورا تاريخيا هاما لا في هذه المنطقة فحسب بل بالمنطقة الشاسعة الممتدة من جبال الأوراس إلى أريغ ووارجلان"[5].

**1-5- بنو مصاب:**

ينتمي بنو مصاب إلى قبيلة زناتة البترية، أدرجهم ابن خلدون ضمن الطبقة الثانية من زناتة وَأَقَرَّ بانتسابهم لها ما نصه: "(ومن أهل هذه الطبقة) كثير من بطونهم ليس لهم ملك... وتشعّبوا إلى شعوب كثيرة، فكان منهم: بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب"[6].

في بادئ أمرهم بنو مصاب كانوا على مذهب الواصلية[7] قبل مجيء الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر النفوسي إليها، وبعد أن حل بها دعاهم إلى المذهب الأباضي فانخرطوا فيه وتركوا مذهبهم الأصلي منذ العام 409هـ/1018-1019م.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 76.

[2]- بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج01، ص 306.

[3]- يقابلها بالتاريخ الهجري العام 440-441هـ.

[4]- LEWICKI(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 76.

[5]-صالح باجية: **الأباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1976، ط01، ص 16.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 79.

[7]- **الواصلية**:هم أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغَزَّال الألثغ. كان تلميذاً للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والأخبار. وكانا في أيام عبد الملك بن مروان، وهشام ابن عبد الملك وبالمغرب الآن شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب. في أيام أبي جعفر=

وقد أشار الشماخي في سيره بأن هناك جبلا سمي على قبيلة بني مصاب وهو يروي لنا بأن الشيخ أبي عبد الله بن بكر الفرسطائي له غنم ترعى هناك ما نصه: "وقصده رجل من لمطة، وتاب على يديه، وتعلم السير، وسلك سبيل الصلاح. فصار من حاشيته، وأرسله إلى غنمه بجبال بني مصاب، وله معه غنم"[1].

**1-6- بنو واسين:**

قال ابن خلدون بأن: "بني واسين بن يصلتن إخوة مغراوة وبني يفرن"[2]، وبالتالي هم من قبيلة زناتة البترية. كانت حياتهم ومعاشهم "الأنعام والماشية، وابتغاؤهم الرزق من تحيّف السابلة، وفي ظل الرماح المشرّعة، وكانت لهم في محاربة الأحياء والقبائل ومنافسة الأمم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع"[3].

اعتنق بنو واسين المذهب الأباضي الوهبي كإخوتهم المغراويين واليفرنيين، ونظرا لقوة شوكتهم نجدهم قد ناصروا أبا يزيد مخلد بن كيداد في ثورته ضد الفاطميين، حيث كشف عنه بوزياني الدراجي في مصنفه ما نصه: "ساندوا أبا يزيد في ثورته على الفاطميين"[4].

انتجع بنو واسين صحراء المغرب الأوسط بعد الزحف الهلالي للمنطقة منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بشهادة ابن خلدون الذي سَجَّلَ لنا ذلك ما نصه: "وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحي وأزاحوهم عن الزاب وما إليه من بلاد إفريقية، وانشمر بنو واسين هؤلاء من بني مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب وجبل راشد إلى ملوية فيكيك"[5].

**2- قبيلة لواتة:**

لواتة من القبائل البترية كشف ابن خلدون ذلك ما نصه: "وهو بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، ....ولوا اسم أبيهم، والبربر إذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الألف والتاء فصار لوات، فلما عرّبته العرب حملوه على الإفراد وألحقوا به هاء الجمع"[6].

---

=المنصور. ينظر: الشهرستاني: **الملل والنحل**، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، 1993، ط03، ج01، ص ص 59-60.

[1]- الشماخي: **كتاب السير**، تح: محمد حسن، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2009، ط01، ج02، ص 576.

[2]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 78.

[3]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج07، ص 81.

[4]-بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج01، ص 308.

[5]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 80.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 152.

وقد أقرَّت كتب الطبقات والسير الأباضية بتواجد قبيلة لواتة واستقرارها بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط عند ذكرها لرجال الدعوة الذين ينتسبون إلى حاضرة أسوف. وفي هذا الصدد يشير الشماخي في سيره إلى شخصية امرأة تدعى سارة اللواتية(القرن 5هـ/11م) تنحدر من حاضرة أسوف ما نصه: "وسارة امرأة لواتية مسكنها أسوف، صالحة عابدة"[1].

ويشير تاديوس ليفينسكي إلى أن: "أغلب سكان أسوف هم من أصول قبيلة لواتة"[2]. اتسمت قبيلة لواتة بين الولاء التام للدولة في بعض الأحياء، وأحيانا أخرى يتحولون إلى قبائل متمردة ثائرة عندما يشب الضعف إلى الدولة التي يعيشون في حماها. وقد أنجبت قبيلة لواتة علماء أكفاء وشيوخ علم، كان لهم دور في بناء الصرح الثقافي العربي الإسلامي في بلاد الغرب الإسلامي[3].

ومن بطون قبيلة لواتة التي سكنت صحراء المغرب الأوسط نذكر:

**2-1-سدراتة:**

سدراتة هي من بين بطون قبيلة لواتة البترية التي انتجعت الواحات الصحراوية لبلاد المغرب، أصلها كما أقرَّه ابن خلدون من لواتة بقوله: "وفي لواتة بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوا"[4]، التي تنسب إليها المدينة المتواجدة بالقرب من وارجلان مدينة سدراتة.

وتشير كتب الطبقات إلى نبوغ عدد لا بأس به من أبناء هذه القبيلة الذين سنتحدث عنهم في الفصل الثالث عند تناولنا للائحة الشيوخ الذين ساهموا في إثراء الحياة الثقافية بوارجلان.

**3-قبيلة مغراوة:**

كتب ابن خلدون في تاريخه بأن بني مغراوة: "كانوا أوسع بطون زناتة،...، ونسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يرنيان"[5]، وكانت محلّاتهم جنوب المغرب الأوسط بجبل راشد (عمور)، وجبل كريكرة[6]، وعمل الزاب[7]، وواركلا (وارجلان)"[1].

---

[1]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 738.

[2]-LEWICKI(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 76.

[3]- بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج01، ص 260.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 153.

[5]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج07، ص 33.

[6]- **جبل كريكرة**: يسمى أيضا جبل ناظور، يقع على سبع فراسخ جنوب وجنوب شرق تيارت وتسع فراسخ شرق فرندة. مُحَمَّد بن عميرة: المرجع السابق، ص 19، هامش 05.

[7]-**الزاب**: ميز ياقوت الحموي في معجمه بأن هناك زابان بالمغرب: الزاب الصغير، ويقال له: ريغ وهي كلمة بربرية تعني السبخة؛ والزاب الكبير ومنه بسكرة وتوزر وقسنطينية وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس. الحموي: المصدر السابق، ج 03، ص 124؛ فيما عرف بن عميرة بأن الزاب هو منطقة الرمال والواحات الواقعة جنوب الأوراس وكانت الحضنة وبلزمة تابعة له في عهد الأمراء العرب. مُحَمَّد بن عميرة: المرجع السابق، ص 19، هامش 06.

وبأسوف أيضا تواجدت بها بطن من قبيلة مغراوة لم يفصح عن اسمها ما نصه: "وفي الأخير، نذكر من بين سكان أسُوف، هناك بطن من قبيلة بربرية أباضية تنتمي إلى مغراوة"[2]. وقد أشاد مُحَمَّد عوض خليفات بأن مغراوة كانوا بأخلاقهم الفاضلة وحمايتهم للجار محل ثقة أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر فاستقر بجوارهم[3]. وقد نزحت قبيلة مغراوة إلى توات بعد مقتل أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي[4] حتى وصلوا ناحية تكورارين ووادي الحناء بالإقليم التواتي[5]. وفيما يلي نذكر بطون قبيلة مغراوة التي كانت قد استوطنت صحراء المغرب الأوسط.

### 3-1-بنو سنجاس:

بنو سنجاس فرع من قبيلة مغراوة البترية، منتشرون في كل من إفريقية والمغربين الأوسط والأدنى سَجَّلَ بذلك ابن خلدون ما نصه: "بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من إفريقية والمغربين،... وبعمل الزاب"[6]. بنو سنجاس كانوا حلفاء بني عمومتهم من زناتة في حروبهم ضد صنهاجة، ويشير بوزياني الدراجي إلى أن هذه القبيلة ساهمت في "إفساد المدن والمسالك. وبقدوم بني هلال، ضعف أثرهم، وانسحب جمعهم إلى الحصون والمعاقل"[7]. وأصبحوا بذلك يؤدون ولاء الطاعة إلى شيوخ قبائل بني هلال بدفعهم المغارم إليهم تارة، وإلى الدولة المسيطرة تارة أخرى.

### 3-2-بنو ريغة:

بنو ريغة من القبائل الزناتية التي انتجعت صحراء المغرب الأوسط، وقد أَقَرَّ ابن خلدون ذلك بقوله: "(وأما بنو ريغة) فكانوا أحياء متعدّدة ولما افترق أمر زناتة...ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب وواركلا، فاختطوا قصورا كثيرة في عدوة واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد زفّ عليها الشجر ونضدت حفافيها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت ينابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغه هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهم أكثرها"[8].

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 63؛ مُحَمَّد بن عميرة: المرجع السابق، ص 19.

[2]-LEWICKI(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 76.

[3]- مُحَمَّد عوض خليفات: **النظم الاجتماعية والتربوية عند الأباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان**، الأردن، 1982، ص 25.

[4]- **مسعود بن وانودين المغراوي**: هو أمير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعة. وقد ولي أمر سجلماسة بعد مهلك أبيه وانودين بن خزرون، وهو الذي واجه المرابطين سنة 445هـ/1053م، وانتهت المعركة بينهما بهزيمة مغراوة ومقتل زعيمهم مسعود. ينظر إلى: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص ص243-244؛ البكري: المصدر السابق، ج02، ص 354.

[5]-عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم:**دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، الشروق، الجزائر، 2009، ص30.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 63.

[7]- بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج01، ص 273.

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 64.

اعتنق بنو ريغة الأباضية وقد ميز فيهم ابن خلدون بأن: "أكثرهم على دين العزابية، ومنهم النكاريّة"[1]. وقد خضعت هذه القبيلة إلى سلطان الدولة، حيث كشف لنا ذلك بوزياني الدراجي بأنهم: "استسلموا للدولة ومغارمها، واطمأنّوا إلى بيوت الطين والحجر؛ في قصور الزاب، ووادي ريغ، ووركلا"[2].

**3-3-بنو زنداك (بنو زنداج-بنو زنراج):**

اتصل نسب بني زنداك بقبيلة مغراوة الزناتية، حيث احتضنت أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة 325هـ/936م أثناء ثورته ضد الفاطميين بإفريقية، أخبرنا عنهم ابن خلدون بأن: "بني زنداك من مغراوة، وإليهم كان هرب أبو يزيد النكاري، عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وكان مقامه بينهم"[3]، وقد رَجَّحَ تاديوس ليفنسكي بأن بني زنداك نكارية وليست إباضية وهبية[4].

كان موطن بني زنداك الأصلي ضواحي مدينة أذنة[5]، العاصمة القديمة لمنطقة الحضنة التي تقع غرب جبال الأوراس، وهي على مرحلتين من مدينة طبنة[6][7]. لجأ بنو زنداك إلى وارجلان بعد سقوط تاهرت على يد الفاطميين عام 296هـ/909م وتعرضوا للمطاردة كغيرهم من القبائل الزناتية المعتنقة للمذهب الأباضي. وسماهم ابن حوقل "ببنو زنداج"[8] فيما أطلق عليهم البكري "بنو زنراج"[9].

**3-4-بنو ورزمار:**

من قبائل مغراوة التي انتجعت صحراء المغرب الأوسط بني ورزمار، حيث أشار الوسياني في سيره إلى

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ، ص 65.

[2]- بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ج01، ص 273.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 69.

[4]- LEWICKI(T): Etudes maghrébines et soudanaises,Op.cit, p 85.

[5]- **أذنة:** من أرض إفريقية مدينة اسمها أذنة،...وهي كثيرة الأنهار والعيون العذبة، وهي مدينة رومية قديمة، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية للروم كلها عامرة، وهي كانت مملكة الروم بالزاب وكان عقبة بن نافع، رحمه الله، حين قدم إفريقية غازياً بعد انفصاله عن تلمسان ومحاربته لأهلها دخل يريد الزاب، فسأل عن أعظم مدينة به فقيل له: مدينة يقال لها أذنة، وهي دار ملكهم، فتوجه إليها، فلما بلغهم قدوم المسلمين هربوا إلى حصنهم وإلى الجبال، فلما قدمها نزل على واد بينها وبينه نحو ثلاثة أميال في وقت المساء فكره قتالهم بالليل، فتواقف القوم الليل كله لا راحة لهم ولا نوم، فسماه الناس إلى اليوم وادي سهر لأنهم سهروا عليه، فلما أصبح قاتلهم قتالاً عظيماً حتى يئس المسلمون من ألسابقم، ثم هزم الله الروم وقتل فرسانهم وأهل النكاية منهم واستولت الهزيمة على بقيتهم، وفي هذه الغزوة ذهب عز الروم بالزاب. ينظر إلى: الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984، ط02، ص 20.

[6]-**طبنة:** مدينة قديمة وكانت عظيمة كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ولها سور من طابية مرحلة وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانه وأكثر غلّاتهم السقى ويزرعون الكتّان وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة وكانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعم فحدث بينهم البغى والحسد الى أن أهلك الله بعضهم ببعض وأتى على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة الى الضيق والذلّة والصغار والشتات والقلّة مشرّدين فى البلاد مطرّحين فى كلّ جبل وواد وبقيّتهم صالحة. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 328.

[8]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 107.

[9]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 328.

ذلك وهو يروي لنا حادثة وقعت لورثة زيري بن لقمان الورزماري بأسوف ما نصه: "إن زيري بن لقمان الخارجي الورزماري رجل دنيوي ذو غنى وغناء أوصى لضعفاء أهل الدعوة بألف دينار، قال: وسمع بوصيته يوسف بن تسجاسنت اليراسني من وغلانة، فمضى إلى ورثته بأسوف، فعامل معهم في الوصية، وتصدقوا عليه وأمسك منها، ورد عليهم باقيها"[1].

يبدو من خلال النص أن قبيلة ورزمار قد انتجعت أسوف، ضف إلى ذلك أن ثراء الرجل ربما كان جراء امتهانه التجارة مع بلاد السودان والتي تمثل أسوف إحدى محطات المسلك التجاري الذي يربط تادمكة بالقيروان مرورا بوارجلان.

ويشير الوسياني أيضا إلى تواجد بني ورزمار بأريغ ما نصه: "وذكر عن أهل هذه الكدية[2] حين كانوا في ريحهم وثروتهم وثورتهم، اتفق أهل الدعوة منهم على بنيان مسجد...ودخل رجال ورزمارون إلى أميرهم، وكان من قومنا، وقالوا له:في أيامك تبني الوهبية المسجد!"[3]

امتهنت هذه القبيلة السطو والنهب وقطع الطريق وشن الغارات على المسافرين الآمنين[4]، وتوالت الفتن على المنطقة جراء تصرفات هذه القبيلة، ويذكر الشماخي بأنهم: "طغوا وأكثروا من الفساد وقطع الطرق. فاجتمعت جماعة أهل ريغ إلى الشيخ أبي عبد الله فوعظهم، وذكر على حسب ما جرت به العادة في مجالسه... قال الشيخ نقدر على أنفسنا"[5]، ويضيف علي يحي معمر في كتابه الأباضية في موكب التاريخ ما نصه: "أن فَرَّ العلماء من تلك البلاد-أريغ- فالتجأ أبو العباس إلى آجلو، والتجأ أخوه أبو يعقوب يوسف إلى وارجلان"[6].

**4-قبيلة نفوسة:**

أشار ابن خلدون بأن: "نفوس فهم بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها. وكانوا من أوسع قبائل البربر فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور وماطوسة. وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها، وهناك الجبل المعروف بهم"[7]. وبحكم الاتصالات التي كانت قد ربطت كل من أسوف وأريغ ووارجلان بإخوانهم بجبل نفوسة، فقد كان لهذه القبيلة انتشار في المراكز الحضارية لصحراء المغرب الأوسط منها:

---

[1]- الوسياني: **سير الوسياني**، تح: عمر بن لقمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009، ط01، ج01، ص 350.

[2]- الكدية التي تحدث عنها الوسياني تقع بوغلانة إحدى قرى أريغ.

[3]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 358.

[4]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 45.

[5]-الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 575.

[6]- علي يحي معمر: **الأباضية في موكب التاريخ**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008، ط03، ج 02، ص 233.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 149.

### 4-1- بنو مَارغَنِّي:

بنو مَارغَنِّي بطن من قبيلة نفوسة البربرية الأباضية الوهبية. هذه القبيلة استوطنت الاقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وانتجعت حاضرة أسوف. ويشير تاديوس ليفينسكي إلى ذلك ما نصه: "إن سكان الذين ينتمون إلى سوف خلال العصر الوسيط... جزء آخر من السكان يدعون بني مَرْغَنِّي، بطن من قبيلة بربرية اباضية تسمى نفوسة"[1].

وقد انجبت هذه القبيلة أحد أعلام المذهب الأباضي وأبرز علمائه من حاضرة أسوف الشيخ أبي عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، الذي سنتطرق إليه في الفصل الثالث ضمن المراكز الثقافية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط.

### 5- العرب:

أخبرنا ابن خلدون في تاريخه بأن: "العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هنالك، فكانت أخبارهم من أخبارها، فلذلك استوعبناها. وأمّا آخر مواطن العرب فكانت برقة"[2].

ومن بين القبائل العربية التي فضلت الاستقرار بالواحات الصحراوية هم "بنو معقل"، ويطلقون عليهم اسم الجعافرة نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، ويسمون أيضا بالشرفاء[3]. تمتاز هذه القبيلة بحسن الجوار والمعاشرة، ويحترفون في غالب أحوالهم التجارة[4]. وكان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين، وجاوروا زناتة في القفار بعد اعتراض بني سليم لهم وكانوا أحلافا لقبيلة زناتة[5].

الناصري في كتاب الإستقصا أفادنا بمواطن بني معقل وسَجَّلَ لنا ذلك ما نصه: "فَلَمَّا ملكت زناتة بِلَاد الْمغرب ودخلوا إِلَى الْأَمْصَار والمدن أَقَامَ بَنو معقل هَؤُلَاءِ فِي القفار وتفردوا فِي الْبَيْدَاء فنموا نموا لاكفاء لَهُ وملكوا قُصُور الصَّحرَاء الَّتِي اختطها زناتة بالقفر مثل قُصُور السوس غربا ثمَّ توات ثمَّ بودة ثمَّ تمنطيت ثمَّ واركلان ثمَّ تاسبيبت ثمَّ تيكرارين شرقا"[6]، ويضيف أيضا بأنهم: "وَلَا يعرضون لسابلة سجلماسة وَلَا غَيرهَا من بِلَاد الصَّحرَاء بأذية وَلَا مَكْرُوه"[7].

---

[1]- LEWICKI(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 76.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 06.

[3]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 48.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 07.

[5]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 48.

[6]- الناصري: **كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج02، ص 178.

[7]- الناصري: نفس المصدر والصفحة.

هناك قبيلة عربية أخرى من بني هلال من بطن رياح جاءت إلى المنطقة واستوطنتها تدعى الذواودة[1] أين حلت في كل من الزاب وأريغ ووارجلان، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك ما نصه: "وامتاز الذواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ ووارکلا وما وراءها من القفار في بلاد القبلة"[2].

لقد امتهنت قبيلة بني معقل العربية دور الخفارة إلى بلاد السودان بشهادة ابن خلدون الذي صرح لنا ما نصه: "وأوعز إلى أعراب الفلاة[3] من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجائين، فشمّر لذلك علي بن غانم[4] أمير أولاد جار الله من المعقل، وصحبهم في طريقهم امتثالا لأمر السلطان. وتوغّل ذلك الركاب في القفر إلى بلد مالي بعد الجهد وطول المشقة، فأحسن مبرّتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم"[5]. (الخريطة رقم 02).

[1]- **الذواودة**: أحد بطون رياح وأهل الرئاسة فيهم. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 01، ص 809.

[2]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 45.

[3]-**الفلاة**: الأرض الواسعة المقفرة. والجمع: فلا. ينظر: www.almaany.com بتاريخ 2020/01/28 على الساعة 23:13.

[4]- لم نعثر له على ترجمة.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 353؛ الناصري: المصدر السابق، ج03، ص 152.

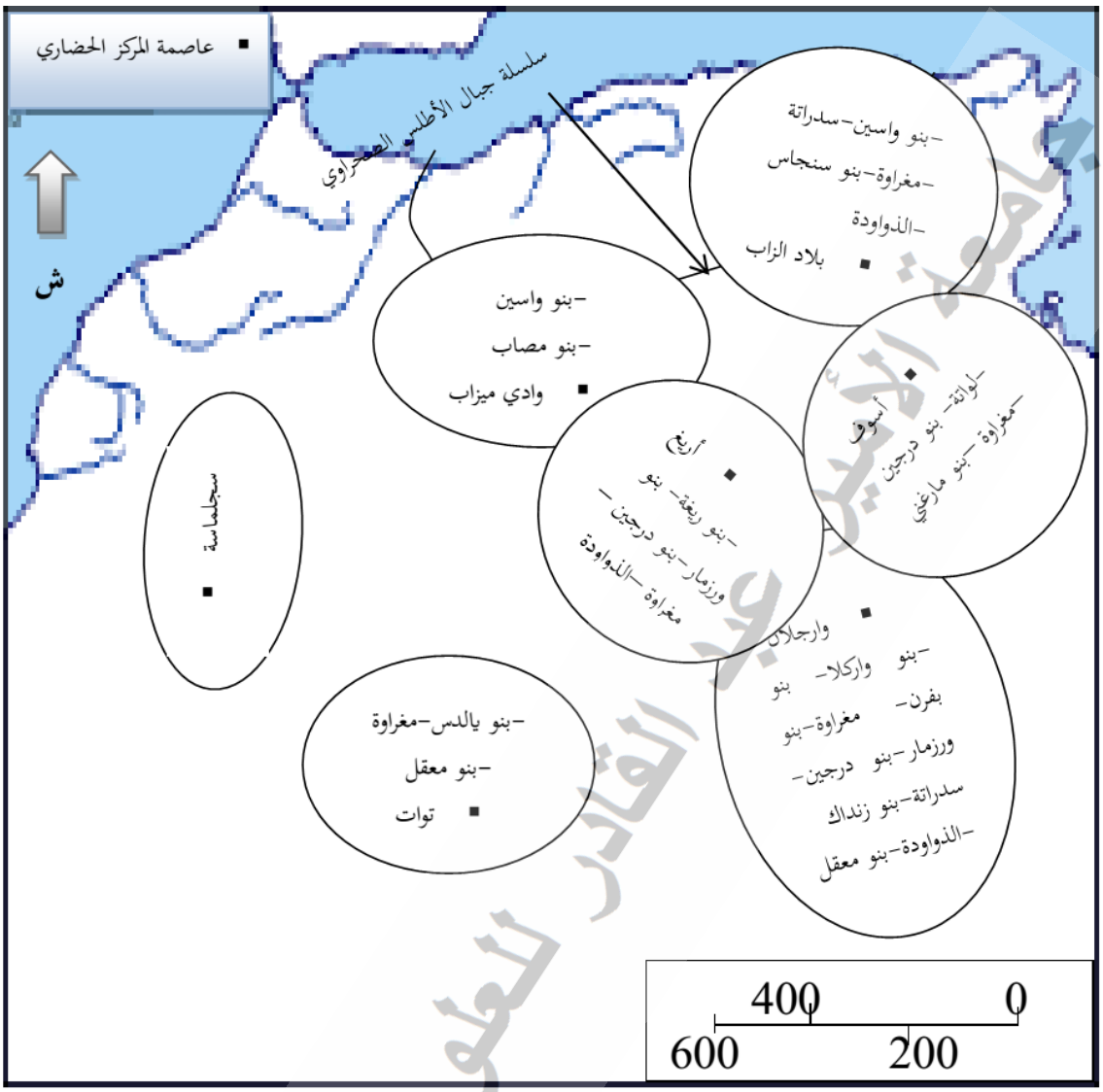


الخريطة رقم 02: توضح انتشار القبائل البربرية والعربية في المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

من إعداد الطالب

### 6- الحراطين:

صَوَّرَ حماه الله ولد السالم الحراطين بأنهم: " فئة تميل ألوانها إلى السمرة الداكنة أو السواد، وهي من مجتمع البيضان العربي، والكثير منها كان من الموالي أو العتقاء. أصل هذا المصطلح على ما يبدو من لفظ "أَحَرْضَان": الخلاسي، المهجّن من أب بربري وأم زنجية"[1]، فيما ذهب راموس بأنهم: "اختلاط قبائل الجيتول وزناتة بالسود القادمين من السودان، تولّد عنه جنس جديد سمّوا بالحرطاني"[2].

[1]- حماه الله ولد السالم: **المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل(1591م-1898م)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ط01، ص 97.

[2]-RAMOS (C): **Béni Abbés (sud oranais)**, Archives de l'institut Pasteur d'Algérie,=

وأما مواطنها فقد تواجدت في أغلب الواجهة الصحراوية لبلاد المغرب الممتدة من درعة إلى طرابلس[1]، والتي ارتبطت على ما يبدو بعلاقات تجارية مع بلاد السودان.

**7- الروم:**

تشير المصادر إلى تواجد هذه الفئة من السكان منتشرة في صحراء المغرب الأوسط خاصة بلاد الزاب المعروفة باستيطانهم لها قبل الفتح الإسلامي، ومع مجيء الإسلام وانتشاره في المنطقة، فَضَّلَ هؤلاء البقاء. وقد مارسوا الفلاحة والتجارة، واعتبروا في نظر الإسلام من أهل الذمة، لذا وجب عليهم أن يدفعوا على هذا الأساس الجزية على رقابهم والخراج على أراضيهم، وفي هذا الصدد صّرح الرقيق القيرواني ما نصه: "وكتب الخراج...على من أقام معهم على النصرانية من البربر والروم"[2].

**8- اليهود:**

كشف مُحَمَّد أعفيف بأنّ: "المجيء المبكر للعناصر اليهودية التي استقرت في الواجهة شبه الصحراوية من وادي درعة إلى حدود مصر، حيث يستفاد من الروايات المتداولة أن هجرات يهودية قديمة وصلت الواحات حاملة معها معارفها الصناعية وتقنيات حفر الآبار"[3]. هناك رأي آخر يضيف مُحَمَّد أعفيف: "يعتقد أيضا أن هذه الهجرات كانت رفقة السفن الفينيقية التي رست بشواطئ الشمال الإفريقي"[4].

كانت الجماعات اليهودية متواجدة بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، لوقوع حواضره في نهايات الطرق التجارية التي كانت تربطها ببلاد السودان والتي أصبحت تمثل مراكز تجارية كبرى يأتيها الرفاق من كل حدب وصوب، فاستقطب ذلك اليهود خاصة وأنهم منذ القدم يمارسون التجارة وحب السيطرة والتحكم. واشتهر اليهود بالمكايد والدسائس ضد المسلمين خاصة، فحاولوا أن يندمجوا مع كل مجتمع وكل بيئة حلوا بها، فيتعلمون لغتهم ويلبسون لباسهم[5].

ومن الحواضر الصحراوية المغرب أوسطية التي كان للجماعات اليهودية الحضور بها نجد مدينة وارجلان، وتوات على الخصوص. وقد كشف ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م) عن حجم الرحلات التي تخرج من وارجلان إلى بلاد السودان بقوله: "وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"[6]، وربما لهذا السبب قصدت

=Alger, 1941, p 101.

[1]- مُحَمَّد أعفيف: **توات مساهمة في دراسة مجتمع الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2014، ص ص 64-65.

[2]- الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ط01، ص 50.

[3]- مُحَمَّد أعفيف: المرجع السابق، ص 65.

[4]- مُحَمَّد أعفيف: المرجع نفسه، ص 66.

[5]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 50.

[6]- ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تح: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ط01،

الجماعات اليهودية وارجلان لما تمثّله من سوق مهمة لتجارة الرقيق والذهب وهمزة وصل بين بلاد السودان وشمال بلاد المغرب.

وأما توات فتعد من أكبر بؤر تواجد هذه الجماعات بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، حيث توغلوا وسيطروا على المنطقة في الفترة الممتدة ما بين 100 و600م[1]. وأما وادي ريغ فقد أشار مارتان بأن: "اليهود أسسوا لمستوطنات في وادي ريغ أين أصبحت كتقليد يحفظ لهم ذكريات استقرارهم"[2]. وأضاف مارتان بأن اليهود قد استقروا أيضا بوادي ميزاب[3].(الخريطة رقم: 03)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ص 126.

[1]- عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم: المرجع السابق، ص 29.

[2]-MARTIN(A.G.P): **Les Oasis Sahariennes**, Edition de l'imprimerie algérienne, Alger, 1908, p 39.

[3]-Ibidem.

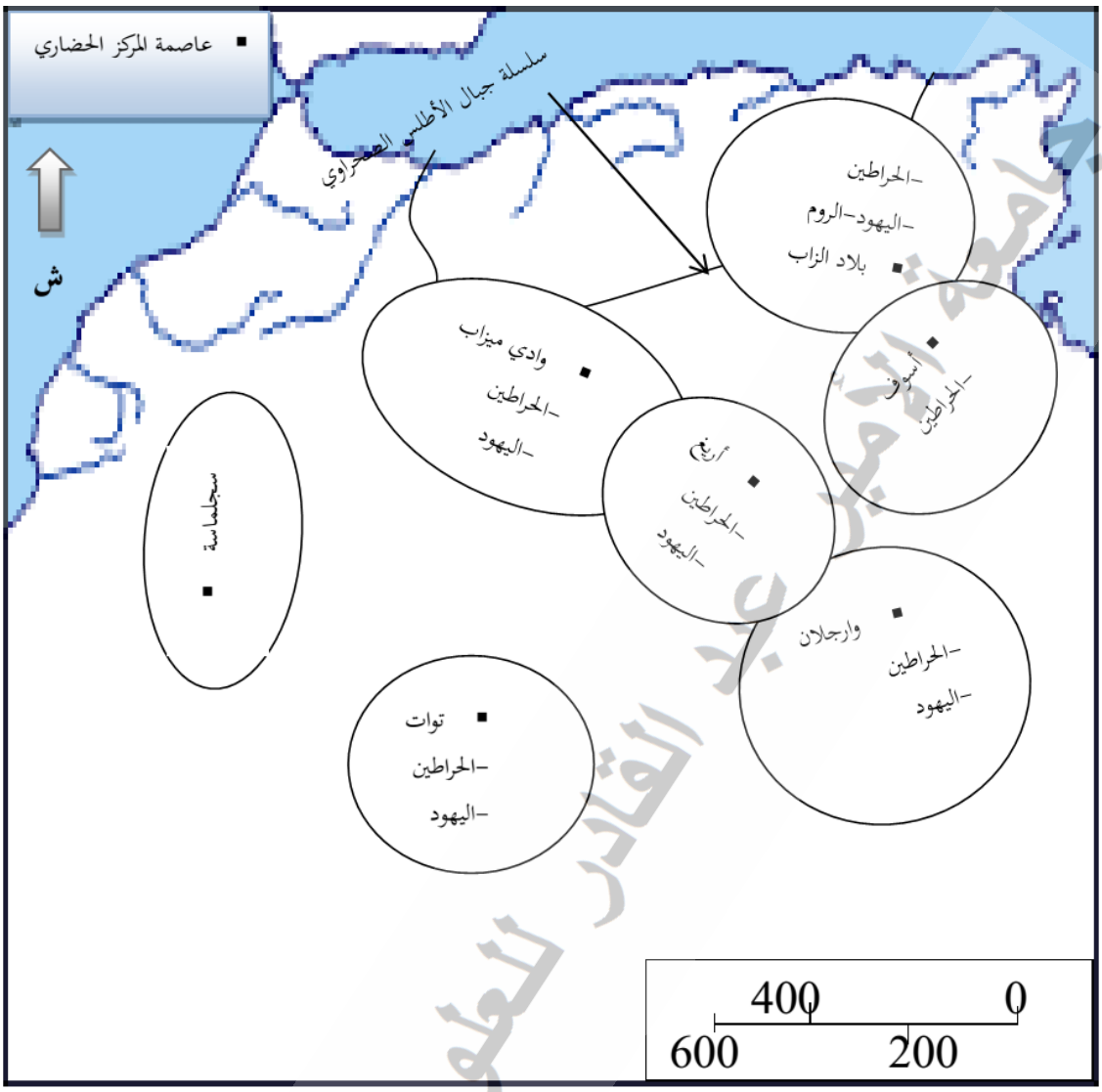


الخريطة رقم 03: توضح انتشار الحراطين واليهود والروم في المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

من إعداد الطالب

لقد حظي الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بكل أطيافه التي كانت طرفا في تركيبته السكانية بنوع من الاستقرار في أغلب فترات الحقبة موضوع الدراسة، الأمر الذي ساعد الواجهة الصحراوية له في تعزيز علاقاتها وتمتين اتصالاتها مع كل البلدان، خاصة منها بلاد السودان. هذه الأخيرة سمحت لحواضر الإقليم بأن يصبح همزة وصل بين الشمال والجنوب والذي سنتعرض إليه من خلال هذه الدراسة.

ويبدو كذلك أن نمط معيشة هذه القبائل المعروف عنها الترحال والمغامرة ومعرفتها بدروب الصحراء ومسالكها، قد كان عاملا محفزا ومشجعا لتسهيل التواصل بين الضفتين خاصة إذا علمنا أنها عليها إثبات وجودها والمحافظة على كيانها بممارسة تجارة القوافل العابرة للصحراء الكبرى. الأمر الذي سنلاحظه في

الفصلين المواليين، أين كانت فئة منهم قد استوطنت تلك المناطق وأصبحت تمثل جاليات انخرطت في الحياة السودانية.

**المطلب الثالث: جغرافية الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط**

**1- طبيعة المجال الجغرافي:**

المقصود بطبيعة المجال الجغرافي التضاريس ومظاهر السطح التي تتشكّل منها سطح الأرض، وهي مختلفة من حيث أنها تحمل طابع الجبال، والأحواض، والسهول، والنجود[1]، والهضاب[2].

ويمتاز الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ببساطة تركيبته الجغرافية مقارنة بالأقاليم الأخرى[3] التي يتمتع بها المغرب الأوسط، في تقريره العلمي سنة 1880م، قسّم مهندس المناجم ج. رولاند صحراء المغرب الأوسط إلى ثلاث مناطق طبيعية رئيسية وهي بقايا المرتفعات الكلسية، والمنخفضات الرملية أو الصلصالية والكثبان الرملية[4].

وقد بيّن خصائص ومميزات كل منطقة، فبالنسبة إلى المنطقة الأولى امتازت بالحمادة[5] الكلسية، التي تشكّلت في العصر الطباشيري، وهي كثيرة الصخور، لا نبات فيها، ولا ماء[6]؛ وأما المنطقة الثانية التي أطلق عليها المنخفضات الرملية أو الصلصالية فتمتاز بوجود الشطوط والسبخات[7]؛ فيما تميزت المنطقة الثالثة بوجود العرق والذي ينقسم إلى العرق الشرقي والعرق الغربي[8].

---

[1]- **النجود:** مفرد نجد وهي مجموعة سلاسل جبلية متقطعة تنحصر بين فكيها أراضي مرتفعة. ينظر: عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 28؛ بيار جورج: **معجم المصطلحات الجغرافية**، تر: حمد الطفيلي، مر: هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، لبنان، 2002، ص 846.

[2]- عبد القادر علي حليمي: **جغرافية الجزائر طبيعية-بشرية-إقتصادية**، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة بوداود وشركاؤهما، الجزائر، 1968، ط01، ص 28.

[3]- الأقاليم الأخرى التي يتشكل منها المغرب الأوسط وهي إقليم البحر المتوسط وإقليم الأطلس التلي، وإقليم النجود أو الهضاب العليا، وإقليم الأطلس الصحراوي.

[4] -Rolland(G): **Géographie du Sahara Algérien et Aperçu Géographie sur le Sahara de l'océan Atlantique à la mer rouge**, Imprimerie Nationale, Paris, 1890, p 08;
-مُحَمَّد رشدي جراية: المرجع السابق، ص 16.

[5]- **الحمادة:** مصطلح عربي، في علم أشكال الأرض- هضبة صخرية قليلة الانحناء في المناطق الصحراوية، حيث يكون السطح متلائما مع بروز المواد التي تصمد دون غطاء من التربة والبقايا الدقيقة. بيار جورج: المرجع السابق، ص 315؛
- Gautier (E.F): **Sahara algérien,** Librairie Armand Colin, Paris, 1908, t 01, p 03.

[6] -Rolland(G): Ibid, p 08.

[7]- Ibid, p 09.

[8] -Ibid, p 10.

وأما عبد القادر حليمي فقد قسّمه إلى أربعة مناطق متباينة وهي كالآتي: المنطقة الأولى تمتاز بمنخفض في الركن الشمالي الشرقي من الإقليم، تظهر به بعض الشطوط مثل شط ملغيغ الذي يقع دون مستوى سطح البحر بحوالي 31م[1].

إن هذا المنخفض ساعد بوجوده على نشأة كثير من الواحات وذلك لسهولة الحصول على المياه الباطنية منها[2]، على غرار أسوف وأريغ ووارجلان.

أما المنطقة الثانية فهي عبارة عن منطقة هضابية صخرية على الأطراف الشمالية وفي الوسط، كهضبة تادمايت[3] والتي أطلق عليها الحمادة؛ والثالثة سهول تحاتية تغطيها الرمال[4]، تظهر على شكل تلال قليلة الارتفاع[5]، والتي تسمى بالعروق وهي تحتلّ الحيّز الأكبر من مساحة الإقليم، ونميّز عرقين كبيرين هما العرق الشرقي والعرق الغربي[6]. والمنطقة الرابعة تحتوي على كتل جبلية مرتفعة في الركن الجنوب الشرقي[7]، كجبال الهقار التي تعدّ أعلى قمة بالمنطقة، وهي كتلة بارزة المعالم يبلغ ارتفاعها نحو 3000 متر[8].

لقد ساعدت بساطة التضاريس التي يتمتع بها الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط في نشأة العديد من الحواضر الصحراوية التي كان لها دورا فعالا كما سنرى في الفصلين المواليين، أين وفرت المياه الجوفية وأصبحت تشكل هاته الحواضر مراكز حضارية برزت كمحطات لتجارة القوافل وكهمزة وصل بينها وبين بلاد السودان؛ وهضاب صخرية كانت تمثل منبع بعض الوديان كوادي مية الذي يصل مداه إلى وارجلان، وكذلك العروق التي تغطيها الرمال والتي على ما يبدو لم تشكل عائق المرور القوافل العابرة للصحراء. (الخريطة رقم 04)

---

[1]- عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 57؛ مبارك قبابلة: **"تطور مواد البناء وأساليبها في العمارة الصحراوية"**، إشراف: أ.د صالح بن قربة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص آثار صحراوية، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2010، ص 13؛ Rolland(G): Op.cit, p 12

[2]- يسرى عبد الرزاق الجوهري: **شمال إفريقية-دراسة في الجغرافية التاريخية**، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1970، ص 49.

[3]- عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 57؛ مبارك قبابلة: المرجع السابق، ص 13؛

-Rolland(G): Op.cit, p 12.

[4]- عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 58؛ مبارك قبابلة: المرجع السابق، ص 13؛

-Rolland(G): Op.cit, p 12.

[5]- يسرى عبد الرزاق الجوهري: المرجع السابق، ص 50.

[6]-Gautier (E.F): Op.cit, p 04.

[7]- عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 58؛ مبارك قبابلة: المرجع السابق، ص 13؛

- Rolland(G): Op.cit, p 12.

[8]- ريمون فيرون: **الصحراء الكبرى – الجوانب الجيولوجية، مصادر الثروة المعدنية، استغلالها**، تر: جمال الدين الدناصوري ونصري شكري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص 34.

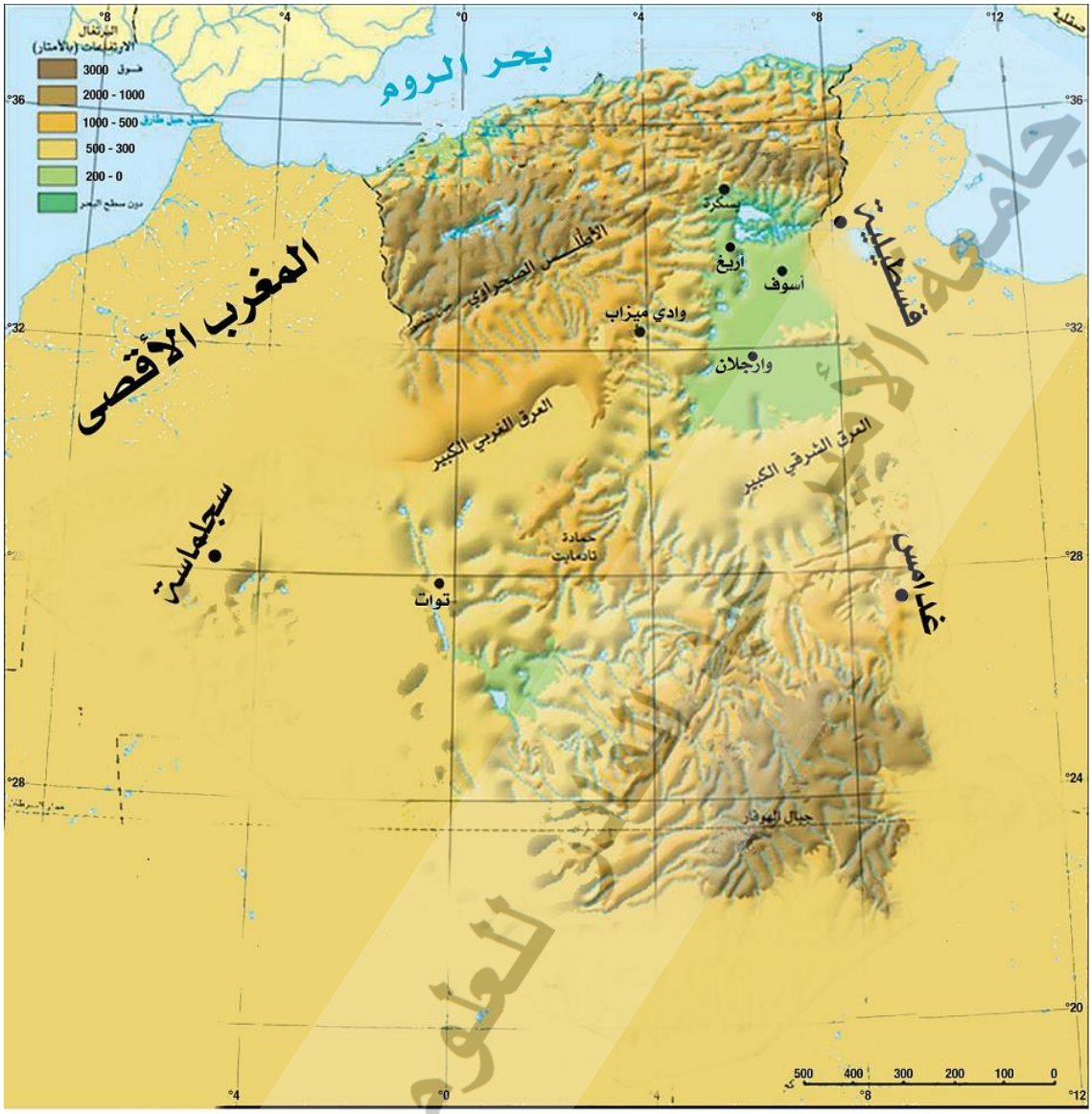


الخريطة رقم 04: المظهر الجغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

المصدر: www.rhalaa.com/2016/08/algeria-map.html بتصرف

**2-المظهر الهيدروغرافي:**

المقصود بالمظهر الهيدروغرافي المجاري المائية ومصادرها من وديان وأنهار وعيون وآبار، حيث أشارت المصادر الإخبارية الوسيطة إلى ثراء منطقة بلاد المغرب بهذه الثروة الحيوية، التي تعد من مقومات الحياة لقوله تعالى: (**وجعلنا من الماء كل شيء حي**)[1].

نودّ من خلال هذا العنصر الموسوم بالمظهر الهيدروغرافي أن نسلّط الضوء عن أماكن تواجد المياه بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، حتى يتسنّى لنا فهم تواجد المراكز الحضارية في منطقة معينة ولا نجدها في منطقة أخرى، إضافة إلى ذلك معرفة اتجاه المسالك التجارية العابرة للصحراء وتتبعها لنقاط تواجد المياه بالصحراء.

وقد حظي المغرب الأوسط بشماله وجنوبه بوفرة هذه المادة وتنوّع مصادرها[2]، حيث تميّز الشق الشمالي بوجود العيون والوديان والأنهار، فيما امتاز الشق الجنوبي الصحراوي بوفرة المياه الجوفية مع قلة الوديان وعدم انتظامها، لأنها غير دائمة الجريان، نظرا لقساوة مناخ الصحراء وارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف وقلة التساقط في فصل الشتاء، لذا كان الحصول على المياه من خلال حفر الآبار التي تتجمّع فيها المياه[3].

وقد كشف ابن خلدون عن كيفية استنباط المياه الجارية في البلاد الصحراوية والتي لا توجد في تلول المغربقوله: "وأنّ البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتنحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرقّ جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء، فينبعث صاعدا فيعمّ البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا، ويزعمون أنّ الماء ربّما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الغريبة موجودة في قصور توات وتيكرارين ووارکلا وريغ"[4].

ويمكن أن نميّز نوعين من الوديان الصحراوية حسب المناطق التي تنبع منها، الأولى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي والثانية أودية الهوقار[5].

---

[1]- سورة الأنبياء: الآية رقم 30.

[2]- للمزيد من المعلومات انظر: وسيلة علوش: "**الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، خريطتها، منشآتها، استغلالها**"، إشراف: أ.د: إبراهيم بحاز، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2013.

[3]- يسرى عبد الرزاق الجوهري: **شمال إفريقية-دراسة في الجغرافية التاريخية**، المرجع السابق، ص ص 43-44؛ يسرى عبد الرزاق الجوهري: **شمال إفريقية**، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1980، ص 19.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 77؛ عمار غرايسة: "**المدينة الدولة في المغرب الأوسط – وارجلان أنموذجا**"، إشراف: أ.د عبد العزيز فيلالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص ص 25-26.

[5]- عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 70.

بالنسبة للنوع الأوّل من الأودية التي مصدرها السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي فإن اتجاهها من الشمال نحو الجنوب باستثناء وادي جدي[1] الذي يسير على طول السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، وتغوص مياهها في الرمال الصحراوية[2]، وقد بيّن ابن خلدون مساره بقوله: "وينبع من فوهته نهر آخر يذهب مشرقا من جبل راشد، ويمر بالزاب إلى أن يصب في سبخة ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك ويسمى وادي شدى"[3].

أما وادي مية الذي يرجع نشأته إلى الزمن الجيولوجي الرابع[4]، ينبع من هضبة تادمايت، وهي كتلة واسعة من الحمادة، تنحدر نحو الجنوب لتصل منخفض عين صالح[5]، حيث يصل واد مية وارجلان من ناحية القبلة إلى الغرب (الجنوب الغربي) وهو "يسير مختفيا تحت الرمال إلى أن ينبع بواسطة بئر فوارة قوية"[6]. وبالإضافة إلى وادي مية هناك أودية أخرى تمثّلت في وادي النسا، ووادي زلفانة، ووادي ميزاب، هذا ما أقرّته المصادر والمراجع الجغرافية والأطالس لنا بالنسبة للجهة الشرقية الجنوبية للإقليم.

وبخصوص الجهة المقابلة لها أقصد الجهة الغربية الجنوبية فإنّها تتمتّع بوجود عدة وديان منها وادي كير الذي أشار إليه ابن خلدون بقوله: "وينبع مع هذا النهر[7] من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى القبلة مشرقا بعض الشيء، ويقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى البردة، ثم بعدها إلى تمطيت، ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها. ثم يمرّ إلى أن يصبّ في القفار"[8].

فيما سمّاه العياشي في رحلته وادي جير ووصفه بقوله: "وهو واد كبير أفيح، ملتف الأشجار، قليل الأحجار، كثير المرعى، غمض المسعى، تجتمع إليه السيول من المسافات البعيدة، ولا تصل إلا بعد أيام عديدة، وابتداؤه من ناحية بلادنا، وعليه قرى ومزارع، وبمتد كذلك إلى ناحية الصحراء، والعمارة متّصلة في جوانبه إلى أن تصل أطراف الحماد الكبير الذي بينه وبين سجلماسة، فمن هناك تنقطع العمارة"[9].

---

[1]- وادي جدي: سماه ابن خلدون بوادي شدى. ينظر إلى: ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 134.

[2]- عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 70.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 134؛ قادة دين: **"أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية"**، مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، العدد 07، 2017، ص 71.

[4]-Letheilleux(J):**Ouargla cité saharienne**, libraire orientaliste paulgeuthner, s.a, paris, 1983, p 01.

[5]-Capitaine Bajolle: **Le Sahara de Ouargla – de L'oued Mia à L'oued Igharghar**, Imprimerie de l'association ouvrière, Alger, 1887, p 12.

[6]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 26.

[7]- المقصود به نهر ملوية.

[8]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 134؛ الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ط02، ج02، ص 255؛ مارمولكربخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ج 01، ص 47.

[9]- عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع،=

وأما وادي الساورة فهو نتاج اتحاد واد زوسفانا مع واد جير[1]، وقد رسم ابن خلدون مساره بقوله: "ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويروغ في قفارها ويغور في رمالها، وهو موضع مقامه قصور ذات نخل تسمى وركلان[2]، وفي شرق بوده مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء. وفي شرقي تسابيت إلى ما يلي الجنوب قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد، فينحدر من المغرب إلى المشرق"[3]، واستنادا إلى شهادة العياشي فإن أول قرى وادي الساورة تبدأ من قرية أجلي[4]، متجها نحو الجنوب وصولا إلى منطقة توات[5].

ويلي وادي الساورة باتجاه الشرق وادي أمكيدن الذي يعرف بوادي صالح[6]، وقد سلك العياشي هذا الوادي قاصدا وارجلان بقوله: "كان رحيلنا من هذه البلاد (بلاد أوكرت)صبيحة يوم الثلاثاء الثاني عشر جمادى الأولى قاصدين إلى واركلا، وخرج معنا جملة من أهلها قاصدين الحج، وأخذنا على طريق وادي أمكيدن ومعنا رجل من عرب الخنافسة أمير الركب يدلهم على الطريق. ومعاطن المياه كثيرة في هذا الوادي، قل ما يخلو يوم من منهل، وماؤه عذب غزير، وفيه يقول أعراب ذلك البلد:

واد أمكيدن ما نعطش فيه *** كل يوم نجيء على ما"[7].

وفيما يخص النوع الثاني الذي ينبع من جبال الهقار، يذكر صاحب غصن البان أن وادي اسمه وادي أغرغار الذي "منبعه من جبال أدلي ببلاد التوارك، وينتهي إلى وارجلان"[8].

إن أغلبية الوديان والأنهار الموجودة في صحراء المغرب الأوسط كاذبة ليست حقيقية، وهي وليدة مواسم تساقط الأمطار، ونظرا لتعرض المنطقة للجفاف ولرداءة الطقس وارتفاع درجات الحرارة إلى معدلات قد لا يتحمّلها الإنسان في بعض الأوقات، فإنّ مياهها تغوص في الأرض مشكلة بذلك مياه جوفية تستخرج عن طريق حفر الآبار، ومحافظة على الحياة واستمرارها في الصحراء.

---

=أبو ظبي، 2006، ط01، ج01، ص 76؛ قادة دين: المرجع السابق، ص 70.

[1]-Largeau (V): **Sahara premier voyage d'exploration**, Sandoz et Fishbacher,Paris, 1877, p 43; Gautier (E.F): Op.cit, p 20;

- عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 71.

[2]- المقصود بوركلان توات.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 134.

[4]- العياشي: المصدر السابق، ج01، ص 76.

[5]-العياشي: المصدر نفسه، ج01، ص ص 76-78.

[6]-Martin(A-G-P): Op.cit, p 09;

- قادة دين: المرجع السابق، ص 71.

[7]- العياشي: المصدر السابق، ج01، ص 107.

[8]- أعزام: **غصن البان في تاريخ وارجلان**، تح: ابراهيم بكير بحاز و سليمان بن مُحَّد بومعقل، العالمية، غرداية، 2013، ط01، ص 78؛ جورج غيرستر: **الصحراء الكبرى**، تع: خيري حماد، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961، ط01، ص ص77-78؛- Capitaine Bajolle: Op.cit, p 14.

إنّ المظاهر الفيزيولوجية التي قمنا بطرحها من جبال وهضاب ووديان وأنهار من خلال وصفنا لخصائص الإقليم الصحراوي، هي نتاج الزمن الجيولوجي الرابع، حيث يختلف الانحدار العام في شمال الإقليم عنه في جنوبه، وأقصد هنا اتجاه جريان الوديان، ففي المنطقة المتاخمة للسفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس الصحراوي يأخذ الانحدار العام من الشمال إلى الجنوب وأما في الجهات الجنوبية الغربية فالانحدار العام من الجنوب إلى الشمال[1].

لقد ساعدت إذن وفرة المياه الباطنية في صحراء المغرب الأوسط في ديمومة سكانه والمحافظة على كيانه وحياته، ضف إلى ذلك ساهمت هذه الوفرة في تسهيل وتعزيز وتمتين ظاهرة التواصل بين الضفتين من خلال ولوج القوافل التجارية للصحراء الكبرى وقطعها آلاف الكيلومترات للوصول إلى بلاد السودان لغرض التجارة والدعوة ونشر الثقافة العربية الاسلامية.

بالإضافة إلى ذلك ساهمت وفرة المياه الجوفية في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إلى كثرة المحطات التي تمر بها القوافل في المسلك الواحد باتجاه بلاد السودان على السواء وبالتالي تؤمن للقوافل التجارية حاجتها من المياه(الخريطة رقم 05).

[1]- عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 41.

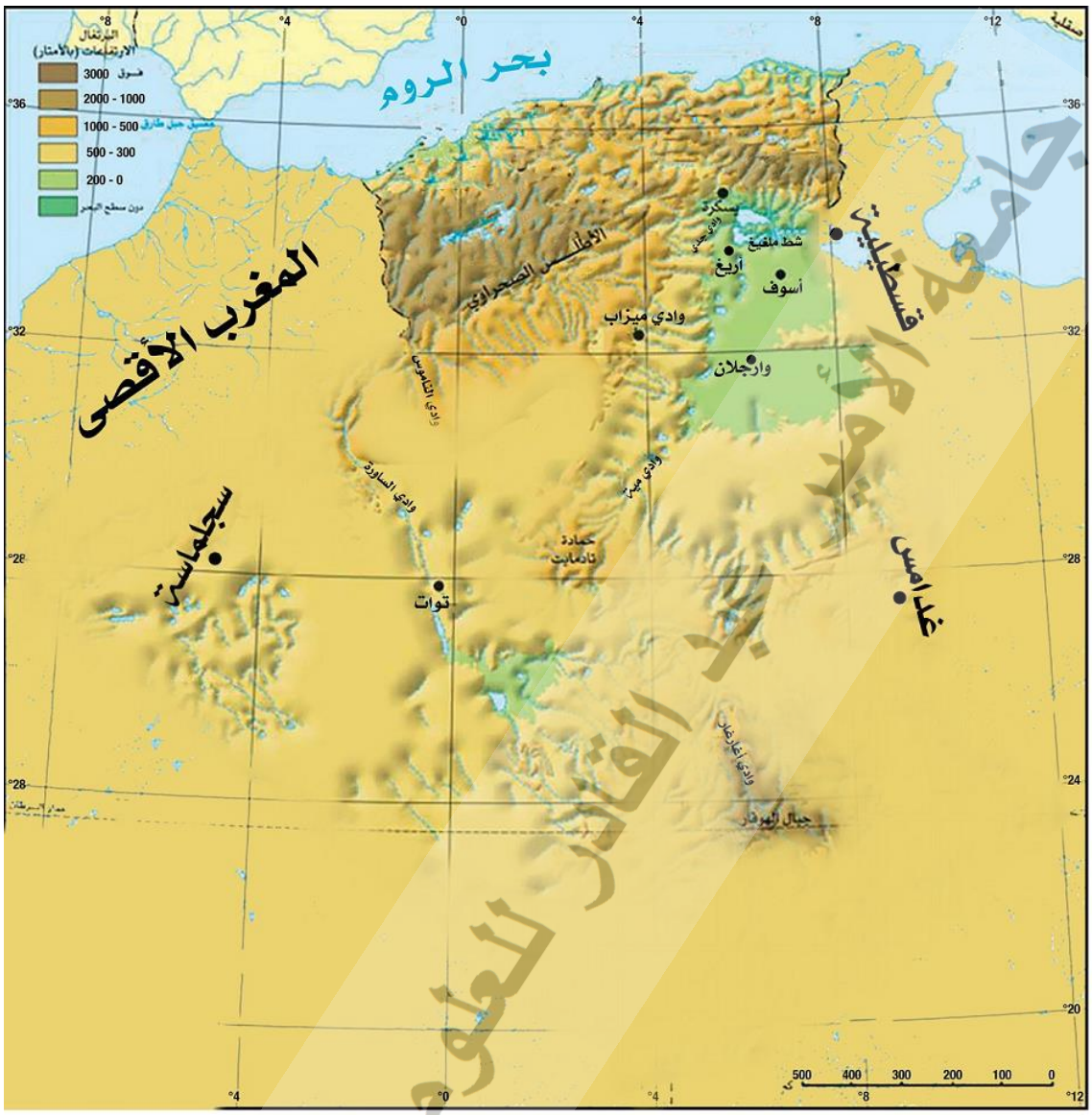


الخريطة رقم 05: المظهر الهيدروغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

المصدر: www.rhalaa.com/2016/08/algeria-map.html بتصرف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: بلاد السودان (المجال والجغرافيا)

### المطلب الأول: المجال الجغرافي لبلاد السودان

إنّ المتصفح لمصادر الجغرافيين المسلمين والعرب حول المجال الجغرافي لبلاد السودان، يتبين له نوعين من الأنظمة، اتبعها أصحابها من أجل إعطاء مفهوم محدد لبلاد السودان، وقد سجل ذلك حسين مرزوقي وأقره ووسمهما بالتحديد وفق النظام الفلكي[1] والتحديد وفق النظام الوصفي[2]. وفيما يلي نشرع في إماطة اللثام عن هذين التحديدين:

**أ-تحديد بلاد السُّودان وفق النظام الفلكي:**

قراءة في نزهة الإدريسي حول حدود بلاد السّودان مفادها أنَّ: "أهل هذا الإقليم الأوَّل والثاني وبعض الثالث لشدّة الحرّ واحتراق الشمس لهم، كانت ألوانهم سوداء وشعوبهم متفلفلة بضدّ ألوان أهل الإقليم السادس والسابع"[3]، فيما صرّح ياقوت الحموي في معجمه بأن: "أرض السودان وهي ما بين البربر إلى الهند"[4]، ثم واصل تفسيره لها بقوله: "الإقليم الأوّل فهو من المشرق يبتدئ من أقصى بلاد الصّين...وينتهي إلى بحر المغرب"[5].

وذكر المدن المعمورة التي على أرضه بقوله: "ومن بلاد المغرب: تبالة، ومدينة صاحب الحبشة جرمى، ومدينة النوبة دمقلة، وجنوب البرابر، وغانة من بلاد سودان المغرب"[6]، وميّز بين سودان المغرب كوكو وسودان المشرق الحبشة والنوبة والزنج[7]، وجعله ضمن النصف الجنوبي بقوله: "وكذلك النصف الجنوبي، فهو ربعان: شرقي جنوبي، فيه بلاد الحبشة والزنج، والنوبة، وربع غربي لم يطأه أحد ممن على وجه الأرض،

---

[1]- **النظام الفلكي**: وهو القائم على نظرية الأقاليم السبعة المكونة للمعمور من الأرض في تصور أصحابها، ذلك أنهم قسموا الأرض الكروية الشكل إلى أربعة أقسام: قسمين جنوبيين وآخرين شماليين يفصل بينهما خط الاستواء، والمعمور بالبشر هو أحد الربعين الشماليين فحسب وأما الأرباع الثلاثة الباقية فمعظمها مهجور بل محترق خراب، إما لطغيان مياه البحار، وإما لشدة الحر وقساوة البرد حيث يستحيل على الإنسان العيش، وصاحب هذه النظرية هو بطليموس. حسين مرزوقي: **بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين إلى حدود القرن الثامن الهجري**، تق: مُحَمَّد شقرون، مجمع الأطرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص، تونس، 2018، ص 67.

[2]- **النظام الوصفي**: هو نظام خاص بالعرب، ويعتبر من إبداعاتهم وإضافاتهم المحلية، ناتج عن تفاعل وتأليف بين عناصر معرفتهم الذاتية وما استفادوا من تراث الأمم المجاورة، وأوجدوه استجابة لحاجاتهم وتحقيق مصالحهم الحيوية. وقد اعتمد هذا النظام على تحديد البلدان من جهاتها الأربعة تحديدا جغرافيا واضحا، واعتمد أيضا على المكونات البشرية الحالَّة بها. حسين مرزوقي: المرجع نفسه، ص ص 67-68، 76.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 18.

[4]- الحموي: المصدر السابق، ج01، ص 18.

[5]- الحموي: المصدر نفسه، ج01، ص 28.

[6]- الحموي: المصدر نفسه، ج01، ص 29.

[7]- حسين مرزوقي: المرجع السابق، ص 72.

وهو متاخم للسودان الذين يتاخمون البربر، مثل كوكو وأشباههم... وهذا الربع يسمّى المحترق، ويسمّى أيضا الربع الخراب"[1].

وعند ابن سعيد المغربي نقرأ ما نصّه: "الإقليم الأوّل سكّانه سودان وعرضه ستّ عشرة درجة وسبع وعشرون دقيقة. وهو عشرة أجزاء"[2]، ثم أضاف بأنّ: "الإقليم الثاني سكّان ما قارب الإقليم الأوّل سودان وما قارب منه الإقليم الثّالث سمر"[3]، وجعل وارجلان ضمن الإقليم الثالث لقوله: "الإقليم الثالث سكّانه سمر...الجزء الثاني: متّصل بصحاري مقفرة ويقع فيه من البلاد المذكورة بلاد ومدينتها التي تسمّى واركلان،...والسّفر منها في الصّحراء إلى بلاد السّودان كثير"[4].

إنّ وقوع بلاد السودان بحسب ابن سعيد المغربي كان أسفل الصحراء الكبرى، وسكان الصحراء شأن سكان وارجلان الذين يتعاملون مع أهل السودان في مجال التجارة ليسوا من السودان[5]. فيما أشار ابن خلدون بأنَّ: "هذه الأمم السُّودان من الآدميّين هم أهل الإقليم الثّاني وما وراءه إلى آخر الأوّل بل وإلى آخر المعمورة متّصلون ما بين المغرب والمشرق، ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وإفريقية وبلاد اليمن والحجاز في الوسط، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق"[6].

**ب-تحديد بلاد السُّودان وفق النّظام الوصفي:**

سَجَّلَ الإصطخري في مسالكه ما نصه: "وأمَّا جنوبي الأرض من بلاد السُّودان فإنّ بلد السودان الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد مكنّف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتّصال غير أن حدّا له ينتهي إلى البحر المحيط وحدّا له إلى برّيّة بينه وبين أرض المغرب وحدّا له إلى برّيّة بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات وحدّا له ينتهي إلى البرّيّة التي قلنا أنّه لا يثبت فيها عمارة لشدّة الحرّ"[7].

وميَّز بين بلاد الزنج وبلاد الحبشة وبلاد السُّودان بقوله: "وأمّا أرض الزنج فإنّها أطول من أرض السُّودان ولا تتّصل بمملكة غير الحبشة وهي بمحاذاة اليمن وفارس وكرمان إلى أن تحاذي أرض الهند"[8]، وأشار إلى مساحته حيث قال: "وبلغني أنّ طول أرضهم نحو من سبع مائة فرسخ"[9]، وقد وافق ابن حوقل

---

[1]- الحموي: المصدر السابق، ج01، ص 19؛ حسين مرزوقي: المرجع السابق، ص ص 72-73.

[2]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 89.

[3]- ابن سعيد المغربي: المصدر نفسه، ص 111.

[4]- ابن سعيد المغربي: المصدر نفسه، ص ص 123، 126.

[5]- حسين مرزوقي: المرجع السابق، ص 73.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 264.

[7]- الإصطخري: المصدر السابق، ص ص 10-11.

[8]- الإصطخري: المصدر نفسه، ص 11.

[9]- الإصطخري: نفس المصدر والصفحة.

على ما خَطَّهُ الإصطخري وأثبته وخالفه في تقديره لمساحته بقوله: "وطول أرضهم ألف فرسخ"[1]. أما المقدسي فقد كتب ما نصَّه: "وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم[2]ومصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة شاقّة"[3]، واكتفى القزويني بذكر حدوده الأربعة وفق معيار جغرافي بقوله: "هي بلاد كثيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط"[4].

فيما ذهب أبو الفداء في تقويمه على اعتماده الأساس العرقي والفضاء الذي تنتجعه القبائل وصرح قائلا: "وبلاد السودان في جهة الجنوب فإنها أيضا بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبشة والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم، فإنه لم يقع إلينا من أخبار بلادهم إلا القليل النادر"[5].

إن النصوص السالفة الذكر التي استقيناها من مصادرها حول مفهوم بلاد السودان تبين لنا اعتماد أصحابها على معيارين أساسين في تحديد بلاد السودان، أولها المعيار الجغرافي وهو الغالب على هذه النصوص حيث ذكر أصحابها الجهات الأربعة الواضحة المعالم حسبهم، أما المعيار الثاني وهو الذي انفرد به صاحبه أبو الفداء حيث جعله على أساس عرقي والفضاء الذي تنتجعه القبائل.

لقد تم تقسيم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام[6] حسب الموقع الجغرافي لكل منها وهي: الشرقي والغربي والأوسط، حيث حُدِّد مجال الأول منه من الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل وروافده جنوب بلاد النوبة[7]، هذا القسم أو الجزء كان معروفا عند العرب فيما بين القرون الثالث والسادس الهجريين/التاسع والثاني عشر الميلاديين باسم بلاد الزنج[8].

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق، صص15-16.

[2]- المقصود بالإقليم بلاد المغرب. ينظر إلى: المقدسي: المصدر السابق، ص ص 215-241.

[3]- المقدسي: المصدر نفسه، ص 241.

[4]- القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.س.ن، ص 24.

[5]-عماد الدين إسماعيل أبو الفداء: **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص 02.

[6]- تمثل أقسام بلاد السودان الثلاثة في الوقت الحاضر الدول الآتية: فالسودان الغربي يشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى لنهر فوتا والحوض الأسفل لنهر النيجر أي دول السنغال وموريتانيا وغينيا ومالي وغانا، وأما السودان الأوسط فيشمل حوض بحيرة تشاد وفيه دول تشاد والنيجر والكامرون وجمهورية إفريقيا الوسطى، والسودان الشرقي يشمل الحوض الأعلى لنهر النيل أي دول السودان والصومال وأثيوبيا وكينيا وأوغندا. ينظر: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة: أحمد الشنتناري وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ط01، ج 19، ص 5947؛ بشار أكرم الملاح: **التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي**، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012، ص 41، الهامش رقم 02.

[7]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 41.

[8]- فريد عبد الرشيد المهندس: **العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين**، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2017، ط01، ص 35.

فيما امتد الثاني أي الأوسط من بحيرة تشاد في الشرق إلى ثنية نهر النيجر في الغرب[1]، وفي هذا القسم أيضا قامت مملكة الكانم ومملكة البرنو، وأما الثالث وهو الغربي للدلالة عن المجال الممتد فيما بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا[2]، وقد تعاقبت فيها أعظم ممالك غرب إفريقية غانة، ومالي، وصنغى[3]. والذي يهمنا في هذه الدراسة القسم الغربي والأوسط، أو كما اصطلح عليهما بالسودان الغربي والأوسط.(الخريطة رقم 06)

الخريطة رقم 06: تمثل المجال الجغرافي لبلاد السودان

[1]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 44.

[2]- أحمد الشكري: **الإسلام والمجتمع السوداني- إمبراطورية مالي 1230-1430م**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص 59.

[3]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 36.

**المطلب الثاني: التركيبة السكانية**

اتسمت التركيبة السكانية لبلاد السودان بالتنوع، حيث نميز عدة أجناس منها السودان والعرب والمغاربة والمولدون. وفيما يلي نعطي لمحة مختصرة عن هذه الأجناس.

**أ-السودان:**

ميزت مصادر الفترة الوسيطة بأن هناك أربعة شعوب كان في مجموعها تمثل التركيبة السكانية لبلاد السودان لخصها الناني ولد الحسين في الآتي: "الزنج في شرق القارة والأحباش في شمالها الشرقي والنوبة في الوسط، والسودان في غربيها"[1].

قراءة في كتاب مروج الذهب للمسعودي مفادها أنه: "لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر، ثم افترقوا فسارت منهم طائفة مُيَّمَّنة بين المشرق والمغرب وهو النوبة والبجة والزنج، وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركة وكوكو وغانة وغير ذلك من أنواع السودان"[2]

وقد ذكر ابن خلدون شعوب بلاد السودان وَأَبَانَ عنها ما نصه: "أمم من السودان أولهم مما يلي البحر المحيط أمّة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا في الإسلام أيام الفتح...وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو ثم يلي أمة صوصو أمة مالي من شرقهم وكرسي ملكهم بمدينة بني ثم من بعدهم شرقا عنهم أمّة كوكو ثم التكرور بعدهم وفيما بينهم وبين النوبة أمّة كانم وغيرها"[3].

ومن أهم القبائل السودانية نذكر قبائل الماندنجو، التكرور، الولوف، وقبائل سنغاي، والفولاني، وقبائل الموشي، وقبائل الزغاوة. وفيما يلي نسردها في الآتي:

قبائل الماندنجو نسبة إلى مجموعة من القبائل الناطقة باللغة المانديةّ[4]، مواطنهم الأولى تقع في منطقة كانجابا في الأودية العليا لنهر السنغال[5]. وقد انتشروا في جميع بلاد السودان الغربي الواقعة في جنوب السنغال وأعالي النيجر أي من المحيط إلى قلب نيجيريا، وتتكون من عدة قبائل وبطون أهمها البامبارا،

---

[1]- الناني ولد الحسين: **صحراء الملثمين دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**، تق: مُحَمَّد حجي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ط01، ص 405؛ حسين مرزوقي: المرجع السابق، ص 86.

[2]- المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مر: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ط01، ج02، ص 05.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 05، ص 495.

[4]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 53.

[5]- إبراهيم علي طرخان: **دولة مالي الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1973، ص 26.

المالنكي، الجالونكي، والسوننك[1]. إن قبائل الماندنجو يعود لها الفضل في تأسيس دولة مالي الإسلامية التي مارست سلطتها العليا فيما بين القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين.

وأما قبائل التكرور التي تعد من أقدم القبائل السودانية، أفادنا ابن خلكان في وفياته ما نصه: "كانم: بكسر النون، جنس من السودان وهم بنو عم تكرور، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى أب ولا أم، وإنما كانم اسم بلدة بنواحي غانة، وهي دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب، فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة، وتكرور اسم للأرض التي هم فيها، وسمي جنسهم باسم أرضهم"[2]، فيما أضاف ابن خلدون في تاريخه "إنهم يسمّون التكرور زغاي"[3].منازلهم على ما يبدو تنتشر في أنحاء متفرقة من بلاد السودان في المنطقة التي تقع بين نهر النيجر وبحيرة تشاد وعلى نهر السنغال الأعلى[4].

وتأتي قبائل الولوف(الجولوف) التي تعتبر أشد القبائل السودانية سوادا وأكثرها ثرثرة، وفهم يعرفون تارة بالثرثارون، وتارة أخرى يعرفون بالسود[5]، وهم يقطنون مساحة كبيرة من نهري السنغال وغامبيا. عرفوا بهذا الإسم منذ القرنين الخامس والسابع الهجريين/الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين عندما كونوا ممالكهم[6]. امتهنت قبال الولوف الزراعة واشتهروا بزراعة الفول السوداني والسمسم وحياتهم موزعة بين تربية الأغنام والصيد والزراعة[7].

إن قبائل سنغاي التي كانت تسكن حول حدود الغابات الاستوائية، قد هاجرت نحو الشمال وشغلت الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو وتمتد على ضفتي نهر النيجر[8]. امتهنت هذه القبيلة صيد الأسماك وزراعة الدخن، وكانت لها السيادة في إقامة مملكة منذ القرون الأولى الميلادية وقد احتضنت هذه المملكة أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي شخصية الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، وارتبطت بعلاقات تجارية وثقافية مع بلاد المغرب.

---

[1]-عطية مخزوم الفيتوري:**دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء**، منشورات قاريونس، بنغازي، 1998، ط01، ص 24.

[2]-ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، مج07، ص 15.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 266.

[4]- مهدي ساني صالح: **مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال**، المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الخرطوم، 1991، ص 09.

[5]-فيج جي دي: **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: السيد يوسف نصر، مر: بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط01، ص 80.

[6]- مهدي ساني صالح: المرجع السابق، ص 13.

[7]- زهراء يوسف إسماعيل: "**هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**"، إشراف: أ.د: أنوار جاسم حسن العنبكي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، 2018، ص 20.

[8]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص 24.

وأما قبيلة الفولاني فهي مجموعة كبيرة من القبائل الرعوية البدوية، تنتمي إلى السلابة البيضاء ومن الجنس الوحيد الأبيض أو الحمر في إفريقيا الزنجية[1]. تضاربت الآراء حول أصولهم فمنهم من يرى أنهم العبرانيون الذين هاجروا إلى مصر في عهد الفراعنة حتى انتهوا إلى السودان، ومنهم من قال أنهم هم الذين سكنوا البلاد المعروفة الآن بالمغرب الأقصى ثم نزحوا جنوبا عندما أجدبت الصحراء[2].

وبالمنطقة الواقعة قرب نهر النيل (النيجر) تواجد قبيل من السودان يعرف بقبائل الموشي. هذه القبائل مارست زراعة الذرة الرفيعة والدخن وهي تصنف ضمن المجتمعات الزراعية، لا تقوم بتربية الحيوانات إلا قليلا مع الاعتماد على الخيول والحمير ويزاولون مهنة الصيد وقطع الأخشاب[3].

وضواحي بحيرة تشاد تواجدت قبيلة الزغاوة، هم شعب جمع بين الخصائص الزنجية والحامية وانتشروا في بقعة حية امتدت من دارفور غرب سودان وادي النيل حتى بحيرة تشاد المعروفة باسم كانم[4]. اليعقوبي أول من أشار إليها في تاريخه الذي صرح قائلا: "وأما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب فإنهم قطعوا البلاد، فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم: الزغاوة، وهم النازلون بالموضع الذي يقال له: كانم"[5]. وقد أقر ياقوت في معجمه بأنهم: "قبيلة من السودان جنوبي المغرب"[6].

وقد مارست قبيلة الزغاوة التجارة والصناعة وفي ذلك صرح الإدريسي ما نصه: "الزغاويين يشيلون بإبلهم ولهم تجارات يسيرة وصنائع يتعاملون بها بين أيديهم"[7].

**ب-البربر (المغاربة):**

بحكم القرب الجغرافي بين المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء، والتبادل التجاري القائم بين الطرفين، استوطن البربر بلاد السودان وأصبحوا عنصرا مهما ومؤثرا في التركيبة السكانية المشكلة له. يشير البكري بأن: "أهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقّبون كما يتنقّب بربر الصحراء"[8]، ويسمون بالملثمين وهم قبيلة لمتونة، وجدالة، ومسوفة، ولمطة وجزولة والطوارق[9][1].

---

[1]-عبد الله عبد الماجد إبراهيم: **الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت سودان وادي النيل**، دار الحاوي للطباعة= =والنشر والتوزيع،د.م.ن، 1998، ط01، ص 132.

[2]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص ص 27-28..

[3]-زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 21.

[4]-عبد الله عبد الماجد إبراهيم: المرجع السابق، ص 86.

[5]- اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، ط01، ج01، ص 238.

[6]-الحموي: المصدر السابق، ج03، ص 142.

[7]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 29.

[8]- البكري: المصدر السابق ج02، ص 370.

[9]- **الطوارق**: هم فرع من فروع صنهاجة سكنوا الصحراء منذ القديم ينتشرون في مساحات واسعة في الصحراء الكبرى من توات وفزان شمالا إلى تنبكتو وزندر جنوبا، وقد أدى اختلاط الطوارق بالسكان الأصليين إلى تغيير ملامحهم فاكتسبوا الصفات الزنجية. ينظر إلى: مسعود

وعن مضاربهم في بلاد السودان نذكر قبيلة لمتونة الصنهاجية التي تعتبر أقوى القبائل وأهمها أفادنا البكري إلى ذلك ما نصه: "إلى قبيل من صنهاجة يعرفون ببني لمتونة ظواعن رحّالة في الصحراء، مراحلهم فيه مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام"[2]، ويرجع استقرارهم إلى ما قبل ظهور المرابطين بشهادة ابن السماك العاملي الذي أفادنا ما نصه: "...وهم ظواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون إليها ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام وهو على دين الإسلام وإتباع السنة يجاهدون غيرهم من طوائف السودان"[3].

وقد ضَبَطَ حسن أحمد محمود حدود انتشارهم بقوله: "فهي تمتد من منطقة تلى منطقة لمطة وجزولة، وتمتد من وادي نون على المحيط الأطلسي، حتى رأس بوجادور الحالية. وإلى الشرق من وادي نون تقع مدينة أركي على مسيرة سبعة أيام من وادي نون، وهي حصن لمتونة ومعقلها"[4].

إن تمركز قبيلة لمتونة في الجهة الشرقية للصحراء هو السيطرة على المسلك التجاري الموصل بين غانة وسجلماسة حتى أصبح هذا المسلك يحمل اسم القبيلة وعرف بالطريق اللمتوني[5]، واستطاعت بذلك أن تكون لها السيادة على باقي القبائل البربرية الأخرى، وتمكنت بفضل سيطرتها على المسلك التجاري الشرقي من لعب دورا أساسيا في المبادلات التجارية عبر الصحراء والتوغل في بلاد السودان.

وأما قبيلة جدالة فقد كانت مضاربها بحسب البكري: "خلف بني لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمّى بني جدالة وهم يجاورون البحر وليس بينهم وبينه أحد"[6]. وقد كان لهذه القبيلة حضور في بلاد السودان وانتشرت على أراضيه وفي ذلك كشف البكري ما نصه: "المصاقبون لبلاد السودان بنو جدالة، هم آخر الإسلام خطّة. وأقرب بلاد السودان منهم صنغانة، بين آخر بلادهم وبينها مسيرة ستّة أيّام"[7].

---

خالدي: "**الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي) بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين**"، إشراف: أ.د: مسعود مزهودي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009، ص 62.

[1]-مسعود خالدي: المرجع نفسه، ص 59.

[2]-البكري: المصدر السابق، ج02، ص 351.

[3]- ابن السماك العاملي: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979، ص 17.

[4]-حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين-صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ن، ص 45.

[5]- الناني ولد الحسين:المرجع السابق، ص 91.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 351.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 359؛ مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 217.

انخرطت جدالة في التجارة مع بلاد السودان خاصة إذا علمنا أنها سيطرت على معدن الملح في مدينة أوليل المحاذي للبحر المحيط حيث أَقَرَّ البكري ما نصه: "ومعدن للملح آخر عند بني جدالة بموضع يسمّى أوليل على شاطئ البحر، ومن هناك تتحمّله الرفاق أيضا إلى ما جاوره"[1].

الإدريسي أَبَانَ في نزهته عن الأسواق التي تقصدها جدالة لتسويق معدن الملح إلى بلاد السودان ما نصه: "فأما جزيرة اوليل فهي في البحر وعلى مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان وذلك أن المراكب تأتي إلى هذه الجزيرة فتوسق بها الملح وتسير منها إلى موقع النيل وبينهما مقدار مجرى فتجري في النيل إلى سلى وتكرور وبريسى وغانة وسائر بلاد ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان"[2].

وأما مسوفة فهي قبيلة عظيمة من قبائل صنهاجة استوطنت هي الأخرى بلاد السودان، وكانت مضاربها على ما يبدو "في صحراء غير عامرة إلّا بقوم ظاعنين لا يطمئنّ بهم منزل، وهم بنو مسوّفة من صنهاجة، ليس لهم مدينة يأوون إليها إلا وادي درعة ، وبين سجلماسة ووادي درعة مسيرة خمسة أيّام"[3].

لقد شكلت مسوفة همزة وصل بين بلاد المغرب وشعوبه وحضارته وثقافته وبين أهل بلاد السودان بالجنوب[4]. كان رجالها يبيعون الماء للقوافل التجارية المارة بهم، ويمارسون دور الأدلاء لمعرفتهم المسالك الموصلة إلى بلاد السودان بشهادة ابن بطوطة الذي صرح ما نصه: "التكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة، ...وتأتي الرجال من مسوفة وبردامة وغيرهم بأحمال الماء للبيع"[5]. تواجدت مسوفة في كثير من بلاد السودان على غرار ولاتة، ومالي، وكوكو وغيرها من البلدان التي قصدها ابن بطوطة أثناء زيارته لها[6].

وأما لمطة هي إحدى القبائل البربرية الصنهاجية، انتجعوا المنطقة التي بين وادي سوس ومدينة نول، توغلت مجموعة منهم داخل الصحراء حتى وصلوا بلاد كوكو من بلاد السودان وأقر ابن خلدون ذلك ما نصه: "ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثّمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان"[7].

---

[1]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 358؛ مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر نفسه، ص 214.

[2]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 17.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 333.

[4]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 128.

[5]- ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ط01، ج02، ص ص 688-689.

[6]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص ص 687-697.

[7]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 185.

إن قبيلة جزولة المجاورة للمطة كان البعض منها يقيم في قرية تمامانات الواقعة في طرف صحراء غانة وبالتالي هي على اتصال كبير ببلاد السودان، وهو ما صرح به البكري بأن جزولة ولمطة على ما يبدو كانتا قد امتهنتا السطو على القوافل التجارية في قلب الصحراء مما يلي بلاد السودان ما نصه: "موضع يقال له وانزميرن آبار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب، وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش. وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان، وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق ويتّخذونه مرصدا لهم لعلمهم بإفضاء الطرق إليه وحاجة الناس إلى الماء فيه"[1].

يذكر ابن خلدون بأن قبيلة هوارة إحدى القبائل البربرية كان لها حضور بارز في بلاد السودان من خلال الصلات القوية بمملكة كوكو وأَقَرَّ بأن بعضا منها قد فَضَّلَ البقاء والإستيطان بهذه المملكة وأصبحوا يعرفون بإسم هكارة ما نصه: "ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثّمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه إفريقية، ويعرفون بنسبهم هكّارة"[2].

وقد كشف البكري بأن هناك قبيل من صنهاجة وأحد بطونها تعرفبمداسةكان له تواجد ببلاد السودان وصرح ما نصه: "وإذا سرت من غانة تريد مطلع الشمس فإنّك تسير في طريق معمورة بالسودان...وهناك تلقى النيل خارجا من بلاد السودان، وعليه قبائل من البربر مسلمون يسمّون مداسة"[3]. ويأتي صاحب كتاب الإستبصار ليخبرنا عن هاته المدينة التي تسكنها قبيلة مداسة بقوله: "مدينة بوغرات يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بمداسة"[4].

إن هذه المدينة التي تسكنها قبيلة مداسة قد عرفت باسمها وأن أهلها اشتغل بتجارة التبر بحسب الإدريسي الذي أفادنا ما نصه: "ومدينة مداسة هذه مدينة متوسطة كثيرة العمارة صالحة العمالات وفي أهلها معرفة... وتجارتهم بالتبر"[5].

وتأتي قبيلة الطوارق(التوارق) التي كشف عنها السعدي في تاريخه بأنهم انتجعوا بلاد السودان وكانوا طرفا في نشأة مدينة تمبكتو ما نصه: "ذكر تنبكتو ونشأتها: فنشأت على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة"[6]. قبيلة الطوارق تنتسب إلى مسوفة الصنهاجية أخبرنا السعدي بذلك ما نصه: "التوارق هم المسوفة ينتسبون إلى صنهاجة"[7].

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 343.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 185.

[3]-البكري: المصدر السابق ، ج02، ص 368.

[4]- مؤلف مجهول: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، صص 223- 224.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 25.

[6]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

[7]- السعدي: المصدر نفسه، ص 135.

وقد عُرِفَ عن الطوارق القوة والشجاعة عند ملوك بلاد السودان وانخرطوا في تجارة القوافل عبر الصحراء، وأن أغلب القوافل التجارية التي كانت غدامس منطلقا لها إلى تمبكتو وباقي المدن السودانية يقودها الطوارق[1].

**ج- العرب:**

عرفت بلاد السودان وفود جاليات عربية استقرت على أرضه وأصبحت تشكل قوة لا يستهان بها في جميع الميادين، وسكنوا كثيرا من المدن السودانية وتعاملوا مع أهلها بواسطة التجارة والمصاهرة[2]، وتقلدت هذه الجالية مناصب عليا في دول المنطقة حسبما صرح به البكري عند ذكره لمملكة غانة[3].

ومن بين هذه القبائل العربية التي كان لها حضور في بلاد السودان نذكر: قبائل بني حسان[4]، وقبائل كنتة[5]، وقبائل الشوا[6]، والتنجور[7]، بالإضافة إلى ذلك ادعاء بعض القبائل السودانية انتمائها إلى النسب الشريف، كملوك غانة وسلاطين مالي إلى عبد الله بن الحسن بن علي، وسلاطين كانم-برنو لسيف بني ذي يزن[8].

---

[1]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 136.

[2]- حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، بيروت، 1986، ص 201؛ مسعود خالدي: المرجع السابق، ص 55.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 363.

[4]- **قبائل بني حسان**: هم فرع من عرب المعقل الذين قدموا مع الهجرة الهلالية والسليمية إلى إفريقية منتصف القرن الخامس الهجري ثم دخلوا جنوب المغرب أواخر القرن السادس وانتشروا في البلاد الموريتانية أواخر القرن الثامن الهجري، ثم دخلت بلاد السودان. السعدي: المصدر السابق، ص 16.

[5]- **قبيلة كنتة**: هي إحدى القبائل العربية الأكثر انتشارا في منطقة الصحراء، قدموا من الشمال نحو توات وبلاد السودان الغربي، على فترات متقطعة ينتهي نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري مؤسس القيروان. استقرت القبيلة في الصحراء خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. إبراهيم حامد لمين: **"إسهامات قبائل كنتة والفلان في التواصل الثقافي بين إقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن 13هـ/19م"**، مجلة الدراسات التاريخية والإجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواقشوط، 2016، ص 18؛ بول مارتي: **القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة**، تع: مُحَمَّد محمود ودادي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001، ط01، ص ص 145-148.

[6]- **قبائل الشوا**: هم العرب الذين استقروا بالسودان الأوسط بصرف النظر عن قبائلهم ويتواجدون ما بين شمال شرق نيجيريا والكامرون وتشاد والسودان الحالي، ويتفاوت لون بشرتهم تبعا لدرجة اختلاطهم بالسكان الأصليين. الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان**، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994، ط01، ص ص 291-292

[7]- **التنجور**: يرجع أصلهم إلى بني هلال، خرجت جماعة منهم من تونس خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، استوطنوا بإقليم وادي دارفور، وفرضوا سيادتهم على الإقليم بتأسيس دولة لهم حوالي القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي. صالح إبراهيم يونس: **تاريخ الإسلام والعرب في إمبراطورية البرنو**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1976، ص 44.

[8]- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 265؛ مسعود خالدي: المرجع السابق، ص ص 56-57.

كما استقرت العديد من الأسر العربية في بلاد السودان نذكر منها العائلة التواتية، وعائلة القصري والديلمي والكابري خاصة في مدينة تمبكتو في عهد مملكة مالي، وأولاد سليمان وهم فروع من البرابيش وقبيلة أولاد غانم، وأولاد يعقوب[1].

الوافدون الجدد من بربر وعرب إلى بلاد السودان قد لقوا استحسانا من قبل السكان الأصليين وتعايشوا معهم من خلال معاملتهم بالحسنى والقيم النبيلة وكرم الأخلاق التي جاء بها الدين الاسلامي والتي تَحَلَّ بها هؤلاء.

**المطلب الثالث: جغرافية بلاد السودان**

**1-طبيعة المجال الجغرافي:**

أشارت المصادر العربية الوسيطة وكتب الرحالة والإخباريين، في وصفها للطرق والمدن التي اقتفوا أثرها إلى مظاهر السطح التي كانت تتميز بها بلاد السودان، فقد لاحظ ابن حوقل وجود الرمل الذي يغطي معظم سطح الصحراء الكبرى حيث قال: "والرمل المعروف بالهبير وهو الرمل الذي أصله بالشقوق إلى الأجفُر عرضاً، وطوله من وراء جبلي طيء إلى أن يتصل مشرقا بالبحر...فيتصل بالمغرب إلى أرض نفزاوة، ويمضي مغربا إلى سجلماسة وأرض أودغست إلى البحر المحيط"[2]، وهو ما أثبته وأكده المقدسي بقوله: "والطرق إلى الكورة[3] (بلد السودان) صعبة لأنه، في مفاوز وحشة ذات رمال"[4]. أما البكري فقد صرح عن وجود "جبال رمل معترضة لا ماء فيها،...،ومجابة كثبان رمل"[5].

وأشار ابن حوقل إلى وجود العرق الذي أعطى حدوده بقوله: "وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق إلى المحيط بالمغرب، وذاهب من نواحي أودغست وصحاريها على البحر المحيط على بلاد غانة وكوغة، وجميع بلاد السودان إلى البربة"[6]، أما الجبال فقد أشار ابن حوقل إلى وجود "جبلين ذات

---

[1]- الهادي المبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها بالمغرب وليبيا من القرن 13-15م**، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ط01، ص 153، 171؛ مسعود خالدي: المرجع السابق، ص 57.

[2]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 42.

[3]- **الكورة:** كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة تجمع اسمها. ينظر: اسماعيل العربي: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 339؛ أما قاموس المعاني فقد عرفها بأنها: البُقعةُ التي يجتمع فيها قُرًى وَمَحَالٌّ، وكُوَرُ: جمع، الْمَدِينَةُ وَكُلُّ بُقْعَةٍ تَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَسَاكِنُ وَالْقُرَى، كَمَا تُطْلَقُ عَلَى الْمُقَاطَعَةِ الرِّيفِيَّةِ. ينظر قاموس الإلكتروني www.almaany.com بتاريخ 2018/07/17 في الساعة 22:30؛ وكمثال على ذلك وصف البكري بسكرة بقوله: "وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة". ينظر إلى: البكري: المصدر السابق، ج02، ص 713؛ مُحَمَّد قويسم:" **مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط**"، مجلة كان التاريخية، سبتمبر 2011، العدد 13، ص 59.

[4]- المقدسي: المصدر السابق، ص 231.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 343.

[6]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 42.

شعاب"[1] عند وصفه لموقع مدينة أودغست، وفي وصفه للطريق الرابط بين وادي درعة في الصحراء وبلاد السودان سجل البكري وجود جبل يسمى "بالبربرية أدراران وزال، وتفسيره جبل الحديد،...، وجبل لمتونة وهو جبل منيع كثير الماء والكلأ"[2].

أما المراجع الحديثة والدراسات المتخصصة فقد فصَّلت في الموضوع، حيث كشفت الدراسات عن وجود مجموعة من الهضاب التي لا يتعدى ارتفاعها 400م تقريبا، من أشهرها: آدرار وتكانت ولعصانة[3] بموريتانيا، وهضبة فوتاجالون بالسودان الغربي في أقصى غرب إقليم ساحل غانة[4]، والتي يزيد ارتفاعها على 900م[5]، وهضبة جوس التي تقع شمال نيجيريا وهي هضبة واسعة قليلة الارتفاع تشبه السهول المرتفعة وتعرف بسهول أراضي الهوسا[6].

وإلى الشرق من هضبة فوتاجالون هناك مرتفعات أخرى تعرف باسم أداماوا تقع في الكامرون وهي أكثر ارتفاعا من السابقة إذ يصل ارتفاعها إلى 3900م[7]، وفي أقصى الشرق تقع هضبة الحبشة المكونة من كتلة ضخمة يتراوح متوسط ارتفاعها بين 1500م و 1800م[8].

وأما المرتفعات فهي عديدة ومنها نذكر: جبال التبستي والأندي: تقع في أقصى جنوب ليبيا وشمال تشاد، وهي متوسطة الإرتفاع لا تتعدى 2000م، وأقصى ارتفاع لها بلغ حوالي 3390م[9]، وفيما تقع جبال الإير "L'Air"، وجبال البرقو والجيراب والسورو في الحدود الجنوبية للصحراء[10]، شمال نهر النيجر

---

[1]- ابن حوقل: المصدر نفسه، ص 91.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 351، 354.

[3]- النابي ولد الحسين: المرجع السابق، ص 23.

[4]- أحمد نجم الدين فليجة: **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س.ن، ص 133.

[5]-فتحي مُحَمَّد أبو عيانة: **جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 183.

[6]- مسعود خالدي: **"وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجريين/السابع الحادي عشر الميلاديين"**، تحت إشراف: أ.د اسماعيل سامعي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2000، ص 25.

[7]- أحمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص 133.

[8]- أحمد نجو الدين فليجة: نفس المرجع والصفحة.

[9]- جودة حسين جودة: **جغرافية إفريقيا الإقليمية**، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1998، ص 48؛ ناهد بوسكين: **"الحركة العلمية في بلاد السودان الأوسط وأثرها على الحياة الإجتماعية من القرن 5هـ-10هـ/11م-16م"**، إشراف: أ.د يوسف عابد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العلاقات الإقتصادية والثقافية لبلاد المغرب الإسلامي وبإفريقيا جنوب الصحراء، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2013، ص 05؛ عبد الجليل شاطر البصلي: **حضارات السودان الشرقي والأوسط**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1972، ص 407.

[10]- عبد الرحمن عمر الماحي: **تشاد من الاستعمار إلى الاستقلال**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص 11.

سفوحه الشمالية قاحلة أما سفوحه الجنوبية خصبة، سكنتها بعض قبائل الطوارق والهوسا[1].

وبخصوص جبال مرة التي تقع بإقليم دارفور وهي عبارة عن كتلة جبلية يبلغ أعلى ارتفاع بها 3088م[2]، وجبل الكامرون الذي يصل ارتفاعه 4450م وهو يمثل بركانا مازال يتميز بالنشاط حتى الوقت الوقت الحاضر[3] وتكسوه الثلوج في بعض الأحيان[4]. (الخريطة رقم: 07)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- مسعود خالدي: "**وسائل انتشار**..."، المرجع السابق، ص 25؛ نهاد بوسكين: المرجع السابق، ص 05.

[2]- أنور عبد العلي العقاد: **الوجيز في القارة الإفريقية**، دار المريخ، الرياض، د.س.ن، ص 38؛ نهاد بوسكين: المرجع السابق، ص 05.

[3]- فتحي مُحَمَّد أبو عيانة: المرجع السابق، ص 65.

[4]- جودة حسين جودة: المرجع السابق، ص ص 49-50؛ مسعود خالدي: "الجاليات العربية..."، المرجع السابق، ص ص 33-34.

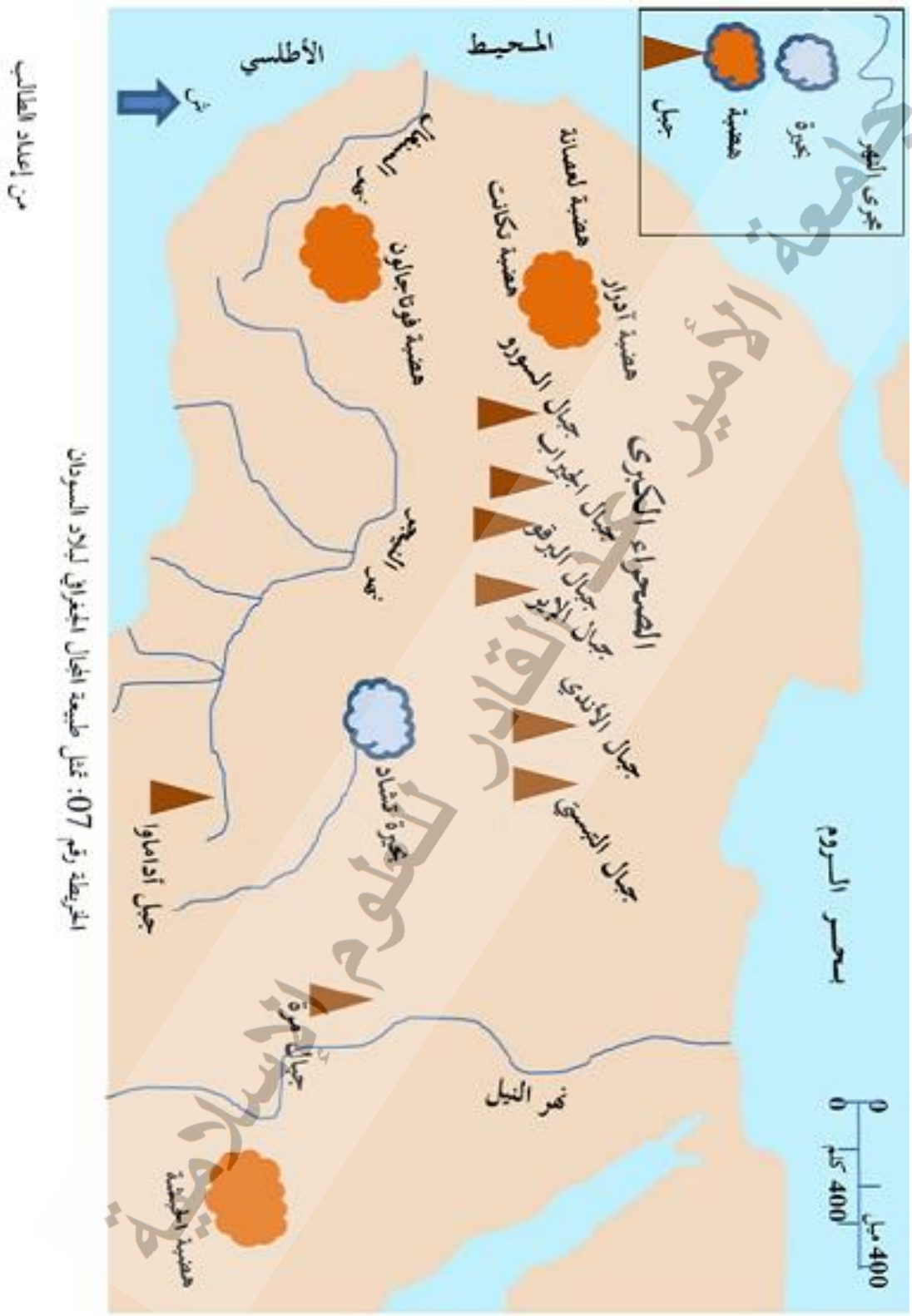


الخريطة رقم 07: تمثل طبيعة المجال الجغرافي لبلاد السودان

من إعداد الطالب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**2-المظهر الهيدروغرافي:**

تشير المصادر الجغرافية الوسيطة إلى ثراء بلاد السودان بالأحواض والبحيرات والأنهار، حيث تعمل الأحواض بفصل الأراضي المرتفعة عن الهضاب، وهي تلك المساحة الأرضية التي تضم مجرى النهر وشبكة أوديته وروافده وفروعه المختلفة وتضم مناطق منابع النهر ومصبُّه أيضا[1]، أما البحيرات فهي عبارة عن مسطَّحات مائية تشغل هوَّة منخفضة من سطح الأرض ويحيط بها اليابس من جميع الجهات[2].لقد كان لوجود هذه المسطَّحات المائية في بلاد السودان الأثر الإيجابي على حياة الإنسان واستمرارية ظاهرة تنقُّل الأفراد والقوافل بين الضفَّتين. وفيما يلي نذكر أهم هذه المسطحات:

**أ-البحيرات والأحواض:**

**-بحيرة تشاد:**

تعتبر هذه البحيرة قديمة التكوين[3]، وهي ذات مساحة واسعة، غزيرة المياه، ولكنها بدأت تجفُّ شيئا فشيئا حتى أصبحت عبارة عن مستنقعات تتخلَّلُها جزر صغيرة وعمقها لا يتعدى ثلاثة أمتار. ومدى الحوض متغيّر يتراوح بين 000 10 و000 25 كلم$^2$[4] ولذلك فشواطئها غير محددة ومساحاتها واسعة، يفيض ماؤها أحيانا حتى يغمر ما يحيط بها من بلاد[5]. تحتل البحيرة موقعا استراتيجيا، جعلها منذ قرون ملتقى للقوافل التجارية الداخلة من الشمال ومن الشرق والغرب[6]. وقد كانت مصدر عيش ساكنيها لخصوبة تربتها وللزراعات التي أقيمت فيها كالأرز.

**-حوض سوكوتو:**

يضم حوض سوكوتو شمال نيجيريا، وقد تعرَّض لعملية التعرية الجوية وتربته خصبة، لذلك أقيمت فيه زراعات ذات مردود ضعيف منها الذرة والفول السوداني[7].

**-بحيرة أروان:**

موقعها جنوب غرب تمبكتو، كانت تمثل مستوى القاعدة المحلي لنهر النيجر. وقد انصرفت مياه هذه البحيرة القديمة عندما فاضت مياهها وحدث مقطع في حافتها بسبب النحت التراجعي النهري[8].

---

[1]-آمنة أبو حجر: **المعجم الجغرافي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009، ط01، ص 299.

[2]- آمنة أبو حجر: المرجع نفسه، ص 111.

[3]- أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج06، ص 614؛ نهاد بوسكين: المرجع السابق، ص 27.

[4]-Daveau Suzanne: **Le lac Tchad**. In: Annales de Géographie, t. 69, n°372, 1960, p 221.

[5]- عبد الجليل شاطر البصيلي: المرجع السابق، ص 410.

[6]-Basil Davidson: **L'Afrique ancienne**, francaismaspero, paris, 1973, p 45-55.

[7]- جودة حسن جودة: المرجع السابق، ص 230؛ نهاد بوسكين: المرجع السابق، ص 27.

[8]- فتحي محمّد أبو عيانة: المرجع السابق، ص 184.

وتعتبر هذه البحيرة ملتقى ومحطة للقوافل التجارية الصادرة من الشمال ومن الشرق تتجمع فيها للتزود بما يلزمها، ثم تتجه صوب المراكز التجارية والمدن الصحراوية السودانية.

**ب- الأنهار:**

تتميز بلاد السودان التي تتوسط الصحراء الكبرى بوفرة الأنهار، بالرغم من رداءة الطقس وقساوته إلا أنها أي الأنهار ساهمت في تنشيط عجلة الاقتصاد السوداني بالمنطقة وسهلت عملية الاتصال والتنقل بين المراكز التجارية التي عادة ما تنشأ بجوارها. ومن أبرز الأنهار بالمنطقة نذكرها في الآتي:

**-نهر النيجر:**

يعتبر نهر النيجر شريان الحياة لبلاد السودان، حيث تسمح موارد المياه بممارسة الزراعة، وهو صالح للملاحة[1]، يحتل المرتبة الثالثة إفريقيًّا من حيث الطول بعد النيل والكونغو، يبلغ طوله 4160م، وقد رسمت الكتب الجغرافية مساره حيث يمتد من غرب إفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وينتهي عند المصبّ بدلتا[2].وقد أطلق المؤرخ الروماني بليني Plinus(ت 115م) على نهر النيجر اسمه الذي اشتهر به نجرس Nigris ومعناه نيل الأجناس السوداء[3]؛ منبعه من المنحدرات الداخلية لهضبة فوتاجالون[4] ويتكون عند بدايته في جنوب باماكو من عدد من المجاري التي تنتشر في مساحات واسعة من الأرض مكونة ما سميت بالدلتا الداخلية للنيجر حيث تتحول هذه الدلتا إلى بحيرة عظيمة في موسم الفيضان ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى يصل إلى تمبكتو وبعدها تتحدد مجاريه وتتجه بعدها نحو الجنوب ليصب في المحيط الأطلسي[5].

ونهر النيجر ينقسم إلى فرعين هما: النيجر الأعلى والنيجر الأسفل، يجريان منفصلان مسافة طويلة ثم يجتمعان[6]. إن المنطقة التي تمتد في أعالي النهر بين جنى وتمبكتو عبارة عن مجاري ومستنقعات صحراوية ضخمة ميزتها وجود السبخات[7]ومعادن الملح، التي على ما يبدو قد أدت دورا اقتصاديا كبيرا في مالي في العصور الوسطى[8].

---

[1]- فتحي محمد أبو عيانة: المرجع السابق، ص 197.

[2]- شوقي عطا الله الجمل: **تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971، ص 92.

[3]- السير سيد أحمد العراقي: **"بلاد غربي إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ –الدور الحضاري والثقافي"**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، جامعة إفريقيا العالمية، ليبيا، العدد الثامن، 2006، ص 33.

[4]- إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص24.

[5]- أحمد نجم فليجة: المرجع السابق، ص ص 144-145.

[6]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 24.

[7]- لقد سماه البكري في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تاتنتال، فيما أطلق عليه ابن سعيد المغربي خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بحصن الملح، أما ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فسماه بتغازة.

[8]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 24.

ويشير فيليكس ديبوا إلى: "أنَّ نهر النيجر يقدم لنا مهرجانا من العظمة والتنوع لا يستطيع أغنى تجار السكر تقديمه، ومياه النهر الزرقاء مثل مياه البحر المتوسط قد تحولت إلى لون رمادي مثل بحر الشمال ثم تتحول إلى مياه خضراء مثل المحيط العظيم"[1].

إن الوصف الذي أدلى به فيليكس ديبوا بخصوص نهر النيجر على ما يبدو قد أشار إلى الدور الكبير الذي يؤديه هذا النهر في الملاحة خاصة وأنه كان على طول مجراه مراكز تجارية استقطبت تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وعلى كثافة السفن التي ترتديه وتنقل البضائع من مكان إلى آخر قصد ربح الوقت وتسهيل وصولها إلى أصحابها.

**-نهر السنغال:**

سمي بنهر السنغال نسبة للتسمية التي أطلقها الأوروبيون وهو نهر سيناغا وهو تحريف لاسم صنهاجة[2]، منبعه من هضبة فوتاجالون ويتجه شمالا ثم غربا باتجاه المحيط الأطلسي، ويمتاز بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار لمسافة ثلاثمائة وخمسين كيلومتر من المصب[3].

**- نهر غامبيا:**

هو أحد أروع الممرات المائية الصالحة للملاحة في غرب إفريقيا، منبعه من هضبة فوتاجالون الكائنة في جمهورية غينيا الجديدة، ويصب في المحيط الأطلسي[4]، ويخترق منطقة السافانا أكثر مناطق إفريقيا ارتيادا، لذا عمدت القوى الاستعمارية إلى إنشاء مستعمرة غامبيا على طول النهر الصالح للملاحة والذي يبلغ طوله واحد وستين وأربعمائة كيلومتر، ثم انشطرت إلى قسمين "كازامنس" حول النهر، والسنغال في شماله[5].

إن الوسط الطبيعي لبلاد السودان ببساطة تضاريسه ووفرة موارده المائية، كان عاملا أساسيا في التواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، بالإضافة إلى ذلك سهولة التنقل لوجود أنهار في معظمها صالحة للملاحة على امتداد أرض بلاد السودان حيث تقدر بآلاف الكيلومترات، وقد ساهمت هذه الأخيرة في تنشيط التجارة ونقل البضائع والسلع إلى الداخل، الأمر الذي انعكس على المنطقة من خلال نشأة المدن

---

[1]-Felix(D): **Timbuctoo The Mysterious**, Tr. Diana White, Longmans, Green, and Co, New York, 1896, p p 24-25.

[2]- نور الدين شعباني: **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، الجزائر، د س ن، ص 05.

[3]- أحمد نجم فليجة: المرجع السابق، ص 148.

[4]-Sarr, Assan: **Islam, power, and dependency in the Gambia River Basin: The Politics of Land Control, 1790-1940**, University of Rochester Press, USA, 2006, p17.

[5]- إلهام محمّد علي ذهني: **بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2009، ط01، ص 21.

وتعميرها وبالتالي انتقال نمط معيشة الساكنة من نظام الترحال إلى نظام الحضر والاستقرار.(خريطة رقم:08)

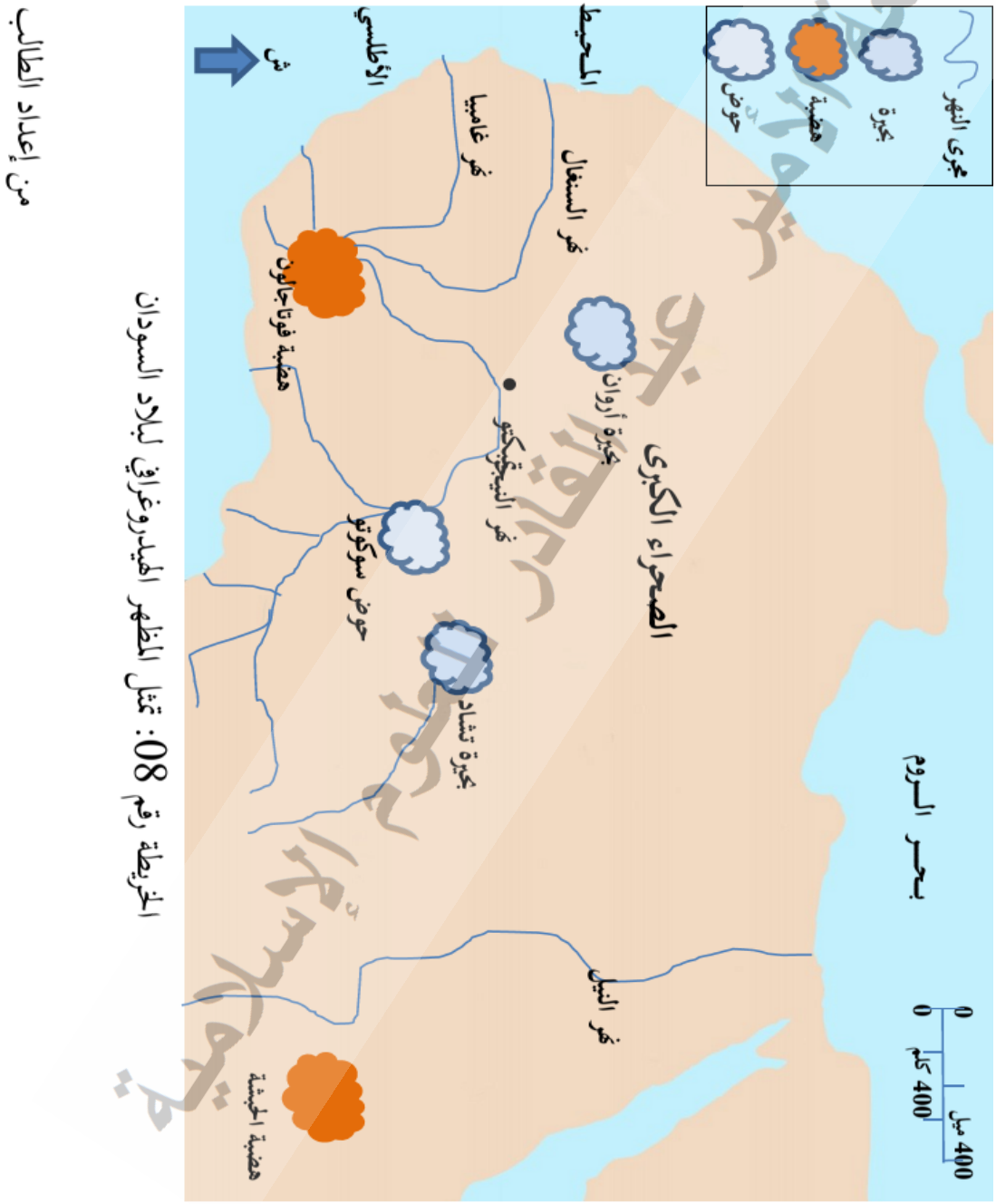


الخريطة رقم 08: تمثل المظهر الهيدروغرافي لبلاد السودان

من إعداد الطالب

## المبحث الثالث: نشأة المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان وتطورها

عرف كل من الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان نشأة العديد من المراكز الحضارية التي ارتبطت فيما بينها بعلاقات وطيدة كانت للتجارة الحظ الأوفر لها، ثم الثقافة كمظهر من مظاهر التواصل بين الضفتين. ونود تسليط الضوء على نشأة هذه المراكز الحضارية فيما بينهما.

### المطلب الأول: نشأة المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتطورها

#### 01-وارجلان:

تعتبر وارجلان-التي تقع في الواجهة الصحراوية الشرقية للمغرب الأوسط- من المدن الصحراوية العتيقة التي أفرزتها الطرق التجارية الكبرى، نظير خدماتها التي كانت تقدّمها للقوافل وملتقى لها، نجدها تتبوأ المراكز الأولى في التجارة العابرة للصحراء، حيث تصف لنا المصادر اتصالات أهلها الدائمة مع بلاد السودان.

وقد سجّلت المصادر الإخبارية عدة مسميات لها اختلفت في كيفية رسمها، فالبكري ذكرها برسمين مختلفين: أولها في وصفه للطرق التي تخرج من مدينة تيزيل في الجنوب من تلمسان بقوله: "وهي أول الصحراء ومنها تسافر إلى مدينة سجلماسة، وإلى وارجلن إلى القلعة"[1]، وثانيها عندما رسم لنا الطريق الرابط بين تادمكة والقيروان ذكرها بقوله "فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان...ومنها إلى مدينة قسطيلية أربعة عشر يوما، ومن قسطيلية إلى القيروان سبعة أيام"[2].

أما الإدريسي فقد سَجَّلَ وهو يعدّد لنا مواطن القبائل الأمازيغية والتي من ضمنها "بنو وارقلان"[3]، فيما أطلق عليها أبو زكرياء يحي ورجلان[4]، ونقرأ عند ابن سعيد المغربي قوله: "ومدينتها التي تسمى واركلان"[5] عند وصفه للمدن الصحراوية لبلاد المغرب، وقد اعتمد ياقوت الحموي وأَقَرَّ نفس تسمية أبو زكرياء يحي عند إشارته لها بقوله: "وَرْجَلان"[6]، فيما أوردها ابن خلدون بأكثر من تسمية حيث قال: "واركلا"[7]، و"واركلي"[8]، و"واركلان"[9].

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 260.

[2]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 371.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 222.

[4]-أبو زكرياء يحي: **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح: اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط02، ص189.

[5]-ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

[6]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج05، ص 371.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 69.

[8]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج06، ص 132.

[9]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج06، ص 46.

وقد أجمعت أغلب المصادر الأباضية كأبي يعقوب يوسف الوارجلاني[1]، والوسياني[2]، والدرجيني[3]، والشماخي[4] على جعلها وارجلان، وهو الرسم المعتمد في هذه الدراسة.

وخلاصة لما سبق تبين لنا أن أغلبية المصادر تكاد تكون متوافقة في رسم التسمية، والاختلاف المتواجد هو في إضافة بعض الحروف وحذفها، كحرف الألف بعد الواو، واستبدال حرف الجيم بحرف الكاف، وحذف النون في آخر الكلمة وإضافتها، ويرى عمار غرايسة "أن لهاته التباينات البسيطة تفسير، فلربما نجد مرده إلى اختلافات منطوق الحروف وإلى التقادم التاريخي المرافق لذلك، وما يصاحبه من تحويرات في اللفظ مع تواتر الزمن واختلاف الألسن"[5].

وعن تاريخ نشأة وارجلان فإن المتصفح في مختلف الكتابات العربية والأجنبية حول تاريخ نشأتها يصادفه منذ الوهلة الأولى العديد من الآراء والفرضيات، فابن خلدون يرى أن "بني واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة...وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة. ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا"[6].

فيما ذهب حسن الوزّان على أنها مدينة أزلية قديمة بناها النوميديون في صحراء نوميديا[7]، وصرح صاحب غصن البان على أنَّ: "وطن وارجلان هو من الأوطان القديمة"[8]، فيما اعتقد بلونت"أن الشعوب التي بنت قصر ورقلة هم القرامنت، الذين كتب عليهم كل من هيرودوت وسترابون وانتشارهم كان من الشمال إلى الجنوب من الساحل الرملي"[9]، ونقرأ عند ليشيو"عن قدوم جماعة من زنجبار –مركز الأباضية– مع شيخهم المدعو حادور، وقاموا بتأسيس المدينة، سنة 106هـ/726م"[10].

---

[1]-أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: **الدليل والبرهان**، تح: سالم بن حمد الحارثي، مطابع العالمية، مسقط، 2006، ط02، ج03، ص 319.

[2]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 423.

[3]- الدرجيني: **طبقات مشائخ المغرب**، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج01، ص 106.

[4]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 338.

[5]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 25.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 69.

[7]-الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 136.

[8]- أعزام: المرجع السابق، ص 49.

[9]-Balont(L): **Aperçu sur l'évolution du pays âge quaternaire et de peuplement de la région de Ouargla**, Libyca, t20, 1972, p 235;

- عبد الرزاق خالدي:"**دور الطرق التجارية في إنشاء المدن بالمغرب الأوسط في العهد الوسيط–مدينة وارجلان نموذجا–**"، تحت إشراف: د. عز الدين بويحياوي و د. محمد نجيب خالف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009، ص 92.

[10]-Letheilleux(J): Op.cit, p 20.

ويطرح جورج غيرستر وجهة نظره بقوله: "إن نشأة وارجلان تكون قد ارتبطت بجهد قام ابتداؤه على زراعة أول بساتين النخيل على يد رجل أسود من السودان بواحة عفران التي يقول عنها أنها تعود في عهدها الأول إلى عصر الرومان أو ما قبله، والتي كانت هجرتها القسرية في القرن السابع أو الثامن للميلاد سببا في نشأة وارجلان التي كانت تدل على قصر وبساتين واسعة" [1]، فيما نسب لارجو اسم المدينة ونشأتها الأولى لامرأة سكنت المكان الذي أقيمت عليه مدينة وارجلان بإقامتها كوخا وغرسها حوله نخيلا[2].

وأما تاديوس ليفيتسكي كتب ما نصه: "ربما كان أناس من هذه القبيلة هم الذين بنوا بعض مساكن ورغلة في فترة سابقة من الفتح الإسلامي. وإلى جانب هذه المساكن البدائية، كان يوجد في واحة ورغلة بلدات أو مدن حقيقية عدة كانت قائمة بالفعل وقت وصول أول العرب إلى المغرب، أي أواسط القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي"[3].

إنّ هذا التضارب والتباين في الروايات حول نشأة وارجلان، يعزوه انعدام الوثائق والشواهد الأثرية التي تقطع الشك باليقين وتجعلنا أقرب للحقيقة، والذي يهمنا هنا هو أن وارجلان مدينة صحراوية ضاربة في القدم، وهو ما ذهب إليه دوفيريي في تصريحه بقوله: "أنها من أقدم مدن الصحراء ومن غير الممكن أن نحدد لها تاريخا دقيقا"[4].

ومع مجيئ الفاتحين العرب حاملين معهم الإسلام إلى بلاد المغرب، انخرطت وارجلان في دعوتهم، متحدية في ذلك الجغرافيا بمظاهرها التضاريسية التي لم تشكّل سوى مجرى دعوي مثّلت وارجلان أحد أهم بصماته ذات المنسوب العالي[5].

الزهري في كتابه الجغرافية يشير إلى دخول وارجلان في الإسلام في مدة هشام بن عبد الملك[6](105هـ-125هـ/724م-743م)، أمّا صاحب غصن البان يرى بأن وارجلان كان منذ "فاتح القرن الثاني وطن إسلامي"[7]، ويضيف بأن: "وارجلان عامرة بالأباضية منذ 101هـ/720م، ولا اختلاط

---

[1]- جورج غيرستر: المرجع السابق، ص 148.

[2]-Largeau(V): **Le pays rirhaouargla voyage à ghadames,** Librairie hachette, Paris,1879, p 156.

[3]- مجموعة من المؤلفين: **تاريخ إفريقيا العام**، حسيب درغام وأولاده، لبنان، 1997، ط02، مج 3، ص ص 331-332.

[4] -Duveyrier (H): **Les Touarg du Nord**, Imprimerie de J. Claye, Paris, 1940, p 284.

[5]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 28.

[6]- الزهري: **كتاب الجغرافية**، تح: مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س ن، ص 126؛ الطاهر طويل: **المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس**، مطابع حسناوي، الجزائر، 2011، ط01، ص 348.

[7]-أعزام: المرجع السابق، ص 49؛ عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 28.

معهم من الأجناس الأخرى وشؤونهم بأيديهم وكل واحد رئيس على عائلته ومنكب على أشغاله ومهماته والرئاسة العليا بيد حلقة العزابة بالجامع الكبير في كل مدينة"[1]، فيما صرح علي يحي معمر بأن أهل وارجلان اعتنقوا الإسلام "عندما حمل الفاتحون الأوائل مشعل الهداية إلى المغرب الأوسط في أواسط خير القرون"[2].

إن الروايات التي قمنا بطرحها لم تكن واضحة ودقيقة، فرواية الزهري جعل من فترة حكم الخليفة هشام بن عبد الملك هي زمن إسلام وارجلان، وهي فترة كان بلاد المغرب يعيش حالة تضمر واضطرابات جراء تصرفات الولاة الجائرة، مما أدى إلى تسرب العديد من المذاهب منها المذهب الأباضي، وتَبَنّيها من طرف القبائل زناتة التي كانت مواطنها الواحات على مشارف الصحراء.

وأما أعزام فقد وصف لنا الوضع بأن دخول وارجلان في الإسلام كان مع حلول القرن الثاني الهجري، وهو ما تدعمه النصوص التاريخية التي تقول بأن في نهاية القرن الأول الهجري صلح إسلام البربر، وأن مدن الصحراء كانت معنية بعمليات الفتح قبل مدن الساحل زمنيا[3].

وهذا يدل على أن الوافدين الجدد لبلاد المغرب كانوا متيقنون بدور تلك الواحات كعمق استراتيجي يطوق البلاد التي يخطط لفتحها، وبالإضافة إلى ذلك دورها في المسالك التجارية مع إفريقيا جنوب الصحراء[4]. وفيما خلص علي يحي معمر بأن وارجلان انخرطت في الإسلام مع مجيء الفاتحين الأوائل وربما قصد هنا عقبة بن نافع في ولايته الثانية، التي فتح على إثرها الزاب ووصل إلى البحر المحيط من ناحية الغرب، لأن ولايته الأولى انشغل فيهابناء معسكر يستقر به المسلمين ويصبح منطلقا لهم لفتح باقي بلاد المغرب.

ومع قيام الدولة الرستمية (160-296هـ/773-909م)، التي كان من أولوياتها دعم التجارة الخارجية السودانية، افتكتوارجلان مكانة لها في هذه الحركة، حيث أصبحت قطبا تجاريا صحراويا بامتياز، مثَّلت فيها وارجلان الدور الوسيط وملتقى للقوافل وباب الولوج نحو بلاد السودان.

حاولت سلطة الإمام بتاهرت تأمين الطرق وحمايتها، وفرض سيطرتها على الطرق المؤدية إلى بلاد السودان واحتكارها، وخلال القرن الثالث الهجري انتعشت التجارة وساد الأمن وعم الرخاء، وتطورت

---

[1]- أعزام: المرجع السابق، ص 104؛ علال بن عمر: **"إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقاله من القرن 3هـ/9م إلى القرن 9هـ/15م"**، تحت إشراف: أ.د إبراهيم بن بكير بحاز، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2018، ص 132.

[2]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج02، ص 272.

[3]- الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 349.

[4]- عمر السعيدي: **"الواجهة العسكرية للحضارة العربية الإسلامية، فتح إفريقية"**، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، العدد 05، جويلية، 1981، ص 52.

العلاقات التجارية بين الشمال والجنوب، كانت وارجلان حلقة الوصل بينهما، وما ارتباطها بمسلك تجاري بالعاصمة تاهرت لخير دليل على ذلك، حيث سلك يعقوب بن أفلح هذا الطريق أثناء فراره من تاهرت بعد الغزو الشيعي[1] وصولا لوارجلان واستقراره بها.

وقد اشتهر أهل وارجلان بقيادة القوافل إلى بلاد السودان، واستمر هذا النشاط الحيوي الدؤوب لسكَّانها إلى ما بعد سقوط الدولة الرستمية وحتى القرن الرابع عشر الهجري/القرن العشرين الميلادي. ويمكن القول: إنَّ وارجلان كانت تحتكر تجارة المغرب الأوسط مع بلاد السودان[2].

إن الموقع الجغرافي لوارجلان أدى دورا هاما في ازدهار اقتصادها، حيث أَهَّلَهَا لأن تكون محطة تجارية هامة ترتبط بعلاقات متشابكة مع أغلب المراكز التجارية الصحراوية، فكانت وارجلان معبرا لتلك القوافل التجارية المحملة بالبضائع والعابرة إلى بلاد السودان[3].

قراءة في كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكرياء أشارت إلى حلول أبي عبيد الله المهدي متخفيا بوارجلان قاصدا سجلماسة، فعامله سفهاؤها باستهزاء واحتقار وسخرية[4]، وكان أشد الناس قسوة عليه، أهل قصر بكر[5]. فلما رجع محررا من سجلماسة هاجم وارجلان وحاصرها، وحرق المسجد الكبير لجنون بن يمريان[6]، ودمَّر الديار[7].

ولعل هذه الحملة ضدها لأجل رد الاعتبار لشخص المهدي بعد إهانته من أهلها أثناء المرور بها وتأديب الفارين من البيت الرستمي بعد سقوط تاهرت، تحسبًّا لأي فعل قد يقدم عليه أهالي المدينة إلى جانب يعقوب ابن أفلح ضد الدولة الفاطمية[8]، فتحصَّن أهل وارجلان بجبل كريمة لتجنب الحملة وشرورها، وبعد حصار دام شهورا، فشلت كل محاولاتها في الوصول لأهل وارجلان ومرت الحملة وتراجعت عن المنطقة[9].

---

[1]- مسعود مزهودي: **الأباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب**، جمعية التراث، القرارة، 1996، ص 131؛ البشير بوقاعدة:"**خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م**"، تحت إشراف: أ.د مبارك بوطارن، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2013، ص 124.

[2]- مولاي بلحميسي: "**ورقلة من خلال النصوص الأجنبية**"، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 41، 1977، ص 209؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 124.

[3]- البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص 96.

[4]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 165؛ الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص93؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 130.

[5]- قصر بكر: أحد قصور وارجلان.

[6]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 172.

[7]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 95.

[8]- البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص 127.

[9]-محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ط02،=

بالرغم من الحملات المعادية على وارجلان ورحيل الأباضية إليها خاصة أثناء الثورات التي قامت بها زناتة[1]، لم تفقد مكانتها وحيويتها بالقيام بدورها في التجارة القوافلية العابرة لبلاد السودان، بل استعادت المدينة عافيتها وحافظت على وجودها وانتعاش اقتصادها حيث أقيمت فيها الأسواق العامرة وكثرت بها الفنادق لإقامة التجارة، واكتظت أرباضها بالبربر بعد استتباب الأمن بها[2].

إن الأحداث المتشابكة التي عرفها المغرب الأوسط جراء تزعم قبيلة زناتة حركة المعارضة، جلبت المشاكل والاضطرابات للمدينة، حتى أصبح إقليمها مسرحا للحروب والمعارك ومركز مهما من مراكز المعارضة ضد الدولة الحمادية[3]، فكانت المدينة على موعد آخر من الخراب والتدمير عبر سلسلة من الهجمات قادتها جيوش الدولة الحمادية بدعوى ملاحقة متمردي زناتة[4].

وبحلول منتصف القرن الخامس الهجري، اجتياح عرب بني سليم وارجلان وما جاورها[5] واستشرى فسادهم في المنطقة، وقد أثرت كل هذه العوامل على تراجع دور وارجلان الحضاري بشكل ملحوظ أواخر القرن الخامس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي.

لم تهدأ وارجلان بعد استقرار القبائل الهلالية على أراضيها، فقد كانت على موعد آخر من الحملات والتخريب، خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، خاضها هذه المرة ابن غانية الميورقي الذي أقدم على تخريب كل من سدراتة وأجزاء من وارجلان لمساندتها على ما يبدو للدعوة الموحدية كما أشار الدرجيني في طبقاته.

وقد كان هذا الخراب الذي حل بها خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إعلانا بتراجع الدور الحضاري لوارجلان حيث كعادة أهلها لم يستسلموا لهذه الحملة واسترجعت عافيتها ومكانتها التجارية شيئا فشيئا، وبشهادة ابن خلدون خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الذي صرح لنا ما نصه: "وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان يسكنها التجّار الداخلون لها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة"[6].(الخريطة رقم: 09).

=ص 234؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 131.

[1]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 132.

[2]- مسعود مزهودي: نفس المرجع والصفحة.

[3]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 133.

[4]- البشير بوقاعدة:ا لمرجع السابق، ص 258.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 45.

[6]-ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 07، ص 70.

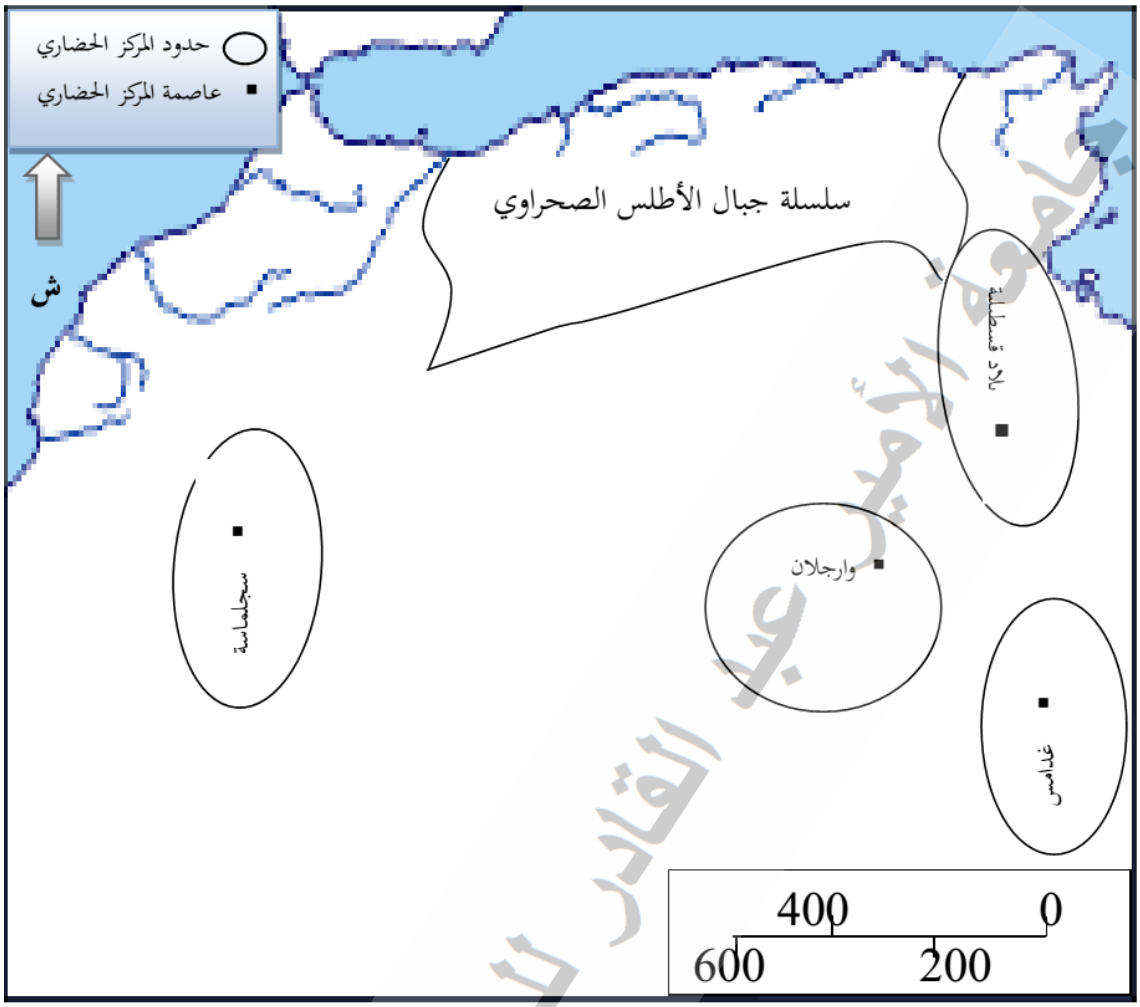


الخريطة رقم 09: توضح موقع المركز الحضاري لوارجلان وحدودها

من إعداد الطالب

## 2-أسوف أو سوف:

تقع أسوف شمال شرق وارجلان، وهي ضمن صحراء المغرب الأوسط، حيث تتوسط أهم الطرق والمسالك التجارية التي تربط بين أهم حاضرتين من الحواضر التجارية في بلاد المغرب، وهما وارجلان والقيروان[1]، اختلفت الروايات في أصل التسمية فمنهم من قال: "أن العهد الأول للمسيحية بالمنطقة قد واكب جريان نهر غزير، يجتاز الإقليم من الشمال إلى الجنوب، يطلق عليه "واد-إزوف" التي تعني خرير المياه أو هديره"[2]، أما العدواني في تاريخه فقد نسب سوف إلى وادي اسمه غديرة النيل بقوله: "قال الراوي

[1]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 138.

[2]-بدر الدين مصباحي: **"تجارة الصحراء بين الجزائر وغرب إفريقيا من 10هـ-16م/13هـ-19م"**، تحت إشراف: أ.د محمد حوتية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2016، ص 08.

ثم انحدروا إلى سوف وكان فيها يومئذ غديرة النيل"[1].

فيما طرح إبراهيم العوامر مؤرخ سوف عدة أقوال منها: " أنها كانت محلا لأهل الصوفة لأن كل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة فيها"[2]، "وقيل سميت بذلك لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم"[3]، "وقيل كان بها رجل عليم أي صاحب حكمة يسمى ذا السوف فسميت هذه الأرض به، والسوف معناه في اللغة العلم أو الحكمة"[4].

فيما صرح إبراهيم مياسي أن: "كلمة سوف مشتقة من الاسم الامازيغي أسوف وبالقبائلية العصرية أسيف وتعني الأرض المنخفضة على ضفاف الوادي، لهذا أدغمت كلمة سوف وأصبحت وادي سوف كذلك إن علم اللسانيات يشير بأن كلمة الوادي بالعربية ترادفها بالأمازيغية كلمة سوف"[5].

وكما يبدو من خلال التسمية فإن أغلب أسماء الأماكن والمدن المغربية عموما تخضع إما لمسمى نابع من الطبيعة التي تتميز بها المنطقة، وإما لقبيلة يعود لها الفضل في تعميرها واشتهرت بها، وفي اعتقادنا بأن كلمة أسوف هي كلمة أمازيغية كما أكد إبراهيم مياسي في طرحه، ثم عُرِّبَتْ بحذف الألف وأصبحت سوف.

قراءة في المصادر الأباضية حول رسم الكلمة التي نحن بصدد دراستها-والتي تعتبر هذه البلاد ضمن التوسع الجغرافي للتجمعات الأباضية في بلاد المغرب-، فنجد من دَوَّنَهَا "سوف" كالدرجيني[6]، والوسياني[7]، ومنهم من أضاف إليها حرف الألف لتصبح "أسوف" كأبي زكرياء[8]، والشماخي[9]، أما المصادر غير الأباضية فلها وجهة نظر أخرى فصاحب الاستبصار ذكرها بقوله: "بلد سوف"[10]، فيما أطلق عليها العياشي في رحلته عدة مسميات منها "سوفا"[11] و "سوف"[12].

لقد اتفقت المصادر الأباضية مع نظيراتها الأخرى في رسم الكلمة "سوف" مع تقديم أو تأخير أو

---

[1]- العدواني: **تاريخ العدواني**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1996، ط01، ص 109.

[2]- إبراهيم مُحَمَّد الساسي العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ط02، ص 42.

[3]- إبراهيم مُحَمَّد الساسي العوامر: نفس المرجع والصفحة.

[4]-إبراهيم مُحَمَّد الساسي العوامر: نفس المرجع والصفحة.

[5]- إبراهيم مياسي:**قبسات من تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 100.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 153، 156.

[7]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 350، 353، 355.

[8]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 244، 249.

[9]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص721.

[10]-مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 159.

[11]- العياشي: المصدر السابق، ج01، ص 122.

[12]- العياشي: المصدر نفسه، ج01، ص 123.

حذف لحرف الألف، لذلك لا يشكل عائقا لدينا، وهو ما أكده إبراهيم مياسي: "بأن علم اللسانيات يشير بأن كلمة الوادي بالعربية ترادفها بالأمازيغية كلمة سوف"[1].

وعن دخول الإسلام لبلاد أسوف، صرح إبراهيم العوامر بأن عقبة أو قومه وصلوا إلى سوف وفتحوا قراها[2]، ولكن في ولايته الأولى عام 46هـ[3]، فيما أشار أندري روجي فوازن إلى أن دخول الإسلام تم عن طريق "بعثات الفتح الإسلامي القادمة إلى بلاد البربر في القرن السابع للميلاد"[4].

وبالعودة إلى المصادر الأباضية فإنها تذكر بأن أهل أسوف كانوا على المذهب الإباضي، بل كانوا متضامنين مع إخوانهم في المذهب من أهل قسطيلية وبلاد الجريد ويقفون معهم فيما يلمُّ بهم من مصائب وأزمات[5]، ويضيف علي يحي معمر بأن: "بلد سوف بالنسبة للإباضية خير مكان لمن يقوم بالدعوة؛ لأنه جاء متوسطا بين الأماكن العامرة بهم كأنه منطقة ارتكاز، فيرتحل منه الداعية مغربا فيزور بلاد أريغ ووارجلان وبادية بني مصعب وجبال الأوراس وما والاها"[6].

إن أسوف تسكنها قبيلة زناتة البترية، ومن المعلوم أن زناتة اعتنقت الأباضية منذ دخول المذهب الإباضي أوائل القرن الثاني للهجرة، لذا في اعتقادنا بأن أسوف انخرطت في الإسلام ثم اعتنقت الأباضية كمذهب يدعو إلى العدل والمساواة بين الرعية والحاكم.

يخبرنا أبو زكرياء خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أن أسوف لها اتصالات مع إخوانهم في الدعوة في بلاد الجريد وأريغ ووارجلان، وهو يثبت بذلك وجود طريق نشط يربط بين القيروان ووارجلان عبر أسوف مرورا بقسطيلية، ويذكر في إحدى رواياته أن جماعة من أهل المذهب خرجوا سنة 449هـ/1057مقصْد زيارة إخوانهم من أهل دعوتهم، فانطلقوا من جربة ثم مرُّوا على إخوانهم بقسطيلية؛ ثم قنطرارة؛ ثم نفطة، حتى وصلوا أسوف فمكثوا بها ما شاء الله أن يمكثوا عند إخوانهم؛ ثم خرجوا منها إلى وغلانة؛ ثم تماسين؛ حتى انتهى بهم الطريق إلى وارجلان[7]. وفي رواية أخرى أشار أبو زكرياء: أن خزرون بن فلفول لما أراد السفر إلى طرابلس ارتحل إلى أسوف. وفيها وجد قافلة متجهة إلى نفزاوة فاصطحبها[8].

البكري في مصنفه المسالك، رسم لنا محطات الطريق الذي يربط وهران بالقيروان طريقًا آخراً عبر بلد

---

[1]- إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 100.

[2]- إبراهيم مياسي: المرجع نفسه، ص 145.

[3]- إبراهيم مياسي: نفس المرجع والصفحة.

[4]- أندري روجي فوازن: **سوف مونوغرافيا**، تر: أبو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، 2016، ص 91.

[5]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 244.

[6]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج02، 168.

[7]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص ص 284-285؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 137.

[8]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 330؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 138.

قسطيلية[1]، لكنه لم يذكر أسوف ولم يشر إليها، إما غفلة منه أو تعصبا لمذهبه بالرغم من حيوية هذا الطريق ونشاطه التجاري المعهود له على حدّ شهادة كتب السير الأباضية. ويواصل حديثه عن الطريق ويقطع الشك باليقين بأنه: "لا يعرف وراء قسطيلية عمران ولا حيوان...وإنما هي رمال وأرضون سواخة"[2].

وقد شهدت أسوف هجرة العديد من القبائل على غرار قبيلة زناتة الأباضية التي كانت تنتجع بلاد الزاب والأوراس، إثر الفوضى التي عمت المغرب الأوسط والضربات التي لحقت بها من طرف الفاطميين وخلفائهم الزيريين، ثم الحماديين، ثم قبائل بني هلال منتصف القرن الخامس الهجري.

وقد صرح علاوة عمارة في مقال له: "بأن التجمعات الأباضية لهذه الناحية واجهت عدة تهديدات، الأول كان من مغراوة التي أصبحت تحت توجيه قائدها زيري بن محصن معادية للإباضية بعد إجبارهم على التنازل على مذهبهم والهجومات المستمرة على جماعاتهم، والتهديد الثاني جاء من الحماديين الذي وجهوا حملات في هذه النواحي لفرض سلطتهم، بينما التهديد الثالث فقد تمثل في الهلاليين الذين قاموا بغزو القصور"[3].

إن الموقع الاستراتيجي الذي حظيت به أسوف والذي تمثل أرضها إحدى محطات المسلك الذي يربط بين إفريقية ببلاد السودان بالمرور بقسطيلية قد ساعدها على النهوض من جديد بشؤونها سواء في المجال التجاري وكذلك المجال الثقافي. (الخريطة رقم 10).

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص ص 253-258.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 226؛ إبراهيم بكير بحاز:**الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م-دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية**، جمعية التراث، القرارة، 1993، ط02، ص 153.

[3]- علاوة عمارة: "**بين الأوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الأباضية بالزاب (ق 2-3هـ/ق 8-9م)**"، تر: عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، العدد 09، 2015، ص 267.

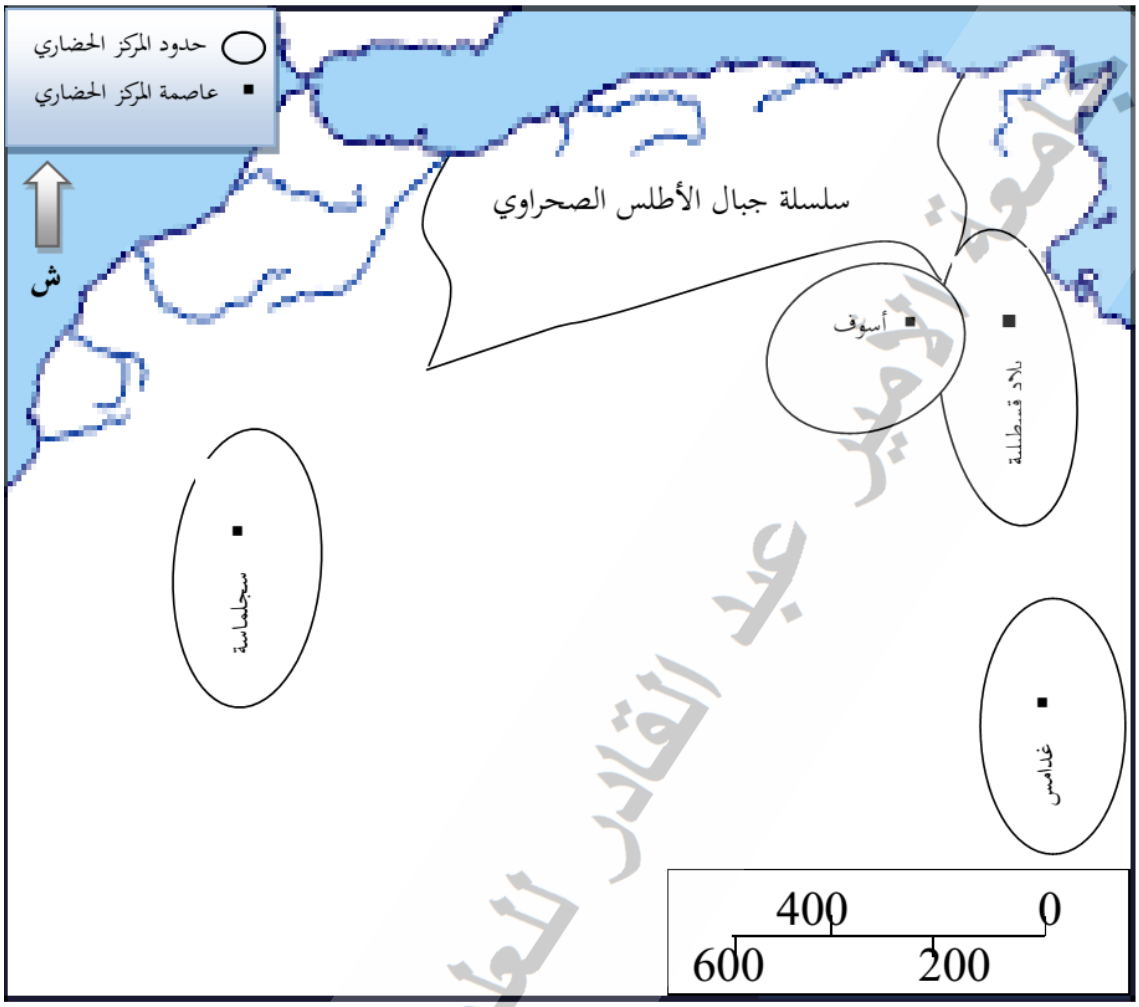


الخريطة رقم 10: توضح موقع المركز الحضاري لأسوف وحدودها

من إعداد الطالب

### 3- أريغ أو ريغ:

تقع أريغ في الشمال الشرقي للواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط، تبعد عن وارجلان بحوالي أربعة مراحل[1]، وعن أسوف بمرحلتين[2]. وهي إحدى محطات المسلك الذي تسلكه القوافل القادمة من شمال المغرب الأوسط، إما للتوجه نحو وارجلان ثم مواصلة المسير باتجاه بلاد السودان، أو الدخول إلى افريقية عبر بلاد الجريد مرورا بأسوف.

اختلفت المصادر في تسميتها، فياقوت الحموي في معجمه سماها بالزاب الصغير بقوله: "...والزاب

[1]- **المرحلة**: هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة. وهي 24 ميل وعند الحنفية والمالكية 44.52 كم، وعند الشافعية والحنابلة 89.94 كم. وقد ذكر الإدريسي أن المرحلة عنده 24 ميل أو 38.40 كم، لأن المسافات بين المدن معلومة. محمد قويسم: المرجع السابق، ص 56.

[2]- LEWICKI(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 76.

أيضا كورة صغيرة يقال لها ريغ، كلمة بربرية معناها السبخة، فمن كان منها يقال له الرّيغيّ"[1]، فيما نسبها ابن خلدون إلى بني ريغة إحدى بطون قبيلة مغراوة الأمازيغية بقوله: "هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة،...، وأما شعوبهم وبطونهم فكثير،...، وبني ورميغان والأغواط وبني ريغة وغيرهم ممن لم يحضرني أسماؤهم. وكانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط"[2].

ويضيف ابن خلدون بقوله أيضا: "وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعدّدة ولما افترق أمر زناتة تحيّز منهم إلى جبل عيّاض وما إليه من البسيط إلى نقاوس وأقاموا في قياطينهم، فمن كان بجبل عيّاض منهم أهل مغارم لأمراء عياض يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية، وأمّا من كان ببسيط نقاوس فهم في أقطاع العرب لهذا العهد. ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارکلا، فاختطوا قصورا كثيرة في عدوة واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد زفّ عليها الشجر ونضدت حفافيها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت ينابيعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهم أكثرها"[3].

وفي سؤاله عن تسمية ريغ من أحد أعيان المنطقة يصرح العدواني في تاريخه بالإجابة التالية: "ريغ اسم رجل يقال له باهوت بن شملخ بن كعب بن غاوية، من ولد أندلس بن يافث بن نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام"[4].

إنَّ الاختلاف الظاهر أمامنا، يعكس فكر واتجاه كل من ياقوت الحموي الجغرافي المهتم برسم البلدان جغرافيًّا، وعبد الرحمن بن خلدون المتخصص أساسا في تتبع القبائل البربرية وتوطنها في بلاد المغرب، لذا لا نستغرب هذا التباين في أصل المسمى. وقد جرت العادة بأن المسميات تأخذ اسم قبيلة اشتهرت بها، أو ظاهرة طبيعية تمتاز بها.

وأما تصريح العدواني عن نسبة المنطقة إلى رجل من ذرية يافث بن نوح، في اعتقادي أنه بعيد نوعا ما عن الحقبة التي نشتغل عنها، بالإضافة إلى ذلك كون الكتاب لا يخلو من الأساطير التي يرويها[5]، على حد قول المؤرخ أبي القاسم سعد الله.

وعن اتصال أريغ بالإسلام، فقد أَهَّلَهَا موقعها الاستراتيجي، الذي يعد امتداداً للطريق التجاري الروماني الذي يربط بلاد المغرب بالسودان، كما يربط المغرب الأوسط ببلاد الجريد[6]، وتشير مصادر

---

[1]- الحموي: المصدر السابق، ج03، ص 124.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 33؛ مُحَّد بن عميرة: المرجع السابق، ص 19.

[3]- ابن خلدون: المصدر نفسه، ج07، ص 64.

[4]- العدواني: المصدر السابق، ص 138.

[5]- العدواني: المصدر السابق، ص 13.

[6]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 140.

الفتوح[1] عن وصول عقبة بن نافع إلى بلاد الزاب -التي كما قلنا أن أريغ إحدى قراها-، وفتحها وانتشر الإسلام شيئا فشيئا حتى عم المنطقة بأكملها بواسطة الدعاة والتجار، ويؤكد عبد القادر موهوبي على أن الإسلام انتشر في ربوع الصحراء ووادي ريغ عن طريق الحج والتجارة، أضف عامل تيار الهجرة من الشمال إلى الجنوب[2].

ويقول علي يحي معمر بأن دخول الأباضية للمغرب الأوسط عموما: "يكون في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني، وأظهر الشخصيات التي ظهرت على مسرح الدعوة له ذلك الحين هو سلمة بن سعد"[3]. ويشير عبد الواحد الشماخي إلى أن: "عاصم السدراتي كان يمثل واحات أريغ وسوف وسدراتة ووارجلان، وقد ظهر نشاطه الدعوي ضمن هذا الإقليم، فكانت أريغ منزلا للإباضية منذ القرن 2هـ/8م"[4].

وبعد أن انخرطت أريغ في الإسلام على مذهب الأباضية، وجدت لنفسها مكانا في تجارة القوافل حيث اعتبرت كمحطة رئيسية للسالك من تاهرت إلى مدينة وارجلان نظرا لتوسطها المسافة بين المدينتين بالإضافة إلى أنها مركز من مراكز التجارة المرتبطة ببلاد السودان، ومرحلة من مراحلها الأساسية[5].

وتحل القوافل بها لأخذ قسط من الراحة، ويقوم التجار بدخول الأسواق وطرح مبيعاتهم وسلعهم لأهل المنطقة، وشراء ما هو مطلوب من منتجات وسلع في بلاد السودان، ويتزودون بالمؤونة اللازمة لغرض مواصلة المسير والدخول إلى الصحراء بالمرور بوارجلان. (الخريطة رقم 11)

---

[1]- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 42؛ ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، تح: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999، ج01، ص ص 262-264.

[2]-عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني: **ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 28.

[3]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج 02، ص 12.

[4]- الشماخي: المصدر السابق، ج01، ص 31؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 141.

[5]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 131.

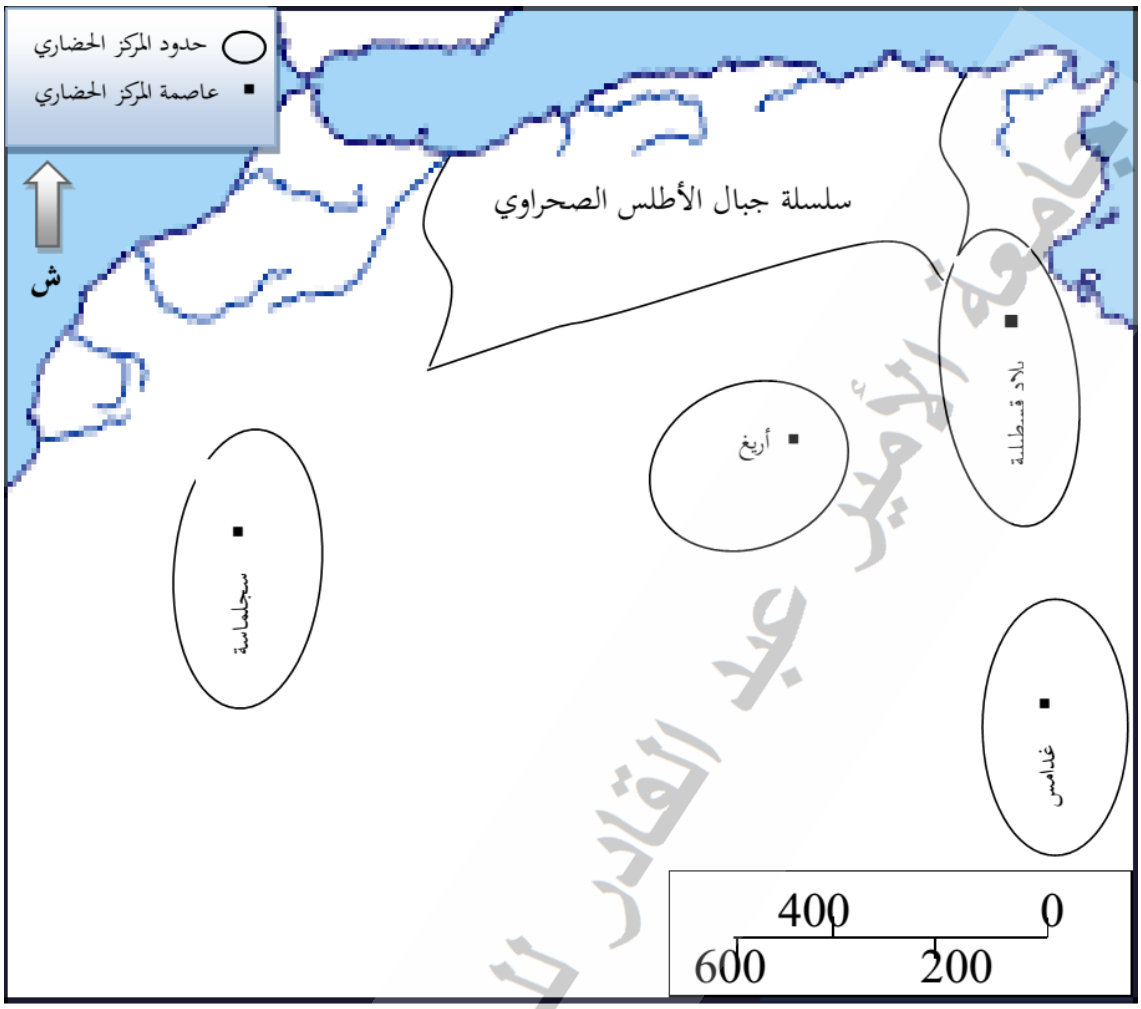


الخريطة رقم 11: توضح موقع المركز الحضاري لأريغ وحدودها

من إعداد الطالب

**4-وادي ميزاب:**

عُرِفَتْ المنطقة التي تقع ضمن ما يسمى ببلاد الشبكة[1]، ببادية بني مصعب، موقعها إلى الشمال الغربي من وارجلان، في عام 1934م ألقى الدكتور بيير روفو محاضرة أثناء انعقاد الدورة الحادية عشر لمؤتمر ما قبل التاريخ بفرنسا، بَيَّنَ فيها حصيلة أبحاثه وأثبت بأن المنطقة كانت عامرة منذ أقدم العصور، العصر الحجري الأول. وقد دلت على ذلك آثار ورسومات صخرية وجدت بالمنطقة[2].

[1]- **بلاد الشبكة**: يطلق هذا الاسم على هضبة صخرية كلسية تقع شمالي صحراء الجزائر، وتمتاز عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية، فهي صحراء ضمن صحراء. ويعود تسميتها بهذا الاسم لكونها تحتوي على أودية عديدة، لا يتجاوز عمقها مائة متر، تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب ورقلة. ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب-دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، المطبعة العربية، غرداية، 2014، ط03، ص 01.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 02؛ بكير بن سعيد أعوشت: **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية -دينيا، تاريخيا، اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية، 1991، ص 60؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 143.

وقد أشار مفدي زكرياء إلى عِمَارَة المنطقة بقوله: "كانت عبارة عن قرى ودساكر[1] سبقتها إلى الوجود بأزمان لا نعرف على وجه الدقة مداها"[2].

ونقرأ عند ابن خلدون بأن شعوب زناتة استوطنت بادية بني مصعب بقوله: "ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل قيطري في القبلة لما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب، وهذا الاسم للقوم الذين اختطّوها ونزلوها من شعوب بني يادين حسبما ذكرناهم الآن. وضعوها في أرض حرّة على أحكام وضراب ممتنعة في قننها. وبينها وبين الأرض المحجرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق، متوسطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ في ناحية القبلة، وسكانها لهذا العهد شعوب بني يادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"[3]. وحسب الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش فإن هجرة بني مصعب إلى بلاد الشبكة تمت خلال القرن الثاني من الهجرة[4].

انخرطت بادية بني مصعب في الإسلام مع انتهاء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري، ثم اعتنقت الاعتزال وتبنته عند انتشاره في بلاد المغرب، وقد أفصح علي يحي معمر عن رسالة للشيخ أبي اسحاق إبراهيم أطفيش جاء فيها: "وليس أهل هؤلاء القرى إبَاضِيَّة من أوَّل، بل كانوا معتزلة يسافرون إلى تاهرت لقتال الأباضية"[5].

تخبرنا المصادر الأباضية عن ارتياد أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي مع طلبته إلى بادية بني مصعب فترة الربيع، ويلتقي مع أهل مزاب فيحاورهم ويناظرهم، حتى اقتنع بعض شيوخهم بالمذهب الإباضي واعتنقوه[6]، في أوائل القرن الخامس[7].

ونقرأ عند صاحب كتاب تاريخ بني مزاب قوله: "وفي عام 420هـ/1029م، انعقد مؤتمر للنظر في مسائل تهم الوطن، منها قضية اللاَّجئين من فلول رعايا ابن رستم... وقد غص أريغ بسكانه، وبأولئك اللاَّجئين، فاقتضى رأي المؤتمر على انتداب العلامة أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر ليجول في صحراء جنوب المغرب الأوسط، عله يجد ما عسى أن يمكن التفسح فيه لأولئك اللاَّجئين وغيرهم من الأباضية بأريغ. خرج

---

[1]- **دساكر**: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي؛ قال الأخطل: في قباب عند دَسْكَرَة، حولها الزيتون قد ينع والجمع الدَّسَاكِرُ؛ قال الليث: يكون للملوك، وهو معرب. وفي حديث أبي سفيان وهرقل: أَنه أَذن لعظماء الروم في دَسْكَرَة له. ينظر: قاموس المعاني www.almaany.com بتاريخ 2018/08/14 في الساعة 20:08.

[2]- مفدي زكرياء: **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**، تحقيق: ابراهيم بحاز، منشورات ألفا، الجزائر، 2010، ط01، ص 71.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 80.

[4]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 06.

[5]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج02، ص 299؛ يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 10.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص ص 183-184؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 576.

[7]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج02، ص 306.

العلامة برفقة ابنه وغلامه فساحوا بنواحي الجنوب فوقع اختيارهم على وادي مزاب إلاّ أنّه معمور بكثير من المعتزلة"[1].

بعد مشاورات مع أهل الحلّ والعقد من العلماء في أريغ، اتفق الجميع على اختيار وادي ميزاب كموطن لهم، عقب تأسيس نظام العزابة-وكان ذلك عام 409هـ/1018-1019م- الذي كلّف به أبو عبد الله بن بكر الفرسطائي وتنفيذه قصد حماية المذهب الإباضي ومنعه من التشتت والإندثار[2]، وصرف الفائض من السكان في أريغ إلى وادي ميزاب. وبذلك أصبحت بادية بني مصعب تسمى بوادي ميزاب والتي احتضنت المذهب الإباضي وحافظت عليه إلى عهدنا هذا.

كان أهل وادي ميزاب يعيش أغلبهم على تربية المواشي، والتنقل بها عبر أرجاء الشبكة بحثا عن الماء والكلأ[3]. ويخبرنا علي يحي معمر عن ذلك بقوله: "وحافظوا على نظام حياتهم، كشعب يعتمد على تربية المواشي بالدرجة الأولى وعلى الزراعة الموسمية بالدرجة الثانية"[4].(الخريطة رقم 12)

[1]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 10.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 210.

[3]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 10.

[4]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج02، ص 317.

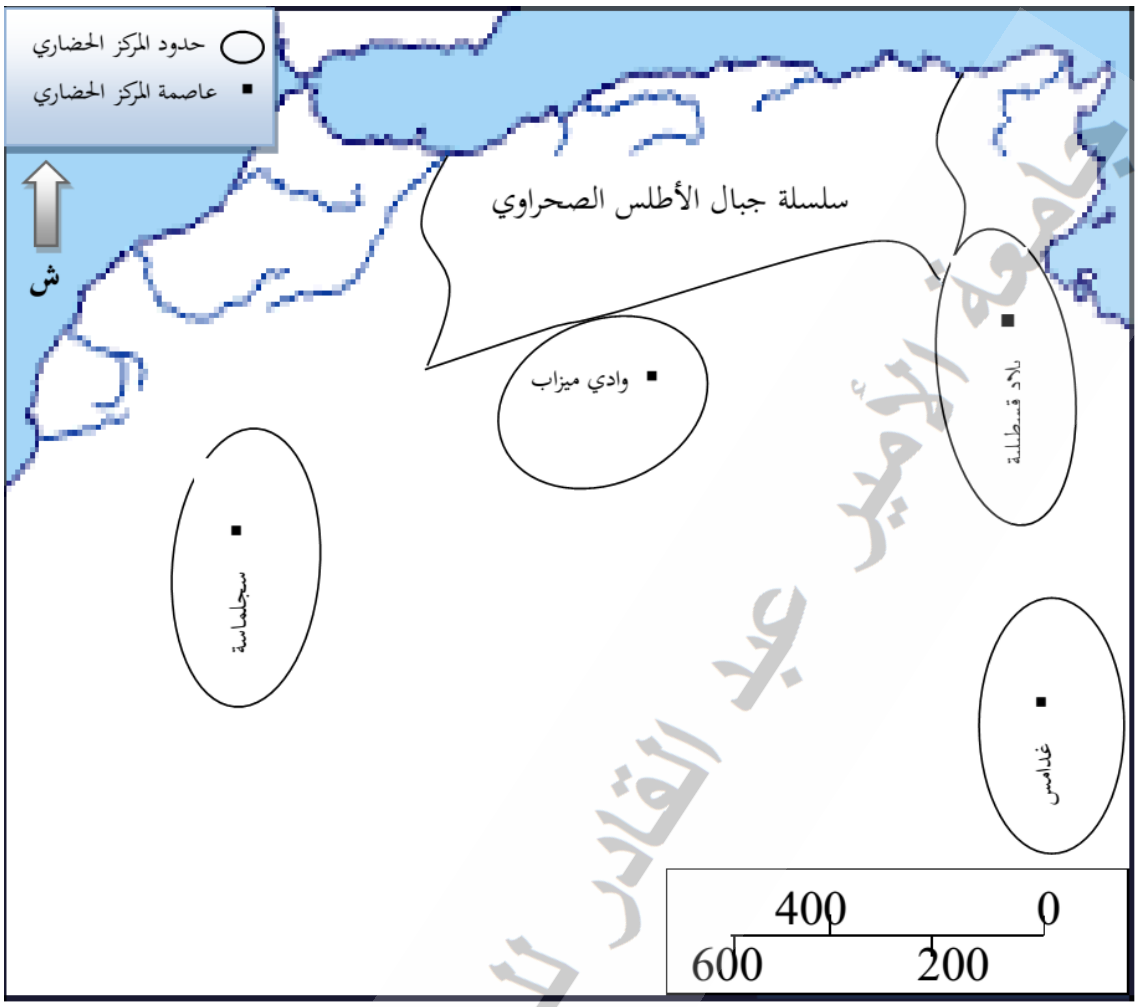


الخريطة رقم 12: توضح موقع المركز الحضاري لوادي ميزاب وحدودها

من إعداد الطالب

## 5- بلاد الزاب:

تقع بلاد الزاب في الناحية الشرقية للمغرب الأوسط، حيث عرف هذا المصطلح[1] عدة تغييرات لحدوده الجغرافية منذ الفترة الرومانية، والوندالية، والبيزنطية، مرورا بالفترة الإسلامية والدول التي تعاقبت على حكمه، وانتهاء بالقرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي الإطار الزماني لهذه الدراسة.

وقد أسهب فوزي مصمودي في مقال له بخصوص المدلول الجغرافي لبلاد الزاب كما أشرنا سلفا بأنه تتبعه تاريخيا منذ الاحتلال الروماني لبلاد المغرب إلى غاية عهدنا الراهن[2]، إضافة إلى ذلك فقد كتب

[1]- لقد تطرقت العديد من الدراسات والأبحاث إلى المصطلح اللغوي لكلمة الزاب نذكر منها مذكرة الماجستير للطالبة صورية مديازة الموسومة بـ"بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطمين إلى مصر 21-362هـ/642-972م"، وكذلك المقال لصاحبه فوزي مصمودي الموسوم بـ "الزاب ... المصطلح والدلالات" ضمن فعاليات الملتقى الوطني السابع (بسكرة عبر العصور) دولة بني مزني أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2008م.

[2]- للمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع إلى: فوزي مصمودي: **"الزاب...المصطلح والدلالات"**، المجلة الخلدونية، بسكرة، العدد 09،=

علاوة عمارة بخصوص تطور المجال الجغرافي لبلاد الزاب هذا نصه: "إن قراءة النصوص الجغرافية تسمح لنا بتحديد مقاطعة الزاب بين نواحي تبسة وغرب المسيلة مع جبل الأوراس، ومن الجنوب تحدد بالواحات الواقعة بعد بسكرة على الطريق المؤدية إلى أريغ وواد سوف"[1]. إن هذا التحديد يخص الفترة من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي إلى غاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي عرف المجال الجغرافي تطورا مهما أدى إلى انقسامه إلى قسمين أَقَرَّهُ ابن عذاري في مصنفه حيث قال: "بلاد الزاب الأعلى ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل"[2]، حيث شكّلت المسيلة وما جاورها الزاب الأعلى معلنة بذلك ظهور كيانا جغرافيا وبشريا منفصلا.

ويأتي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ليتقلص المجال الجغرافي لبلاد الزاب ويصبح يضم "ناحية السهوب المشغولة بواحات النخيل يعني بسكرة ونواحيها"[3]، وفي هذا الشأن صرح ابن خلدون بقوله: "هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحدّه من لدن قصر الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة[4] وبادس في المشرق، يفصل بينه وبين البسيط الّذي يسمّونه الحضنة جبل جاتم من المغرب إلى المشرق، ذو ثنايا تفضي إليه من تلك الحضنة، وهو جبل درن المتّصل من أقصى المغرب إلى قبلة برقة. ويعتمر بعض ذلك الجبل في محاذاة الزاب من غربيه بقايا عمرت من زناتة، ويتصل من شرقيه بجبل أوراس المطل على بسكرة المعترض في ذلك البسيط من القبلة إلى الجوف"[5].

وأضاف ابن خلدون تقسيما إداريا لمدن بلاد الزاب بقوله: "وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعدّدة متجاورة جمعا جمعا، يعرف كلّ واحد منها بالزاب. وأوّلها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس. وبسكرة أمّ هذه القرى كلها"[6].إن المجال الجغرافي لبلاد الزاب الذي خصنا به ابن خلدون هو المعني بالدراسة، وذلك لوقوعه ضمن حدود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط.

---

=جانفي 2011، ص ص 105-125.

[1]- علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 249.

[2]- ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومر: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ط03، ج01، ص 05.

[3]- علاوة عمارة: المرجع السابق، ص 249.

[4]- هولة: تنومة

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 586.

[6]- ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

وبخصوص انخراط بلاد الزاب في الإسلام فقد أجمعت المصادر والروايات التاريخية بأن المعركة التي دارت رحاها بين الكاهنة وحسان بن النعمان الغساني(ت86هـ/705م) عام 82هـ/701م، ومقتل الكاهنة على إثرها، هي بداية انتشار الإسلام في ربوعه، وفي هذا الشأن صرح الرقيق القيرواني ما نصه: "وانهزمت الكاهنة واتبعها حسان حتى قتلها،... وحسن إسلام البربر وطاعتهم، وانصرف حسان إلى مدينة القيروان،...، وكتب الخراج على عجم إفريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر والروم"[1].

وبالرغم من أن عقبة بن نافع الفهري(ت 63هـ/682م) قد مر ببلاد الزاب واستشهد بتهودة عام 63هـ/682م، إلا أن انتشار الإسلام لم يكن باديا للعيان بحسب المصادر الإخبارية.

وكغيرها من المناطق شهدت بلاد الزاب اعتناق أهلها للمذهب الأباضيمنذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ودليل ذلك ما أفادنا به ابن عذاري عن المعركة التي خاضها والي إفريقية عمرو بن حفص عام 151هـ/768م ضد الجماعات الأباضية والصفرية ببلاد الزاب بقوله: "وتوجهوا إلى الزاب ولبس مع عمرو بن حفص إلا خمسة عشر ألفا وخمسمائة. وكان أمراء المغرب في ذلك الوقت ورؤسائهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفا، وعبد الرحمن بن رستم الأباضيُّ في خمسة عشر ألفا وأبو حاتم في عدد كثير وعاصم السدراتي في عدد كثير"[2].

الجماعات الأباضية قد أجبرت على مغادرة بلاد الزاب لتعرضها لهجمات ممنهجة من قبل حكام إفريقية على عهد الأغالبة الذين يكنون العداء لها، الأمر الذي أفضى بالمذهب الأباضي إلى الاختفاء والتراجع إلى كل من أريغ وأسوف ووارجلان وحل محله المذهب المالكي الذي ساد المنطقة منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وأنجبت هذه الربوع علماء ونخبة ساهمت في إثراء الحركة الثقافية بها.(الخريطة رقم: 13)

[1]- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص ص 49-50.

[2]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج01، ص 75.

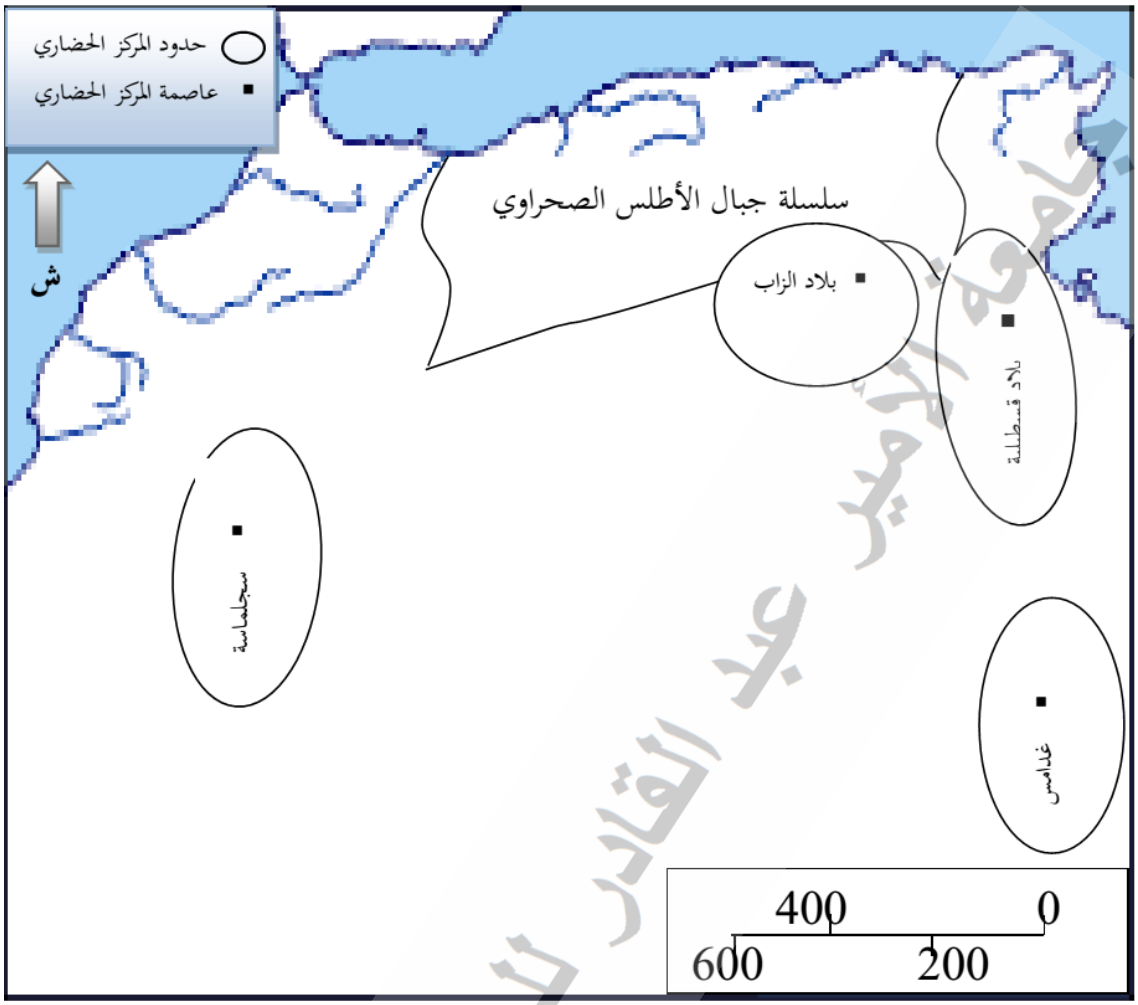


الخريطة رقم 13: توضح موقع المركز الحضاري لبلاد الزاب وحدودها

من إعداد الطالب

**6- توات:**

تقع توات[1] إلى الغرب من واجهة الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، وهي جزء من الصحراء الكبرى، موقعها بين هضبة تادميت شرقا وعرق الرمل[2]، اختلفت الروايات وتباينت في أصل التسمية، ففي مصنفه نقل الرواة عن من أبدع قصور توات لمحمد بن عمر البوداوي(ت ق13هـ/19م)، ما نصه:

---

[1]- نستخدم مصطلح "توات" بمفهومه الجغرافي، الذي يضم قورارة-توات العليا والسفلى-تيديكلت، وهو يشكل اليوم الجزء الأكبر من ولاية أدرار، وأدرار Adrar، اسم مذكر باللغة الأمازيغية، جمعه إدورار Idorar، وتعني المكان المرتفع أي الجبل. وسكان الصحراء الكبرى هم: الجيتول في الجهة الغربية، واللوبيون في الجهة الشرقية، والغرامنت في الجزء الجنوبي الشرقي، وإلى جنوب هذه التجمعات يسكن الأثيوبيون ومنهم جاء الحراطين. ينظر: محفوظ رموم: **"توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية"**، مجلة الحوار الفكري، جامعة أحمد دراية أدرار، العدد 12، 2016، ص 83.

[2]- عبد الله حمادي الإدريسي: **الإمام مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ج01، ص 165.

"بأن السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات، أنه لما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، وصل خيله المنطقة سنة 62هـ/682م، فسألهم عن هذه البلاد-يعني توات- هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، فأجابوه بأنها تواتي، فانطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لعلة التخفيف"[1].

فيما ذهب كتاب تاريخ السودان لصاحبه عبد الرحمن السعدي، الذي رسم محطات مسار قافلة الحج لملك مالي كنكن موسى، حيث ساق لنا رواية مفادها: "...ومشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات. فَتَخَلَّفَ هنالك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم. فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسمي الموضع باسم تلك العلة"[2].

ونقرأ في كتاب المترجم مارتان أربعة قرون - الذي كان ضمن الجيش الإفريقي الفرنسي خلال القرن التاسع عشر للميلاد- قوله: " أن المكان الخصب الصالح للزراعة والمأهول، يطلق عليه الإغريق اسم "وازيس" في شقه اللفظي الأول (وا- oa) يتناسب مع النطق البربري (وا)، الذي مفرده بالضبط (توات- TOUAT)، وكمثال على ذلك (تواتن عبو –Touat'nEbbou)، والتي مدلولها باللسان الزناتي البربري (واحة الماء)"[3].

وينقل لنا محمود فرج محمود عن مُحَمَّد بن مبارك قوله: "بأن كلمة (توات) أصلها أعجمية قد أطلقتها قبائل لمتونة عندما التجأت إلى الإقليم، في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي على المكان بعد أن وجدوا المكان يناسبهم (يواتيهم)"[4].

الرحالة الألماني رولف قيرهارد في مصنفه - زار بلاد توات في فصل الصيف عام 1281هـ/1864م- أفادنا بوجود تسميات تارقية صنهاجية لكثير من القصور والأشياء والتمور التواتية[5]، واستخلص: "بأن قبائل التوارق، أو بني عمومتهم من صنهاجة اللثام كانوا يوما ما أهل البلاد لوجود مثل هذه التسميات أو ما هي على وزنها المبتدئةبـ"تـــن" في بلادهم الحالية بصحرائهم الشاسعة المعروفة"[6].

وفي تحقيق لفهرست الرَصَّاع لأبي عبد الله مُحَمَّد الأنصاري(ت894هـ/1488م)، أبدى مُحَمَّد العنابي

---

[1]- أحمد أبي الصافي الجعفري: **الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية القرن 13هـ**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ط01، ج01، ص ص16-17.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 60-61.

[3]-MARTIN (A-G-P): **Quatre Siècles d'Histoire Marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au maroc de 1894 à1912 d'après archives et documentations indigènes**, librairie felixalcan, paris, 1923, p 01.

[4]- فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 26

[5]- عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ج01، ص 179.

[6]-Gerhardt(R): **Voyages et Exploration au Sahara**, Trad. Jacques Depetz, Editions Karthala, Paris, 2001, t 01, p 219.

وجهة نظره، حيث نسب توات إلى اسم قبيلة من قبائل البربر من صنهاجة اللثام[1]، وصرح قائلا: "والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف التوارق، ولمتة، ولمتونة، والتوات"[2].

إن رواية مُحَمَّد بن عمر البوداوي في اعتقادي مردود عليها، وذلك أن الفاتح عقبة بن نافع الفهري الذي وهب السابق في سبيل الله ونشر الإسلام حسب ما تخبرنا به المصادر، لا يمكن في أن يفكر في مكان لعصاة بلاد المغرب ويعطي له مسمى؛ وأما زعم السعدي أن أصل تسمية توات هو أعجمي سوداني حيث نسبه إلى مرض ناتج عن وجع الرجل من كثرة المشي، أصاب بعض أصحاب قافلة الحج الملكية التي مرت بالمنطقة خلال القرن الثامن الهجري، وفي اعتقادنا أن بلاد توات موجودة قبل رحلة الحج للملك منسى موسى بنحو مائة سنة وذاك في الوثيقة اليهودية المخطوطة القديمة التي يرجع تاريخها إلى سنة 632هـ/1235م[3].

وبالنسبة للعنابي فقد خالف علماء الأنساب وذلك لعدم وجود اسما لتوات ضمن القبائل البربرية بفرعيها البرنسية والبترية، ولم يشر ابن خلدون -المختص في دراسة القبائل البربرية- لأي بطن من بطون قبائل الملثمين من صنهاجة المسمى بالتوات؛ أما مُحَمَّد بن مبارك فقد أرجع أصل التسمية إلى القرن الثاني عشر للميلاد عند لجوء قبائل من لمتونة إلى هذا الإقليم فوجدوه يناسبهم أي يواتيهم، وفي نظرنا أن هذه الرواية ليست قريبة للصواب، نظرا لوجود هذه البلاد قبل هذا التاريخ .

وأما رواية المستشرقين الفرنسي مارتان والألماني قيرهارد، الأول نسبها إلى قبيلة زناتة وهو الأقرب إلى الصواب لأن مواطن زناتة حسب ابن خلدون كانت الواجهة الصحراوية ثم تحولت إلى الواحات لظروف حلت بالمنطقة جراء العنف الذي مُورِسَ ضدها من طرف صنهاجة البرنسية وقبائل بني هلال خلال منتصف القرن الخامس الهجري، وأما ما ذهب إليه الألماني قيرهارد فإن قبائل صنهاجة اللثام حسب المصادر الإخبارية مواطنها بين بلاد السودان من الجنوب والواحات من الشمال فلا يمكن لها أن تتخطى هذا المجال الذي رسمته لنفسها.

وعن اختطاط بلاد توات، فقد تباينت الكتابات والمصادر فابن خلدون أرجع ظهور وطن توات على يد عناصر زناتية سماها بني وماتو: "ومن بطون بني وماتوا هؤلاء بنو يامدس، وقد يزعم زاعمون أنهم من مغراوة ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الأقصى والأوسط وراء العرق المحيط بعمرانها المذكور قبل. واختطوا

---

[1]-عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ج01، ص 191.

[2]- أبو عبد الله مُحَمَّد الأنصاري: **فهرست الرصاع**، تح: مُحَمَّد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د.س.ن، ص 127،الهامش رقم 04.

[3]- عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ج01، ص ص 193-194.

في المواطن القصور والأطم، واتخذوا بها الجنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه، فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة، ويسمى وطن توات"[1].

فيما كتب مارتان: "أن أحد القصور أسس قبل مئة وخمس سنوات من الهجرة (517م)"[2]، وصَرَّحَ ستيفان قزال في كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم أنه: "في محطات العراء وحدها، لا في المأوى، ظهرت صناعة أخرى من نوع الحجري الجديد. وهي أحدث عهدا. أطلق عليها اسم الصناعة البربرية. وقد عثر عليها بأمكنة عديدة...واد زوسفانة، واد الساورة وتيديكلت"[3].

إن اللهجة الزناتية التي مازالت بلاد توات تتحدث بها إلى عهدنا هذا، وأسماء الأماكن والقصور التي تعود في أصلها إلى اللسان الأمازيغي الزناتي، يؤيد ما طرحه ابن خلدون حول نسبة قبيلة بني وماتو الزناتية إلى تخطيط بلاد توات وتمصيرها.

وأما ما ذهب إليه مارتان فأن الواجهة الصحراوية أو الشبه الصحراوية الممتدة من واد درعة إلى الصحراء الليبية، والتي من ضمنها بلاد توات، كانت منتجعا لعدد من القبائل، التي صنفتها النصوص الإغريقية واللاتينية ضمن شعوب الجيتول والكرامنت[4]، وهذه الشعوب في تقديرنا، ربما هي قبائل زناتة الأمازيغية التي تجمع غالبية المصادر أنها انتجعت الواجهة الصحراوية والشبه الصحراوية لصحراء بلاد المغرب.

وفيما يخص سيتفان قزال الذي أرجع نشأة بلاد توات إلى العهد النيوليتي وهو غير مستبعد حيث أشار نذير معروف أن: "هناك قصور أخرى بنيت في نفس التاريخ أو في وقت قريب منه كما تدل على ذلك بعض الاكتشافات الأركيولوجية[5].

قراءة في كتاب اليهود في الصحراء-توات في العصر الوسيط لجاكوب أوليال مفادها أن أول من استقطب توات من الأجناس هم اليهود منتصف القرن الأول قبل الميلاد[6]، ثم تتابعت الهجرات، ثم استوطنت قبائل زناتة الأمازيغية والعرب مع حملة عقبة بن نافع الفهري ومروره بالمنطقة وفتحها سنة 62هـ/682م[7].

---

[1]-ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 76.

[2]- MARTIN (A-G-P): Quatre Siècles d'Histoire, Op.cit, p 108.

[3]- اصطيفانأقزال: **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، تر: محمد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ج01، ص 174.

[4]-محمد أعفيف: المرجع السابق، ص 63.

[5] -Marouf(N): **Lecture de L'espace Oasien**, Edition Sindbad, Paris, 1980, p 257.

[6]-Oliel(J): **Les Juifs au Sahara- Le Touat au Moyen Age**, CNRS Editions, Paris, 1994, p. 161.

[7]-Saffroy(B):**Chronique du Touat (des repères pour une histoire)**, Centre de Documentation Saharienne Ghardaia, Algérie, 1995, p 04.

وخلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي شهدت توات هجرة العديد من القبائل البربرية والعربية القادمة من الشمال بسبب الاضطرابات السياسية، لتصبح مركز مهما من مراكز التجارة الصحراوية خاصة بعد سقوط مملكة غانا وقيام مملكة مالي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وتراجع الطريق التجاري الغربي الذي يربط بين مراكش والسودان الغربي ليحل محله طريق توات تمبكتو، كما أصبح طريق الحج الرئيسي عند سكان الجزء الغربي والأوسط من السودان الغربي يمر عبر توات، وهو ما زاد في مكانة الإقليم وعمارته[1].

وعن دخول الإسلام للمنطقة فيشير مُحَمَّد بن عمر البوداوي(ت ق13هـ/19م): أنه فتح من قبل عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، وصل خيله المنطقة-بلاد توات- سنة 62هـ/682م[2]، فيما رجَّح مُحَمَّد أعفيف أن يكون في عهد الولاة الأمويين الذين تعاقبوا على حكم إفريقية والمغرب[3]، وأما مارتان صَرَّحَ أنه وجد: "في تمنطيط، عند أولاد ميمون، مسجداً في محرابه يحمل تاريخ 106هـ/725م"[4] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وصول الإسلام إلى تلك الربوع في أواخر القرن الأول للهجرة أو بداية القرن الثاني.

انخرطت توات في المذهب الخارجي الصفري بعد تشكل سجلماسة سنة 144هـ/760م وإعلان دولة بني مدرار الزناتيين واتخاذها عاصمة لهم، حيث امتد النفوذ الخارجي وسطوة بني مدرار إلى الواحات في عهد المنتصر بن اليسع (أواسط القرن التاسع الميلادي)[5].

لم تكن بلاد توات بمنأى عن الأحداث المحيطة بها، بمجيئ الفاطميين واستيلائهم على سجلماسة عاصمة الإقليم الذي تدين له خلال القرن الرابع الهجري وبروز الصراع الفاطمي الأموي على المسالك التجارية، أو استدعاء أهلها للمرابطين ووصول عبد الله بن ياسين لسجلماسة سنة 447هـ/1054م وأقام بها وأصلح شأنها[6].

ارتبطت أغلبية المدن الصحراوية للمغرب الأوسط ونشاطها الاقتصادي بتجارة القوافل والمسالك العابرة للصحراء بين شماله (المغرب الأوسط) وبلاد السودان، على غرار وارجلان، أريغ، أسوف، وبلاد الزاب، وتوات. هذه الأخيرة لم تصبح متداولة في المصادر التاريخية والجغرافية، إلا في نهاية القرن الرابع عشر

---

[1]- مبارك جعفري: **"الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12هـ/18م"**، مجلة الواحات للدراسات والأبحاث، غرداية، العدد 15، 2011، ص 400.

[2]- أحمد أبي الصافي الجعفري: المرجع السابق، ج01، ص ص 16-17.

-Saffroy(B): Op.cit, p 04.

[3]- مُحَمَّد أعفيف: المرجع السابق، ص 67.

[4]- Martin(A-G-P): Quatre Siècles d'Histoire, Op.cit, p 108.

[5]- مُحَمَّد أعفيف: المرجع السابق، ص 67.

-Saffroy(B):Op.cit, p 04.

[6]- الناصري: المرجع السابق، ج02، ص 13.

الميلادي(الثامن الهجري)[1]، بالرغم من إفاضتهم في وصف سجلماسة والقوافل العابرة للصحراء باتجاه بلاد السودان.

لماذا صمتت المصادر عن ذكرها؟ هل أن هذه البلاد لم تكن موجودة أصلا؟ وقد حاولنا الإجابة بِأَنْ كان لها حضور نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، أم أن هناك أمر آخر حجب الرؤيا عن أصحاب المصادر الجغرافية والتاريخية ولم يشر إليها؟

لقد أجاب مُحَمَّد أعفيف على هذا الإشكال بقوله: "فمن المعلوم أن الجغرافيين العرب اتبعوا في رحلاتهم (أو سردهم) الطرق التي تسلكها القوافل التجارية وقوافل الحجاج، وانصب اهتمامهم بالدرجة الأولى على المراكز التجارية والمحطات التي تتوقف فيها تلك القوافل ولعل هذا ما يفضي بنا إلى استنتاج آخر، أن مرد السكوت هو عدم وقوع واحات توات على واحد من المسالك الكبرى التي كانت تربط المغرب (عامة) بالسودان"[2].

أدى ظهور المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إلى تقلدها دورا استراتيجيا في ربط العلاقات بين شمال بلاد المغرب وبلاد السودان، حيث كانت تمثل همزة وصل سواء في المجال التجاري أو الثقافي. (الخريطة رقم 14)

[1]- مُحَمَّد أعفيف: المرجع السابق، ص 57.

-Oliel(J): Op.cit, p. 24.

[2]- مُحَمَّد أعفيف: المرجع السابق، ص 57.

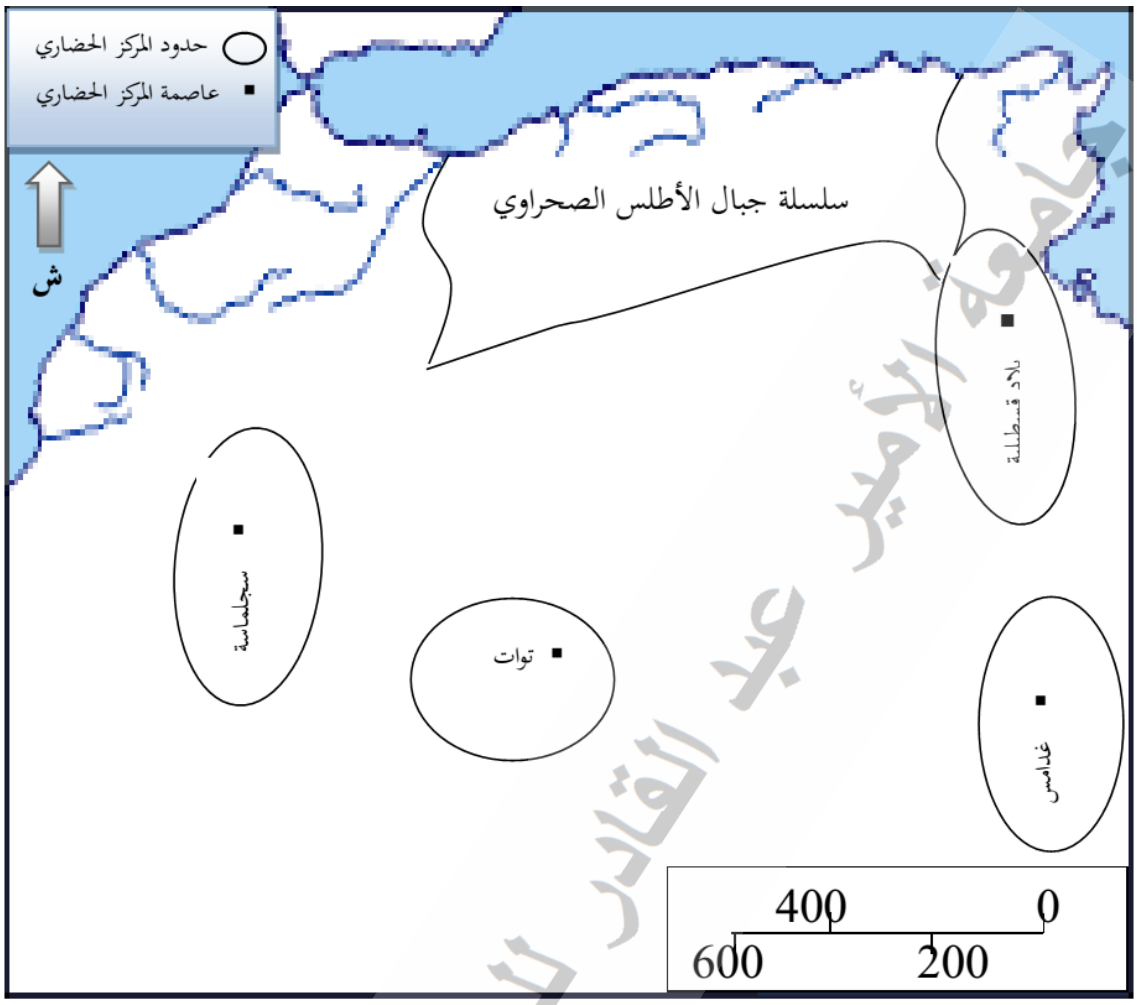


الخريطة رقم 14: توضح موقع المركز الحضاري لتوات وحدودها

من إعداد الطالب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المطلب الثاني: نشأة المراكز الحضارية ببلاد السودان وتطورها

حظي بلاد السودان بنشأة العديد من المراكز الحضارية التي ارتبطت بعلاقات وطيدة مع المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، ونذكر من بينها مملكة غانة، ومملكة مالي، ومملكة السنغاي، ومملكة الكانم بورنو. وفيما يلي نشرع في إلقاء الضوء عن نشأة هذه المراكز وتطورها.

### أ- السودان الغربي:

#### 01-مملكة غانة(...-469هـ/300م-1076م):

تعد غانة[1] من أقدم الممالك التي نشأت بالسودان الغربي، ومن أكبر مدنه في تلك الحقبة التي نحن بصدد دراستها، حدد القلقشندي موقعها بقوله: "وهي غربيّ إقليم صوصو[2]،... تجاور البحر المحيط الغربي"[3]. وفي إشارة له بخصوص أقدمية مملكة غانة ومملكة سنغاي صَرَّحَ عبد الله سيسي ما نصه: "وإذا كان البعض يرى أقدمية إمبراطورية سنغاي عليها من ناحية الوجود التاريخي الصرف، حيث يؤكدون وجودها(مملكة سنغاي) قبل الميلاد وأنها أقدم مملكة ظهرت في السودان الغربي على الإطلاق، فإن الذي لا نزاع فيه أن غانة قد أفلحت في الخروج من إسار المملكة الصغيرة الضيقة إلى آفاق الإمبراطورية القوية الواسعة قبل سنغاي"[4].

---

[1]- **غانة:** مدينة من مدن السودان النيجيرى (السودان الغربي) في العصور الوسطى، وقد تلاشت الآن من الوجود، وكان موقعها يماثل موقع مدينة كمبي صالح الحالية (15,40 شمالا و8 غربا) إلى الشمال من باماكو بحوالي 200 ميل/ 330 كيلو متر وإلى غريب الشمال الغربي من نارا Nara بحوالي 95 كم/ 60 ميل، وإلى جنوب الجنوب الشرقي من تمبدراTimbedra بحوالي 70 كم / 44 ميلا وتتبع كمبي صالح قسم عيون العتروس وهو أحد الأقسام الفرعية التابعة لتمبدرا في جمهورية موريتانيا الإسلامية. ينظر: هوتسما وآخرون: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، 1998، ط01، ج24، ص 7558.

[2]- **الصوصو**: يطلق اسم مملكة الصوصو(السوسو)Kingdom of So So، وقد يكتب الاسم: Su Su، على إحدى الممالك الإفريقية التي قامت في بلاد السودان الغربي،... فهي ليست من الممالك الكبرى التي نالت شهرة واسعة كغيرها من الممالك السودانية الأخرى التي تأسست في منطقة غرب إفريقيا،... وتذكر الروايات المحلية أنه في سنة 469هـ/1076م، وحتى سنة 576هـ/1180م كان شعب الصوصو تحت حكم أسرة ملكية تعتنق الإسلام، وهذه الأسرة كانت من أصول سوننكية معروفة، وكان اسم هذه العشيرة: (دياري-سو). وخلال حكم أحد سلاطينهم، وكان يدعى: "بنا-بوبو" في حوالي الفترة من (494-514هـ/1100-1120م)، ظهرت جماعات من الفولاني في تلك المنطقة، وكان بعض الأفراد من أمراء تلك الأسرة التي كانت تحكم هذه البلاد اتخذوا الزوجات من عشيرة محلية تعرف باسم "صو" (سو)، وعلى هذا عرف أحفادهم باسم "الصوصو"، ثم اشتهرت هذه البلاد بعد ذلك بذات الاسم. ينظر: اسماعيل حامد اسماعيل علي: **تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط**، تق: حسين سيد عبد الله مراد وكرم الصاوي باز، د.د.ن، القاهرة، 2020، ص ص 86-87.

[3]- القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تح: مُحَمَّد حسنين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج05، ص 273.

[4]- عبد الله سيسي: **حركات الاصلاح والتجديد في غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2018، ط01، ص 140.

وقد شهدت مملكة غانة عبر تاريخها تطورات مهمة ومحطات مرت بها منذ نشأتها وحتى سقوطها على يد الصوصو عام 599هـ/1203م،يجب على الدارس الوقوف عندها. وفيما يلي نتطرق إلى هاته المحطات التاريخية التي عرفتها مملكة غانة.

إن أول مملكة ظهرت بالسودان الغربي، كان تأسيسها على يد أمراء يقال إنهم من الجنس الأبيض، حيث أَقَرَّ كل من السعدي ومحمود كعت بذلك، فنقرأ عند السعدي ما نصه: "وهم بيضان في الأصل"[1]، وأما محمود كعت صرح بقوله: "وقد اختلف أي قبيلة هم كانوا منها...وقيل من الصَّنْهَاجة، وهم أقرب عندي...والأصح أنهم ليسوا من السوادين"[2].

وقد ذهب حماه الله ولد السالم بأن "السلالة الملكية الأولى والتي حكمت غانة وأسستها وهي من شعب الجرمنت"[3]. إن سبب نزوحهم نحو بلاد السودان الغربي تعرضها لمضايقات ومطاردات من قبل الرومان الذين سيطروا على الشمال الإفريقي خلال القرن الأول قبل الميلاد واحتلوا أراضيه.

لم تفصح المصادر عن تاريخ معلوم بخصوص نشأتها، حيث تباينت وجهات النظر واختلفت فيما بينها فإبراهيم علي طرخان رجح بأن: "أول حكومة قامت في غانة، حكومة من البيض، يقال أنها ترجع إلى حوالي القرن الأول الميلادي"[4]، فيما خالفه موريس دولافوس وذكر بأن تأسيسها كان عام ثلاثمائة للميلاد بقوله: "ولذلك في حوالي العام 300، الذي يناسب تأسيس إمبراطورية غانة"[5].

ونقرأ عند محمود كعت في تاريخه ما نصه: "أن كيمع من الملوك الأوائل، وقد مضى منهم عشرون ملكا قبل ظهور رسول الله ﷺ"[6]، وأما السعدي فقد أشار بأن: "سلطنتهم كانت قبل البعثة فتملك حينئذ اثنان وعشرون ملكا، وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكا"[7].

إن النصوص التي قمنا بطرحها تبدو جليا بأنها لم تتفق فيما بينها بخصوص تاريخ نشأة مملكة غانة، وبقت وجهات النظر يشوبها الغموض والحيرة لدينا لأنها لم تشر إلى بداية هذه المملكة التي أصولها من العناصر البيضاء.

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 81.

[2]- محمود كعت: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، تح: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، 2014، ط01، ص 136.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 81، الهامش رقم 02.

[4]- إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970، ص 21.

[5]-Delafosse(M): **Haut-Sénégal-Niger, Le pays, les peuples, Les langues, l'histoire, les Civilisations**, Emile larose libraire éditeur, Paris, 1912, t 02, p 22.

[6]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 135.

[7]- السعدي: المصدر السابق، ص 81.

انقرضت هذه المملكة على يد السوننك بشهادة القاضي محمود كعت الذي أدلى بتصريحه بقوله: "ثم أفنى الله ملكهم وسلَّط أَرْذَالهم على كبرائهم من قومهم واستأصلوهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم، حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الأجنة ويقتلوهم"[1]، وأضاف بأن: "انقراض دولتهم في القرن الأول من الهجرة النبوية"[2].وتشير موسوعة موجز دائرة المعارف الإسلامية بأن: "حوالي 174هـ/790م طرد الملك الزنجي كايا ماغان سِسى أول ملك زنجي لغانة العناصر البيضاء"[3]، ويعد هذا التاريخ بداية لأول مملكة سودانية زنجية بالسودان الغربي أصولها من قبيلة سوننكية.

وقد دخلت غانة مرحلة جديدة في تاريخها بعد طرد العناصر البيضاء من قبل الملك الزنجي السوننكي كايا ماغان سسي، التي تعتبر أول مملكة زنجية ظهرت بالسودان الغربي من قبل أمراء من قبيلة سركلّه السوننكية الزنجية السودانية. كان موطن هاته القبيلة في كومبى جنوب الجنوب الغربي من ولاتة في إقليم يعرف باسم وَغَدو أو بغانة، وقد اتخذوا عدة ألقاب منها لونكا، وكيمغا، وغانة[4].

وأول من أشار إليها اليعقوبي في تاريخه صرح قائلا: "ثم مملكة غانة، وملكها أيضا عظيم الشأن، وفي بلاده معادن الذهب، وتحت يده عدة ملوك، فمنهم مملكة: عام، ومملكة: سامة، وفي هذه البلاد كلها الذهب"[5]، ويأتي ابن الفقيه الذي أدلى بشهادته ما نصها: "وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل، كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس، وطعامهم الذرة واللوبياء، ويسمّون الذرة الدخن، ولباسهم جلود النمور وهي هناك كثيرة"[6].

ونقرأ عند ابن حوقل في صورته بأن ملك "غانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدّخرة من التبر المثار على قديم الأيّام للمتقدّمين من ملوكهم وله"[7]، وأما البكري فقد ذكر غانة وسير أهلها بقوله: "وغانة سمة لملوكهم، واسم البلد أوكار واسم ملكهم اليوم- وهي سنة ستّين وأربعمائة- تنكامنين، وولي سنة خمس وخمسين. وكان اسم ملكهم قبله بسي، ووليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة، وكان محمود السيرة محبّا للعدل مؤثّرا للمسلمين"[8].

---

[1]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 136.

[2]- محمود كعت: المصدر نفسه، ص 135.

[3]-هوتسما وآخرون: المرجع السابق، ج24، ص 7558.

[4]-تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: **تاريخ المسلمين في إفريقية**، إصدارات دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2014، ط01، ص 251.

[5]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 75.

[6]- ابن الفقيه الهمذاني: **البلدان**، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996، ط01، ص 138.

[7]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101.

[8]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 360.

وقد أشار عبد الرحمن بن خلدون ما نصه: "ولما فتحت إفريقية المغرب دخل التجّار بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانة، كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب، وكانوا أعظم أمّة ولهم أضخم ملك، وحاضرة ملكهم غانة مدينتان على حافتي النيل من أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمرا"[1].

وفي أثناء حكم السوننك لغانة شهدت هذه المملكة أقصى اتساع لها حيث سيطرت على الكثير من الممالك المجاورة، ويذكر اليعقوبي خلال القرن الثالث الهجري/الثامن الميلادي بأن ملك غانة "تحت يده عدة ملوك"[2]. وقد سجل المسعودي في أخبار الزمان ممتلكات مملكة غانة ما نصه: "ومملكة غانة وملكها عظيم الشأن، ويتصل ببلاد معادن الذهب وبها منهم أمم عظيمة...وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك"[3]. ويشير إبراهيم علي طرخان بأن مملكة غانة السوننكية قد سيطرت على ما يبدو على الكثيرمن المناطق والأقاليم المجاورة لها، بحيث إنها كانت صاحبة السيادة والنفوذ في جميع المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط الأطلسي[4].

إن ملوك غانة من السوننك قد عملوا على توسيع ممتلكات المملكة فضموا مدينة أودغست العام 380هـ/990م وانتزعوها من الحاكم اللمتوني وعينوا لها حاكما منهم، وفي هذا الصدد أشار البكري إلى ذلك ما نصه: "وهي كانت منزل ملك السودان المسمّى بغانة"[5]، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أودغست تحت نفوذهم إلى أن غزاها المرابطون بقيادة عبد الله بن ياسين منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[6].وخلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي شهد بلاد السودان الغربي بداية ظهور دعوة عبد الله بن ياسين (ت451هـ/1059م)[7] في رباط بجزيرة في مجرى نهر السنغال الأعلى[8]، حيث

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 266.

[2]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 75.

[3]- المسعودي: **أخبار الزمان ومن أبداه الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص ص 88-89.

[4]- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة االإسلامية، المرجع السابق، ص 30.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 355.

[6]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

[7]-**عبد الله بن ياسين:** هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن علي، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه ينتسب إلى قبيلة جزولة الضاربة في أقصى المغرب قرب جبال درن. وذكر البكري أن عبد الله بن ياسين ولد في قرية تيماما ناوت في طرف صحراء مدينة غانة. أي في أحواز مدينة أودغست،...أما عن تحصيل عبد الله بن ياسين للعلم، فيبدو أنه رحل من مسقط رأسه في فجر شبابه إلى بلاد الأندلس في دولة ملوك الطوائف أي بعد عام أربعمائة هجرية، فأقام بها سبعة أعوام، وحصل فيها على علوم كثيرة، ثم رجع إلى المغرب الأقصى، حيث التقى بالفقيه وجاج بن زللو في رباطه الذي بناه للعبادة، والدراسة، وقراءة القرآن...كان عبد الله بن ياسين من الفقهاء النابهين، والمتأثرين بمبادئ فقهاء المالكية مثل البعد عن السلطان، والزهد والتقشف، والإيواء إلى الربط تقربا من الله. ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص ص 62-64.

[8]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 252.

عرفت دعوته إقبالا كبيرا بين أهله، وفي الوقت الذي توجه فيه الأمير يوسف بن تاشفين (ت500هـ/1106م) للسيطرة على المغرب الأقصى، تولى ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني (ت480هـ/1088م) بفتح غانة وكان له ذلك عام 469هـ/1076م[1].

أفادنا البكري بأن الملك الغاني تنكامنين تولى عرش المملكة عام 455هـ/1063م وكان حيا عام 460هـ/1068م بقوله: "واسم ملكهم اليوم- وهي سنة ستّين وأربعمائة- تنكامنين، وولي سنة خمس وخمسين"[2]،وأضاف أيضا بأنه: "كان محمود السيرة محبّا للعدل مؤثّرا للمسلمين"[3]، ويشير إبراهيم علي طرخان بأن: "منذ فتح المرابطين لعاصمة غانة، ازداد الداخلين في الإسلام كما أسلم ملوكها"[4].وبإسلام ملكها سمح الأمير أبو بكر بن عمر للملك الغاني تنكامنين أن يستمر في حكمه تابعا للمرابطين[5].

ويمكننا القول بأن منذ العام 469هـ/1068م، أصبحت مملكة غانة إسلامية، وبداية لعهد جديد بشهادة الزهري (ت532هـ/1137م) الذي صرح ما نصه: "وأهل هذه البلاد[غانة] كانوا يتمسكون فيما سلف بالكفر إلى عام ستة وتسعين وأربعمائة (496)[6]وذلك عند خروج يحي بن أبي بكر أمير مسوفة. وأسلموا في مدة لمتونة، وحسن إسلامهم. وهم اليوم مسلمون وعندهم العلماء والفقهاء والقراء وسادوا في ذلك... وأنفقوا أموالا كثيرة في الجهاد"[7].

إن نهاية مملكة غانة سياسيا من بلاد السودان كان في مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي لعدة عوامل لخصها الهادي مبروك الدالي ما نصه: "أولها عامل طبيعي بدأ قبل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، تمثل في الجفاف التدريجي الذي حل بالبلاد الواقعة شمال حوض السنغال مما حمل الناس على الهجرة، ويتمثل العامل الثاني جهاد المرابطين بمنطقة السودان الغربي، قرب نهاية القرن الحادي عشر الميلادي. وإن كان جهاد المرابطين لم يؤدي إلى اختفائها"[8].

---

[1]- ابن السماك العاملي: المصدر السابق، ص 17.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 369.

[3]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

[4]- إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، المرجع السابق، ص 47.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 114.

[6]- يبدو أن هناك خطأ وقع أثناء كتابة هذا المخطوط حيث أن المحقق محمد حاج صادق وجد في النسختين ب، ج اللتين اعتمد عليهما تاريخ 469هـ هو دخول المرابطين إلى غانة لذلك نرجح هذا التاريخ وليس العام 496.

[7]- الزهري: المصدر السابق، ص 125.

[8]- الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 42.

وقد جاءت نهاية مملكة غانة على يد قبائل الصوصو الوثنيين المجاورين لهم من الشرق في العام 600هـ/1203م[1]، أفادنا ابن خلدون ما نصه: "ثم اضمحلّ مُلك أصحاب غانية وتغلّب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان واستعبدوهم وأصاروهم في جملتهم"[2]، ليأتي ماري جاطة -الذي لقب بسندياتا ومعناه الأمير الأسد[3]-ملك مالي ليضمها إلى ممتلكات مملكته بعد القضاء على الصوصو وإنهاء وجودهم بها ودخول العاصمة كومبي العام 638هـ/1240م وخرب ما بقي من عاصمتها[4].(الخريطة رقم 15)

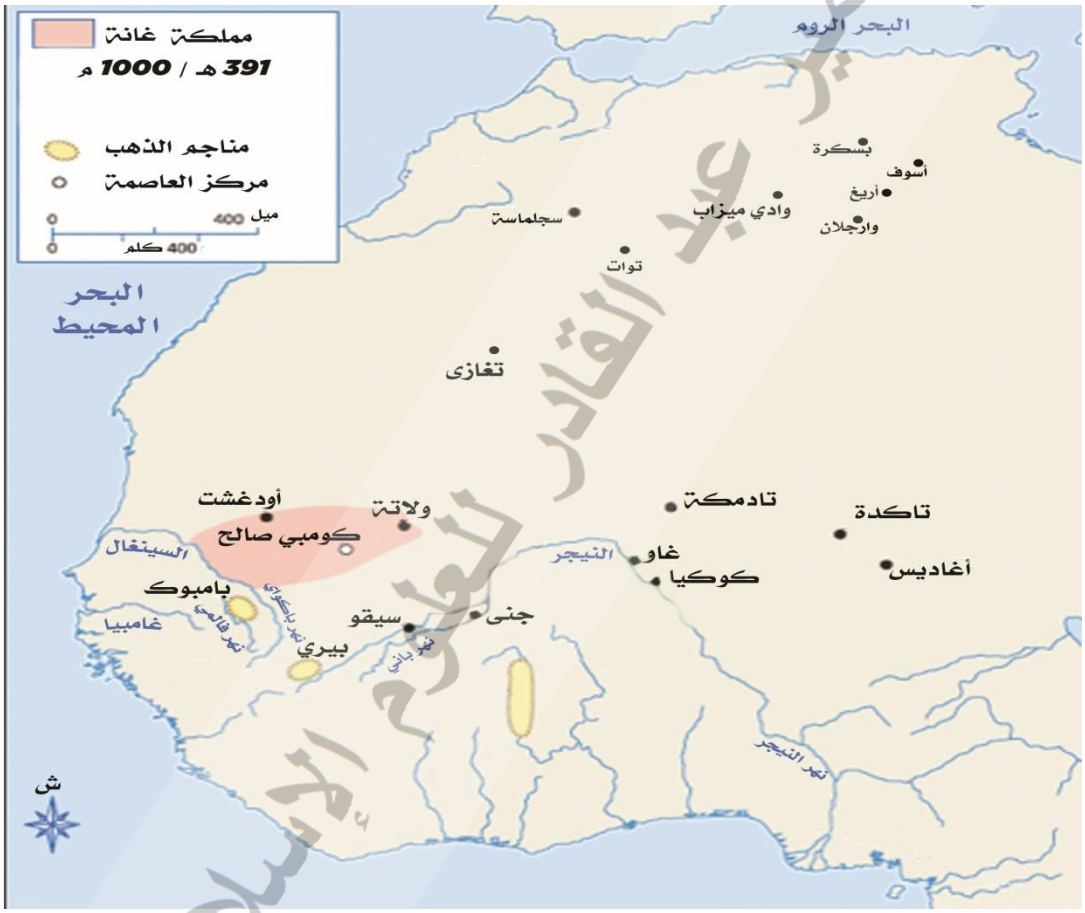


الخريطة رقم 15: موقع المركز الحضاري لمملكة غانة وحدودها.

المصدر: David C. Conrad: **Empires of Medival West Africa – Ghana, Mali, and Songhay**, Chelsea House, New York, 2009, p24 (بتصرف)

[1]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 258.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 06، ص 266.

[3]- ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

[4]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 67.

## 02-مملكة مالي الإسلامية(599-874هـ/1203-1469م):

تعد مملكة مالي الإسلامية من أقوى وأكبر الدول التي قامت على أرض بلاد السودان خلال القرون السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين. اختلفت المصادر في رسمها فاليعقوبي في تاريخه أول من أشار إلى هذه المملكة بقوله: "وأما السودان الذين غربوا فسلكوا نحو المغرب، فإنهم قطعوا البلاد... فصارت لهم عدة ممالك... منها مملكة يقال لها ملل"[1]، فيما حافظ البكري على نفس الرسم الذي أفادنا به اليعقوبي بقوله: "بلد اسمه ملل"[2].

ونقرأ عند السعدي في تاريخه الذي على ما يبدو قد حذف اللام وأضاف الياء فأطلق عليها ملي ما نصه: "وأما ملي فإقليم كبير واسع جدا..."[3]، وأما صاحب تاريخ الفتاش فقد حذف اللام لتصبح "مل"([4]، لتأخذ خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي رسما آخر بإضافة الألف بين الميم واللام لتصبح "مالي"[5].

أفادنا موريس دولافوس بأن ملك مالي سانديانا كيتا قام في عام 638هـ/1240م بتدمير عاصمة غانة التي وجدها مخَّربة بالكامل حيث قال: "وفي سنة 1240م استولى سانجاتا كيتا على غانة التي كانت مخرّبة تماما"[6]، وهو ما أثبته محمود كعت بقوله بأن: "سَلْطَنة مَلِّ مَا اسْتَقَامَت إلاَّ بَعْدَ انْقِرَاضِ دَوْلَةِ كَيَمَعَ[7] سلطان المغرب كله"[8].

قراءة في كتاب "السود في إفريقيا" لموريس دولافوس مفادها أنَّ: تأسيس مملكة مالي يرجع إلى القرن السابع الميلادي[9]، أين كان يتواجد مقر إقامة عائلة كيتا التي تنتمي إلى قبيلة الماندينغ، والتي مارست الحكم بداية من القرن 1هـ/7م في قرية كانجابا[10]. تقع هذه القرية "على الضفة اليسرى من النيجر الأعلى وتقريبا في منتصف الطريق بين سجيوري وباماكو"[11].

---

[1]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج01، ص 238.

[2]-البكري: المصدر السابق، ج02، ص 366.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 80.

[4]-محمود كعت: المصدر السابق، ص 126.

[5]- ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010،ط01، ج03، ص 35؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 695؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 285.

[6]- هوتسما وآخرون: المرجع السابق، ج24، ص 7560.

[7]- كيمع: (بكاف فياء وميم وعين مفتوحات)، معناه في لغة وعكري ملك الذهب، كي: الذهب، ومع: الملك. ينظر: محمود كعت: المصدر السابق، ص 134.

[8]- محمود كعت: نفس المصدر والصفحة.

[9]- Delafosse(M): **Les noires de l'Afrique**, payot, paris, 1941, p 55.

[10]- نبيلة حسن محمّد: **في تاريخ إفريقية الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007، ص 205.

[11]- Delafosse(M): Les noires de l'Afrique, Op.cit, p 55.

وقد كانت خاضعة لسلطان مملكة غانة، وما إن أفلت هذه الأخيرة حتى ظهرت مملكة مالي وضمت أغلب ممالك السودان الغربي، وهو ما نفهمه من القاضي محمود كعت في مصنفه تاريخ الفتاش الذي صرح بأن: "سَلْطَنة مَلِّ مَا اسْتَقَامَت إِلاَّ بَعْدَ انْقِرَاضِ دَوْلَةِ كَيَمَعَ سُلْطَان المغرب كله بلا استثناء مكان ما منه وسلطان مل من عبيده وخدمه ووزرائه"[1].

قامت مملكة مالي على ما يبدو على الضفة المجاورة لنهر السنغال من قبل قبائل الماندنجو[2]، وتعاقب على كرسي الملك ثماني أسر هي كورما وديارا ومركو وكامارا وباكايوكو والتروورين والكوناتيين[3] وأخيرا أسرة كيتا ولا تمدنا المصادر بمعلومات عن هذه الأسر باستثناء أسرة كيتا التي يعود لها الفضل في قيادة مملكة مالي وتأسيسها لدولة مترامية الأطراف وشملت أغلب مدن السودان الغربي.

ويعتبر سندياتا (ماري جاطة) كما سماه ابن خلدون هو من وسع حدود مملكته إلى مسافات بعيدة في الصحراء وأنشأ عاصمة سمها نيابي أي بمعنى المدينة الآمنة على النيجر والتي عرفت باسم مالي أو ملي أو مل[4]، وأصبحت مملكة مالي تتربع ما بين المحيط الأطلسي من الغرب إلى نهر النيجر من الشرق ومن غابات السافانا من الجنوب إلى الصحراء الكبرى من الشمال[5]. وقد أشار القلقشندي إلى حدودها بقوله: "وحدها من الغرب البحر المحيط وفي الشرق بلاد البرنو وفي الشمال جبال البربر وفي الجنوب الهمج"[6].

العمري في مسالك الأبصار أَقَرَّ بأن مملكة مالي من أعظم ممالك السودان هذا نصه: "اعلم أنّ هذه المملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط، قاعدة الملك بها مدينة بيتي... وأوسعهم بلادا"[7]. وقد أشار محمود كعت إلى سعة هذه المملكة، وعظمة سلطانها، حيث أفصح قائلا: "وأما مِلّ[يعني مالي] فإقليم واسع، وأرض كبيرة عظيمة، مشتملة على المدن والقرى، ويد سلطان مِلّ مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة، وكنا نسمع من عوام عصرنا يقولون: سلاطين الدنيا أربعة، ما خلا السلطان الأعظم سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان بُرْنُ، وسلطان ملّ"[8].

---

[1]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 134.

[2]- إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، المرجع السابق، ص 25.

[3]- **الكوناتيين**: نسبة إلى القبيلة العربية المعروفة بقبيلة كنتة، ظهرت في شمال منطقة كيري واتخذت مدينة (طابو) أو تابو عاصمة لها. ينظر: الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها بالمغرب وليبيا من القرن 13-15م، المرجع السابق، ص 26.

[4]- الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها بالمغرب وليبيا من القرن 13-15م، المرجع نفسه، ص 25.

[5]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص 261.

[6]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 282.

[7]- العمري: المصدر السابق، ج04، ص 49.

[8]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 126.

اشتملت مملكة مالي الإسلامية على العديد من الأقاليم، كل إقليم منها يمثل مملكة بذاتها فالعمري في مسالكه أَقَرَّ بوجود أربعة عشر إقليما هذا نصه: "والذي تشتمل عليه هذه المملكة[مالي] من الأقاليم: غانة، وزافون، وترنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانبقوا، وزرنطابنا، وبيترا، ودوموراوزاغا، وكابرا، وبراغوري، وكوكو،- وسكان كوكو قبائل يرتان- وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة بيتي"[1].

وقد أفادنا محمود كعت بأن مملكة مالي تشتمل على نحو أربعمائة مدينة وتتمتع برفاهية أهلها بسبب توافر معدن الذهب في أرضها بقوله: "قيل أن ملّ تشتمل على نحو أربعمائة مدينة، وأرضها كثيرة الخير، ليس في مملكة سلاطين الدنيا غير الشام أحسن منها، وأهلها ذوو ثروة ورفاهة عيش، وحسبك بمعدن الذهب في أرضه"[2].

عرفت مملكة مالي سلاطين أقوياء حافظوا على ممتلكات المملكة وهيبتها منهم المنسى موسى(712-738هـ/1312-1337م)، الذي يعد من أبرز سلاطين ملوك مالي من أسرة كيتا، وصفه ابن خلدون ما نصه: "كان رجلا صالحا وملكا عظيما"[3]. وقد أفادنا العمري عن أعماله ما نصه: "فتح بسيفه وجنده أربعة وعشرون مدينة... وبنى المساجد وأقام فيها صلاة الجمعة"[4]، وقد أدى فريضة الحج التي أظهر من خلال القافلة المصاحبة له ثراء المملكة من الذهب الذي تمتلكه.

تعرضت مملكة مالي إلى عدة هجمات بعد وفاته ودخلت المملكة في مرحلة الضعف والوهن جراء الصراع على السلطة والظلم والجور، وكان أول هجوم من قبل قبائل الموشي الوثنية التي دخلت تمبكتو وخربتها بشهادة السعدي الذي أفادنا ما نصه: "خربت تمبكتو ثلاث مرات الأولى على يد سلطان موش..."[5].

وبالرغم من تولي منسى سليمان سدة الحكم (742-762هـ/1341-1360م) المعروف عليه بقوته العسكرية فلم يستطع استرجاع جاو من يد حكام سنغاي[6]، الذين أصبحت كقوة لا يستهان بها، فجدد حكامها هجماتهم على مملكة مالي إلى أن سقطت بيدهم وأصبحت إقليما تابعا لهم. وقد أشار

---

[1]- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 49؛ امتد حكم الإمبراطورية التي شكلها شعب الماندينغو المعروف بهذا الاسم على جمهورية مالي الحالية وعلى السنغال الشرقي وشمالي غينيا وشمال كل من بوركينا (فولتا العليا) والبنين (الداهومي سابقا) والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا. ينظر إلى: عبد القادر زبادية: **الحضارة الإسلامية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 16.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 128.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 267.

[4]- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 118.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 76-77.

[6]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 72.

السعدي إلى ذلك ما نصه: "فمن يومئذ دخل فيهم الضعف والوهن إلى دولة أمير المؤمنين الأسكيا الحاج مُحَمَّد. فواصلهم هو وأولاده بعده بالغزو التي لم يبق فيهم من يرفع رأسه"[1]. (الخريطة رقم 16).

الخريطة رقم 16: موقع المركز الحضاري لمملكة مالي وحدودها.

المصدر: David C. Conrad: Op.cit, p57 (بتصرف)

[1]-السعدي: المصدر السابق، ص 83.

### 03-مملكة سُنْغاي الإسلامية:

كباقي ممالك بلاد السودان الغربي، تأسست مملكة سنغاي منذ حوالي العام 300م[1]، كانت معاصرة لمملكتي غانة ومالي، هذه المملكة التي قدر لها فيما بعد أن تمارس السلطة وتبسط سيطرتها على جزء كبير من بلاد السودان الغربي. إن منطقة دندي[2] التي تقع في أسفل النيجر والتي كانت موطنا لقبيلة سودانية نشطة منذ القدم، هي قبيلة سنغاي، قد نجحت أشار عبد الله سيسي في " أن توصل نواة مملكة صغيرة في النيجر الأوسط على طول مجرى النهر متخذة من مدينة كوكيا عاصمة لها"[3].

أفادنا الحسن الوزان بأن الأسرة التي حكمت مملكة سنغاي من أصل ليبي ما نصه: "فحكمهم عند إسلامهم أكبر أمراء ليبيا ودام الحكم في عقبه إلى عهد أسكيا"[4]، فيما روى محمود كعت وأَقَرَّ بأن أصولهم عربية إذ سجل ذلكما نصه: "أن أصل ملوك السنغي هو امرأتان من أسباط جابر بن عبد الله الأنصاري[5]خرجتا من المدينة يوما... فوجداه في كاع. فوجدوا أن أهل كاع ليس لهم سلطان إلا الحوت الكبير...تقتل به هذا الحوت فتكون ملكا على هؤلاء القوم، فعمل له دم وقتله. وكان عليهم ملكا مهيبا مطاعا"[6].

وأما موريس دولافوس فقد أدلى بدلوه ما نصه:"ويعتقد أن البربر، الذين قد يكونوا مسيحيين، كانوا قد اعترفوا بهم كقادة من قبل عدد قليل من الصيادين المقيمين في جونجيا أو كوكيا، في جزيرة بنتيا أو أمام هذه الجزيرة، على بعد 150 كم من أسفل النهر من غاو. وظلت سلالتهم، المعروفة باسم ديا أو زا، في السلطة من 690م إلى 1335م"[7].

وقد عرف اسم المملكة عدة صيغ ومسمَّيات كانت في معظمها متقاربة، فالسعدي في مصنفه عَنْوَنَ الباب الأول بقوله: "ذكر ملوك سغي"[8]، ليضيف لها القاضي محمود كعت حرف النون وهو يخبرنا عن الأسكيا الحاج مُحَمَّد بقوله: "لما تولى السلطنة أقام طريقة سُنْغُيْ"[9]. وفي معرض كلامه عن تاريخ قيامها

---

[1]-تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 299.

[2]- **منطقة دندي**: الواقعة اليوم بين شمالي بنين وغربي نيجيريا.

[3]- عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص 151.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 02، ص 165.

[5]- محمود كعت: المصدر السابق، ص ص 116-117.

[6]- ينظر ترجمته: ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: علي مُحَمَّد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ط01، ج01، ص 492.

[7]- Delafosse(M): Les noires de l'Afrique, Op.cit, p 53.

[8]- السعدي: المصدر السابق، ص 25.

[9]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 91.

كتب عبد القادر زبادية ما نصه: "نظرة على دولة سُنْغاي"[1]، ويأتي موريس دولافوس ليعوض الألف بواوا لتصبح "سُنْغوي"[2]، فيما ذهب باري وكريرية بكتابة حرف الصاد بدلا من حرف السين لتصبح "صنغاي"[3].

تحدث السعدي في تاريخه بأن: "أول من تملك فيها من الملوك زا الأيمن، ثم زا زكي،...، هؤلاء أربعة عشر ملوكا ماتوا جميعا في جاهلية،... والذي أسلم منهم زا كسي... وذلك في سنة أربعمئة من هجرة النبي ﷺ"[4]. ونقرأ عند مادهو بانيكار في مصنفه الوثنية والإسلام بأن الملك الرابع عشر في سلسلة حكام سنغاي زاكسي الذي اعتنق الإسلام، تولى الحكم عام391هـ/1000م، قام بنقل العاصمة من كوكيا إلى غاو[5].

إن مملكة سنغاي خضعت لمملكة مالي في أخر عهد أسرة الأزواء، حيث ضمها السلطان منسى موسى إلى ممتلكات المملكة حيث أشار السعدي إلى ذلك بقوله: "سلطان كنكن موسى هو أول من ملك سنغي من سلاطين ملي"[6]، ولضمان ولائهم له وخوفا من ثورات السنغاي أخذ ولدي ملك السنغاي أزياسي وهما علي كولن وسليمان نار.

وبوفاة منسى موسى العام 738هـ/1337م، وهروب ولدي ملك السنغاي الرهينتين علي وسليمان من قبضة سلطان مالي بدأت مملكة سنغاي تشق طريقها نحو التحرر وتمكن علي كولن من إعادة أسرة الأزواء إلى حكم سنغاي واتخذت لقبا جديدا هم سن أو شي[7]. وقد أصبحت مملكة سنغاي كقوة كبيرة تسيطر على بلاد السودان الغربي في عصر الملوك الملقبين بـ سُنِّ في الفترة الممتدة (735-898هـ/1335-1493م)[8]، حيث يرجع الفضل إلى ملكها سن العاشر المسمى (مادغ)[9] الذي خاض عدة حروب ضد مملكة مالي، وفي هذا الصدد صرح محمود كعت ما نصه: "وهو الذي تغلب

---

[1]- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 20.

[2]-هوتسما وآخرون: المرجع السابق، ج07، ص 2149.

[3]- محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم كريرية: المرجع السابق، ص 109.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص ص35-36.

[5]- ك.مادهو بانيكار: **الوثنية والإسلام-تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا**، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998، ص 122.

[6]- السعدي: المصدر السابق، ص 54.

[7]- السعدي: المصدر نفسه، ص53.

[8]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 304.

[9]-**مادغ**: أوردها محمود كعت في تاريخ الفتاش برسمين مختلفين هما: مادعو ومادغ. ينظر: محمود كعت: المصدر السابق، ص 154،137؛ فيما أوردها السعدي في تاريخه برسم مغاير لكعت محمد داعوا. ينظر: السعدي: المصدر السابق، ص 218.

على ملكي...وأخذ منهم أربعا وعشرين قبيلة"[1].

أصبحت مملكة سنغاي بعد ذلك التوسع والسيطرة على القبائل قوة مرهوبة الجانب خاصة بعد تقلُّد سن علي[2] الحكم عام 869هـ/1464م والذي يعد المؤسس الحقيقي لإمبراطورية سنغاي[3]. دامت فترة حكمه 28 عاما حتى العام 898هـ/1492م،استغلها في توسيع حدود مملكته لتتحول من دولة صغيرة إلى إمبراطورية كبيرة وكان هو أول إمبراطورا لها[4]. (الخريطة رقم 17)

الخريطة رقم 17: موقع المركز الحضاري لمملكة سنغاي وحدودها.

المصدر: David C. Conrad: Op.cit, p 70 (بتصرف)

[1]-محمود كعت: المصدر السابق، ص 154.

[2]- ينظر ترجمته السعدي: المصدر السابق، ص ص 208-218؛ محمود كعت: المصدر السابق، ص ص 137-158.

[3]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 305.

[4]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 77.

**ب- السودان الأوسط:**

اتفقت أغلب المصادر على أن هناك مملكة عظمى واحدة بالسودان الأوسط أطلق عليها مملكة الكانم كانت تسيطر على معظم أراضيه، هاته المصادر التي يعود لها الفضل بإفادتنا وإماطة اللثام عن تاريخ بلاد السودان الأوسط، وهي في الآتي: معجم البلدان لياقوت الحموي، أَقَرَّ هذا الأخير بوجود مملكة كانم دون ذكر غيرها من الممالك في قوله: "كانم: بكسر النون: من بلاد البربر بأقصى المغرب في بلاد السودان"[1].

وفي بسط الأرض في الطول والعرض لإبن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م) وَصْفٌ لمملكة الكانم ولسلطانها وأفصح قائلا: "وفي شرقي مدينة بدى من الكانم المسلمين مدينة جاجة،...حيث دار صناعة سلطان الكانم وكثيرا ما يغزو من هنالك في أسطوله بلاد الكفار...وفي شرقيها وجنوبيها قاعدة الكانم جيمي"[2]. ويأتي مسالك الأبصار وممالك الأمصار لابن فضل العمري الذي عَنْوَنَ الفصل الأول من الباب التاسع من مصنفهما نصه: "الفصل الأول في الكانم"[3].

أورد الحسن الوزان في مصنفه المسمى وصف إفريقيا مملكة البرنو عوضا عن مملكة الكانم بقوله: "بورنو ومملكته"[4]. فيما خالف القلقشندي نظراءه السالفي الذكر وصرَّح أن هناك مملكتين سماهما: "المملكة الثالثة بلاد البرنو"[5]، و"المملكة الرابعة بلاد الكانم"[6].

من خلال هذه القراءة في المصادر الإخبارية التي بين أيدينا اتضح لنا أن المملكة الأولى التي نشأت بالسودان الأوسط هي مملكة الكانم، التي سيطرت على ما يبدو على أغلب بلاد السودان الأوسط. وفي عصر القلقشندي خلال القرن الثامن الهجري، أين أشار إلى وجود مملكتين.

وعلى ما يبدو أن المنطقة شهدت صراعا سياسيا أدى إلى انقسام المملكة، لتبرز لنا مملكتين هما الكانم والبرنو، ثم تتوحد خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي مكونة بذلك إمبراطورية الكانم برنو. وفي هذا الصدد يشير حسن أحمد محمود إلى أنه: "جدَّت ظروف أدت إلى انتقال السلطان إلى فرع آخر من هذه السلالة، ثم انتقال مركز النفوذ من شرق البحيرة حيث بلاد كانم، إلى غربها حيث بلاد

---

[1]- الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 432.

[2]-ابن سعيد المغربي: **بسط الأرض في الطول والعرض**، تح: خوان قرنيط خينيس، مطبعة كرماس، تطوان المغرب، 1958، ص ص 27-28.

[3]-العمري: المصدر السابق، ج04، ص 95.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 175.

[5]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 268.

[6]- القلقشندي: المصدر نفسه، ج05، ص 269.

برنو"[1]. إضافة إلى ذلك فإن السلالة التي كانت تحكم مملكة الكانم المسماة بالأسرة السيفية اضطرت إلى الهرب إلى البرنو الخاضعة أساسا إلى سلطانها، إثر غزو قبائل البولالا[2] لها في عهد السلطان عمر بن إدريس(789-793هـ/1837-1391م) وإعادة تأسيس الدولة في البرنو غرب بحيرة تشاد[3].

وفيما يلي نتطرق إلى ظهور مملكة الكانم في بلاد السودان الأوسط، ثم نأتي على نشأة مملكة البرنو وظروف قيامها.

**1-مملكة الكانم:**

حدد ياقوت الحموي في معجمه موقع كانم بأنها "من بلاد البربر بأقصى المغرب في بلاد السودان"[4]،فيما أشار المهلبي إلى حدودها الشرقية بقوله: "ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حدّ المشرق منها مملكة النوبة التي بأعلى صعيد مصر"[5]،يأتي ابن سعيد المغربي ليعلن عن حدودها الغربية في قوله: "وعلى شرقيها كوري، الذين تنسب البحيرة إليهم"[6]. وعن حدودها الشمالية يثبتها البكري في مصنفه بقوله: "وبين زويلة وبلد كانم أربعون مرحلة، وهم وراء صحراء بلاد زويلة"[7].

من خلال ما أوردناه نفهم أن مملكة كانم تقع ضمن حدود بلاد السودان الأوسط يحدها من الشمال صحراء بلاد زويلة، ومن الغرب بحيرة كوري، ومن الشرق مملكة النوبة، وأما الحدود الجنوبية الغابات.

وبخصوص تاريخ نشأتها وقيامها فغير معروف لعدم إفصاح المصادر عن ذلك، إلا أنها تعد من أوائل ممالك السودان نشأة، بشهادة اليعقوبي الذي صرح قائلا: "وأما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب فإنهم قطعوا البلاد، فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم: الزغاوة، وهم النازلون بالموضع الذي يقال له: كانم"[8].

---

[1]- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 200.

[2]- **البولالا**: خلص عبد الفتاح مقلد الغنيمي إلى أن قبائل البولالا ترجع أصولهم العرقية إلى بربر الطوارق سواء كانوا من الزغاوة أم من الماغومين غير أن ذلك لا يمنع من بروز الأثر العربي والدماء العربية في منطقة بحيرة تشاد وحول بحيرة فترى الصغيرة وما جاورها من أقاليم...وهناك أقوالا تؤكد أن البولالا هم نتاج تزاوج بين ثلاثة أجناس هم الأثيوبيين والزنوج والعرب وصورهم أبعد أن تكون عن أشكال الزنوج. ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا سلطنة البولالا**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ط01، ص ص 22-23.

[3]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 359.

[4]- الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 432.

[5]- المهلبي: **المسالك والممالك**، تح: تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ط01، ص 54.

[6]- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، المصدر السابق، ص 94.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 183.

[8]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 238.

أول من حكم هذه المملكة هم الأسرة السيفية نسبة إلى سيف بن ذي يزن قبيل البعثة النبوية في نهاية القرن السادس الميلادي[1]. وقد رجَّح مادهو بانيكار بأن "المملكة التي تحكمها أسرة سيفي قد قامت بعد غانة أو غاو"[2]. ويأتي كل من فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريرية بوجهة نظر مخالفة لما طرحناه هذا نصها: "وحتى القرن التاسع الميلادي لم تكن مملكة كانم قد ظهرت للوجود وإنما كان شعب "ساو" يعيش في هذه المنطقة في حياة شبه قبلية"[3].

سيطر هذا الشعب على طرق القوافل التجارية لدى استقراره في تلك المنطقة، وكان له احتكاك وتعاملات مع التجار العابرين للصحراء الكبرى والقادمين من وادي النيل والمغرب الأدنى إلى السودان الغربي. ويبدو أن شعب "ساو" هو قبيلة الزغاوة البربرية التي أشارت إليها المصادر، أو مجموعة أخرى استأصلت هذا الشعب وحلت مكانه[4].

وقد عرفت مملكة كانم عبر تاريخها عدة مراحل نوردها فيما يلي:

**1-مرحلة المايات[5] الأوائل الوثنيين:**

بدأت هذه المرحلة مع نهاية القرن السادس الميلادي، أين برزت الأسرة السيفية باقليم كانم وجلست على كرسي الحكم معلنة بذلك سيطرتها على مملكة كانم. وفي هذه المرحلة كان السلاطين لا يدينون بالدين الإسلامي بالرغم من اتصالهم ببلاد المغرب ومصر ووجود جالية مسلمة بها. ونقرأ عند البكري ما نصه: "وهم سودان مشركون. ويزعمون أنّ هنالك قوم من بني أميّة صاروا إليها عند محنتهم بالعبّاسيّين، وهم على زيّ العرب وأحوالها"[6].

ويعد الماي الحادي عشر آخر ماي اسمه جبيل، أو سالما أو عبد الجليل، وهو غير مسلم التي تنتهي فترة حكمه عام 472هـ/1080م[7]، وبالتالي نهاية هذه المرحلة من عمر مملكة الكانم.

**2- مرحلة المايات في ظلِّ الإسلام(483-793هـ/1090-1391م):**

مع بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، انخرطت كانم في الإسلام، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ هاته المملكة باعتناق سلاطينها الدين الإسلامي، كان ذلك زمن الماي الثاني عشر أوم بن جبيل، أوهيوم بن عبد الجليل عام 483هـ/1090م، وينتهي في عهد عمر بن إدريس(789-

---

[1]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 365.

[2]- ك.مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 178.

[3]- مُحَمَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريرية: المرجع السابق، ص ص 130-131.

[4]- مُحَمَّد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريرية: المرجع نفسه، ص 131-132.

[5]-**المايات**: جمع ماي ويقصد به السلطان بلغة أهل السودان.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 183.

[7]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 365.

793هـ/1387-1391م)[1]. صرح العمري في مصنفه بأن: "وأول من نشر الإسلام فيها الهادي العثماني"[2]، وهو ما أكده البكري بأن: "قوما من بني أميّة صاروا إليها عند محنتهم بالعبّاسيّين، وهم على زيّ العرب وأحوالها"[3].

أصبحت مملكة الكانم بعد انخراط سلاطينها في الإسلام دولة ذات أهمية كبيرة وضخمة، حيث شهدت في هذه المرحلة بسط السيطرة على أغلب بلاد السودان الأوسط، وارتبطت بعلاقات تجارية وسياسية مع الحفصيين بالمغرب الأدنى[4]، وبعلاقات ثقافية وتجارية مع كل من مصر وطرابلس أيضا.

إضافة إلى ذلك عرفت هذه المرحلة ثورة قبيلة البولالا على الأسرة الحاكمة، كان من نتاجها الإطاحة بها واستلائها على العاصمة جمي ، فاضطر الماي عمر بن إدريس إلى الانسحاب إلى غرب بحيرة تشاد وأسس خلفاؤه مملكة البرنو، وانتقلت الأسرة السيفية على إثر هذا الحادث من كانم إلى برنو[5].

**3- مرحلة حكم قبيلة البولالا لمملكة الكانم(793-912هـ/1391-1506م):**

في هذه المرحلة عرفت مملكة الكانم سلطة حكم جديدة بقيادة قبيلة البولالا. استغلت السلطة الحاكمة الجديدة الموقع الجغرافي المناسب للتجارة، وسيطرت على طرق القوافل التجارية المتجهة شمالا عن طريق كوار وفزان إلى البحر الأبيض المتوسط وشرقا إلى النيل[6].وأصبحت كقوة اقتصادية وسياسية وعسكرية لا يستهان بها. وارتبطت مع جيرانها بعلاقات تجارية كبيرة خاصة مع مملكة مالي وبقية ممالك وبلدان السودان الغربي.

وفي عام 912هـ/1506م، استطاع الماي إدريس بن علي الملقب بكاتا كرمابي سلطان البرنو دخول العاصمة جيمي في كانم بعد إزاحة قبيلة البولالا وانتصاره على أميرها دونما بن عبد الجليل[7]، وشملت بذلك البرنو إلى مملكة الكانم.

**2-مملكة البرنو:**

استطاعت قبائل البولالا أن تطرد الأسرة الحاكمة السيفية من العاصمة جيمي بمملكة الكانم إلى أرض البرنو التي تقع غرب بحيرة كوري. صرح العمري في مصنفه الموسوم بالتعريف بالمصطلح الشريف ما نصه بأن: "صاحب البرنو وبلاده تحد بلاد ملك التكرور في الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلاد

---

[1]-تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 365.

[2]- العمري: المصدر السابق، ج04، ص 97.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 183.

[4]- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريرية: المرجع السابق، ص 132.

[5]- تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 365.

[6]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص 66.

[7]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع نفسه، ص 49.

صاحب أفريقيا، ومن الجنوب الهمج"[1]، ويضيف في مصنفه مسالك الأبصار بأن: "هذه البلاد بين إفريقيّة وبرقة ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط"[2].ويعتبر تاريخ انتقال الأسرة السيفية بقيادة الماي عمر بن إدريس (789-793هـ/1387-1391م) إلى برنو وهروبها من بطش قبيلة البولالا، بداية تأسيس مملكة البرنو وعاصمتها كاغا، أو كاجا التي أشار إليها القلقشندي وأفادنا بقوله: "وقاعدتهم مدينة (كَاكَا) بكافين بعد كلّ منهما ألف فيما ذكر لي رسول سلطانهم الواصل إلى الدّيار المصرية صحبة الحجيج في الدولة الظاهرية"[3].

واستطاع الماي التاسع والثلاثون من الأسرة السيفية علي بن دونمة أن يعيد هيبة المملكة، من خلال القضاء على الفتن والصراعات الداخلية، ويستعيد الاستقرار لها ويمد نفوذه إلى بلاد الهوسا، واضطرت كانو إلى أن تدفع الجزية[4].(الخريطة رقم 18)

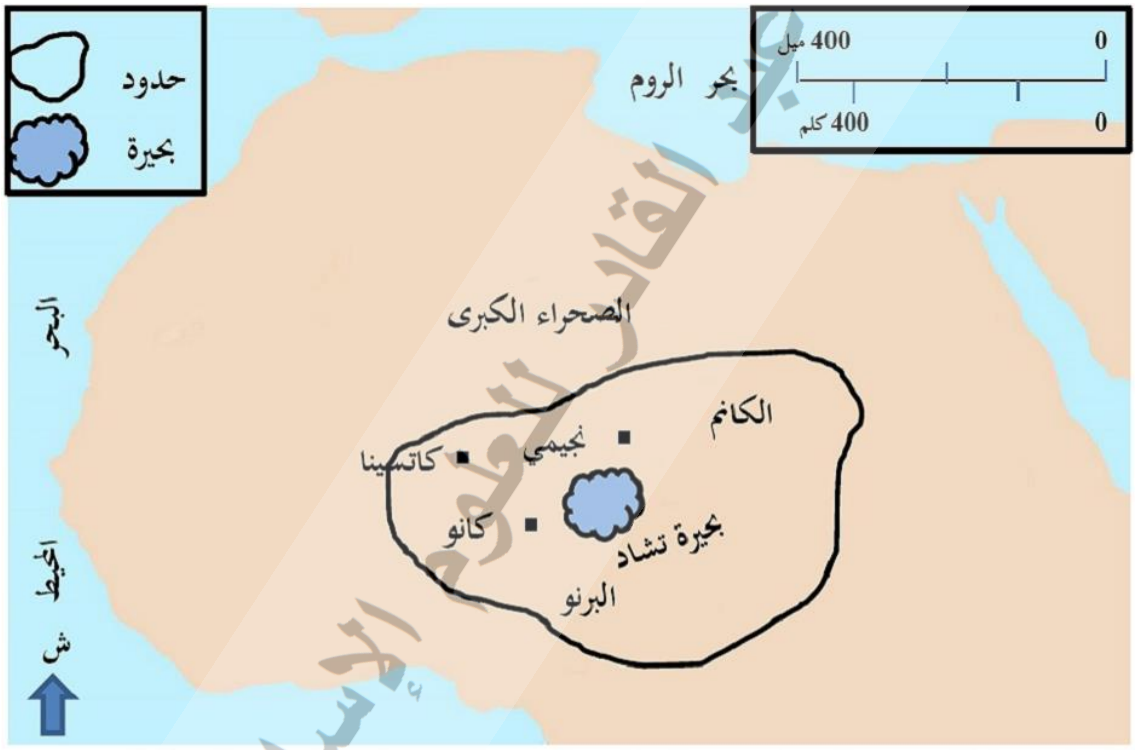


الخريطة رقم 18: تمثل المركز الحضاري للمملكة الكانم برنو حتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وحدودها.

من إعداد الطالب

[1]- العمري: **التعريف بالمصطلح الشريف**، تح: محمّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ط01، ص 46.

[2]-العمري: مسالك الأبصار وممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 97.

[3]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 269.

[4]-تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 386.

كخلاصة لما سبق ذكره يمكننا القول بأن مفهوم الإقليم يشتمل على العديد من الكور والأصقاع، ولكل كورة قصبة أو قاعدة، وبها العديد من القرى والمدن. وقد بَيَّنَا بأن الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط على غرار وارجلان وبلاد الزاب وغيرها من الحواضر قد شكلت كل واحدة منها إقليما منفردا بذاته، وعليه فإن مجموع هذه الأقاليم تشكل ما يسمى بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط.

وإلى جانب ذلك فقد عرجنا إلى مجاله الجغرافي وتركيبته السكانية والقبائل التي انتجعته وتضاريسه ومظهره الهيدروغرافي؛ وقد قمنا بإماطة اللثام على بلاد السودان من حيث حدوده الجغرافية، ساكنته، تضاريسه وشبكة المياه التي تجسدت في نهر النيل "النيجر" بروافده.

وفي الأخير قمنا بالكشف عن المراكز الحضارية لطرفي التواصل من حيث النشأة والتطور ودخول الإسلام إليها وأبرز المحطات التي مرت بها خلال الحقبة موضوع الدراسة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثاني

# العلاقات التجارية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان

# خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثاني: العلاقات التجارية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة(3هـ-9هـ/9م-15م)

إن التواصل الحضاري بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان قد عرف عدة أوجه منها العلاقات التجارية، التي لها السبق من خلال ربط المراكز التجارية بالعديد من المسالك، كانت القوافل ترتادها محملة بالبضائع والسلع المختلفة والمتنوعة. وسنعرج في هذا الفصل على أهم المراكز التجارية بين طرفي التواصل، ووسائل التعامل التجاري الحاصل فيما بينهما، إضافة إلى ذلك تسليط الضوء على الدور الذي أداه اليهود في ممارستهم للتجارة العابرة للصحراء. وفيما يلي سنتطرق إلى المسالك التي كانت قد ربطت المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بنظيراتها السودانية.

## المبحث الأول: المسالك بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان

إن أول اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان إلى الطريق الذي سلكه الفاتحون العرب الأوائل حيث كشف ابن عبد الحكم عن حملة عقبة بن نافع عام 46هـ/666م وتوغّله نحو بلاد السودان الأوسط ما نصه: "ثم مضى على جهته من فوره ذلك إلى قصور فزّان، فافتتحها قصرا قصرا، حتى انتهى إلى أقصاها فسألهم: هل من ورائكم أحد؟ قالوا: نعم، أهل خاوار، وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل، وهو قصبة كوار... فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصّنوا، فحاصرهم شهرا، فلم يستطع لهم شيئا. فمضى أمامه على قصور كوّار فافتتحها... وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبدا"[1].

والذي يبدو، أن النشاط التجاري برز مع أولى الحملات العسكرية عبر الطريق الغربي التي قادها عقبة بن نافع على المغرب الأقصى عام 62هـ/682م[2]، التي مكنت العرب من الوصول إلى مناطق وادي درعة لأول مرة وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري بقوله: "ونزل من درعة إلى بلاد صنهاجة"[3]، حيث جلبوا معهم أعدادا كثيرة من الرقيق والمال وهو ما أثبته الدباغ في مصنفه بقوله: "وغنموا أموالهم وسبوا نسائهم؛ - فبلغنا أن الجارية منهم بلغ ثمنها بالمشرق ألف دينار"[4]. ويمكن القول أنه في ولاية هشام بن عبد الملك لأفريقية وصلت طلائعه إلى مناطق السوس الأقصى، أين جلبت كذلك أعدادا كبيرة من الرقيق[5].

---

[1]- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج01، ص ص 222-223.

[2]- صباح إبراهيم الشيخلي:**"النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري"**، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984، ص 30.

[3]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج01، ص 27.

[4]- عبد الرحمن بن مُحَمَّد الأنصاري الأسيدي الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تص وتع: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ط02، ج01، ص 51.

[5]- صباح إبراهيم الشيخلي: المرجع السابق، ص 30.

وفي ولاية عبيد الله بن الحبحاب[1]، وجه هذا الأخير حملة بقيادة عبيد الله حبيب بن أبي عبيدة الفهري إلى السودان، حيث صرح ابن عبد الحكم بذلك ما نصه: "وغزّى عبيد الله حبيب بن أبي عبيدة الفهري السّوس وأرض السودان، فظفر بهم ظفرا لم ير مثله، وأصاب ما شاء من ذهب"[2]، ولأهمية هذه السلعة، ونظرا لازدياد الطلب عليها وعلى الفضة من قبل الخلفاء الأمويين في القرن الثاني الهجري[3]، تَطَلَّبَ لذلك إصلاح الطريق الغربي وإدخال تحسينات أساسية في طريقة تنظيمه، حيث نقرأ في كتاب المسالك والممالك لعبيد الله البكري مفاده بأن عبد الرحمن بن حبيب[4] والي إفريقية (130-138هـ/747-755م)، أمر بحفر ثلاثة آبار جديدة للقوافل التجارية المارة بالطريق الذي يربط تامدلت – جنوب المغرب الأقصى – بمدينة أودغست[5].

والتساؤل الذي يتبادر للأذهان هو لماذا اهتم والي إفريقية بإصلاح الطريق الغربي وتزويده بنقاط مياه معروفة لدى القوافل التجارية؟ أم أن هناك أمر خفي يفكر فيه الولاة قصد تأمينه؟ ويأتي الجواب عن هذا التساؤل من قبل ابن الفقيه الهمذاني وياقوت الحموي اللذين صرّحا بأن: المراكز التجارية السودانية التي تقع على النهاية الجنوبية لهذا الطريق كانت مجاورة لمصادر الذهب والرقيق[6]، وهما السلعتان المطلوبتان لدى اقتصاديات دول العصر الوسيط.

---

[1]- **عبيد الله بن الحبحاب:** مولى عقبَة بن الحجّاج السّلوليّ القيسيّ كَانَ والياً على مصر لهشام بن عبد الملك فَكتب إِلَيْهِ يَأْمُرهُ بالمسير إِلَى إفريقية وَذَلِكَ فِي شهر ربيع الأول وَقيل فِي شهر ربيع الآخر سنة سِتّ عشرَة وَمِائَة فاستخلف ابْنه الْقَاسِم على مصر وَاسْتعْمل ابْنه إِسْمَاعِيل على السّوس وَاسْتعْمل أَيْضا على الأندلس عقبَة بن الْحجَّاج مَوْلَاهُ وعزل عبد الْملك بن قطن الفِهري وَيُقَال كَانَ على الأندلس يَوْمئِذٍ عَنْبَسَة بن سحيم الْكَلْبِيّ فَهَلَك عقبَة بالأندلس فَرد عبيد الله عَلَيْهَا عبد الْملك بن قطن وَذكر عبد الله بن وهب الْفَقِيه أَن عبيد الله بن الحبحاب كَانَت مصر من الْعَرِيش فِي عمله وإفريقية والأندلس وَمَا بَين ذَلِك... وَكَانَ كَاتبا بليغاً حَافِظًا لأيام الْعَرَب ووقائعها وأخبارها ذَا بلاغة فِي لِسَانه وقلمه وَكَانَ يَقُول الشّعْر قَالَ مؤلّفه وَكنت سَمِعت لَهُ أبياتاً لم أحفظ مِنْهَا وَقت تأليفنا هَذَا الْكتاب شَيْئا فنثبته وَهُوَ الَّذِي بنى الْمَسْجِد الْجَامِع بتونس وَدَار الصِّنَاعَة. ابن الأبار: **الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ط02، ج02، ص ص 336-337.

[2]- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج01، ص 293.

[3]- صباح إبراهيم الشيخلي: المرجع السابق، ص 30.

[4]- **عبد الرحمن بن حبيب:** عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، كان مع أبيه حبيب في العساكر القاصدة لقتال خوارج البربر بنواحي طنجة، وهرب في جملة المنهزمين، ودخل الأندلس من مجاز الخضراء، قبيل دخول بلج بن بشر، وثعلبة بن سلامة، فأثار الفتن قبل قتل عبد الملك بن قطن أميرها، وكانت له في الحروب بها أخبار إلى أن وصل حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار أميراً عليها، ففرق جموع الفتن، ورد الأمور إلى الاستقامة، وأخرج عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس إلى إفريقية بعد سنة خمس وعشرين ومائة. الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966، ص ص 271-272.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص ص 342-343؛ حسين سيد عبد الله مراد: **"الصلات بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي (خلال ق2-6هـ/8-12م)"**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، العدد 11، 2006، ص 376؛ صباح إبراهيم الشيخلي: المرجع السابق، ص 30.

[6]- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص 133؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 184؛ صباح إبراهيم الشيخلي: المرجع السابق، ص 35.

**المطلب الأول: المسالك الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من وارجلان**

كان للموقع الاستراتيجي الذي حظيت به حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، دورا فعالا في نشأة شبكة طرق ومسالك ارتبطت ببلاد السودان، ويعود الفضل إلى ذلك للتجارة القوافلية النشطة وللمرافق التي حظيت بها المراكز التجارية، وقد ارتبطت وارجلان مع نظيراتها بعشرين مسلك خلال العصر الوسيط، منها عشرة كاملة نحو بلاد السودان.

وفيما يلي نقوم بتتبع المسالك التي تربط تجار المدن الصحراوية للإقليم نحو بلاد السودان ابتداء من وارجلان وهي كالتالي:

**1-وارجلان – تادمكة- كوكو:**

يعتبر هذا المسلك باب الولوج إلى بلاد السودان لمدن المغرب الأوسط وإفريقية، وكما أن هذا المسلك من أقدم الطرق التجارية التي كانت تربط عاصمة الرستميين تاهرت بمملكة كوكو مرورا بوارجلان.

وعن كوكو أشار اليعقوبي بأنها "أعظم ممالك السودان، وأجلّها قدراً، وأعظمها أمراً، و كل الممالك تعطي لملكها الطاعة"[1]، ومن الممالك التي تنسب إلى مملكة كوكو يضيف اليعقوبي: "فمنهم مملكة المرو،...، ومملكة مردية، ومملكة الهربر، ومملكة صنهاجة، ومملكة تذكرير، ومملكة الزيانير، ومملكة أرور، ومملكة بقاروت"[2].

أول من وصف هذا الطريق البكري في مسالكه حيث أَبَانَ عن الجزء الشمالي منه بقوله: "ومن أراد الطريق من تادمكة إلى القيروان فإنه يسير في الصحراء خمسين يوما إلى مدينة وارجلان ومنها إلى القيروان سبعة أيام"[3]، ولكنه لم يُفَصِّلْ في المحطات التي تخطتها القوافل للوصول إلى مدينة تادمكة.

وقد أعتبر تاديوس ليفينسكي بأن هذا المسلك "الأكثر أقدمية والطريق المباشر الذي يربط وارجلان وبواسطتها كامل المغرب الأوسط ببلاد السودان"[4]، وَرَجَّحَ بأن هذا المسلك كان يمر بمدينة "القليعة" و"قلعة البكري" ثم يتجه إلى مدينة "عين صالح" ومنها إلى جبال "مويدير" أو أمدير في الهقار، ثم "أبلسة" وتين زاواتين وصولا إلى تادمكة[5]، ثم تواصل القافلة بعد المكوث عدة أيام في تادمكة إلى كيدل ثم بورم، ومنها إلى كوكو[6].

اعتقد تاديوس ليفينسكي بأن عين صالح هي "قليعة ولان" التي أشار إليها ابن خلدون خلال القرن

---

[1]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 238.

[2]- اليعقوبي: المصدر نفسه، ج01، ص 239.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 371.

[4]-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, 1976, p 32.

[5]-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises Ibid, p 35.

[6]-Ibidem.

-مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 146.

8هـ/14م[1] والتي تسكنها قبائل مطغرة بقوله: "وفي جهة الشرق على هذه القصور(توات) وعلى خمس مراحل منها دامعة متوغلة في القفر تعرف بقليعة(ولان). الآن يعتمرها رهط من مضغرة هؤلاء"[2].

تعد "قليعة ولان" محطة يتجمع بها التجار القادمون من وارجلان والتجار الآتون من توات حيث تأخذ القوافل الطريق المار بعين زيز وتيميساو وبرج مختار ثم تساليت وصولا إلى السوق(تادمكة).

تنزل القوافل التجارية في مدينة تادمكة بعد خمسين يوما موغلة في القفار والمفازات. الموقع الجغرافي لتادمكة يوجد في الشمال الشرقي من كوكو، في الجهة الجبلية لأدرار أفوغاس، في الموضع المسمى بخراب السوق[3]، قال عنها البكري بأنها: "أحسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكو،...، ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة"[4].

إنّ النص الذي أفادنا به البكري يوحي بأنّ السوق شهد رواجا ونشاطا تجاريا ملحوظا، انعكس ذلك على البنية العمرانية للمدينة حيث أصبحت تنافس كل من غانة وكوكو، وبالتالي أصبحت تادمكة محطة ومركز تجاري رئيسي تنزل فيه القوافل التجارية، ومن كبريات مراكز تجارة الرقيق الأسود خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[5].

وخلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي صرح ابن سعيد المغربي بأن: "أهلها برابرة مسلمون يكثرون من التجارة والسفر إلى بلاد السودان"[6]. فيما لم يشر ابن خلدون إليها خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وذلك عند وصفه لبلاد السودان[7]، ربما لتقلص دورها التجاري بالمنطقة[8].

تخبرنا كتب الطبقات الأباضية عن سفر التجار الأباضية من وارجلان إلى تادمكة، منهم الدرجيني الذي أفادنا بأن أبي صالح الياجراني، كانت له تجارة في تادمكة بقوله: "وذكر أنه جلب من إبله أبعرة إلى وارجلان للبيع، فاشترى وارجلاني منها بعيرا، فلما أراد أن ينقده الثمن قال له: إن ثمن جملك في تادمكت،

---

[1]-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 36.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 158.

[3]-Mauny(R): **Tableau géographique de l'ouest africain au moyen âge d'après les sources écrites, tradition et l'archéologie**, Ifan, Dakar, 1961, pp 117-118; Prevost(V): **L'aventure ibadite dans le sud tunisien(VIIIe-XIIIe siècle)**, distribution Tiedekirja Kirkkokatu, Finland, 2008, p 371.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 370.

[5]-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 37.

[6]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 115.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص ص 264-270.

[8]- أشار تاديوس ليفينسكي بأن المدينة تادمكة كانت موجودة منتصف القرن 17 م، تقريبا العام 1655م بحيث لجأ سكانها إلى مغادرة المكان باتجاه تمبكتو والعيش بجوارها. ينظر: Lewicki(T): Etude maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 39.

وكان له جمل أراد المسير عليه فقال له رجل من أهل وارجلان: أتحمل لي على جملك هذا حمل متاع إلى تادمكت فتبيعه لي هناك"[1].

أما الوسياني فقد أشار إلى تاجر إباضي آخر اسمه "تملي الوسياني"[2] من قسطيلية كان له حضور دائم بتادمكة قصد التجارة، وهذا نصه: "فجعل يسافر إلى تادمكت فبلغ بها مالا كثيرا"[3].

بالرجوع إلى مدينة كوكو، صَرَّحَ المهلبي في مصنفه بأن بها: "أسواق ومتاجر والسفر إليها من كل بلد متصل،...، وبيوت أموال الملك واسعة وأكثرها الملح"[4]، أما البكري فقد أشار إلى أن: "تجارة أهل بلد كوكو بالملح وهو نقدهم"[5].

قراءة في كتاب الجغرافيا للزهري مفادها بأن مدينة كوكو "إليها تدخل القوافل من أرض مصر ومن وارقلان. ويدخل قليل من المغرب على مدينة سجلماسة"[6]، فيما أَقَرَّ الإدريسي بوجود أهل وارجلان بمدينة كوكو خلال القرن السادس الهجري/ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي بقوله: "في أرض كوكو العود المسمى بعود الحية ومن خاصته أنه إذا وضع على جحر الحية خرجت إليه مسرعة ثم أن ماسك هذا العود يأخذ من الحيات ما شاء بيده من غير أن يدركه شيء من الجزع ويجد في السابق قوة عند أخذها والصحيح عند أهل المغرب الأقصى وأهل وارقلان أن ذلك العود إذا أمسكه ماسك بيده أو علقه في عنقه لم تقربه حية البتة"[7].

يظهر من خلال نص الإدريسي بأن أهل وارجلان من الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وكذلك أهل المغرب الأقصى كان لهم حضور في مدينة كوكو وتجلى ذلك في الحادثة التي وقعت لهم بإمساكهم عود الحية أو تعليقه في عنق أحد منهم ولم تقربه الحية بتاتا. وقد أشار تاديوس ليفينسكي: "بأن ابن البيطار عثر

---

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص ص 374-375.

[2]- **تملي الوسياني**(كان حيا 380هـ/990م): عالم سخي، من بني ويسين من أهل القصور في بلاد الجريد بتونس، عاصر أبا نوح سعيد بن زنغيل، وأخذ العلم عن أبي خزر يغلا بن زلتاف (ت:380هـ/990م) كان فقيرًا مقلاً في أوَّل عمره، ثمَّ بسط الله عليه الرزق، وسافر إلى تادمكت بجنوب غرب إفريقية، فأسَّس بها تجارة، وجعل يبعث منها كلَّ سنة عشرة أكياس، كلُّ كيس فيه خمسمائة دينار، من جلود البقر، مكتوب على كلِّ كيس: هذا مال الله؛ يبعث بها إلى أبي عمران موسى بن سُدْرِين – والد هارون الحامِّي الوسياني – فيفرِّقها على أهل ولاية المسلمين. ينظر: الوسياني: المصدر نفسه، ج02، ص ص 550-552.

[3]- الوسياني: المصدر نفسه، ج02، ص 551.

[4]- المهلبي: المصدر السابق، ص 55.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 373.

[6]- الزهري: المصدر السابق، ص 123.

[7]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 28-29.

أيضا على نفس النبات ينمو بوفرة جنوب مدينة قسنطينة"[1]. إن تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط الذين كانوا على اتصال بتجار قسنطينة نقلوه إلى المنطقة فأصبح عود الحية ينبت لديهم بوفرة.

يقدر البكري المسافة بين تادمكة وكوكو بتسع مراحل[2]. فيما أشار الزهري بأن هناك مسلك يربط بين كوكو بالبلدان الواقعة أعالي جنوب بلاد المغرب حيث تأتي القوافل من أجل تجارة العبيد ومسحوق الذهب[3]، منها سجلماسة، ومصر، وارجلان، وغانة، والتي قدر المسافة بينها وبين كوكو نحو ثلاثين مرحلة[4]. وصف ابن بطوطة خلال رحلته إلى بلاد السودان كوكو بأنها: "مدينة كبيرة على النيل[5] من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها"[6].

حافظت كوكو على مكانتها خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي كأكبر مركز تجاري يأتيها التجار من كل حدب وصوب، حيث صور لنا الحسن الوزان المدينة بقوله: "كاغو مدينة عظيمة،...سكانها تجار أغنياء يتجولون دائما في المنطقة بسلعهم. يأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا بها أشياء مستوردة من بلاد البربر وأوربا، لكنهم لا يجدون أبدا ما يكفي منها لإنفاق ذهبهم،...، وهناك ساحة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من الرقيق ذكورا وإناثا"[7].

إن هذه الشهادة التي أدلى بها الحسن الوزان خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي تفيدنا بأن كوكو كانت خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي من المراكز التجارية الكبرى والمهمة يأتيها تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط قصد صرف سلعهم في أسواقها مقابل الحصول على الرقيق ومسحوق الذهب.

**2-وارجلان – سجلماسة- أودغست- غانة:**

احتل هذا الطريق أهمية كبرى لدى تجار القوافل خلال العصر الوسيط باعتبار أن غانة كانت باب دخول التجار المغاربة إلى منطقة "ونقارة"[8]- التي تقع بالنيجر الأعلى ورافده المسمى باني، أو بالأحرى بالنيجر الأعلى إلى الشرق، ونهر فليمي إلى الغرب (بين شمال السنغال ونهر تينكيسو إلى الجنوب)[9]-

---

[1]-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 33.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 372.

[3]- Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 40.

[4]- الزهري: المصدر السابق، ص 137.

[5]- المقصود بنهر النيل هو نهر النيجر.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 709.

[7]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 169.

[8]- Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 41.

[9]- Ibidem.

الغنية بالذهب، وعاصمتها كومبي صالح، التي تقع على الحدود الجنوبية الموريتانية[1]. إن مسار الرحلة يبتدئ من وارجلان ثم سجلماسة فأودغست. أشار تاديوس لفينسكي إلى أن القوافل تتجمع في القليعة، ثم تواصل طريقها نحو واحات قرارة، وبعد ذلك تقوم بالتفاتة عبر العرق الكبير في الجنوب، ثم العودة إلى الشمال الغربي على طول وادي الساورة، لأجل الدخول إلى تافيلالت(سجلماسة)[2].

ويعد أقدم طريق يربط بلاد المغرب بغانة كان ينطلق من مدينة "طَرْقَلَة" عاصمة السوس الأقصى وذلك قبل تأسيس سجلماسة سنة 140هـ/757م[3]، أين أصبحت هذه المدينة عاصمة اقتصادية بما تحمله الكلمة من معنى حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الذي تغيرت بها أوضاعها وبالتالي زوالها.

لم تُثْبِت المصادر التي بين أيدينا إلى أنّ هناك طريق يربط بين وارجلان وسجلماسة، باستثناء المصادر الأباضية حيث أَبَانَ أبو زكرياء يحي الوارجلاني في مصنفه إلى أن: "عبيد الله خرج متوجها إلى سجلماسة فجاز بطريقه إلى وارجلان"[4]، فيما أشار البكري بأن: "مدينة تيزيل وهي أوّل الصحراء، ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة وإلى وارجلن وإلى القلعة"[5]، ولكنه لم يصرح فيما إن كان هناك طريق يربط سجلماسة بوارجلان.

أشار البكري إلى أن هناك مدينة تسمى القلعة تقع في صحراء المغرب الأوسط وصفها بقوله: "القلعة، وهي مدينة معمورة فيها آثار للأوّل وبها مسجد"[6]، لعلها القليعة التي رجّح الأستاذ تاديوس ليفينسكي بأن القوافل تمر بها، حيث أصبحت تمثل مرحلة مهمة في طريق التجارة الكبير بين وارجلان وسجلماسة[7].

إن الطريق الذي يربط بين سجلماسة أودغست غانة، يعتبر من أهم المسالك التجارية التي كان لها دورا رياديا في تنشيط عجلة اقتصاد بلاد المغرب في العصر الوسيط، لذا نجد أغلب المصادر تطرقت إليه وبالتفصيل، فابن حوقل ذكر بأن المسافة من "سجلماسة إلى أودغست شهران،...، ومن أودغست إلى

---

1- Mauny(R): Op.cit, p p 72-74.

2-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 17; PREVOST(V): Op.cit, p 372.

3 -Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 42.

-مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 149.

4- أبو زكرياء: المصدر السابق،(اسماعيل العربي)، ص 165.

5- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 260.

6- البكري: نفس المصدر والصفحة.

7-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 17.

غانة بضعة عشر يوما"[1]، وذكر المحطات الرئيسية التي يجب على القافلة المرور بها وهي تامدلت، ولمطة المشهورة بمعدن الدرق، ثم أوليل صاحبة معدن الملح، ثم أودغست[2].

صَوَّرَ المهلبي أودغست خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ما لاحظه على المدينة بقوله: "إن لأودغست أعمالا واسعة...ولها أسواق جليلة والسفر متصل إليها من كل بلد، وأهلها مسلمون والمتولّي عليها صنهاجة وشرقيها بلاد السودان وأما غربي بلادها فالبحر المحيط وجنوبيهم حدود السودان"[3].

وخلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وصف البكري أودغست بقوله: "مدينة كبيرة آهلة... وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة، وسوقها عامرة الدهر كلّه، لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله. وتبايعهم بالتبر وليس عندهم فضّة...وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة،...وسكّانها أهل إفريقية وبرقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة، هؤلاء أكثرهم، وبها نبذ من سائر الأمصار"[4]. إن النص الذي بين أيدينا يمثل حالة أودغست قبل حكم المرابطين لها وسيطرة الجالية المغربية عليها.

لقد قدم البكري تقريرا مفصلا حول مسار الرحلة المتجهة من سجلماسة نحو أودغست، وأهم محطاتها الرئيسية والتي هي: تامدلت[5]، وأودغست، وأورد بأن هذا الطريق مليء بالآبار على مسافة يومين أو ثلاثة، نذكر منها بئر الجمالين، ماء يسمى تندفس، ثم بئر كبيرة يقال لها وين هيلون، وتازقى،...،بئر واران[6].

فيما قدر المسافة التي تفصل بينهما بإحدى وخمسين مرحلة، بقوله: "فأما الطريق من أودغست إلى بلد سجلماسة فمن أودغست إلى تامدلت على ما ذكرنا أيضا، وذلك أربعون مرحلة. ومن تامدلت إلى سجلماسة على ما ذكرنا قبل هذا إحدى عشرة مرحلة. فذلك إحدى وخمسون مرحلة"[7]. واكتفى بذكر المسافة التي تربط سجلماسة بغانة بقوله: "ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين"[8].

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 92.

[2]- ابن حوقل: نفس المصدر والصفحة.

[3]- المهلبي: المصدر السابق، ص 45.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.

[5]- **تامدلت**: أسّسها عبد الله بن إدريس بن إدريس، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمّامان وسوق عامرة ولها أربعة أبواب، وهي على نهر عنصره من جبل على عشرة أميال منها، وما بينهما بساتين، وعلى هذا النهر (أرحاء كثيرة، وأرضها أكرم أرض وأكثرها ريعا تعطى للحبّة مائة، وبها معدن فضّة غزير كثير المادّة. ينظر إلى البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 350.

[6]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص ص342-344.

[7]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 346.

[8]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 333.

وقد أثبتت كتب السير والطبقات الأباضية عن وجود جالية إباضية أتت من بلاد الجريد ومن الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط عبر وارجلان إلى أودغست وغانة، حيث ذكر الشماخي أن أبا الحسن علي بن مجبر الوسياني(كان حيا في القرن الرابع الهجري)، أصله من قبيلة زناتة فرع بني وسين ينتمي إلى أسرة نشأت بوارجلان ببلدة تغيارت[1]، كانت له مظلمة من أحد إخوانه فسأل عنه فقيل: مات في الموضع الفلاني فترك ولد في أودغست فسار حتى بلغه[2]. فيما صرح الوسياني في سيره بأن: "الشيخ أبا موسى هارون بن أبي عمران[3] مر على أبي صالح فطلب أهل وارجلان أن يقعدوا حلقة تلاميذ، ...، وهو يريد السفر إلى غانة...فتوجه إلى تلك البلاد حتى وصلها"[4].

صرح الإدريسي في نزهته بأن وارجلان: "مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"[5]، وقدر المسافة بين وارجلان وغانة بثلاثين مرحلة[6].

أما أبو حامد الغرناطي(ت 565هـ/1169م) في تحفته أَقَرَّ بصعوبة المسلك الذي يسلكه التجار بقوله: "يخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة، آخر بلاد المغرب الأعلى فيمشون في رمال كالبحار، يهتدون بالنجوم وبالجبال في القفار، ويحملون مع الزاد لستة شهور. فإذا وصلوا إلى غانة باعوا الملح وزنا بوزن الذهب، وربما باعوه وزنا بوزنين، أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم"[7]. وقد أشار تاديوس ليفينسكي بأن مدينة غانة كانت تمثل مفترق مهم للطرق الصحراوية والسودانية[8]. بحسب الإدريسي

---

[1] - Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 44.

[2]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 478.

[3]- **أبو موسى هارون بن أبي عمران الوسياني: (ق: 4هـ / 10م)** عالم ذو مقام معتبر بين أضرابه، وآثار باقية في سير الأباضية. عاصر أبا صالح جنُّون بن يمريان الوارجلاني الذي طلب منه أن يضع له مسائل في التوحيد والردّ على المخالفين، فألَّف لهم كتابًا في الألواح. وأعجله السفر فلم يعرضه، ولذلك كانت فيه مسائل فيها مقال. وقيل: إنَّ المسائل من تأليف عُزَّاب من تلاميذ أبي نوح سعيد ابن زنغيل، وإنَّما جمعها ونظمها أبو موسى. حاول أهل وارجلان أن يعقدوا حلقة للتلاميذ، فلم يتم لهم ذلك، فعزم أبو هارون على السفر إلى غانة، ثُمَّ توجَّه إلى غيارة فوجدهم غزاة، فلزم بيته حتَّى مات. ينظر إلى مجموعة من المؤلفين: **معجم أعلام الأباضية (قسم المغرب)**، المطبعة العربية، غرداية، 1999، ص 441.

[4]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص ص 566-567؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص ص 372-373.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 296.

[6]- الإدريسي: نفس المصدر والصفحة.

[7]- أبو حامد الغرناطي: **تحفة الألباب ونخبة الأعجاب**، تح: اسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ط01، ص 39.

[8]-Lewicki(T): Etudes maghrébines et soudanaises, Op.cit, p 48.

والزهري فإن أحد أهم هذه الطرق التي أشار إليها تاديوس ليفينسكي والمتجهة نحو الشمال تمر إلى سجلماسة ثم وارجلان[1].

وقد لخص ياقوت في معجمه الدور الذي مثلته مدينة غانة كوسيط في تجارة القوافل بين بلاد السودان والقادمين إليها من بلاد المغرب هذا نصه: "غانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان، يجتمع إليها التجار ومنها يدخل في المفازات إلى بلاد التبر، ولولاها لتعذّر الدخول إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب، عند بلاد السودان فمنها يتزوّدون إليها"[2]، وأضاف أيضا بقوله: "فينزلون فيها ويتطيّبون ثم يستصحبون الأدلّاء ويستكثرون من حمل المياه ويأخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التبر"[3].

وكان لسقوط غانة على يد ملك مالي ماندينكا سونديانا كيتا (Sundiata Keita) حوالي عام 638هـ/1240م، إلى هجرة ساكنيها وانتشارهم في الصحراء، وما لبثوا أن استقروا وكانوا طرفا في نشأة مدينة ولاتة والتي ستصبح فيما بعد مرحلة مهمة في الطريق الجديد، الذي يربط سجلماسة بالسودان الغربي[4] والذي يمر بمناجم الملح بتغازة التي سيطرت عليه مملكة مالي وعاصمتها نياني[5].

قراءة في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني(ت682هـ/1283م) مفادها أن الفقيه أبو الربيع الملتاني وصف طريق غانة من سجلماسة[6]، إضافة إلى ذلك أشار أبو الفداء(ت731هـ/1330م) في تقويمه إلى طريق غانة سجلماسة نقلا عن ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م)[7].

**3-وارجلان – غيارو(غيارة):**

يقول ابن خلدون: "نقل السّلع من البلد البعيد المسافة أو في شدّة الخطر في الطّرقات يكون أكثر فائدة للتّجّار وأعظم أرباحا وأكفل بحوالة الأسواق لأنّ السّلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدّة الغرر في طريقها فيقلّ حاملوها ويعزّ وجودها وإذا قلّت وعزّت غلت أثمانها. وأمّا إذا كان البلد قريب المسافة والطّريق سابل بالأمن فإنّه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التّجّار الّذين

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 122؛ الزهري: المصدر السابق، ص 125.

[2]- الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 184.

[3]- الحموي: المصدر نفسه، ج 02، ص 11.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 60-61، الهامش رقم 01.

[5]- Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 44.

[6]- القزويني: المصدر السابق، ص 57.

[7]- أبو الفداء: المصدر السابق، ص ص 156-157.

يولعون بالدّخول إلى بلاد السّودان أرفه النّاس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقّته واعتراض المفازة الصّعبة المخطرة بالخوف والعطش"[1].

من خلال هذه المقولة تحدى التجار وفي مقدمتهم تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط الصعاب والمشاق ووصلوا إلى أقصى مكان في بلاد السودان ، فكان لهم حضور دائم في مدينة غيارو وذلك لغرض جلب الذهب ذي الجودة العالية، وقد أشار البكري إلى ذلك بقوله: "وأفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا"[2].

ومن التجار الذين وصلوا إلى مدينة غيارو الشيخ أبو موسى هارون بن أبي عمران الوسياني الذي ذكرناه سابقا. ومدينة غيارو تدين لمملكة غانة حيث المسافة بينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بقبائل السودان مساكن متصلة[3]. وعن مسار الرحلة يقول البكري: "فأما الطريق من غانة إلى غياروا فإلى مدينة سامقندى أربعة أيام،...، ومنها إلى بلد يسمى طاقة يومان،...، ومنها إلى بلد يقال له غرتيل،...، ومن غرتيل إلى غيارو"[4].

قراءة في نزهة المشتاق للإدريسي تفيدنا بتفاصيل إضافية بخصوص مسار الرحلة التي أَقَرَّهَا البكري في مسالكه: "مدينة سمقندة هذه مدينة لطيفة على ضفة البحر الحلو ومنها إلى مدينة غربيل تسعة أيام... ومدينة غربيل هذه على ضفة البحر الحلو وهي مدينة لطيفة القدر،...وشُرب أهلها من النيل ولباسهم الصوف وأكلهم الذرة والحوت وألبان الإبل وأهلها يتصرفون في تلك البلاد بضروب من التجارات التي تدور بين أيديهم ومن مدينة غربيل مع المغرب إلى مدينة غيارة إحدى عشرة مرحلة ومدينة غيارة هذه على ضفة النيل وعليها حفير دائر بها، وبها خلق كثير وفي أهلها نجدة ومعرفة وهم يغيرون على بلاد لملم فيسبونهم ويأتون بهم ويبيعونهم من تجار غانة وبين غيارة وأرض لملم ثلاث عشرة مرحلة وهم يركبون النجب من الجمال... ومن مدينة غيارة إلى مدينة غانة إحدى عشرة مرحلة وماؤها قليل وجملة هذه البلاد التي ذكرناها هي في طاعة صاحب غانة وإليه يؤدون لوازمهم وهو القائم بحمايتهم"[5].

بالإضافة إلى تجارة الذهب، امتهن أهلها السبي وإغارتهم على بلاد لملم. هذه السلعة تعد في المرتبة الثانية بعد الذهب من حيث صادرات بلاد المغرب عموما وتجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط على وجه الخصوص، ويبيعونه كرقيق إلى تجار غانة.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج01، ص 496.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

[3]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

[4]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 365.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 25-26.

**4-وارجلان – زافون:**

وهي من البلدان التي قصدها تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط عبر مدينة غانة، وارتبطت بعلاقات تجارية معهم، وأخص بالذكر وارجلان. يخبرنا الزهري (توفي في القرن السادس الهجري) في جغرافيته عن موقعها بقوله: "وفي شرقي غانة بنحو عشرين فرسخا مدينة قرافون (زافون، رافون)، وهي أقرب مدائن الصحراء إلى وارقلان وإلى سجلماسة"[1]. وعن أهلها يضيف الزهري بأنهم: "كانوا على مذهب خرجوا به عن الشرع، ثم صلح إسلامهم،... وهم ينضافون إلى مدينة غانة لأنها حاضرتهم ودار مملكتهم"[2].

ويبدو من خلال إشارة الزهري بأن المذهب الذي كان يتبعه أهل زافون هو المذهب الإباضي الذي على ما يبدو كان له حضور في بلاد السودان على يد التجار الأباضية الذين انطلقوا من وارجلان بالتحديد، والتي اتفقت أغلب المصادر بأنها باب الولوج إلى بلاد السودان، وكان ذلك قبل مجيء المرابطين.

إن تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط انطلاقا من وارجلان يأخذون المسلك الغربي بالمرور عبر سجلماسة ثم أودغست، وصولا إلى غانة، ونحو عشرين فرسخا شرقي غانة تحط القوافل التجارية رحالها بمدينة زافون كما صرّح الزهري[3].

**5-وارجلان – كوغة:**

واصل تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط نشاطهم التجاري وتوغلوا بداخل السودان الغربي متخذين من مدينة غانة المنطلق إلى باقي المدن التجارية السودانية الأخرى. وتعد مدينة كوغة إحدى هذه المدن السودانية التي قصدها التجار القادمون من وارجلان، وقد أشار الإدريسي إلى أن: "ومن وارقلان إلى كوغة نحو شهر ونصف"[4].

ابن حوقل في صورته صرح بأن: "ومن غانه إلى كوغه نحو شهر ومن كوغه إلى سامه دون الشهر"[5] أما البكري الذي أفادنا ببعض التفاصيل حول مدينة كوغة بقوله: "مدينة كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة، وأهلها مسلمون وحواليها المشركون. وأكثر ما يتجهّز إليها بالملح والودع والنحاس والفربيون والودع والفربيون أنفق شيء عندهم. وحواليها من معادن التبر كثير، وهي أكثر بلاد السودان ذهبا"[6].

---

[1]- الزهري: المصدر السابق، ص 126.

[2]- الزهري: نفس المصدر والصفحة.

[3]- الزهري: نفس المصدر والصفحة.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 296.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 92.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 367.

وصفها الإدريسي بأنها: "مدينة على ضفة البحر الحلو وفي شماله ومنه شرب أهلها وهي من عمالة ونقارة ومن السودان من يجعلها من بلاد كانم وهي مدينة عامرة لا سور لها وبها تجارات وأعمال وصنائع يصرفونها فيما يحتاجون إليه ونساء هذه المدينة ينسب إليهن السحر ويقال إنهن به عارفات وبه مشهورات وعليه قادرات ومن كوغة إلى سمقندة في جهة الغرب عشرة أيام ومن كوغة إلى غانة نحو شهر ونصف ومن كوغة إلى دمقلة شهر ومن كوغة إلى شامة دون الشهر ومن كوغة إلى مدينة كوكو في الشمال عشرون مرحلة بسير الجمال"[1].

يتبين من خلال نص الإدريسي بأن هناك مدينتين تحمل نفس المسمى "كوغة"، الأولى تقع بالسودان الغربي التي تحكمها عمالة ونقارة، والثانية تحت حكم بلاد كانم. ويرى تاديوس ليفينسكي بأن كوغة الشرقية يمكن أن تكون بقرب "كوكاوة" بالغرب من نهر تشاد أو "كاوكا" التي أشار إليها الحسن الوزان والتي تقع شرق هذا النهر[2].

إضافة إلى ذلك أشار الإدريسي إلى المسافات التي تربط مدينة كوغة مع باقي المدن السودانية الأخرى، وهذا دلالة على مكانة وأهمية المدينة من الناحية التجارية التي حظيت بها خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، حيث يرى تاديوس ليفينسكي بأن: "كوغة العاصمة القديمة لدولة مالي، كانت من المدن المهمة لونقارة. وأقول بأن المدينة وجميع مدن وقرى ونقارة حظيت بعلاقات مع مدينة وارجلان من خلال أهلها التجار ومشاركتهم في التفاوض مع تجار المغرب الأقصى(خاصة مع سجلماسة والسوس الأقصى)، واحتكارهم لتجارة التبر كل العصر الوسيط"[3].

**6-وارجلان – كوار:**

لم يكتف تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بالتجول بمدن السودان الغربي، بل تعدّوه نحو السودان الأوسط، وبالضبط مدينة كوار موقعها في الصحراء، بين فزان ونهر تشاد. ويعد الإدريسي أول من أشار إلى وجود علاقات تجارية بين كوار وتجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وارجلان بالتحديد هذا نصه: "مدينة انكلاس[4] أربعون ميلا في بطن الوادي وهي مدينة من أكبر بلاد كوار قطرا وأكثرها تجارة وعندهم معادن الشب الخالص المتناهي في الطيب ويوجد في أجبلها كثيرا لكنه يتفاضل في الجودة والطيب وأهل هذه المدينة يتجولون حتى ينتهوا في جهة المشرق بلاد مصر ويتصرفون في جهة المغرب فيصلون بلاد

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 27.

[2]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 54.

[3]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Ibid, p 57.

[4]- انكلاس: انكلاس، هي المعروفة بقرية كلالة "Kalala" التي تبعد بـ 2 كلم شمال غرب بيلمة "Bilma"، المعروفة بالملح. أو بالأحرى ملح بيلمة المنتجة للملح الذي يحتوي على نسبة 79% من كبريتات الصوديوم ($SO_4N_2$- أو ما يعرف بالشب). وهو يدخل في صناعة ملح شب بيلمة (وكوار كليا)، كانت خلال القرن الثاني عشر الميلادي[القرن السادس الهجري] من أغنى البلدان. ينظر: Mauny(R): Op.cit, p 141.

وارقلان وسائر أرض المغرب الأقصى"[1]. أبو يعقوب يوسف الوارجلاني في كتابه الدليل والبرهان وقع له من مشاهدات بين كانم وأولاد كوار ضمن جماعة من المسافرين من بني وارجلان قادمون من كوار في قافلة زهاء ثلاثمائة رأس من الرقيق أو ينقص قليلا[2].

يرى تاديوس ليفينسكي بأن الطريق بين وارجلان وكوار يمر عبر "جادو"، وهي مركز تجاري كبير بجبل نفوسة[3]، ثم بزويلة وكوار. كمرحلة أولى نتتبع محطات الرحلة من وارجلان إلى جبل نفوسة، التي تعتبر من معاقل الجماعات الأباضية، لذا تربطها صلات تجارية قوية بينها وبين وارجلان، لأن أهل الجبل كانوا أعلم بالطرق التجارية المؤدية إلى بلاد السودان الأوسط لصلاتهم القديمة بها[4].

أشار الإدريسي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بأن من جبل نفوسة إلى وارقلان اثنتي عشرة مرحلة[5]، ولكنه لم يخبرنا عن محطاته. إن المسار التي تسلكه القافلة ينطلق من وارجلان باتجاه أريغ ثم واحة أسوف (سوف)، ثم إقليم قسطيلية بالمرور بشط الجريد وبالتالي الوصول إلى إقليم نفزاوة.

الدرجيني في طبقاته أشار إلى هذا الطريق بقوله: "وصل الشيخ أبو زكرياء ذات مرة من سجلماسة إلى وارجلان، ثم خرج من وارجلان متجها إلى جربة في جماعة من أصحابه يكونون خمسة وعشرون راكبا، أو عشرون راكبا، ومعهم قريب من مائتين وخمسين مثقالا ذهبا تبرا"[6].

قَدَّرَ الإدريسي المسافة من نفطة إلى مدينة قابس ثلاث مراحل وبعض مرحلة[7]، فيما فَصَّلَ التجاني في رحلته محطات الطريق أولها توزر، ثم مدينة بشرى، ومنها إلى مدينة طرة وهي العاصمة الثانية بعد مدينة بشرى لإقليم نفزاوة، ثم يأخذ الطريق بإتجاه الحامة للوصول إلى قابس[8].

وفي إشارة له أخبرنا الإدريسي بوجود مدينة اسمها لوحقة بين نفزاوة وجبل نفوسة بقوله: "وفيما بين جبل نفوسة ومدينة نفزاوة مدينة لوحقة ويتصل بها غربا مدينة بسكرة وبادس"[9]. نستنتج من هذا النص بأن هناك مسلك يربط بين جبل نفوسة وإقليم نفزاوة بالمرور بمدينة لوحقة والتي تنتهي حدودها الغربية مع مدينة بسكرة وبادس.

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 117.

[2]- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: المصدر السابق، ج03، ص 282.

[3]-LEWICKI(T): LEWICKI(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 59.

[4]- زاهر الحجري: **الأباضية في الغرب الإسلامي**، مكتبة الجيل الصاعد، مسقط، 2012، ص 143.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج 02، ص 502.

[7]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.

[8]- التجاني: **رحلة التجاني**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص ص 172-177.

[9]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 279.

وللوصول إلى جبل نفوسة يشير التجاني إلى منزل غمراسن[1]، تقع في الشمال الغربي من تطاوين[2]، وهي قرية كانت عاصمة الإقليم تحت حكم الإمام عبد الوهاب[3]. ومن تطاوين يستمر مسار الطريق باتجاه ذهيبات، وثم وزان وهي قرية موجودة خلال القرن العاشر الميلادي، ثم من وزان يأخذ المسلك باتجاه جبل نفوسة[4]، أين تصل القوافل إلى أكبر مركز تجاري بجبل نفوسة وهو "جادو"[5].

وأما محطات الطريق التي تأخذ مسارها نحو بلاد كوار، فنقرأ عند البكري ما نصه: "ومن أراد الطريق من نفوسة إلى مدينة زويلة فإنّه يخرج إلى مدينة جادو المذكورة، ثمّ يسير ثلاثة أيّام في صحراء ورمال إلى موضع يسمّى تيرى[6]،...فيمشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيّام لا يجد ماء، ثمّ ينزل على بئر تسمّى أودرف، ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمّى تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة أيّام حتّى يصل إلى بلد يسمّى تامرما...ويسير من هذا البلد إلى بلد يسمّى سباب يومين، ...ويسير من سباب في صحراء مستوية... إلى زويلة يوم"[7].

فيما لم يفصح البكري عن بقية المسلك والمسافة بين زويلة وكوار، كتب اليعقوبي(بعد 296هـ/904م) ما نصه: "ووراء زويلة على خمس عشرة مرحلة مدينة يقال لها: «كوار» بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم بربر يأتون من السودان"[8]. ويرى تاديوس ليفينسكي بأن: "من بين التجار، كان هناك من جملة الأمور، إباضية جبل نفوسة الذين كان لهم السيطرة على تصدير شب انكلاس إلى وارجلان"[9].

**7-وارجلان-زغاوة:**

بالإضافة إلى واحات كوار، واصل تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ووارجلان بالتحديد التوغل نحو بلاد السودان الأوسط، حيث كانت لهم علاقات تجارية مع بلاد زغاوة التي تقع في حوض تشاد. ويشير الإدريسي إلى تلك العلاقة بقوله: "وأكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة وربما جلبت الحنطة إليهم

---

[1]- التجاني: المصدر السابق، ص 179.

[2]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 30.

[3]-Lewicki(T): **Les Ibadites En Tunisie Au Moyen Age**, Angelo Signorelli Editore, Roma, 1958, p 07.

[4]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p p 30-31.

[5]-**جادو**: مدينة كبيرة تسمّى جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير. ينظر البكري: المصدر السابق، ج02، ص 181؛ مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 144؛ الحموي: المصدر السابق، ج02، ص 92؛ ابن عبد الحق البغدادي: **مراصد الإطلاع على اسماء الأماكن والبقاع**، تح: على مُحَّد البجاوي، دار المعرفة، دمشق، 1954، ج01، ص 305.

[6]- تيرى: موضع في سفح جبل فيه آبار كثيرة ونخيل. ينظر: البكري: المصدر السابق، ج02، ص 182.

[7]- البكري: المصدر نفسه، ج 02، ص 182.

[8]- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 183.

[9]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 60.

من بلاد وارقلان وغيرها"[1]. اليعقوبي في تاريخه أشار إلى موقع الزغاوة بقوله: "وهو النازلون بالموضع الذي يقال له: كانم"[2]، فيما صرح المهلبي بأن: "ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حدّ المشرق منها مملكة النوبة الذين بأعلى صعيد مصر بينهم مسيرة عشرة أيام، وهم أمم كثيرة، وطول بلادهم خمس عشرة مرحلة في مثلها في عمارة متصلة"[3]. وأما المسعودي في أخبار الزمان كتب عن مملكة زغاوة ما نصه: "ومملكة الزغاوة واسعة كبيرة، منها على النيل مما يحاذي النوبة"[4].

أشار ابن حوقل إلى المسافة بين فزان وزغاوة بقوله: "ومن فزان إلى زغاوة شهران"[5]. وأما محطات الطريق بين وارجلان وزغاوة فهي كما أشرنا سابقا فإن تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط يحطون رحالهم بجبل نفوسة بالمركز التجاري "جادو"، ومن ثم يمرون إلى فزان ثم كوار، ومن كوار تتجه القوافل نحو بلاد كانم أين يتواجد الزغاوة.

ذكر البكري في مسالكه بأن المسافة بين زويلة وبلاد كانم أربعون مرحلة[6]، فيما أشار اليعقوبي بأن المسافة بين زويلة وكوار خمس عشرة مرحلة، وبالتالي فإن المسافة بين كوار وبلاد كانم تقدر بخمس وعشرين مرحلة، ثم تصل القوافل إلى مدينة زغاوة التي تقع في مركز البلاد[7].

**8-وارجلان – زاغري- مالي:**

هذا المسلك الذي يتخذ من سجلماسة محطة له باتجاه زاغري ومالي، حيث سلكه ابن بطوطة(ت 779هـ/1377م) وأشار إلى محطاته مبتدئا بسجلماسة حيث قال: "وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان، فوصلت إلى مدينة سجلماسة. وهي من أحسن المدن"[8]. وبعدها تتوجه القافلة تلقاء تغازى بعد خمسة وعشرين يوما[9].

وقد اتخذت هذه المنطقة عدة مسميات فالبكري أطلق عليه معدن تاتنتال بقوله: "ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما، ...ويسمّى هذا المعدن تاتنتال...، ومن هذا المعدن يتجهّز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان"[10]، فيما سماه

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 111.

[2]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 238.

[3]- المهلبي: المصدر السابق، ص 54.

[4]- المسعودي: أخبار الزمان، المصدر السابق، ص 89.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 92.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 183.

[7]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 62.

[8]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 686.

[9]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[10]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358.

ابن سعيد بحصن الملح "وآخر هذا الجزء في الصحراء، حصن الملح وهو مبني على ملح معدني، ومنه يأخذ المسافرون الملح إلى بلاد السودان"[1]. وقد اعتبر ريمون موني بأن منجم تغازى هو منجم الملح الصحراوي الرئيسي خلال العصر الوسيط[2].

صرح العمري في مسالكه بأن: "مدينة سجلماسة آخر العمران ليس قبليها عمران بل منها يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع، ويعودون بالذهب وليس بعدها إلا تابلبلت في البرية إلى أولاثن وبينهما المغازة العظمى وهي أربعة عشر يوما لا يوجد بها ماء ولا يدخلها إلا الإبل المصبرة على الظمأ"[3].

وصف الحسن الوزان تابلبلت بقوله: "هو مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتي ميل من الأطلس ومائة ميل جنوب سجلماسة. وهناك ثلاثة قصور عامرة بالسكان، وأراضيها الصالحة للفلاحة مغروسة بالنخيل، الماء فيها قليل وكذلك اللحم، وتؤكل فيها النعام والوعول التي تصاد. ورغم أن القوم يتجرون مع بلاد السودان فإنهم فقراء لكونهم خاضعين للأعراب"[4].

يبدو أن تابلبلت لم تحظ بمرور القوافل إليها نظرا لقلة الماء وسيطرة الأعراب عليها، مما أدى بالقافلة التي يَقِلُّهَا ابن بطوطة إلى عدم المرور بها فجعلت من تاسرهلا المحطة الموالية قبل الوصول إلى ايوالاتن لغزارة المياه لديها حيث صرح بقوله: "ثم وصلنا إلى تاسرهلا...، وهي احساء ماء، تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام. فيسترحون ويصلحون أسقيتهم ويملأونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح"[5]. وبخصوص موقع تاسرهلا فقد ذكر تاديوس ليفينسكي بأنها تبعد عن تغازى بـ 260 كلم وعن ولاتة بـ 500 كلم[6].

تعتبر ولاتة المحطة الموالية في هذا المسلك المؤدي إلى مالي، ازدهرت هذه المدينة بعد سقوط غانة ونزوح ساكنيها إليها وساهموا في إعمارها، وهي من المدن التجارية المهمة تسمى بلغة السونغاي بِيرُو أو بِيرُ. أشار السعدي إلى أن ولاتة كانت قبلة للتجار والعلماء والصلحاء قبل أن تزدهر تمبكتو بقوله: "كان التسوق قبل في بِيرُ وإليه يرد الرّفاق[7] وسكن فيه من الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد، من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة... إلى غير ذلك"[8].

---

[1]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص ص 113، 234.

[2]- Mauny(R): Op.cit, p p 116-117.

[3]- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 107.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 129.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 688.

[6]- Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 64.

[7]- الرّفاق: القوافل.

[8]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

صرح ابن بطوطة بأن: ايولاتن بلدة "شديدة الحر، وفيها يسير نخيلات، يزرعون في ظلالها البطيخ. وماؤهم من أحساء بها، ولحم الضأن كثير بها"[1]. وأما المقري فقد أشار إلى اتخاذ ولاتة مركزاً تجاريًّا من طرف الإخوة المقري الذين عقدوا الشركة بينهم بقوله: "فعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار، وتزوجوا النساء، واستولدوا الإماء"[2].

قرية زاغري هي المحطة الموالية في هذا المسلك، تبعد عن ولاتة مسيرة عشرة أيام[3]. صورها لنا ابن بطوطة بأنها: "قرية كبيرة يسكنها تجار السودان،... ويسكن معهم جماعة من البيضان، يذهبون مذهب الأباضية...، ويسمون صَغَنَغُو...والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم تُوري"[4].

بما أن وارجلان هي معقل إباضية المغرب الأوسط، وباب الولوج إلى بلاد السودان، فيمكننا أن نخلص إلى وصولهم إلى قرية زاغري. وقد ذهب تاديوس ليفينسكي إلى نفس الرأي وصرح قائلا: "ويبدو أن جميع فروع إباضية المغرب الناجون بعد سقوط الإمامة الرستمية، حافظوا على وجودهم حتى القرن 14م، هم إباضية وارجلان الذين شاركوا أكثر من غيرهم في حركة القوافل مع السودان الغربي"[5].

وبحسب ابن بطوطة المحطة الموالية بعد قرية زاغري هي بلدة كَارْسَخُو[6]، وقد حدد موريس دولافوس موقع كارسخو على يمين نهر النيجر بالقرب من ديافارابي بـ 21 كلم جنوب غرب كي مسينا[7]. وبعد بلدة كارسخو تأتي المحطة الموالية وهي العبور على نهر صنصرة الذي يبعد عن مالي عشرة أميال[8].

**9-وارجلان – تاكدة:**

إن أول إشارة دونت حول تاكدة في المصادر كانت من قِبَلِ الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي حل بالمدينة عام 754هـ/1353م، قادما إليها من فاس. كتب ابن بطوطة بخصوصها ما نصه: "وديار تكدا مبنية بالحجارة الحمر، وماؤها يجري على معادن النحاس، فيتغير لونه وطعمه بذلك، ولا زرع بها إلا يسير من القمح، يأكله التجار والغرباء...ولا شغل لأهل تكدا غير التجارة...ولأهلها رفاهية وسعة حال، ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم"[9].

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 690.

[2]- المقري: المصدر السابق، ج05، ص 205.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 693.

[4]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[5]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 67.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 694.

[7]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 67.

[8]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 694.

[9]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 710.

تعد تاكدة مركزا تجاريا بما تحتويه من معدن النحاس الذي عرفت به، حيث "يحفرون عليه في الأرض، ويأتون إلى البلد، فيسبكونه في دورهم. ويفعل ذلك عبيدهم وخدمهم. فإذا سبكوه نحاسا أحمر، صنعوا منه قضبانا في طول شبر ونصف، بعضها رقاق، وبعضها غلاظ...ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار، وإلى زغاي، وإلى بلاد برنو، وهي على مسيرة أربعين يوما من تكدا"[1].

ونقل لنا العمري في مسالكه بأن الزواوي حدثه السلطان منسا موسى بقوله: "إن عنده في مدينة اسمها تكرا معدن النحاس الأحمر تجلب منه القضبان إلى مدينة بيتي"[2]. وقد أشار تاديوس ليفينسكي بأن: "هناك طريق يربط بين تاكدة بغدامس وإلى ذلك بفاس. هذا المسلك السالف الذكر يمر عبر توات وسجلماسة"[3].

ويروي لنا ابن خلدون في تاريخه ما نصه: "قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبي عنان في بعض الأغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكرت[4] عند يوسف بن مزني أمير بسكرة"[5]. وفي إشارة أخرى له أضاف ابن خلدون بأن بلاد الزاب بسكرة ووارجلان لهما علاقة بتاكدة بقوله: "وهذا البلد[6] لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان...وعلى عشرين مرحلة من هذا في القبلة منحرفا إلى المغرب بيسير بلد تكرت قاعدة وطن الملثّمين وركاب الحجاج من السودان اختطّه الملثمون من صنهاجة وهم سكانه لهذا العهد، وصاحبه أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان، وبينه وبين أمير الزاب[7] مراسلة ومهاداة"[8].

وبخصوص طريق تاكدة وارجلان، فقد وَضَّحَ ابن بطوطة محطاته بقوله: "وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين...فوصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان الكركري...وهي مسيرة ثلاثة أيام...ثم سرنا بعد ذلك مسيرة خمسة عشر يوما...وصلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات...وسرنا من هنالك عشرة أيام، ووصلنا إلى بلاد هكار...وسرنا في بلاد هكار شهرا...ووصلنا بلاد برابر...ثم وصلنا إلى بُودا، وهي من أكبر قرى توات"[9].

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق،ج02، ص 711.

[2]- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 59.

[3]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 69.

[4]- تكرت: المقصود بها تكدت. ينظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70، الهامش رقم 03.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70.

[6]- البلد: وارجلان.

[7]- الزاب: المقصود به بسكرة.

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70.

[9]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص ص 712- 713.

يرى ريمون موني أن عين صالح أصبحت تمثل محطة مهمة خلال العصر الوسيط الأعلى في الطريق الرابط بين وارجلان وتادمكة وجاو[1]، وقد أشرنا إلى ذلك عند ذكرنا لمحطات هذا المسلك، لذا فإن القوافل عند وصولها إلى منطقة الهقار وبالضبط واحة عين صالح -والتي أصبحت تمثل مفترق طرق- للقوافل التي عليها أن تأخذ الاتجاه الغربي للوصول إلى توات، وإما الاتجاه الشرقي للوصول إلى وارجلان مرورا بالقليعة.

**10-وارجلان – أغاديس:**

أصبحت أغاديس خلال القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي حاضرة سياسية وتجارية في بلاد السودان، بعد أن فقدت تاكدة مكانتها الحضارية. قال الحسن الوزان بشأنها: "وهي مدينة السود التي تكاد تكون أبهى من مدن البيض باستثناء ولاتة...جميع سكانها تقريبا من التجار الأجانب"[2].

الأجانب"[2].

وبخصوص اتصال وارجلان بأغاديس يوضح الحسن الوزان ذلك بقوله: "وركلة مدينة...يوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناع فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جدا، لأنهم في اتصال مع مملكة أكدز، منهم عدد كبير من التجار الأجانب الغرباء عن البلد، لاسيما من قسنطينة وتونس يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي بها التجار من بلاد السودان"[3].

نفهم من خلال هذا النص تجوال تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ممثلين بوارجلان في مدينة أغاديس التي أصبحت مركزا تجاريا مهمًّا في بلاد السودان، إضافة إلى أن وارجلان تمثل دور الوسيط بين تجار مدن بلاد المغرب وأغاديس المدينة السودانية. وعن محطات الطريق بين وارجلان وأغاديس فإنها نفس المراحل التي أشرنا إليها عند ذكرنا للطريق الذي يربط بين وارجلان وتاكدة، حيث أن وصف الجزء الشمالي منه يمر عبر عين صالح والقليعة، فيما كانت محطات الجزء الجنوبي التي فصلها ابن بطوطة في رحلته أثناء رجوعه إلى فاس بالمرور بأرض كاهر ثم مفترق طرق غات، ثم منطقة الهقار.

وعموما يمكننا القول بعد سردنا للطرق التي كانت وارجلان فيها المتحكم في زمام التجارة الصحراوية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وباب الولوج لبلاد السودان، حيث أدت هذه الحاضرة دورا مهما وفعالا في ربط الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط مع أغلب مدن بلاد السودان.(الخريطة رقم 19)

---

[1]-Mauny(R): Op.cit, p 434.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 171-172.

[3]- الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج02، ص 136.

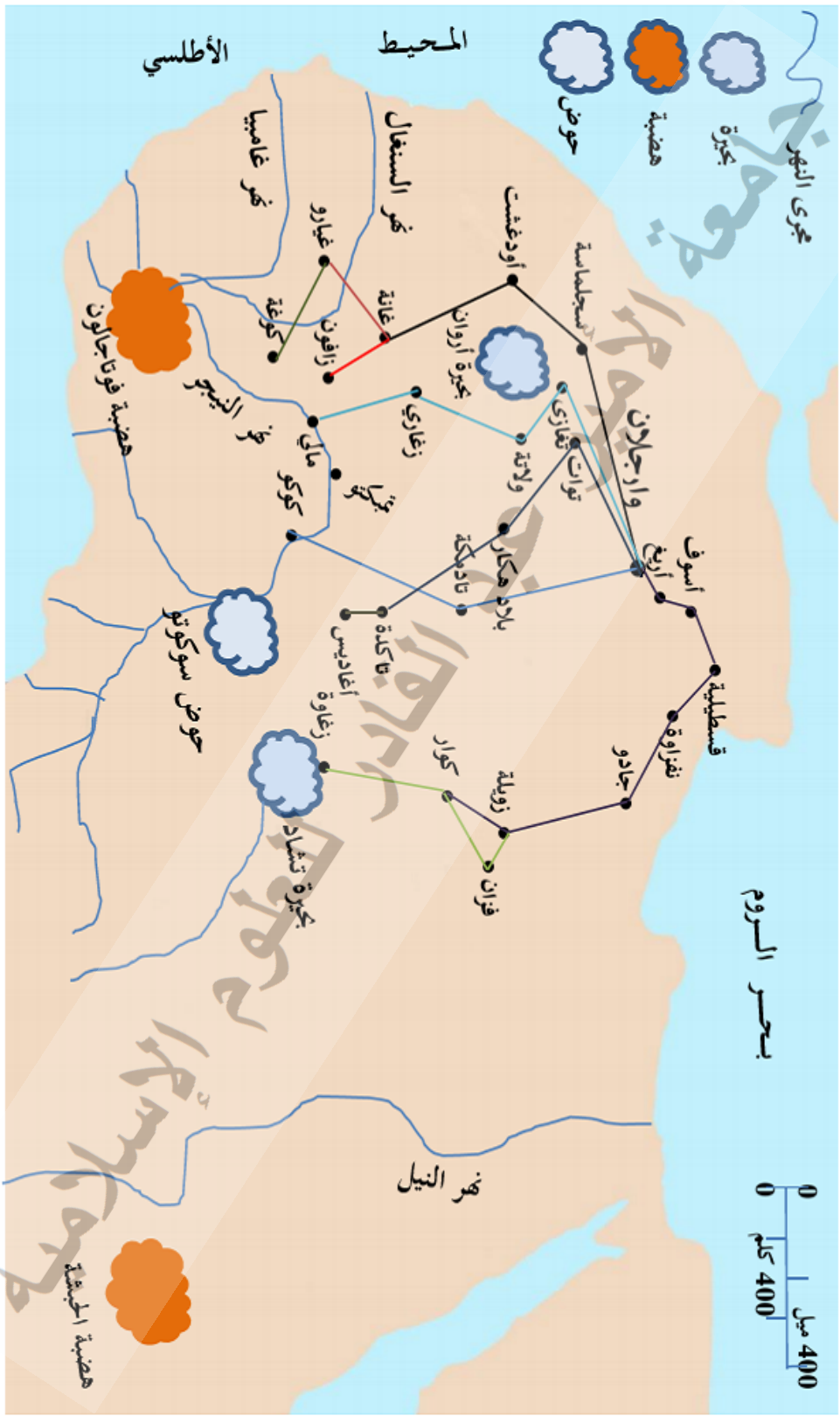


الخريطة رقم 19: المسالك التجارية الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من وارجلان

من إعداد الطالب

**المطلب الثاني: المسالك الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من توات**

ظهرت توات كمركز تجاري مهم على اتصال دائم ببلاد السودان خاصة بعدما تحول المسلك التجاري الغربي الذي كان يستخدم سجلماسة كمحطة لتجمع الرفاق، ومع نهاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وبداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، كشفت لنا المصادر الإخبارية اتصالاتها ببلاد السودان وأصبحت محطة لتجمع القوافل. وقد عرفت توات بفضل علاقاتها ببلاد السودان عدة مراكز تجارية سودانية كان تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ينزلون بها، وفيما يلي نذكر أهم المسالك الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من توات.

**1-توات-تاكدة:**

بعد أن وصل ابن بطوطة إلى مملكة مالي واجتمع بسلطانها، وأثناء وجوده بتاكدة أتاه الأمر من العاهل المغربي بالوصول إلى حضرته، فجهز السابق واتخذ طريق تاكدة توات للوصول إلى فاس. ويذكر ابن بطوطة في رحلته تفاصيل مهمة حول محطات هذا الطريق حيث قال: "وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين...فوصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان الكركري...وهي مسيرة ثلاثة أيام...ثم سرنا بعد ذلك مسيرة خمسة عشر يوما...وصلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات...وسرنا من هنالك عشرة أيام، ووصلنا إلى بلاد هكار...وسرنا في بلاد هكار شهرا...ووصلنا بلاد برابر...ثم وصلنا إلى بُودا، وهي من أكبر قرى توات"[1].

إن بلاد الهقار تعتبر كما أشرنا سابقا مفترق طرق حيث كانت واحة عين صالح المتحكم الرئيس للقوافل التجارية الآتية من وارجلان عبر القليعة والوصول إليها، والقوافل الآتية من توات عبر بلاد البرابر. وفي إحدى محطات هذا الطريق المسماة كاهر صرح ابن بطوطة بأنها: "أرض كثيرة الأعشاب، يشتري بها الناس من برابرها الغنم، ويقددون لحمها، ويحمله أهل توات إلى بلدانهم"[2]. ويبدو لنا أن كاهر هذه تعتبر سوق رائجة للحوم الغنم، لذا نجد تجار توات أثناء عبورهم إلى بلاد السودان يتوقفون عندها ويحملون اللحم المقدد إلى بلدانهم.

**2-توات-ولاتة:**

تعد ولاتة من كبرى المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي، حيث اتخذها مؤسسو شركة الإخوة المقري كمركز تجاري لمعرفة أحوال السوق والسلع المطلوبة وأسعارها في بلاد السودان. فقد كتب المقري في

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص ص 712-713.

[2]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 712.

نفح الطيب ما نصه: "فعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة، وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار، وتزوجوا النساء، واستولدوا الإماء"[1].

وقد سجل لنا تاديوس ليفينسكي على لسان الرحالة البرتغالي Valentin Fernandes الذي زار المنطقة سنة 851هـ/1447م بأن: "ولاتة هي مدينة كبيرة... يحكمها ملكين، أبيض والآخر أسود، نظرا لأن المدينة تحت نفوذ بلاد السودان. جميع سكانها مسلمون. وفي هذه المدينة نجد اليهود، أغنياء جدا، ولكنهم مضطهدون، ومن بينهم تجار متجولون، ومنهم صناع مجوهرات"[2].

فيما أشار السعدي إلى أن ولاتة كانت قبلة للتجار والعلماء والصلحاء قبل أن تزدهر تمبكتو بقوله: "كان التسوق قبل في بِيرُ وإليه يرد الرّفاق[3] وسكن فيه من الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد، من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة... إلى غير ذلك"[4].

وعن مسار الرحلة فإن القوافل تمر بسلجماسة ثم تتخذ المسلك الذي قطعه ابن بطوطة للوصول إلى ولاتة. بالمرور بتاسرهلا وتغزى وصولا إلى ولاتة.

**3-توات-تغازى-تمبكتو:**

من المدن التي كان لتجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط الولوج إليها والمنطلقون من توات هي مدينة تمبكتو. اعتبرت تمبكتو من أهم العواصم الإسلامية ببلاد السودان، وجوهرة الصحراء المتربعة على الرمال، وهي ملتقى القوافل البرية، وبخصوص نشأتها صرح السعدي في تاريخه: "فنشأت على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة. فنزلوا فيها راتعين...ثم أخذ الناس يسكنون فيها بقدرة الله تعالى وإرادته في العمارة ويأتيها الناس من كل جهة ومكان حتى صارت سوقا للتجارة"[5].

أَبَانَ التاجر الجنوي أنطونيو مالفنتي في رحلته التي قام بها عام 851هـ/1447م من توات إلى بلاد السودان حيث وصل إلى تنبكتو عن تفاصيل الطريق الذي سلكه هذا نصه: "أولا، تغازى...، كوكيا، تمبكتو"[6].

قراءة في تاريخ ابن خلدون بخصوص توات مفادها: "فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة، ويسمى وطن توات، وفيه قصور متعدّدة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها من جانب

---

[1]- المقري: المصدر السابق، ج05، ص 205.

[2] - Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p p 65-66.

[3]- الرّفاق: القوافل.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

[5]- السعدي: نفس المصدر والصفحة.

[6]-De La Ronciere(CH): **Découverte D'une Relation De Voyage Datée Du Touat et Décrivant en 1447 Le Bassin Du Niger**, Imprimerie nationale, paris, 1918, p 29.

المشرق يسمّى تمنطيت، وهو بلد مستجر في العمران، وهو محط ركاب التجار المتردّدين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد، ومن بلد مالي إليه"[1].

وأما مالفنتي التاجر الجنوي فقد أدلى لنا بشهادته في قوله: "هذه المنطقة هي عبارة عن محطة تجارية في بلاد البربر. تحتوي على خمسين مائة إلى مائتين قرية...المسافرون الذين يمرون يصبحون على الفور زبائن عند رؤساء الأحياء...وكذلك السلع تكون محمية بكاملها، ويمكن القول وبكل أمانة هي من كبريات الدول الملكية مثل تلمسان وتونس"[2].

وأضاف مالفنتي بأن: "هناك الكثير من اليهود المستقرون والذين يعيشون بسلام تحت سلطة مجموعة من الرؤساء الذين يحمون زبائنهم، وهكذا فهم يحيون بشكل مؤنس جدا. التجارة تتم عن طريق وسيط والعديد منهم يستحق الثقة"[3].

وتأتي المحطة الموالية منجم تغازى التي يجلب منها الملح إلى بلاد السودان، وصفها الرحالة البرتغالي آلفيس كادا موستو بقوله: "مكان يطلق عليه تغازى...يستخرج منه الملح بكميات كبيرة، مثل الحجر الذي يقوم العرب وزناتة بتقسيمه إلى عدة قطع، ويحمل بالقوافل باتجاه تمبكتو ومالي"[4]. ثم يضيف بأن المسافة: "بين تغازى وتمبكتو حوالي أربعين يوما على الحصان"[5].

صوّر لنا الحسن الوزان تمبكتو على أنها: "عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن... ودكاكين كثيرة للصناع والتجار، لاسيما دكاكين نساجي أقمشة القطن. وتصل أيضا إلى تنبكتو أقمشة أوربا يحملها تجار بلاد البربر"[6].

إن تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط القادمون من توات كان لهم حضور في هذه التجارة، خاصة وأن توات كان لها علاقات تجارية متينة بعاصمة الدولة الزيانية تلمسان وبمينائها البحري المسمى هنين[7]، وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان[8]. وقد امتهن سكان هذا الميناء القطن والمنسوجات حيث كانوا يعملون بجد ونشاط.

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص ص 76-77.

[2]-De La Ronciere(CH): Op.cit, p 28.

[3]-Ibidem.

[4]-Ca' Da Mosto(A): **Relation de voyages à la Côte Occidentale d'Afrique 1455-1457**, publier par Charles Schefer, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1895, p p 54-55.

[5]- Ca' Da Mosto(A), Ibid, p 55.

[6]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 165-166.

[7]- **هنين**: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة صينة للغاية. لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة. وتحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما من جهة البحر. ينظر: الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج02، ص 15.

[8]- الحسن الوزان: نفس المصدر والصفحة.

وقد استقر التواتيون مع باقي أسرهم في مدينة تمبكتو التي بها مسجد، ومعهم أناس من المغرب وغدامس وطرابلس الذين كونوا المجتمع الأبيض[1]. وقد صرح السعدي في تاريخه بأن العديد من الجاليات المغاربية[2] الذين استقروا بولاتة انتقل الجميع إلى تنبكتو قليلا قليلا حتى استكملوا فيه زيادة مع قبائل الصنهاجة بأجناسها[3].

بعد خروج ابن بطوطة من مالي توجّه إلى تمبكتو حيث مر بالعديد من القرى، وفيما يلي تفصيل هذا الطريق: "قصدنا طريق ميمة...فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل،...ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج، فوصلنا إلى بلدة قُرِي منسا...ثم رحلت إلى بلدة ميمة فنزلنا على آبار بخارجها. ثم سافرنا منها إلى مدينة تنبكتو"[4].

**4- توات- كوكو(كوكيا):**

تعتبر كوكو من المدن السودانية التي قصدها قوافل تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط القادمون من توات، حيث شهدت هذه المدينة حركة تجارية نشطة نظرا لموقعها على الطرف الجنوبي من طرق تجارة الصحراء والذي سمح لها بأن تكون حلقة وصل لتبادل سلع الغرب الإفريقي وجنوب الصحراء مع شماله. وقد صوّر لنا الإدريسي هذا المشهد بقوله: "وهي في رصيف طريق، الوارد عليها والصادر كثير"[5].

الوزان في وصفه أَقَرَّ بوجود سلعٍ مستوردة من قبل تجار بلاد البربر وأوربا بجاو بقوله: "ويأتي إليها عدد من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا بها أشياء مستوردة من بلاد البربر وأوربا"[6]. يبدو أن التجار القادمون من بلاد المغرب والذين وصفهم الوزان بالبربر والتجار الأوربيون، الذين يتجولون بالمدينة قد مروا بتوات حتى وصلوا كوكو، هذا الطريق شهد خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي نشاطا ملحوظا بعد تقلص دور سجلماسة الحضاري وتحول المسلك الغربي إلى توات.

وعن مراحل الطريق فإن تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بعد خروجهم من توات يمرّون كما أشرنا سابقا عبر تغازى ثم ولاتة والعديد من القرى حتى يصلوا إلى مالي ثم تمبكتو، ويذكر ابن بطوطة أنه ركب النيل في مركب صغير من تمبكتو حتى وصل إلى مدينة كوكو حيث صرح بقوله: "ومن تمبكتو ركبت

---

[1]-De La Ronciere(CH): Op.cit, p 15.

[2]- ومن الجاليات المغاربية نذكر: أهل وجلة وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالة وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك. ينظر: السعدي: المصدر السابق، ص ص 128-129.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 129.

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص ص 704-707.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 312.

[6]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 169.

النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة. وكنا ننزل كل ليلة بالقرى...ثم وصلت إلى بلد أنسيت اسمه...ثم سرت إلى مدينة كوكو"[1].

ذكر آلفيس كادا موستو وهو يتحدث عن تصريف ذهب مالي بأن هناك طريق يربط بين مالي وكوكو بقوله: "الذهب الذي يجلب من مالي يحمل بهذه الوسائل ينقسم إلى ثلاثة أجزاء، الأول ينقل عن طريق القوافل التي تأخذ مسار مالي، إلى مكان يسمى بكوكيا"[2]. والمقصود بكوكيا هي كوكو.

وصف ابن بطوطة كوكو بأنها: "مدينة كبيرة على النيل، من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها. فيها الأرز الكثير واللبن والدجاج والسمك، وبها الفقوس العناني الذي لا نظير له. وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع"[3]. وقد التقى ابن بطوطة بالعديد من المغاربة الذين استقروا بكوكو منهم مُحَمَّد بن عمر من أهل مكناسة والحاج مُحَمَّد الوجدي التازي، والفقيه مُحَمَّد الفيلالي إمام مسجد البيضان.

إن تواجد هذا العدد من الشخصيات المغاربة التي أشار إليها ابن بطوطة والتقى بها يوحي لنا بتواجد جاليات من صحراء المغرب الأوسط خاصة منهم التواتيون فيما لم تفصح المصادر عن ذلك خلال الفترة موضوع الدراسة، وقد أشرنا سابقا بأن مسلك توات باتجاه مدن بلاد السودان قد شهد ازدهارا ونشاطا ملحوظا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.(الخريطة رقم 20)

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص ص 708-709.

[2]-Ca' Da Mosto(A): Op.cit, p 62.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 709.

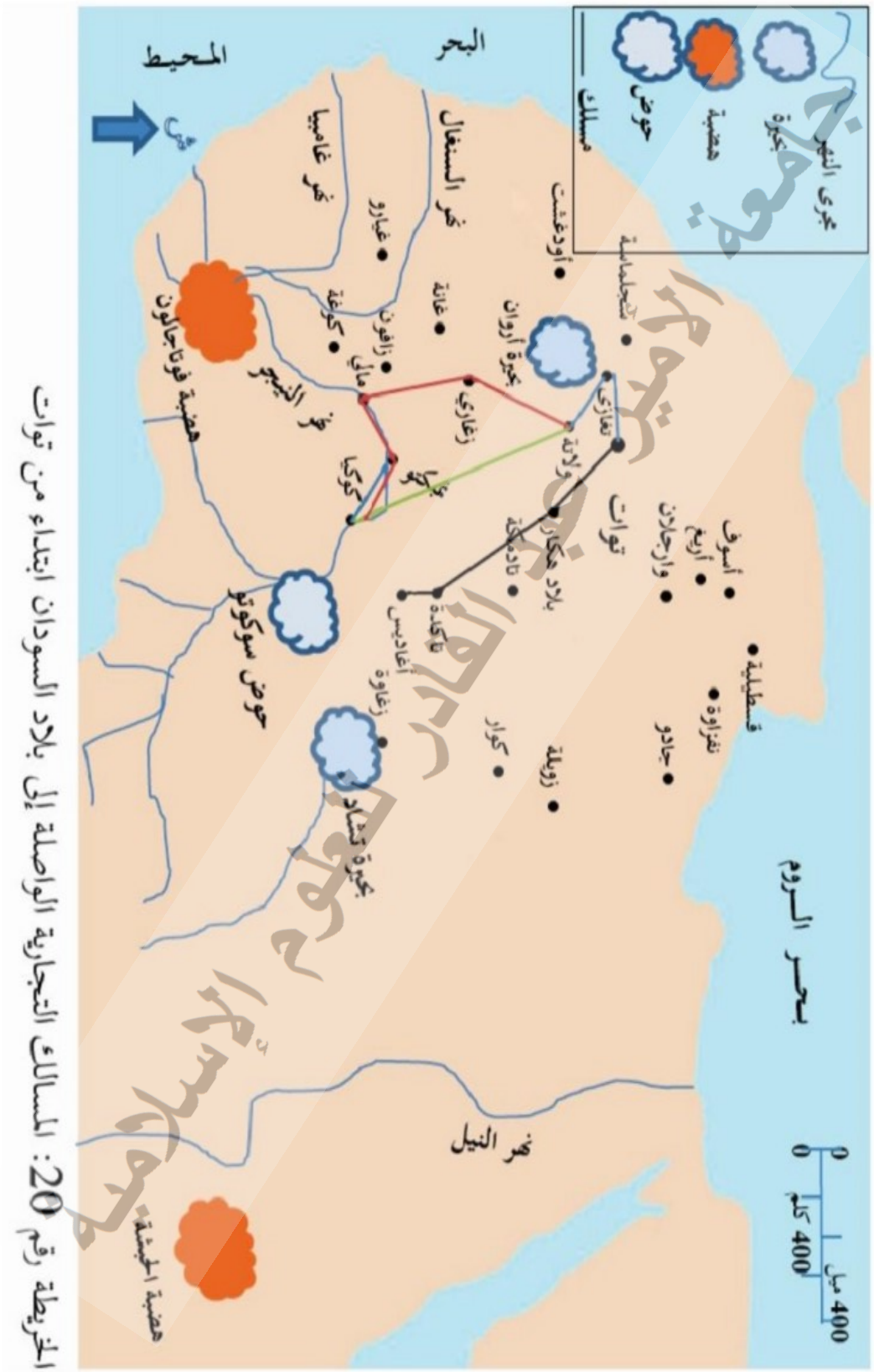


الخريطة رقم 20: المسالك التجارية الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من توات

من إعداد الطالب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**المطلب الثالث: النقل والمواصلات بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان**

قبل الخوض في وسائل النقل والمواصلات المعمول بها في العصر الوسيط، يجب علينا أن نعرج إلى أهم عنصر والذي يعتبر أساسيًّا في عملية التواصل بين ضفتي الصحراء، وهي القافلة وكيفية التحضير لها وتجهيزها.

**1- القافلة التجارية:**

تعتبر القافلة الوسيلة الوحيدة الممكنة للسير في الصحراء في العصر الوسيط، وذلك باستخدام الجمال، وتضم مجموعات متعددة من التجار الذين تربط بينهم سوى مصلحة الطريق[1]. إن تنظيم القافلة التجارية تحتاج إلى عدة إمكانيات مادية ومالية كبيرة لا يستهان بها، لذا وجب على أغنياء التجار والوسطاء التجاريين الانخراط في تمويلها حتى يتسنى لها القيام بالدور المنوط لها بأحسن وجه وفي أفضل الظروف.

لذا وجب توفر تجهيزات رئيسية من دواب النقل، وكمية السلع والبضائع الممكن شحنها، والأدلاء المرافقون والوسطاء العاملون قصد تصريف بضائعهم أو استبدالها في الأسواق التي تنزل بها القافلة[2]، علاوة على ذلك الخفارة التي تحرسها من اللصوص على حد شهادة ابن بطوطة الذي سجل ذلك بقوله: "ولا تسير القوافل إلا في خفارتهم[بلاد بردامة]"[3].

ويبدأ التحضير للقافلة والاستعداد لها عندما يتفق تجار أحدى المدن الصحراوية وارجلان أو توات على السفر نحو بلاد السودان، حيث يتم شراء الجمال أو اكترائها ومن ثم علفها حتى تصبح قادرة على تحمل مصاعب عبور الصحراء، علاوة على ذلك يتم أيضا شراء كل ما يلزم الرحلة كالقرب والحبال والمواد الغذائية وغيرها، وفي هذا الشأن أَقَرَّ ابن بطوطة ذلك بقوله: "وصلت إلى مدينة سجلماسة... واشتريت بها الجمال وعلفتها أربعة أشهر"[4].

إن عدد جمال القافلة التجارية العابرة للصحراء يتعدى إلى الآلاف، حيث أشار ابن خلدون إلى ذلك ما نصه: "اجتاز بنا هذا العام سفر من تجّار المشرق إلى بلد مالي كانت ركابهم اثني عشر ألف راحلة"[5]، علاوة على ذلك فإن القافلة يصحبها عدد لابأس به من التجار والمرافقين قد يصل إلى بضع

---

[1]- محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و1980م**، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1984، ط02، ص 68.

[2]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 193.

[3]-ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 709.

[4]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 686.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 70.

مئات من الأشخاص[1]. ونقرأ عند عبد القادر زبادية بأن: "كل القرى والمدن الواقعة على مشارف الصحراء الشمالية كانت تشترك في تجهيز تلك القوافل باتجاه إفريقيا جنوب الصحراء"[2] والتي من بينها على ما يبدو المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط أسوف وأريغ ووارجلان وبلاد الزاب وتوات وحتى وادي ميزاب.

وبعد الانتهاء من تنظيم القافلة يحرص القائمون عليها على اختيار توقيت خروج القافلة للسفر والدخول إلى بلاد السودان وعبور الصحراء، فكان سفرها في غالب الأحيان في فصل الخريف[3]. وقد يتساءل الواحد منا لماذا توقيت خروج القافلة نحو بلاد السودان في فصل الخريف؟ ابن بطوطة أجابنا عن تساؤلنا وسجل لنا ذلك وهو يوصف تغازى بقوله: "ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها. وهي مسيرة عشرة لا ماء فيها إلا في النادر. ووجدنا نحن بها ماء كثيراً في غدران أبقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الأيام غديراً بين تلين من حجارة ماؤه عذب فترونا منه وغسلنا ثيابنا"[4]. فيما شاطره الإدريسي بخروج القافلة في فصل الخريف بقوله: "وهذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف"[5].

ويبدو أن ابن حوقل له وجهة نظر مغايرة لما طرحه ابن بطوطة والإدريسي حيث سجل لنا ما نصه: "وبلد السودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذّرة المراعي لا تسلك إلّا في الشتاء وسالكها في حينه متّصل السفر دائم الورود والصدر"[6]. وسواء كان توقيت انطلاق القافلة في فصل الخريف أو مطلع فصل الشتاء فذلك لتجنب الحرارة والطقس غير المناسبين.

وعن طريقة سير القافلة التجارية في الصحراء يقول الإدريسي ما نصه: "وصفة السير بها أنهم يوقرون أجمالهم في السحر الأخير ويمشون إلى أن تطلع الشمس ويكثر نورها في الجو ويشتد الحر على الأرض فيحطون أحمالهم ويقيدون أجمالهم ويعرسون أمتعتهم ويخيمون على أنفسهم ضلالا تكنهم من حر الهجير وسموم القائلة ويقيمون كذلك إلى أول وقت العصر وحين تأخذ الشمس في الميل والانحطاط في جهة المغرب يرحلون من هناك ويمشون بقية يومهم ويصلون به المشي إلى وقت العتمة ويعرسون أينما وصلوا ويبيتون بقية

---

[1]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 260.

[2]-عبد القادر زبادية: المرجع السابق، الهامش رقم 11، ص 62.

[3]-حسن حافظي علوي: **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997، ص 376؛

-Lombard(M): **Les bases monétaires d'une suprématie économique: l'or musulman du VIIe au XIe siècle**. In: Annales Economies, Sociétés, Civilisations. 2e année, N. 2, 1947, p 150.

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 687.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 107.

[6]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 103.

ليلهم إلى أول الفجر الأخير ثم يرحلون وهكذا سفر التجار الداخلين إلى بلاد السودان على هذا الترتيب لا يفارقونه لأن الشمس تقتل بحرها من تعرض للمشي في القائلة عند شدة القيظ وحرارة الأرض"[1].

وحرصا من تجار القوافل والقائمين عليها على تأمين حياتهم ومتاعهم وممتلكاتهم، فكر هؤلاء في وضع نظام خاص بالقافلة يضمن لهم ذلك، فأوكل هؤلاء إلى أشخاص متمرسون ولديهم خبرة للقيام بالخدمات المتعلقة بالتجارة مقابل أجور متفق عليها يتلقونها[2]، وهؤلاء الأشخاص هم مقدم القافلة ورئيسها، دليل القافلة ومساعدوه(التكشيف)، الفقيه، وخفارة القافلة. وفيما يلي نشرع في تفصيل أدوار هؤلاء الأشخاص الموكلة لهم توصيل القافلة من وإلى بلاد السودان في أحسن الظروف وفي أمان تام.

**أ-مقدم القافلة:**

يظهر من خلال التسمية أنه القائد والمسؤول الأول عن القافلة، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك بقوله: "ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين، في رفقة مقدمها أبو مُحَمَّد يندكان المسوفي"[3]. من مميزات المقدم أو قائد القافلة أن يكون من بين الذين لهم خبرة وباع في ميدان قيادة القوافل وتسيير شؤونها[4]، علاوة على ذلك يتدخل مقدم القافلة في التفاوض مع القبائل التي تمر القافلة في أراضيها لتحديد ما يجب عليها دفعه مقابل الحماية، وعلى هذا الأساس أفادنا ابن حوقل ما نصه: "ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جَمَل وحَمْل، ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان وبذلك قوام بعض شؤونهم"[5]. وغالبا ما يكون قائدها من أبناء القبيلة التي تمر القافلة في أراضيها.

**ب- دليل القافلة:**

يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مقدم القافلة. له دراية كبيرة بالمسالك الصحراوية وذو معرفة دقيقة بالبراري والقفار التي تقطعها القافلة، إضافة إلى ذلك له إدراك بالنجوم ومنازلها. إن هذه المميزات والخصائص التي يمتلكها الدليل كافية بأن يتتبع المسالك الصحراوية بالرغم من عدم ثباتها جراء تنقل الرمال من مكان إلى آخر وبالتالي تصبح غير واضحة المعالم.

وقد سجل ابن بطوطة لنا ذلك بقوله: "إنما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالا من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت إلى سواه والدليل هنالك من كثر تردده وكان له قلب ذكي"[6]. وقد ذكر ابن خلدون أن الدليل على مستوى من الحذق والدراية بالمناطق التي تنتشر فيها الآبار لتوفير الماء والمرعى للقافلة،

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 107-108.

[2]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 199.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 686.

[4]- النابي ولد الحسين: المرجع السابق، ص 263.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 99.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 688.

واختيار الطريق الأفضل والأقصر لضمان المرور الحسن للقافلة ما نصه: "لا يهتدي فيها للسبل، ولا يمر الوارد إلّا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفز، يستأجره التجّار على الدربة بهم فيها بأوفر الشروط"[1].

لقد تعجب ابن بطوطة واندهش من الدليل الذي اصطحبهم إلى مملكة مالي خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وهو أعور العين الواحدة مريض الثانية وسجل لنا ذلك بقوله: "ورأيت من العجائب أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق"[2]. نفهم من خلال شهادة ابن بطوطة أن الدليل ليس بالضرورة أن يكون سليم الجسم معاف، مع درايته الكبيرة بدروب الصحراء حتى لا تظل القافلة[3].

ويروي لنا الحسن الوزان قصة دليل قافلة اسمه عمار أصاب المرض عينيه فاستعمل حاسة الشم ليوصل القافلة إلى بر الأمان وسجل لنا ذلك بقوله: "ولما لم يكن أحد غيره في القافلة يعرف الطريق، ظل يسير في الأمام على جمله ويأمر بأن يناولوه شيئا من الرمل بعد أن قطع كل ميل فيشمه. وهكذا لما اقتربت القافلة من هذا المكان بأربعين ميلا قال: "اعلموا أننا قربنا من مكان المأهول.!". فلم يثق به أحد لعلمهم أنهم كانوا على بعد أربعمائة ميلا من مصر... إلا أنهم في اليوم الثالث أشرفوا على هذه القصور"[4].

**ج- الترجمان:**

يبرز دور الترجمان وأهميته مع دخول القافلة التجارية إلى إحدى المراكز الحضارية لبلاد السودان، حيث يتحقق بواسطتهم ووساطتهم بين طرفي المبادلة التجارية، وقد أورد ابن خلدون بأن منسى موسى بعث بسفارة إلى العاهل المغربي أبي الحسن بتلمسان كان يرافقها: "ترجمان من الملثّمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة"[5]، وهذا ما يثبت ويؤكد الدور الذي يقوم به الترجمان بمرافقة القافلة التجارية الداخلة إلى بلاد السودان وبواسطتهم يتم تصريف شؤونهم وتدار عملياتهم.

**د- التكشيف(الكشاف):**

هو اسم يطلق على كل شخص تكتريه القافلة مقابل ثمن متفق عليه مسبقا، وينحصر عمله غالبا عند قرب وصول القافلة من أحد المراكز التجارية في بلاد السودان. ويبدو أنهم مساعدون للدليل مهمتهم ايصال توجيهاته وتعاليمه إلى مختلف أطراف القافلة. ويعد ابن بطوطة أول من أورد لفظ التكشيف وقد

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 77.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 688.

[3]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 202.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 155-156.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 353.

عدد لنا مهامه وحصره في قبيلة مسوفة بقوله: "والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم إلى أيوالاتن يكتب الناس إلى أصحابهم بها ليكتروا لهم الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة أربع. ومن لم يكن له صاحب بأيوالاتن كتب إلى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك"[1].

إن مهنة التكشيف لا تنحصر في شخص واحد بل مجموعة من أشخاص لهم دراية بشهادة ابن بطوطة الذي سجل ذلك بقوله: "وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فإن كان التكشيف منفرداً لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك"[2]. ويبدو أن التكشيف خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي يُشْتَرَى بمائة مثقال من الذهب بحسب ابن بطوطة الذي أفادنا بقوله: "واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب"[3].

**هـ- فقيه القافلة:**

فقيه القافلة هو شخص يتميز بفهم الأمور الشرعية، مهمته تتلخص في إقامة الصلاة وإمامة الناس، تدوين المعاملات التجارية التي قد تحدث بين أفراد القافلة وفق الشريعة الإسلامية[4]، علاوة على ذلك يتدخل الفقيه في فض النزاعات التي قد تطرأ بين أهل القافلة، وكما يتولى الإشراف على تجهيز موتى القافلة والصلاة عليهم ومراقبة ممتلكاتهم وكل ما خلفوه حتى يسلمها إلى ورثتهم بعد العودة إلى المكان الذي انطلقت منه القافلة[5].

**و-خفارة القافلة:**

يَعْمَدُ أهل القافلة بعد أن تم لهم تنظيمها وتجهيزها إلى الاستعانة بمجموعة من الأشخاص تقيهم شر قطاع الطرق واللصوص الذين يترصدون القوافل في الصحراء أطلق عليها بخفارة القافلة. إن أهل القافلة هم من يوفرون لهذه الخفارة كل ما يحتاجون إليه من أسلحة مقابل أجور يتم الاتفاق عليها مسبقا[6]. ومن خصائصهم القوة والشجاعة، وتنوع الانتماءات القبلية، حتى يكثر أنصارها ويصعب الاعتداء عليها[7]، ويشير الناني ولد الحسين بأن: "في كثير من الحالات كان حرس القافلة يتشكل من العبيد الذين يمتلكهم تجار القافلة، وقد يحمل التجار أنفسهم السلاح ويدافعون إلى جانب الحرس عن أنفسهم وممتلكاتهم إذا

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 688.

[2]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[3]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[4]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 204.

[5]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 265.

[6]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 205.

[7]- مُحَمَّد الصالح حوتية: **آل كنتة-دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق 18-19م**،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 103.

دعت الحاجة لذلك"[1].

إن قطاع الطرق واللصوص يختارون المواضع التي لا يمكن للقافلة الإفلات منهم ويسهل السيطرة عليها وهي عند مصادر المياه والممرات الإجبارية الضيقة التي لا توفر مواقعها حيزا يكفي لتجمع الخفارة وأهل القافلة لمواجهتهم. وقد سجل لنا البكري ذلك بقوله بأن: "موضع يقال له وانزميرن آبار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب، وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش. وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان، وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق ويتّخذونه مرصدا لهم لعلمهم بإفضاء الطرق إليه وحاجة الناس إلى الماء فيه"[2]. وكثيرا ما يتفاوض أهل القافلة مع قطاع الطرق لإقناعهم برسوم معقولة مقابل إخلاء سبيل القافلة وتجنبيها القتال[3].

وقد سجل الحسن الوزان في وصف إفريقيا كيف أن التجار يستعينون بعدد كبير من العبيد لأجل حماية أكثر للقافلة خاصة إذا علما أن المسلك بين كانم إلى برنو محفوف بالمخاطر وقطاع الطرق واللصوص ذلك بقوله: "ولكل تاجر عددا كبيرا من العبيد يخدمونه كحراس له في الطريق المؤدية من كانو إلى بورنو التي تعبث فيها فسادا قبائل لا تحصى ضاربة في الصحراء... يهاجمون التجار على الدوام ويفتكون بهم، لذلك يأخذ التجار معهم عبيدا مسلحين كما يجب الرماح والسيوف والقسي، ...وبذلك لا يستطيع هؤلاء اللصوص من عمل أي شيء ضدهم. وبمجرد ما يصل تجار إلى المدينة يستعمل هؤلاء العبيد في مختلف الأشغال ليكسبوا معاشهم، ويحتفظ بعشرة أو اثني عشر منهم لخدمته الخاصة وحراسة بضائعه"[4].

**2-وسائل النقل:**

**أ-وسائل النقل البرية:**

يمكن تقسيم هذا النوع من المواصلات إلى وسائل نقل حيوانية تعتمد على مجموعة معينة من الحيوانات(الجمال، والحمير)؛ ووسائل نقل بشرية امتهنها الإنسان بدلا من الحيوان في ممارستها.

**1- وسائل النقل البرية الحيوانية:**

**1-1- الجمال:**

تعتبر الجمال واحدة من أهم الدعامات الأساسية المحركة لاقتصاديات دول العصر الوسيط عموما والصحراء الكبرى على وجه الخصوص، بانخراطها الفعلي والمباشر في كافة أشكال الحراك الأخرى منها الاجتماعي والثقافي والسياسي والعسكري، وقد نوه القرآن الكريم بالدور المنوط لها لحملها السلع والمنافع

[1]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص ص 265-266.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 361.

[3]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 205.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 172.

والأشخاص في قوله تعالى: **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسترحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم)**[1].

وكان البعير ذو السنام الواحد عجلة الانتقال الأولى في الصحراء[2]، منذ دخوله في فترات متقدمة من تاريخها أي الصحراء الكبرى، حيث كان طرفا مهما في عملية التواصل الحضاري بين حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان. ونظرا لسهولة تكيفه مع مناخ الصحراء المضطرب، والذي يتميز بندرة المياه والمراعي والارتفاع الشديد لدرجات الحرارة[3]، فضلا عن قدرته على نقل الحمولات الثقيلة لمسافات بعيدة، وهي خصائص لا يدانيه فيها حيوان آخر أو أية وسيلة نقل خلال تلك الفترة[4].

إن المتداول في الإقليم الصحراوي المغرب أوسطي وبلاد السودان نوعان من الإبل هما: المهاري وهي جمال مخصصة لركوب الأشخاص، وجمال الحمل مخصصة لنقل البضائع[5].

سميت الإبل بالمهاري نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان اليمنية[6]، تميزت بسرعة العدو يقطع بعضها أكثر من مائة كيلومتر في اليوم[7]، تحمل الراكب وزاده، وتستخدم لنقل الرسائل إلى المراكز التجارية التي تتجه إليها القافلة والعودة بأجوبتها[8]، لذا يحرس حراس القافلة على امتطاء هذا النوع من الإبل للدفاع عن القافلة ضد قطاع الطرق أو أي عدوان عليها.

---

[1] – سورة النحل: الآية 07.

[2] – جورج غيرستر: المرجع السابق، ص 10.

[3] – جورج غيرستر: نفس المرجع والصفحة.

[4] – مجموعة من المؤلفين: **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى القرن التاسع عشر**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد، 1984، ص 11؛ الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 261؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 207؛ مُحَمَّد بن ساعو: **"التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 7-9هـ/13-15م"**، تحت إشراف: أ.د مسعود مزهودي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، 2014، ص 97.

[5] – الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 261؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 208؛

-De Lauture(E) : **Routes africaines-moyens de transport-caravanes**, Imprimerie de martinet, paris, 1853, p 10.

[6] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: **كتاب الحيوان**، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1967، ط02، ج06، ص 216؛ كمال الدين مُحَمَّد بن موسى الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، تق: أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1992، ص 21؛ مُحَمَّد السعيد القشاط: **صحراء العرب الكبرى**، دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، 1994، ط01، ص 66.

[7] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 260؛ مُحَمَّد السعيد القشاط: المرجع السابق، ص 66؛

-De Lauture(E): Op.cit, p 10.

[8] – الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 261؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 208.

يذكر ريمون موني أن معدل السرعة عند الإبل المهاري في الحالات العادية يتراوح بين 8 إلى 10 كلم في الساعة، أي بمعدل 60 كلم في اليوم، وأما في الحالات الاستثنائية يمكن أن تقطع مسافة 150 كلم في مدة تتراوح بين 15 إلى 20 ساعة مشيا بشرط القدرة ثم تركها تستريح[1]. وقد صرح الحسن الوزان بأن ملك تمبكتو إذا أراد إبلاغ أمر إلى تجار نوميديا، أرسله بواسطة ساع راكبًا أحد هذه الجمال التي تقطع مسافة تسعمائة ميل بين تمبكتو ودرعة أو سجلماسة في ظرف سبعة أو ثمانية أيام[2].

أما جِمال الحمل المخصصة لنقل البضائع، التي تملك قدرات كبيرة جدا[3] تصل الحمولة في الحالات العادية إلى ما بين 125 و150 كلغ[4]، ويمكن أن تتجاوز ذلك في الحالات الاستثنائية لتصل إلى ما بين 170 و180 كلغ[5]، وأما معدل السرعة فيقدر بست ساعات في اليوم، أي ما يقارب 25 إلى 30 كلم، حيث يقطع في الساعة الواحدة ما يقارب 4 إلى 5 كلم[6] عندما تكون نقاط المياه على مسافة يومين أو ثلاثة.

وأما إذا كانت مصادر المياه متباعدة، فبإمكانها مضاعفة سرعتها حيث تتراوح ما بين 50 و60 كلم في اليوم الواحد، بمواصلة القوافل سيرها خاصة في الليالي القمرية، وتتجنب درجة الحرارة المرتفعة في النهار. ويترتب على القافلة أن يأخذ الجمل قسط من الراحة لمدة يوم أو ثلاثة أيام[7]، لتضمن لأنفسهم مواصلة السير نحو بلاد السودان. ويذهب جاك منيود إلى أن الجمل يستطيع أن ينقل 120 كلغ، بقطع مسافة تقدر بـ35 كلم في اليوم الواحد[8].

### 1-2-النقل على ظهور الحمير:

تشير المصادر التاريخية إلى أن الحمير كان لها حضور في نقل البضائع والسلع بين القرى والمدن، وقد أَقَرَّ البكري(ت487هـ) ذلك عند وصفه لمملكة غانة بقوله: "ولملكهم على حمار الملح دينار ذهب في

---

[1]-Mauny(R): Op.cit, p 394.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 260-261؛ تبلغ المسافة بين تمبكتو ودرعة بحوالي 1500كم، وفيما تصل المسافة إلى سجلماسة بحوالي 1700كم.

[3]-Mauny(R): Op.cit, p 394.

[4]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 261؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 209؛
-Mauny(R): Op.cit, p 395; Chudeau(R) : **L'Afrique Occidentale Française**, Institut fondamental d'Afrique noir, Dakar, 1904, p 422;

[5]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 261؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 209؛
-Mauny(R): Op.cit, p 395.

[6]-Mauny(R): Op.cit, p 395; Chudeau(R): Op.cit, p 422; De Lauture(E): Op.cit, p 11.

[7]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 261؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 209؛
- Mauny(R): Op.cit, p 395.

[8]-Meniaud(J): **Haut-Sénégal-Niger(Soudan Français)-Géographie Economique**, Emile Larose, Paris, 1912, 2éme Série, t 01, p 118.

إدخاله البلد، ودينار في إخراجه، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل، وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل"[1]، ويستطيع الحمار أن يحمل ما بين 70 إلى 80 كلغ بسرعة تقدر بـ 3 كلم/ الساعة في اليوم[2]، وفي حالة الممر السيئ يكون متوسط مسير الحمار بـ 16 كلم، أين يكون الشحن والتفريغ في القرى التي تمر بها هذه القافلة، ويقطع مسافة 80كلم في ظرف 5 أيام[3].

**2-النقل البشري:**

من المعلوم أن بلاد السودان تقع في المنطقة الاستوائية، حيث تتميز بكثافة النباتات وكثرة الأدغال وكثرة مجاري الوديان العميقة نسبيا غير الصالحة للملاحة[4]، وبالإضافة إلى ذلك انتشار ذبابة تسي-تسي الخطيرة على الحيوانات الناقلة[5]، لذا لا يمكن للحيوانات أن تقوم بنقل البضائع والسلع في تلك الأجواء غير الملائمة، فتدخّل الإنسان ليحل محلها.

ويعد هذا النوع منتشرا في هذه البلاد ومسألة مألوفة عندهم، نظرا لكثرة العبيد الذين يمثّلون قوة لا يستهان بها في مجال النقل الآدمي، يعتمد عليها سكان المناطق الموغلة في الغابات الذين كانوا يأتون قاصدين الأسواق السودانية[6]، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "وإنما يحملون على الوصائف والرجال في أوطانهم فقط، وأما السفر البعيد كالحج فعلى المطايا"[7].

أخبرنا كادا موستو الذي زار بلاد السودان العام 860هـ/1455م عن استخدام الإنسان في التجارة وحمل البضائع في بلاد السودان، وفي سياق حديثه عن الملح سجل ما نصه: "إن نقل ما تبقى من الملح بأحجام مختلفة، يقوم به الرجل بحيث يحمله على رأسه في رحلة طويلة...وفي مالي، يقوم هؤلاء الزنوج بكسره إلى قطع كثيرة قصد حملها على رؤوسهم"[8].

ويتشكل النقل الآدمي إما من أشخاص أحرار يمارسون التجارة برأسمالي محدود لا يمكنهم من استئجار حمالين، أو أُجَرَاء لدى التجار أصحاب البضائع، أو أسرى الحروب، أو العبيد الذين كان التجار يشترونهم من أجل استخدامهم في هذا الميدان[9]. وقد فَصَّلَ ريمون موني في هوية هؤلاء الأشخاص بقوله:

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364؛ الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 412؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 206.

[2]-Mauny(R): Op.cit, p 396; Meniaud(J): Op.cit, p 118

[3]-Binger(L): **Du Niger au Golfe de Guinée**, Librairie Hachette, Paris, 1892, t 01, p 88.

[4]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 412.

[5]-Mauny(R): Op.cit, p 396.

[6]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 19؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 687؛ فيج.جي.دي: المرجع السابق، ص55؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 212.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 268؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 212.

[8]-Ca Da Mosto(A): Op.cit, p p 56-57.

[9]-Mauny(R): Op.cit, p 396;

"الرجال والنساء، وحتى الأطفال استخدموا في حمل البضائع"[1].

أما فيما يخص حمولة هوية هؤلاء الأشخاص الذين يشكّلون النقل الآدمي فهي كالتالي: حسب ريمون موني فإن الأشخاص الأحرار الذكور الذين يعملون لحسابهم الخاص حمولتهم تصل ما بين 30- 40 كلغ، وفي بعض الحالات 50 كلغ، خلال رحلتهم اليومية يقطعون مسافة في المتوسط تصل ما بين 30 - 35 كلم[2]، وهو ما أَقَرَّهُ بنجار[3] حول حجم الحمولة، لكنه خالفه في متوسط مسافة الرحلة اليومية حيث جعلها 20 كلم، وفيما ذهب شودو[4] إلى أن الحمولة تتراوح ما بين 25- 40 كلغ، ومتوسط مسافة الرحلة اليومية قدرها ما بين 30-35 كلم. وأما العبيد الذكور البالغين فإن الحمولة التي يمكن باستطاعتهم حملها في المتوسط تصل إلى 25 كلغ يقطعون بها مسافة 25 كلم أثناء اليوم الواحد[5]. في حين تصل حمولة النساء والأطفال في المتوسط بين 10–15 كلغ[6]، ومتوسط مسافة الرحلة اليومية التي يقطعونها هو نفس متوسط المسافة بالنسبة للعبيد الذكور.

**ب–النقل النهري:**

امتهن سكان بلاد السودان الملاحة النهرية طوال العصر الوسيط، حيث استعملوا القوارب[7] لغرض الصيد وذلك قبل قدوم العرب إليها[8]. وقد أشار البكري عن استعمال هذا النوع من وسائل المواصلات بقوله: "ومن هناك إلى الخليج من النيل يقال له زوغو مسيرة يوم تخوضه الجمال، ولا يعبره الناس إلا في القوارب"[9]، وهو ما أثبته الحميري في مصنفه وأقره[10].

كما كان ملح أوليل ينقل إلى ممالك حوض نهر السنغال بواسطة تلك القوارب، وقد سجل ذلك الإدريسي بقوله: "فأما جزيرة اوليل فهي في البحر وعلى مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم

---

-الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 413.

[1]-Mauny(R): Op.cit, p 396.

[2]-Ibidem.

-الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 413؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 212.

[3]-Binger(L): Op.cit, p p 88,313.

[4]-Chudeau(R) : Op.cit, p 422.

[5]- الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 413؛ فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 212.

[6]-Binger(L) : Op.cit, p 33; Mauny(R): Op.cit, p 396.

[7]-**القارب**: هو تقليدي الصنع، يستعمل في الصيد ذو حجم صغير وشكل مسطح، صنعه بسيط من ساق شجرة، ومتداول عبر العالم، عرف منذ عصر ما قبل التاريخ. وموجود منه بقايا في الحوض التشادي منذ أكثر من ستة آلاف سنة. يحتاج في صنعه إلى أشجار ليست دائمة متوفرة. وفي مالي، أين يصنع القوارب من خشب (Khaya senegalesis) cailcédrat، ونخيل الدوم. ينظر:

-Didier(P) et autres: **Poissons d'Afrique et peuples de l'eau,** IRD Editions, Marseille, 2011, p 250.

[8] -Mauny(R): Op.cit, p 396.

[9]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 365.

[10]- الحميري: المصدر السابق، ص 380.

في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان وذلك أن المراكب تأتي إلى هذه الجزيرة فتوسق بها الملح وتسير منها إلى موقع النيل وبينهما مقدار مجرى فتجري في النيل إلى سلى وتكرور وبريسى وغانة وسائر بلاد ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان" [1].

وقد ساهم نهر النيجر في تنشيط حركة التجارة بالمنطقة، نظرا لوجود روافد له واتصاله بالبحر المحيط، وقد استغلّته المراكب ذات الحجم الكبير التي تبحر من جاو عن طريق تمبكتو وصولا إلى جنى، مما كان له أثر كبير على التجارة[2].

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 17.

[2]-Elias N.(S) : **Social history of Timbuktu, the role of Muslim scholars and notables 1400-1900**, London, 1983, p 34.

## المبحث الثاني: المراكز التجارية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان

### المطلب الأول: المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

**01- وارجلان:**

وارجلان من بين المراكز التجارية التي حظيت بمكانة مرموقة وشهرة كبيرة في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، حيث كانت منطلقًا لكل القوافل التجارية الآتية إليها سواء من إفريقية أو مدن المغرب الأوسط الشمالية والمتوجهة نحو بلاد السودان الغربي. وقد وصفها روبير برونشفيك بأن "وارجلان شكلّت ميناء صحراويا"[1] بفضل الحركة التجارية النشطة التي شهدتها.

وأضاف عمرو خليفة النامي بأنّ وارجلان تمتّعت "بالأمن النسبي الذي فرضته أهميتها التجارية وانعزال موقعها مع قوة أهلها واتساع عمرانها"[2]، وهو ما أهّلها بأن تصبح منطقة عبور وباب الدخول إلى بلاد السودان حيث أشار ابن سعيد المغربي بأنها: "بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"[3].

قال عنها الإدريسي في نزهته بأنها: "مدينة فيها قبائل مياسير، وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى غانة وبلاد ونقارة فيخرجون التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية"[4]. يبدو من خلال إشارة الإدريسي بأن وارجلان أصبحت تمثل مركزا لصك العملة في بلاد المغرب، ربما إعادة الاعتبار لتاهرت واضمحلال عملتها بعد سقوط الدولة الرستمية والتي تعد وارجلان إحدى الموالين لها، إضافة إلى ذلك فإن صك العملة يشير أيضا إلى مدى التطور والازدهار التجاري الذي شهدته هذه الحاضرة، وكقوة اقتصادية لا يستهان بها في المنطقة.

ويأتي صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار فيصوّرها على أنها: "بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن معناه بلاد الشهود، وفيه حصن العهود...وتضرب ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية...والدنانير الورجلانية مشهورة"[5]. إنّ صك العملة باسم المرابطين لدليل على تبعية وارجلان لهم وفقدان سيادتها، وعلى ما يبدو أن المرابطين اعتمدوا صك العملة باسمهم بوارجلان لضرب الجماعات الأباضية بالمنطقة والقضاء عليها.

لقد استمرت وارجلان في قوة جذبها واستقطابها للقوافل العابرة للصحراء والمتجهة صوب بلاد

---

[1]- روبير برونشفيك: المرجع السابق، ج02، ص 150.

[2]- عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 17.

[3]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 296.

[5]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 224.

السودان، ويذكر ابن خلدون في تاريخه بأن وارجلان كانت في عهده بابا للسفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المؤدية إلى بلاد السودان، يسلكها التجار الداخلون إليها بالبضائع[1].

إنّ العمران الذي شهدته وارجلان بشهادة المصادر الإخبارية يدفع السكان إلى إنشاء مرافق وأماكن لاحتضان التجار والزوار الوافدين إليها، وقد صرح الوسياني في سيره بأن وارجلان بُنِيَّتْ بها الفنادق بكثرة لاستقبال التجار الوافدين إليها[2]. ويروي لنا صاحب المعلّقات أنّ رجلا جاء ليعقوب الطرفي[3] بوارجلان ليستشيره في أمرٍ يخصه "فقال: أنظر أي سلعة في السوق أرخص"[4].

تميّزت وارجلان بإنتاجه للتمور وتربية الأغنام والإبل، ويبدو أنّ هذه المنتجات تعد رئيسية، وربما الوحيدة نظرا لأن المنطقة صحراوية لا تسمح بظهور منتجات أخرى ترتقي إلى تصديرها خارج وارجلان. وكانت أغلب السلع والبضائع التي تدخل بلاد السودان تجلب من أسواق المدن الشمالية للمغرب الأوسط وإفريقية، وبالتالي فقد قصد تجّارها كبرى الأسواق لغرض الحصول على السلع المطلوبة في بلاد السودان وإعادة بيعها هناك، مقابل استيراد الذهب والعبيد.

وبحكم معرفة أهل وارجلان بالطرق والمسالك ومراكز العمران احتكروا التجارة ونقل البضائع، ونتيجة لذلك كان التجار "يحملون إلى وركلة منتجات بلاد المغرب ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان"[5]. وليس هذا فقط بل نجد من ضمن هاته المنتجات والبضائع ما هو مستورد، فقد صرّح ليثيو بأنّ: "التجار المغاربة القادمون من الساحل يعرضون جميع السلع والتحف التي جُلِبت من أوروبا عن طريق البحر"[6].

ولعل أبرز هذه الأسواق التي كان لتجار وارجلان الاتصال بها نذكر منها تاهرت، سجلماسة، توزر، القيروان، الزاب، تلمسان، قلعة بني حماد، تونس، قسنطينة، وجبل نفوسة. وقد فَصَّلَ تاديوس ليفينسكي ذلك من خلال ذِكْر الطرق التي كانت تربط وارجلان بهذه الأسواق والمراكز التجارية ببلاد المغرب.

وفيما يلي نذكر أهم أسواق بلاد المغرب التي لها خصوصية في توفير سلع وبضائع عُرِفت بها وكان تجار وارجلان يتجولون بها، فمدينة تاهرت كانت بلد "رشيق الأسواق"[7] بشهادة المقدسي، وصفها ابن

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج07، ص 70.

[2]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 427؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 125.

[3]- ينظر ترجمته في الفصل الثالث من الدراسة.

[4]- مؤلف مجهول: **كتاب المعلقات وأخبار وروايات رجال الدعوة**، تح: الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2009، ط01، ص 82.

[5]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 136.

[6]-Lethielleux(J): Op.cit, p 168.

[7]- المقدسي: المصدر السابق، ص 185.

حوقل بأنها: "إحدى معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين...ويكثر عندهم العسل والسمن مشتملة على "ضروب الغلات"[1].

ويخبرنا الإدريسي بأن أسواقها عامرة وبها تجارات وبضائع متنوعة[2]، وأرضها تنتج القمح والشعير والحمص والفول والعنب والرمان، وغيرها من الفواكه[3]. وأما قلعة بني حماد فيبدو أنها اشتهرت بكثرة التجار الوافدون إليها منهم تجار وارجلان نظرا لرخص أسعار السلع فيها وصفها لنا الإدريسي بقوله: "من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا، وأغزرها خيرا، وأوسعها أموالا، وأحسنها قُصورا ومساكنًا، وأعمها فواكه وخصبا، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة"[4].

الدرجيني في طبقاته يخبرنا بأن أبي مُحَمَّد عبد الله اللواتي (ت 528هـ/1133م) كان قد سافر إلى قلعة بني حماد فرآه: "رجل منهم في موقف الشب وهو مكان معروف بأهل وارجلان. فقال لي وارجلاني والله"[5]. لقد اشتهر تجار وارجلان بتجارة الشب المجلوب من كوار ببلاد السودان، ويصل إلى قلعة بني حماد التي خصصت له بها مكانًا عُرِف به ونُسِب لمصدره[6].

وتعد بجاية عين بلاد بني حماد ومدينة المغرب الأوسط عرفت بنشاطها التجاري وقد شوهد بأن: "بها القوافل منحطّة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسر تجار...وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء"[7]. وقد حظيت قسنطينة أيضا بوفود تجارها إلى وارجلان، حيث "يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان"[8].

وارتبطت تلمسان بفضل موقعها واتصالها بمدينة تيزيل: "وهي أول الصحراء ومنها يسافر إلى مدينة سجلماسة، وإلى وارجلن"[9]، كانت مقصدا لتجار الآفاق بأسواقها الكثيرة التي عُرِفَتْ بأسعارها الرخيصة وتجارتها المربحة، وعليه فإنه "لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا"[10].

وقد لخّص تاديوس ليفينسكي بأن: "وارجلان أدت دورا كبيرا خلال العصر الوسيط في تجارة بلاد

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.
[2]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.
[3]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 159.
[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.
[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 472.
[6]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 148.
[7]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 260.
[8]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 136.
[9]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 260.
[10]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 248.

المغرب مع بلاد السودان، وعلاقات هذه الأخيرة مع كبريات المراكز التجارية بشمال إفريقيا وأسواق بلاد السودان الغربي والأوسط"[1]، وبالتالي يمكننا القول بأنها كانت تمثل وسيطا تجاريا بامتياز. فالمدينة لم تعرف بكثرة محاصيلها الزراعية التي تمكّنها من التصدير نحو الآفاق عدا التمور، وتربية الإبل والمواشي.

**02- أريغ أو ريغ:**

أريغ إحدى أهم المراكز التجارية التي تقع بالواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط الشرقية، تعد من المحطات التي تمر بها القوافل التجارية المتجهة إما بإتجاه إفريقية مرورا بأسوف أو نحو وارجلان. المتتبع لتاريخ المنطقة الاقتصادي لا يتسنى له معرفة مدى مشاركتها في اقتصاد بلاد المغرب، نظرا لصمت المصادر عن ذلك باستثناء الإدريسي الذي أشار إلى أنّ بلاد ريغة (أريغ) لها أسواق نشطة منها ما تقام يوم الجمعة يقصدها التجار من مختلف المدن[2]، وابن سعيد المغربي الذي صرّح بأنها: "بلاد نخل ومحمضات"[3]، فيما أَقَرَّ ابن خلدون بأنه: "مصر مستبحر العمران بدويّ الأحوال، كثير المياه والنخل"[4].

ونقرأ عند الحسن الوزان بأنها: "عامرة بالصناع والنبلاء الأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل، لكن القمح منعدم فيها، ويُستورَد من قسنطينة مقابل التمر"[5]. إن هذه النصوص التي بين أيدينا تشير أن بلاد أريغ كوارجلان تنتج التمر بكثرة وبالتالي تصدّر الفائض عن الحاجة نحو مدن المغرب الأوسط أو الدخول به نحو بلاد السودان حاملة معها الصنائع ومختلف السلع المجلوبة كما أشرنا من العديد إلى أسواق بلاد المغرب المختلفة.

**03-وادي ميزاب:**

كان أهل وادي ميزاب يعيش أغلبهم على تربية المواشي، والتنقّل بها عبر أرجاء الشبكة بحثا عن الماء والكلأ[6]. ويخبرنا علي يحي معمر عن ذلك بقوله: "وحافظوا على نظام حياتهم، كشعب يعتمد على تربية المواشي بالدرجة الأولى وعلى الزراعة الموسمية بالدرجة الثانية"[7]. وكانت التجارة تتم في السوق الذي يتبادل أهله فيه مع قوافل البدو منتوجاتهم.

يصف لنا الحسن الوزان وضع وادي ميزاب بأنها: "منطقة مأهولة...تشتمل على ستة قصور وعدة

---

[1]-Lewicki(T): Etudes maghrébines soudanaises, Op.cit, p 11.

[2]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 85؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 158.

[3]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 07، ص 65.

[5]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 135.

[6]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 10.

[7]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج02، ص 317.

قرى، سكّانها أغنياء. وهي أيضا رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان"[1]. ولم يبرز دور وادي ميزاب كمركز تجاري إلا خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، عندما أصبح وادي ميزاب يمثل محطة للقوافل التجارية وهمزة وصل بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب[2].

**04- توات:**

إن تقلص دور سجلماسة التجاري وتحول المسلك الغربي نحو توات جعلها منطقة تجاذب واستقطاب للقوافل التجارية لتحكمها في طرق التجارة العابرة لبلاد السودان واتصالها بمدن بلاد المغرب الإسلامي، فعليه أصبح عاملا مساعدا لتجارها "فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلاد المغرب"[3]، ضف إلى ذلك عامل الأمن الذي تمتعت به توات باستقرار العديد من الأجناس والأعراق التي كانت لها مساهمة فعالة في الحركة التجارية منها اليهود.

كان نشاط السكّان في المجالين الزراعي والحيواني، الذي استثمر في عدة صناعات كمواد أولية من أجل تلبية الحاجيات الضرورية للمنطقة. وظهرت صناعات متنوعة ومختلفة منها صناعة الفخار، وصناعة السعف والنجارة والحدادة ودبغ الجلود وسبك الذهب والفضة والنحاس[4]. وليس هذا فقط فهناك بعض الصناعات انفرد اليهود بممارستها منها صناعة الصابون، والحلي، والدباخة، والصياغة.

كانت صناعة الصابون على ما يبدو محتكرة من طرف الجالية اليهودية، حيث كشف عبد الرحمن بعثمان بأن: "تمنطيط كانت تعج بورش صناعة الصابون التي كانت حرفة يهودية بامتياز، فالمصادر تشير أن عدد حوانيت الصناعة حوالي 50 حانوتا لصناعة الصابون في منطقة تيحونة بقصر أولاد داود قبل حملة المغيلي"[5].

إن من بين السلع الواردة من بلاد السودان إلى أسواق توات التبر وسبائك الفضة، التي تهافت عليها الصياغين حيث ترد إليهم كمادة أولية خام استغلها هؤلاء في صناعة الحلي، ومن ثم يعاد تسويقها إلى أسواق المغرب الإسلامي أو نحو أسواق بلاد السودان. وما يلاحظ عن تلك الصناعة أنها تخلو من الزخارف "مما يدل على هوية صانعها خاصة وأن اليهود كانوا مسيطرين بشكل تام على هذه الصناعة"[1].

---

[1]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 134-135.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 51.

[3]- محمد حوتية: **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة(الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج01، ص 141.

[4]- محمد حوتية: المرجع نفسه، ج01، ص 133.

[5]- عبد الرحمن بعثمان: **"حملة المغيلي على يهود توات وأثرها على الواقع الحرفي في المنطقة"**، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، أدرار، العدد الرابع، جوان 2013، ص 126.

[1]- عبد الرحمن بعثمان: المرجع نفسه، ص 127.

وقد كشف صاحب كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط: "أن تمنطيط لوحدها عرفت تواجد 60 صائغا يهوديا وأعتقد أن السبب الأكيد هو التزام هؤلاء بشروط أهل الذمة من حيث عدم إبراز المعتقد أو التبشير به"[1].

وتعد صناعة الفخار من المهن التي كانت رائجة عند سكان الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتوات بالخصوص، حيث يدخل في تصنيعه مادة الطين الذي يحتوي على مواد تساعده في التعمير طويلا[2]. ويذكر مُحَمَّد بن سويسي بأن توات تحتوي على "حوانيت سباكة الذهب فحوانيت الصياغين والنحاسين ثم الحدادين والنجارين وحوانيت صناعة الفخار...وصناع الجلود"[3].

وفي ورشات صناعة الفخار يؤتى بالطين إلى أحواض العجن والتخمير ثم إلى الورش للتصنيع، فتصنع الجرار والقلال والتنانير (جمع تنور) المستعملة في خبز الثريد، والأواني المختلفة[4]، ثم تأتي مرحلة التزيين والزخرفة، وبعد هذه المرحلة تصبح جاهزة للتسويق. ومن بين الأواني الفخارية المختلفة التي اشتهرت بها توات نذكر أواني الطعام (الصحون، الأقداح، القدور)، وأواني الشرب(القلة، الأكواب، الجرار)، وكذلك التحف الفنية (المزهريات، المبخرة)[5].

نظرا لما تتوفر عليه صحراء المغرب الأوسط من ثروة نباتية هائلة تجسدت في زراعة النخيل، حيث وفّرت هذه الزراعة كل من التمور واستعملت جذوعها في النجارة وصناعة الأبواب والنوافذ وقبضات السكاكين والخناجر[6]، بالإضافة إلى ذلك استغلت ألياف النخيل (السعف الأخضر المصفر) اللين الناعم في صناعة الحصير الذي يفرش به أرضية المساجد والبيوت[7].

وقد لقيت صناعة الجلود نفس الاهتمام من طرف الصناع التواتيّين، حيث اعتمدوا على الثروة الحيوانية المحلية والمستوردة عن طريق تجار القوافل، وكانت جلود الأغنام والأبقار والإبل هي المادة الأولية الأساسية في هذه الصناعة. وقد تفنّن التواتيون في صناعة عدة منتجات جلدية منها الخفاف والقرب والسروج والأدوات الموسيقية(الطبول)، وقد أشار جلول بوعلالة بأن: "الخفاف التمنطيطية المعروفة بالربحية

---

[1]- ابن بابا حيدا: **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 77.

[2]- عز الدين جعفري: **"أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات"**، إشراف: أ.د: شعيب مقنونيف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، تخصص: التراث اللامادي الجزائري، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2018، ص 240.

[3]- مُحَمَّد بن سويسي: **"العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات – تمنطيط أنموذجا"**، إشراف: أ.د: عبد العزيز لعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008، ص 49.

[4]- عبد الرحمن بعثمان: المرجع السابق، ص 127.

[5]- عز الدين جعفري: المرجع السابق، ص ص 246-248.

[6]- عبد الرحمن بعثمان: المرجع السابق، ص 127.

[7]- عز الدين جعفري: المرجع السابق، ص 255.

اكتسبت شهرة محلية كبيرة واقتصرت صناعتها على ورش تمنطيط"[1]. وقد عرفت توات على غرار الواحات الصحراوية الأخرى للمغرب الأوسط استخراج الملح الصخري الكائن على مستوى السبخات، والقليل من الشب الذي لا يسد الحاجيات المحلية للسكان[2]. ضف إلى ذلك توفرها على التمور، والحبوب، والحناء والتبغ[3]، وحتى الفواكه التي كشف عنها ابن خلدون بقوله: "وفواكه بلاد السّودان كلّها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين وورکلان"[4].

يبدو أن الفواكه المجلوبة إلى بلاد السودان ليست أغلبها تزرع في هاته القصور المشار إليها، وإنما تكون قد جلبت مع القوافل القادمة من المدن الشمالية لبلاد المغرب التي تتوقف بتوات وأسواقها، ومن ثم يقوم التجار بتصريفها نحو أسواق المراكز التجارية لبلاد السودان.

**05- بلاد الزاب:**

تعتبر بلاد الزاب بوابة الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إلى المدن الشمالية منه، ولابد للقوافل التجارية المرور بها حتى يتسنى لها الاتصال بمدن شمال المغرب الأوسط، وبفضل موقعها الإستراتيجي أصبحت بلاد الزاب ممثلة في بسكرة ومدنها من كبرى المراكز التجارية. البكري في مسالكه صرح قائلا: "وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، ...فيها أجناس التمور، منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس يعرف باللباري أبيض أملس،... وأجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها غيرها"[5]، ويضيف البكري أيضا بأنها: "كثيرة الأنهار والثمار والمزارع وبشرقيها مدينة اللوز"[6].

ونقرأ عند صاحب كتاب الاستبصار بأنها: "كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار، ببسكرة النخل لكثرته بها... وأكثر تمرها الجنس المعروف بالكسبا، وببسكرة أيضا جنس من التمر يعرف باللياري وهو أبيض أملس"[7]، فيما أخبرنا الإدريسي بأن بها: "سوق وعمارة وبه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة"[8].

وقد كشف ابن سعيد المغربي في جغرافيته بأنها: "قاعدة بلاد الزاب، وهي بلاد نخل وزرع ومنها يجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية"[1]، ويأتي تصريح ياقوت الحموي في معجمه أكثر تفصيلا

---

[1]- عبد الرحمن بعثمان: المرجع السابق، ص 127.

[2]-Martin(A.G.P): Les Oasis sahariennes, Op.cit, p p 289-290.

[3]-Martin(A.G.P): Les Oasis sahariennes, Ibid, p 290.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج01، ص 70.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص ص 329-330.

[6]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 328.

[7]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 173.

[8]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 264.

[1]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 126.

بقوله: "بلدة بالمغرب من نواحي الزاب،...فيها نخل وشجر وقسب[1] جيد، ...ذات أسواق وحمامات"[2]، وفيما ذكرها الحميري بأنها: "من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، ...فيها أجناس من التمر منها جنس يعرف بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس آخر يعرف بالياوي أبيض أملس"[3].

إن قاعدة بلاد الزاب بسكرة عُرِفَتْ بكثرة النخيل وجودة تمورها حتى أنها انفردت ببعض أصناف منه عن غيرها من الإقليم، كما اشتهرت بزراعة الزيتون وأصناف من الثمار والتي من بينها اللوز.

أما تهودة التي تعرف بمدينة السحر، وصفها البكري بأنها: "مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخل والزرع،... ولها أموال كثيرة...وأسواق وفنادق... وحولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار وضروب البذر يجود بها، وحواليها أزيد من عشرين قرية"[4]، فيما أدلى صاحب كتاب الاستبصار بشهادته في قوله: "وهي مدينة كبيرة...كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار"[5]. ونقرأ عند الحميري بأنها: "من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وهي مدينة أولية...كثيرة البساتين والنخيل والزرع وجميع الثمار"[6].

وأما بادس التي تعد من بلاد الزاب، حيث أشار صاحب كتاب الإستبصار إلى ذلك بقوله: "مدينة بادس: وهي مدينة كبيرة،...آخر بلاد الزاب"[7]. وصفها البكري بأن بها: "أسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم"[8]، فيما أضاف صاحب كتاب الاستبصار إلى ما أشار إليه البكري بأن بها: "نخل كثير وجميع الفواكه والثمار"[9]، ويأتي الحميري ليؤيد كلام صاحب كتاب الاستبصار ويُقِرَّهُ[1].

وأما طولقة، التي عدها البكري من بين مدن بسكرة في قوله: "ومن مدنها...، مدينة طولقة"[2].

---

[1]- **القسب**: اسم لنوع من التمر يكون بالعراق جليلا على هيئة التمر المسمى بالمغرب بالمقلقل الذي يجلب من بلاد فزان إلا أن القسب صغير النوى أطيب منه طعما جدا لونه أحمر إلى البياض. ينظر قاموس المعاني www.almaany.com بتاريخ 2019/04/27 في الساعة 10:00.

[2]- الحموي: المصدر السابق، ج01، ص 422.

[3]- الحميري: المصدر السابق، ص ص 113-114.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 255.

[5]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 174.

[6]- الحميري: المصدر السابق، ص 142.

[7]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 175.

[8]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 257.

[9]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 175.

[1]- الحميري: المصدر السابق، ص 75.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 230.

تتكون طولقة من: "ثلاث مدن كلّها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار، وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخل والشجر وجميع الثمار"[1]. وأما قيطون بياضة من القرى الكبرى الهامة، التي تتميز بكثرة النخيل تجتمع بها القوافل التجارية وصفها صاحب كتاب الاستبصار بقوله: فهي: "قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق"[2].

إن قيطون بياضة بفضل موقعها بالمسلك التجاري المؤدي إلى بلاد السودان والقادم من إفريقية وتجمع القوافل التجارية بها، وموقعها في آخر بلاد الزاب[3]، أَهَّلَهَا إلى أن أصبحت مفترق طرق بشهادة البكري وصرح قائلا: "قيطون بياضة وهو أوّل بلد سماطة، ومنه يفترق الطريق إلى بلاد السودان وإلى أطرابلس وإلى القيروان"[4].

لقد تميزت بلاد الزاب عن باقي المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بتفوقها في جودة التمور واختصت بأصناف معينة وهو ما أدى عبيد الله الشيعي ومن خلفه بأن "يأمر عمّاله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه إليه"[5]، إضافة إلى ما عرفت به من كثرة بساتين الزيتون والأعناب وجميع الثمار، وحتى الشعير الذي يزرع مرتين في العام.

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 254.

[2]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 175.

[3]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نفس المصدر والصفحة.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 257.

[5]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 230.

**المطلب الثاني: المراكز التجارية لبلاد السودان**

إن من نتائج حملة حبيب بن أبي عبيدة وابنه عبد الرحمن سنة 116هـ/734م، فك العزلة عن السودان الغربي وباقي بلاد السودان وإلحاقه ببلاد الإسلام شيئا فشيئا، وتعزّزت هذه الروابط بالتجارة القوافلية من خلال إحياء مسالك قديمة عبر الصحراء أو شق مسالك جديدة[1]. وكان من نتاج هذا الحراك الاقتصادي التجاري على الخصوص، أن برزت عدة مدن وحواضر أسهمت في تنوع الرصيد الحضاري للمنطقة وربطها بمدن بلدان المغرب الإسلامي، وأخص بالذكر مدن صحراء المغرب الأوسط.

ومن بين الحواضر التي افتكت لها مكانا على المسلك الغربي أودغست، غانة، كوكو، غياروا بالإضافة إلى مدن أخرى كانت نتاج المسلك الأوسط الذي تتزعمه وارجلان بصفتها بوابة الصحراء، ومنها الدخول إلى بلد السودان، نذكر منها تادمكة، كوار، وكانم، وزغاوة. وفيما يلي نتوقف عند أهم المراكز التجارية السودانية التي ارتبطت تجاريا بمدن الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط.

**1-أودغست:**

تعتبر أودغست أول مدن بلاد السودان، التي ورد ذكرها غربي الصحراء ضمن المصادر الوسيطة، وأول محطة في المسلك الغربي الذي كانت سجلماسة محطة تتجمع بها الرفاق وتنطلق منها للدخول إلى المراكز التجارية السودانية، وهي تنتمي لحوزة[2] موريتانيا الحالية[3]، صاحب كتاب الاستبصار أشار إلى موقعها الجغرافي في قوله: "وبين صحراء لمتونة[4] وبلاد السودان، مدينة أودغست"[5]، فيما الحموي في معجمه حدد لنا معالمها ما نصه: "وفي شرقيهم بلاد السودان، وفي غربيهم البحر المحيط، وفي شماليهم منفتلا إلى الغرب بلاد سجلماسة، وفي جنوبهم بلاد السودان"[6]، وعن موقعها يخبرنا الحموي بقوله: "فتقع منحرفة محاذاة عن السوس الأقصى كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى

---

[1]- أحمد مولود ولد أيده: **الصحراء الكبرى مدن وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج01، ص 61.

[2]- الحَوزة: وَهِيَ الْجَانِبُ كالتَّنَحِّي مِنَ النَّاحِيَةِ. يُقَالُ: تَحَوَّز وتَحَيَّز إلا أَن التَّحَوُّز تَفَعُّل والتَّحَيُّز تَفَيْعُل، وإنما لَمْ يَتَنَحَّ لَهُ عَنْ صَدْرِ فِرَاشِهِ لأَن السنَّة فِي تَرْكِ ذَلِكَ. والحَوْز: مَوْضِعٌ يَحُوزه الرَّجُلُ يَتَّخِذُ حَوَالَيْهِ مُسَنَّاةً، وَالْجَمْعُ أَحْواز، وَهُوَ يَحْمِي حَوْزته أَي مَا يَلِيهِ ويَحُوزه. والحَوْزة: النَّاحِيَةُ. والمحاوَزَةُ: الْمُحَالَطَةُ. وحَوْزَةُ المُلْكِ: بَيْضَتُه. والْحاز عَنْهُ: انْعَدَلَ. وَالْحَازَ القومُ: تَرَكُوا مَرْكَزَهُمْ إِلى آخَرَ. يُقَالُ للأَولياء: انْحَازُوا عَنِ الْعَدُوِّ وحاصُوا، وللأَعداء: انْهَزَمُوا ووَلَّوْا مُدْبِرين. وتَحاوَز الْفَرِيقَانِ فِي الحَرْب أَي انْحاز كلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عَنِ الْآخَرِ. وحاوَزَه: حَالَطَهُ. والحَوْز: المُلْك. ينظر إلى: ابن منظور: المصدر السابق، ج 05، ص 342.

[3]- أحمد مولود ولد أيده: المرجع السابق، ص 62.

[4]- صحراء لمتونة: حددها ولد السالم بقوله: "وكان لمتونة [إيلمظن] يتمركزون في الوسط مع إقترابهم من النطاق الجنوبي للسودان، قبل أن ينتقلوا في عهد الفتوحات المرابطية إلى جبال آدرار الذي يصبح جبل لمتونة. حماه الله ولد السالم: **تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ط01، ص 40.

[5]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 215.

[6]- الحموي: المصدر السابق، ج01، ص 278.

أودغست"[1]. إن المتتبع لتاريخ أودغست وأحوالها العامة، يسترعي انتباهه غياب أو شحّ المعلومات أو الإشارات التي تفيده حول مؤسس هذه المدينة، وتاريخ اختطاطها، خاصة في المصادر القريبة للحقبة التي كانت فيها هذه المدينة في أوج عطائها وازدهارها.

نقرأ عند ابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب أنّ أحد ملوك صنهاجة نيلوتان بن تلاكاكين (ت222هـ/836م) حكم أودغست ما يقارب خمس وستين عاما[2]، وهذا يعني أنّ بداية حكمه كانت حوالي سنة 287هـ/900م، ونفهم من ذلك أن هذه المدينة أصبحت تجارية، واحتلت مركزًا مهما في المسلك الغربي الذي تعد أحد محطاته، وبالتالي فإن اختطاط هذه المدينة كان سابقا لهذا التاريخ.

ويعتقد ريمون موني أنّ: وجود رسوم مغارية لعربات بمأوى "أكنتور الأبيض" الجبلي بتكداوست يؤكد إعمار هذا الموقع منذ العصر القديم[3]. وقد صرح أحمد مولود ولد أيده على لسان ج.دوفيس أن نتائج حفريات تكداوست الأثرية تؤرخ أعمق مستويات الاستراتغرافيا "La stratigraphie" بهذا الموقع بالقرن 2هـ/8م"[4].

ويمكننا القول بأن بعد حبيب ابن أبي عبيدة وابنه عبد الرحمن إلى بلاد السودان الغربي والتي وصل إلى السوس الأدنى عام 116هـ/734م، وقيام الدولة الأموية بالأندلس عام 138هـ/755م، واهتمامها بذهب السودان، وتحالفها مع الجماعات الأباضية والصفرية، كل هاته العوامل أدت إلى بداية ازدهار التجارة خلال القرن 2هـ/8م، وبالتالي بداية إعمار الموقع المسمى أودغست، وأصبحت من أهم المحطات والأسواق التي يقصدها التجار من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

يعتبر اليعقوبي أول من أشار إلى هذا البلد وأطلق عليه اسم "غسط"[5] وأضاف أنه يقع في "واد عامر فيه المنازل وفيه ملك لهم لا دين له ولا شريعة يغزو بلاد السودان وممالكهم كثيرة"[6]، فيما أفادنا كل من ابن حوقل والبكري بأن ملك أودغست من صنهاجة[7].

---

[1]- الحموي: المصدر السابق، ج01، ص 277.

[2]- علي ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 121.

[3]- أحمد مولود ولد أيده: المرجع السابق، ص 62.

-Mauny(R): **"Les peintres rupestres de l'abri d'aguntour El- abiod à Tegdaoust"**, **Tegdaoust I -Recherches sur Aoudaghost**, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1970, p p 71-76.

[4]- أحمد مولود ولد أيده: المرجع السابق، ص 69.

[5]- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 199.

[6]- اليعقوبي: نفس المصدر والصفحة.

[7]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 97؛ البكري: المصدر السابق، ج02، ص 345.

أما عن نشاط أودغست التجاري، فَيُصَوِّرُ لنا ابن حوقل خلال القرن 4هـ/10م، أثناء نزوله ضيفا على أودغست أنه: "رأى صكا فيه ذِكْرُ حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست، وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار"[1]. وأضاف بأن "ملك أودغست يخالط ملك غانة...لحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسَّة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام"[2].

إنّ هذا التقرير الذي أدلى به ابن حوقل يشير إلى النشاط التجاري لأودغست، حتى أنّ أهلها أصبحوا يتعاملون بالصكوك وبمبالغ تعد في تلك الفترة ضخمة، وهي سابقة لم تكن لها مثيل في المشرق الإسلامي وبالتالي عظم التبادل التجاري[3] ولكون أودغست افتكت لها مكانا في اقتصاد العصر الوسيط من خلال قوة تجارتها، أصبح جيرانها يهابونها بمخالطة مَلِكِها ملك غانة، هذه المملكة –غانة- تعد من الممالك العظمى خلال تلك الحقبة.

البكري في مسالكه وصف أودغست وما آلت إليه جراء تجارة القوافل بقوله: "وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة، وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله، وتبايعهم التبر، وليس عندهم فضة"[4]. إن أودغست تستورد مختلف الحبوب والثمار يضيف البكري بقوله: "ويجلب إليها القمح والثمر والزبيب من بلاد الإسلام على بعد. وسعر القمح عندهم في أكثر الأوقات القنطار بستّة مثاقيل[5] وكذلك الثمر والزبيب"[6].

لقد أصبحت أودغست سوقا رائجة للنخاسة على حد قول البكري الذي أفادنا ما نصه: "وبها سودانيات طبّاخات محسنات تباع الواحدة منهنّ بمائة مثقال وأكثر، تحسن عمل الأطعمة الطيّبة من الجوزينقات والقطائف وأصناف الحلوات وغير ذلك"[7].

تدارك البكري ما لم يحصيه من مختلف البضائع والسلع التي كانت أودغست تستوردها وسجل ذلك بقوله: "ويتجهّز إلى أودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبّغة بالحمرة والزرقة مجنّحة، ويجلب منها العنبر المخلوق الجيّد لقرب البحر المحيط منهم. والذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة، وذهب أودغست أجود

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 96.

[2]- ابن حوقل: نفس المصدر والصفحة.

[3]- عباس إبراهيم حمادي وعبد الحسن كاظم عناد: **"مملكة أودغست الإسلامية-دراسة في أحوالها العامة 62-446هـ/682-1054م"**، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، بابل، المجلد 23، العدد الأول، آذار 2016، ص 211.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.

[5]- **المثقال**: جمع مثاقيل(في الموازين)، وزن مقداره درهم وثلاثة أسباع درهم. ينظر: www.almaany.com بتاريخ 2020/03/22 على الساعة 23:22.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.

[7]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

ذهب الأرض وأصحّه"[1]. ونقرأ عند صاحب كتاب الاستبصار بأن أودغست: "مدينة عظيمة آهلة فيها أمم لا تحصى ولها بساتين كثيرة ونخل كثير،... والبقر والغنم عندهم أكثر شيء وأرخصه: تشترى في أودغست 10 أكباش بدينار وأكثر من ذلك، وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة ولهم أسواق حافلة عامرة الدهر كله، لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس، وتجارتهم إنما هي بالتبر وليس عندهم فضة"[2]. إن الدور التجاري لأودغست خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بدأ يتضاءل بحسب شهادة الإدريسي الذي أفادنا بقوله: "مدينة اودغست وهي مدينة صغيرة في صحراء ماؤها قليل وهي في ذاتها بين جبلين شبه مكة في الصفة وعامرها قليل وليس بها كبير تجارة ولأهلها جمال ومنها يتعيشون"[3].

إنّ الوضعية المزرية التي آلت إليها أودغست على ما يبدو كانت جراء سيطرة المرابطين عليها وتخريبها الأمر الذي أدى بأرباب الأموال والنعم إلى الهجرة عنها وتركها تنتظر مصيرها للوافد الجديد الذي أحكم سيطرته وطرد القبائل التي استوطنتها على غرار قبائل زناتة الأباضية المذهب والتي تعد العدو اللدود لقبائل صنهاجة(لمتونة، مسوفة، جدالة) المالكية المذهب. وقد سكن أودغست العديد من الجاليات المغربية على غرار أهل إفريقية، وبرقجانة، ونفوسة، ولواتة وزناتة، ونفزاوة[4]. وقد أشار صاحب كتاب الاستبصار بأن أهلها: "أخلاط من جميع الأمصار، وقد استوطنوها لكثرة خيرها، ونفاق أسواقها وتجارتها"[5].

إن الأخلاط التي ذكرها صاحب كتاب الاستبصار هم من قبيلة زناتة المعروفة بامتهانها التجارة والتي استوطنت صحراء المغرب الأوسط بما فيها أريغ، أسوف، ووارجلان، وحتى توات فليس من المستبعد أن تكون هذه الجالية قد انتجعت أودغست وأصبحت من ساكنيها، وهو ديدن الجماعات الأباضية في ممارسة التجارة، والبحث لهم عن مستقر وموقع يجعلهم يتحكّمون في الأسواق والمراكز التجارية الكبرى.

**2-غانة (كومبي صالح):**

شكّلت مملكة غانة أول نظام سياسي متطور عرفته بلاد السودان خلال العصر الوسيط، حيث تعتبر أقدم دولة عرّفت في غرب إفريقيا[6]، يشير حماه الله ولد السالم أنّ أصل هذه المملكة دولة من البربر

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 345.

[2]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 215.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 108.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344؛ مسعود خالدي: "الجاليات..."، المرجع السابق، ص ص 73-74.

[5]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 215.

[6]- الحسن بن الشيخ سليمان: **تاريخ ملوك بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان**، دار يوسف بن تاشفين، د.م.ن، 2009، ط01، ج02، ص 11.

القدماء (الجرمنتيون) القادمين من ليبيا قبل الميلاد بألف سنة[1]. ومنذ القرن الخامس الميلادي أصبحت إمبراطورية[2]، واستمر وجودها حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي سقطت عاصمتها على يد قبائل الصوصو، ودمرها الماندنجو سنة 638هـ/1240م، وقامت بدلها مملكة جديدة هي مالي[3].

اقتبست غانة اسمها من المدينة التي كانت حاضرة الدولة قبل أن تصبح مملكة[4]، وأصل الكلمة في لغة السوننكي هو القيادة العسكرية، لأن المدينة كانت بها هذه القيادة[5]. البكري في مصنفه يرى أن: "غانة سمة لملوكهم"[6] بمعنى القائد العسكري، فيما ذهب ياقوت بأن: "غانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان"[7]، وهنا يمكننا أن نقول بأن غانة شملت المملكة كلها مع بقائها عَلَمًا على العاصمة[8]. وعن اتصال غانة بالإسلام، القلقشندي في صبح الأعشى يذكر أن أهلها أسلموا في أول الفتح الإسلامي[9].

امتازت غانة بتجارة الذهب الذي عرفت به، وقد صرّح ابن الفقيه خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ما نصه: "وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل، كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس"[10]، وأثناء نزوله في غانة أشار ابن حوقل بأنّ: "غانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال المدّخرة من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدّمين من ملوكهم وله"[11]، فيما ذهب البكري أبعد من ذلك حيث أشار إلى التدابير والتنظيمات التي قامت بها المملكة من خلال فرض الضرائب والرسوم الجمركية على كل حمل حمار من الملح دينار ذهب في إدخاله البلد، ودينارن في إخراجه[12]. وكان تجّار غانة يشترون الذهب من مناجمه، ويبيعونه إلى تجار شمال إفريقيا[13].

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 80، الهامش رقم 03.

[2]-David(C): Op.cit, p 23.

[3]-إبراهيم على طرخان: **إمبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970، ص 15؛ مسعود خالدي: "الجاليات..."، المرجع السابق، ص 84.

[4]- الحسن بن الشيخ سليمان: المرجع السابق، ج02، ص 11.

[5]- نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**، مر: عمر الحكيم، مديرية التأليف والترجمة، سوريا، 1960، ص 28.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 362.

[7]- الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 184.

[8]- الحسين بن الشيخ سليمان: المرجع السابق، ص 11.

[9]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 284.

[10]- ابن الفقيه: البلدان، المصدر السابق، ص 138.

[11]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 98.

[12]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

[13]- الحسين بن الشيخ سليمان: المرجع السابق، ص 36.

ارتبطت غانة بعلاقات تجارية مع المدن الصحراوية لبلاد المغرب الأوسط، وأخصّ وارجلان بالذكر التي تعد بوّابة الولوج إلى بلد السودان لأن جميع الطرق الآتية سواء من شمال المغرب الأوسط أو إفريقية تحط بها، حيث حظيت بطريق تجاري يربط المدينة بأسواق السودان الغربي. وكان لهذا الطريق أهمية كبيرة باعتبار أنّ غانة كانت بوّابة دخول التجار المغاربة إلى منطقة "ونقارة"[1].

الشماخي في كتابه السير يفيدنا بوجود حركة انتقال للتجار الإباضيين من وارجلان نحو غانة، بقوله: "أن الشيخ أبو موسى هارون بن أبي عمران الوسياني مرّ على وارجلان قاصدا غانة. وقد ترجّاه أبو صالح جنون بن يمريان، وبقية المشائخ أن ينظم حلقة لتلاميذ وارجلان، وأعطوه مائة دينار فأبى وسافر إلى غانة ومنها إلى غيارو"[2]، ونقرأ عند الشماخي أيضا أن تاجرا إباضيا آخر يدعى "عمران بن مُحَمَّد بن رستم سافر إلى غانة مرورا بوارجلان لكنه لا يعرف الفترة التي عاش فيها عمران هذا"[3].

تحدّث البكري عن وجود مدينتان سهليتان لمدينة غانة إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها من الفقهاء وحملة العلم[4]، ويبدو أن المدينة التي يسكنها المسلمون هي مدينة كومبي صالح التي أشار إليها ابن خلدون بأنّ داعية اسمه صالح اتصل بملك غانة وأقام بمدينته. وتيمّنا به سُمّيت باسمه أي كومبي صالح بمعنى مدينة صالح[5].

احتلت مدينة كومبي صالح موقعا استراتيجيا ومميزا، حيث أصبحت إحدى المحطات والمراكز التي تتحكّم في منافذ تجارة الصحراء، حيث يقصدها تجار بلاد المغرب وإفريقية على غرار سجلماسة، وارجلان والقيروان بالقوافل التجارية العابرة للصحراء قصد الحصول على المعدن الأصفر وهو الذهب.

وأضحت مدينة كومبي صالح، أكبر سوق للتجارة في بلاد السودان زمن ازدهار إمبراطورية غانة، وقد استقر بها عدد كبير من التجار البيض وتحكّموا في التجارة السودانية، وأهمها الذهب والرقيق. ولقد أقر إبراهيم علي طرخان بارتباط غانة بعلاقات تجارية نشطة مع جميع المدن الهامة بشمالي إفريقية مثل طرابلس وأوجلة وورقلان وسجلماسة، واعتبر المدن الثلاث الأخيرة ثغورا للصحراء الكبرى وأمدَّت هذه الثغور بلاد البحر المتوسط بسلع غانة وفي مقدّمتها الذهب[6].

---

[1]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 149.

[2]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 372-374.

[3]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 570؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 150.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 363.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج01، ص 70؛ مسعود خالدي: "الجاليات..."، المرجع السابق، ص 88.

[6]- ابراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، المرجع السابق، ص 65.

**3-تادمكة:**

تادمكة هي أهم وأقدم سوق بربري، تقع على التخوم الجنوبية للصحراء، في المنطقة الجبلية لأدرار أفوغاس، حيث يطلق على خراب المدينة بالسوق[1]، وهي شمال شرق جاو على بُعد تسعة أيام منها[2] وعلى بُعد خمسين يوما إلى وارجلان[3]. تبعد بـ 45 كلم شمال غرب قرية كيدال[4]. أصل التسمية مشتق من قبيلة بني تانماك ملوك تادمكة[5]. يشير صاحب كتاب خبر السوق إلى انخراط تادمكة في الإسلام بعد أن افتتحها عقبة بن نافع وأصحابه في حملته على السوس الأقصى سنة إحدى وستين للهجرة[6].

كتب حماه الله ولد السالم بأنّ: "تادمكة قلب الحضور الأباضي في بلاد الصحراء والسودان وبها وجدت مملكة قوية يرأسها بنو تانماك الإباضيون"[7]. تعتبر تادمكة من أهم المحطات التجارية في العصر الوسيط، حيث احتلت بفضل موقعها الجغرافي-بين سلسلتين جبليتين، وقد صرح البكري بأنها: "مدينة كبيرة بين جبال وشعاب"[8]- مركزا تجاريا وملتقى القوافل التجارية التي تتردد عليها من كل الجهات، خاصة التجار الإباضيين على غرار جبل نفوسة، غدامس، ووارجلان لتسويق سلعهما وبضائعهم، وفي المقابل الحصول على الذهب والرقيق الذي يجلب إليهم من غانة.

البكري في مصنفه يصف لنا حالة السوق بقوله: "وهي أحسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكو"[9]، وهذا دليل على أن تادمكة تعيش حالة رخاء وترف في العمران جراء اتصالها بتجار الشمال، وتجار بلاد السودان، حتى تفوقت في النسيج العمراني على مباني غانة وكوكو.

وكنتيجة لقوة اقتصادها ونجاعته، امتلكت هذه المدينة عملة خاصة بها أطلق عليها البكري بالصلع وهذا نصه: "ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة"[10]، ويفسر ولد السالم عدم ختم

---

[1]-Lewicki(T): **"Les Origines et l'islamisation de La Ville de Tadmakka d'après les sources arabes",** In: Revue francaise d'histoire d'outre-mer, tome 66, n° 242-243, 1er et 2e trimestres, 1979, p 163.

[2]- فاطمة علي إمُحَّد أحويلات: **"تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة من (600هـ-1164هـ/1203 إلى 1750م)"**، تحت إشراف: أ.د عبد الفتاح مُحَّد الكباشي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية،كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2016، ص 148.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 371.

[4]- Mauny (R): Tableau géographie, Op.cit, p p 117-118.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101.

[6]- مؤلف مجهول: **خبر السوق**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003، ط01، ص ص 21-22.

[7]- حماه الله ولد السالم: **تاريخ موريتانيا قبل الإحتلال الفرنسي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، ص90.

[8]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 370.

[9]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

[10]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

الدنانير بقوله: "على عادة الأباضية في التشدد الديني والحذر من التصاوير ومما يمس قدسية الكتابة الإسلامية على النقود"[1].

وبحسب وجهة نظرنا فإن الجماعات الأباضية التي كانت تصك العملة دون ختم أو شعار خاص بها قد دخلت مرحلة الكتمان التي تحتم على معتنقي المذهب كتم انتمائهم المذهبي وبالتالي لا جدوى من ختم الدنانير، إضافة إلى ذلك لم تتمكن الجماعات الأباضية من إحياء دولة ذات سيادة كما كانت أثناء تواجد الدولة الرستمية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين.

أصبحت تادمكة موطنا للإباضية كما أشرنا سابقا، ويقول مسعود مزهودي بأن استقرارهم يعود إلى العائد المادي الكبير الذي تدرّه التجارة فيها[2]، بالإضافة إلى ذلك ارتباط المدينة بمسلك تجاري مباشر خلال القرن الخامس الهجري مع وارجلان، وقد وَضَّحَ البكري معالمه بقوله: "فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير خمسين يوما إلى وارجلان"[3]. وأضحت بذلك تادمكة لها علاقات تجارية منتظمة مع المدن المغربية خاصة وارجلان[4].

**4-كوكو:**

تقع كوكو ضمن إقليم السودان الغربي، الذي تمتاز رقعته بمساحات واسعة من سهول السافانا[5]. اختلفت المصادر الإخبارية في رسمها فاليعقوبي سَجَّلَ ذلك بقوله: "مملكة كوكو..."[6]، أما أبو العباس الناصري في الإستقصا خطّها "كاغو"[7]، فيما حذف الولاتي حرف الواو لتصبح "كاغُ"[8].

إنّ لفظ كوكو مدلوله بلغة السودانيين هو اسم يدل على شعب ذلك الإقليم ومملكتهم وعاصمتهم الجديدة فيما بعد[9]. أما الاختلاف الظاهر بين كاغو وكاغ فناجم عن اختلاف في لهجات ولغات أهل السودان في إقليم إفريقيا الغربية، لاسيما حوض نهر النيجر[10].

---

[1]- حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، المرجع السابق، ص 90.

[2]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 171.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 371.

[4]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 171.

[5]-زمان عبيد وناس: **تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط إمبراطورية السونغاي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء 81-999هـ/700-1590م**، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 23.

[6]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 238.

[7]- الناصري: المصدر السابق، ج05، ص 123.

[8]- البرتلي الولاتي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد حجي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ص 29.

[9]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 142.

[10]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 22.

صّرح ابن سعيد المغربي بأن: "مدينة كوكو في شرقي النهر المنسوب إليها"[1]، أما القلقشندي قال: "وكوكو شرقي النهر"[2]، إن موقع كوكو على ضفاف نهر النيجر سيّما جزؤه الذي تصلح للملاحة فيه، جعلها منطقة انطلاقة للملاحة التجارية النهرية لمعظم مدن السودان من الجنوب والغرب؛ وقُربها من مناجم الذهب جعلها أكبر أسواق السودان لتجارة الذهب؛ وتمثّل نقطة التقاء وربط التجارة من جهة الشرق كانم برنو والغرب الأوسط، فزان والمغرب الأوسط، ومن جهة بلاد المغرب قادمة من توات والقيروان ومراكش عن طريق جني وتمبكتو[3]، جعل منها مدينة لها أهمية اقتصادية وسياسية، الأمر الذي اتخذه الإمام أفلح بن عبد الوهاب خلال القرن الثالث بإرسال سفارة عزّز من خلالها علاقاته الاقتصادية مع هذه المملكة.

ولعل رواية اليعقوبي التي تفيد بقوة هذه المملكة ومدى اتساع جغرافيتها، حيث عدّد لنا الممالك التي تُقِرُ لها بالرئاسة بقوله: "مملكة المرو، وهي مملكة واسعة، وللملك مدينة يقال لها: الحيا، ومملكة مردنه، ومملكة الهبر، ومملكة صنهاجة، ومملكة تذكرير، ومملكة الزيانير، ومملكة أرور، ومملكة نقاروت، فهذه كلها تنسب إلى مملكة الكوكو"[4].

وكتب المهلبي حول أوضاع مدينة كوكو خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بقوله: "وله مدينة على النيل من شرقيه اسمها سرناة بها أسواق ومتاجر، والسفر إليها من كل بلد متصل"[5]، وأضاف إلى أن بيوت أموال الملك أكثرها الملح[6].

البكري خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يصف لنا مدينة كوكو بقوله: "وهي مدينتان مدينة للملك ومدينة للمسلمين"[7]، وأما عن تجارة أهلها فهي الملح وهو نقدهم، يجلب إليهم من بلاد البربر من بلدة يقال لها: "توتك"، تبعد عن تادمكة بست مراحل[8].

واصلت كوكو نشاطها التجاري مع تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بشهادة الإدريسي الذي أشار إلى مجالسة أهلها مع التجار الوافدون إليها من بلاد المغرب الأقصى ووارجلان ويبضعونهم ما نصه: "وهم يداخلون التجار ويجالسونهم ويبضعونهم بالبضائع على جهة المقارضة... عند أهل المغرب الأقصى وأهل وارقلان"[9].

---

[1]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 95.

[2]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 285.

[3]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 26.

[4]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 239.

[5]- المهلبي: المصدر السابق، ص 55.

[6]- المهلبي: نفس المصدر والصفحة.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 372.

[8]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 373.

[9]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 28-27.

ويشير الإدريسي أيضا إلى مكانتها التجارية من خلال توافد الرفاق إليها من كل حدب وصوب في قوله: "وبلاد كوكو وهي في رصيف طريق والوارد عليها والصادر كثير"[1] وهو ما أقرّه ياقوت الحموي في معجمه بأنّ كوكو: "بها أسواق ومتاجر والسفر إليها من كل بلد متصل"[2].

وأثناء تواجده في بلاد السودان خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، الرحالة الطنجي ابن بطوطة زار مدينة كوكو وأفادنا بهذا التقرير الذي جاء فيه: "ثم سرت إلى مدينة كَوْكَو، وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها فيها الأرز الكثير واللبن والدجاج والسمك، وبها الفقوس العناني الذي لا نظير له. وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالي"[3].

من خلال إشارة ابن بطوطة نفهم أن نشاط سكان كوكو زراعة الأرز والفقوس العنابي وتربية المواشي التي تدر اللبن إضافة إلى تربية الدجاج وصيد الأسماك. ويشير كذلك أن أهلها تجار يتعاملون بالودع في البيع والشراء.

أمدنا الحسن الوزان بتفاصيل دقيقة حول النشاط التجاري لمدينة كوكو التي سماها كاغو وسَجَّلَ ذلك ما نصه: "وسكانها تجار أغنياء يتجولون دائما في المنطقة بسلعهم. ويأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا بها أشياء مستوردة من بلاد البربر وأروبا... وهناك ساحة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من الرقيق ذكورا وإناثا، تساوي الفتاة بنت خمس عشرة سنة نحو ستة مثاقيل، وكذلك الفتى تقريبا؛ ولا يساوي الأطفال الصغار إلا نصف هذا الثمن تقريبا، وكذلك العبيد المسنون"[4].

**5- غيارو:**

غيارو هي إحدى مراكز الذهب التي كانت مملكة غانة تفتخر بها، ويقول البكري في ذلك: "وأفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا"[5]، وتبعد غياروا عن مدينة الملك غانة مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بقبائل السودان مساكن متصلة[6]، لذا نجد تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط قد وصلوا إلى هذه المدينة قصد الحصول على الذهب. وقد سبق وأن ذكرنا أنّ أبا موسى سافر إلى غيارو.

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 312.

[2]- الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 492.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 709.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 169.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

**6-ولاتة(إيوالاتن):**

تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تنبكتو، تأسست خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، أطلق عليها أهل السنغاي "بيرو"[1]، فيما سماها ابن بطوطة "إيوالاتن"[2]. بعد سقوط مملكة غانة وقيام مملكة مالي على إثرها، بدأت ولاتة تحتل مكانها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي الغربي. ابن بطوطة في رحلته صرّح بأن أهلها يهتمون بالتجار ويخرجون إليهم بالماء والمؤن ما نصه: "ويخرجون للقائهم بالماء، مسيرة أربع"[3].

ارتبطت ولاتة بعلاقات تجارية مع الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وأخص بالذكر حاضرة توات التي بدأت بالظهور بعد تراجع دور سجلماسة التجاري وانتقال الطريق الغربي إليها خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

**7-تاكدة:**

من أهم المراكز التجارية الواقعة خلف الصحراء في الطريق الشرقي لبلاد الهوسا[4]، تقع شمال النيجر حاليا، وهي تبعد عن تمبكتو بحوالي أربعمائة وخمسين كيلومترا[5]. تعد هذه المدينة ملتقى لطرق القوافل القادمة من السودان الغربي نحو فزان والقوافل التجارية الواصلة إلى السودان الأوسط باتجاه توات. وقد أشار عبد الله سالم بازينة إلى ذلك بقوله: "وعبر هذه المدينة يستطيع المسافر أن يذهب في كافة الاتجاهات"[6].

وعن الأهمية التجارية لهاته المدينة أثبت ابن بطوطة في رحلته بقوله: "لا شغل لأهل تكد غير التجارة يسافرون كل عام إلى مصر ويجلبون ما بها من حسان الثياب وسواها، ولأهلها رفاهية وسعة حال"[7]. تمتاز

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 690.

[3]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 688.

[4]- **بلاد الهوسا**: هي هضبة متموجة السطح يتراوح متوسط ارتفاعها بين (1500) إلى (2000) قدم فوق سطح البحر ذات سهول وتلال وأودية وغياض ورمال وزروع وأشجار، تدخل في منطقة السافانا (Savanah) الشمالية، إذ تقع بين مملكة بورنو (Borno) وإمبراطورية سونغاي (Songhai) على النيجر الأوسط غربا، والصحراء شمالا منطقة الغابات جنوبا. وفي أقصى الشمال تتدرج البلاد في الصحاري وهي أكثر جفافا، وكما تنحدر ببطء نحو بيحرة تشاد في الشمال الشرقي. ينظر: مُحَمَّد لواء الدين أحمد: **الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص ص 47-48.

[5]- الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 1999، ط01، ص 310.

[6]- عبد الله سالم بازينة: **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة-ليبيا، 2010، ط01، ص ص 147-148.

[7]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 710.

تاكدة بمناجم النحاس والذي على ما يبدو أنه المنجم الوحيد في بلاد السودان الغربي بحسب شهادة القلقشندي الذي صرح ما نصه: "وبهذه البلاد أيضا معدن نحاس وليس يوجد في السودان إلا عندهم"[1].

وقد أثبت ابن بطوطة بامتلاكهم هذا المنجم الذي أفادنا ما نصه: "ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض، ويأتون إلى البلد ويسبكونه في دورهم...فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب، وتباع الرقاق بحساب سبعمائة وستمائة بمثقال"[2].

وبسبب اشتغال أهلها بالتعدين أصبحوا أثرياء، وأصبحت بذلك تاكدة سوقا تجاريا رائجا ومهما، وفي إشارة له عن نشاط أهل تاكدة التجاري سَجَّلَ لنا العمري بأنهم يبعثون النحاس الأحمر "إلى بلاد السودان الكفار ونبيعه وزن مثقال بثلثي وزنه ذهب فنبيع كل مائة مثقال من النحاس بستة وستون مثقالا من الذهب وثلثي مثقال"[3].

القلقشندي خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي قد نقل عن ابن فضل العمري وأَقَرَّ بامتلاك تاكدة مناجم النحاس وذكر ما نصه: "في مدينة اسمها (نكوا) معدن نحاس أحمر، يجلب منه قضبان إلى مدينة بنبي قاعدة مالي فيبعث منه إلى بلاد السودان الكفار، فيباع وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب؛ ويباع كل مائة مثقال من هذا النحاس بستة وستون مثقالا وثلثي مثقال من الذهب"[4].

إضافة إلى ذلك اشتغل أهلها بتجارة الملح وخدمة القوافل فأصبحت تمثل مركزا تجاريا مهما تؤوي إليه الرفاق من كل حدب وصوب، وقد ارتبطت بعلاقات تجارية مع الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خاصة منهم توات. وقد أشار القلقشندي بتواجد معدن الملح عندهم هذا نصه: "وبهذه البلاد معدن الملح وليس في بلاد السودان الوالجين في الجنوب والمسامتين لسجلماسة وما وراءها ملح سواه"[5].

**8-أغاديس:**

من المراكز التجارية المهمة التي حلت بها قوافل تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ودخلت أسواقها. تقع أغاديس اليوم إلى الشمال الشرقي من نيامي عاصمة النيجر، التي تبعد عنها بألف

[1]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 291.
[2]- ابن بطوطة : المصدر السابق، ج02، ص 711.
[3]- العمري: المصدر السابق، ج04، ص 59.
[4]- القلقشندي: المصدر السابق، ج05، ص 291.
[5]- القلقشندي: نفس المصدر والصفحة.

كيلومتر[1]. أُسِّسَ هذا المركز التجاري على ما يبدو من قبل مُحَمَّد بن أحمد بن عمر من الطوارق سنة 564هـ/1168م[2].

قال الحسن الوزان بأن: "جميع سكانها تقريبا من التجار الأجانب"[3]، ويبدو أن هؤلاء التجار الأجانب هم من العرب والمغاربة الذين اشتغلوا بالتجارة[4] والذين من بينهم تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط. وقد كانت الضرائب هي الدخل الرئيسي والمورد الهام لأغاديس التي تؤخذ من التجار الوافدين عليها وفي هذا الصدد صرّح الحسن الوزان ما نصه: "ويحصل الملك على مورد هام من الإتاوات التي تؤدى على البضائع الأجنبية ومنتجات البلاد"[5]، وقد لاحظ الحسن الوزان بأن أهالي المدينة يمتهنون حرفة الصناعة والباقي منهم انخرطوا كحراس وجنود للأسرة الحاكمة وصرح قائلا: "وأهل البلاد قلبلون جدا، يعملون صناعا أو جنودا لملك المدينة"[6] وقد استقطبت أغاديس القوافل التجارية الآتية من فزان وغدامس وزويلة، وعرفت بتجارة البخور والعلك والذهب[7].

**9-تمبكتو:**

مدينة تمبكتو تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بالمنطقة المعروفة بمنحنى النيجر عند دوران قرصه الشمالي[8]، وهي بمثابة حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى. مَارَسَ أهلها التجارة إلى جانب الثقافة والعلوم. وقد مثلت التجارة في تمبكتو المصدر الرئيسي في حياة أهلها، وتوافد عليها التجار سواء من بلاد السودان ومن بلاد المغرب ومصر في حركة دؤوبة يحملون معهم بضائعهم[9] ويعودون محملين بالذهب والرقيق وغيرها من السلع التي تلقى رواجا في الضفة الشمالية لبلاد السودان.

ونظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يعد ملتقى لطرق القوافل التجارية البرية العابرة للصحراء والقوافل النهرية التي اتخذت من نهر النيجر مرتعا لها حيث ميناء كابرا الذي لا يبعد عن المدينة سواء سبعة كيلومتر

---

[1]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص 311.

[2]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 148.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 171-172.

[4]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص 311.

[5]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 172.

[6]- الحسن الوزان: نفس المصدر والصفحة.

[7]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 149.

[8]- أحمد الشلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ط05، ج06، ص 195.

[9]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 141.

براً[1]، أصبحت المدينة مركزا تجاريا وملتقى التجار وأصحاب رؤوس الأموال صرح بذلك السعدي ما نصه: "وإليه يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيه الأخيار...وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد"[2].

اشتهرت تمبكتو بكثرة الحوانيت التي تبيع المنتوجات القطنية والأقمشة المجلوبة من قبل تجار بلاد المغرب وأوربا، وفي هذا الشأن صرح الحسن الوزان ما نصه: "ودكاكين كثيرة للصناع والتجار، لاسيما دكاكين ناسجي أقمشة القطن. وتصل أيضا إلى تنبكتو أقمشة أوربا يحملها تجار بلاد البربر"[3].

إن النشاط التجاري الذي جعل من تمبكتو مركزا تجاريا يرد إليه الرفاق من كل البلاد، قد أَهَّلَهَا بأن تصبح لها مكانة مرموقة ومهابة لدى أمم السودان بشهادة ابن خلدون الذي صرّح ما نصه: "وهابتهم أمم السودان، وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وإفريقية"[4].

وقد شهدت تمبكتو على غرار المدن السودانية الأخرى وفود تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وعلى رأسهم تجار توات الذين كانوا قد وفدوا إلى ولاتة ثم تركوها شيئا فشيئا إلى تمبكتو في ذلك أقر السعدي ما نصه: "وسكن فيه الأخيار...وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد، من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالة وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك. ثم انتقل الجميع إلى تمبكتو قليلا قليلا حتى استكملوا فيه عمارة مع جميع قبائل الصنهاجة بأجناسها"[5].

**10-جنى:**

إلى الجنوب الغربي من تمبكتو تقع مدينة جنى التي وصفها فيليكس دي بوا بأنها: "جوهرة نهر النيجر"[6]، وأطلق عليها مادهو بانيكار اسم "لؤلؤة النيجر"[7]، فيما سماها ريمون موني "بمدينة البندقية الإيطالية"[8]، تبعد عن تمبكتو مسيرة اثنى عشر يوما[9]، وعن نهر "بَاني" أحد روافد نهر النيجر من الضفة اليسرى له بمرحلة[10]، تأسست زمن المرابطين حوالي العام 494هـ/1100م[11].

---

[1]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 168.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 165-166.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 267.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 127-129.

[6]- فيليكس ديبوا: **تمبكت العجيبة**، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مر: شوقي عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ط01، ص 76.

[7]- مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 385.

[8]- نقلا عن السعدي: المصدر السابق، ص 111، الهامش رقم 01.

[9]- حوالي ستمائة كيلو متر تقريبا.

[10]- أحمد الشلبي: المرجع السابق، ص 199.

[11]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 144.

بفضل نشاطها التجاري وملتقى القوافل التجارية التي تجوب شمال الصحراء وجنوبها، أصبحت جنى مركزا تجاريا مهما، وسوقا عظيما من أسواق بلاد السودان يلتقي فيه تجار الملح بتغازى وتجار الذهب أين جمعوا أموالا لا تحصى. وقد صرّح السعدي بذلك بقوله: "وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين. فيها يلتقى أرباب الملح من معدن تغازا وأرباب الذهب من معدن بيطو،...فوجد الناس بركتهما في التجارة إليهما كثيرا وجمعوا فيهما من الأموال مالا يحصيه إلا الله سبحانه"[1].

لقد وفد تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إلى المراكز التجارية لبلاد السودان حاملين معهم سلعهم وبضائعهم المختلفة لتصريفها في أسواقها، مع اقتنائهم وجلبهم للتبر والرقيق وبعض السلع غير المتوفرة لديهم وبيعها إما في أسواقهم أو تصريفها في باقي مدن بلاد المغرب وحتى أوربا من خلال الموانئ المنتشرة على طول الواجهة البحرية للمغرب الأوسط.

**11- كوار:**

تقع كوار جنوبي فزان، ويمتد اليوم جنوبي مُرزُق قاعدة فزان، وهو من مجالات توبو[2]، الذين من زغاوة، وكتب اليعقوبي في ذلك بقوله: "ووراء زويلة على خمس عشرة مرحلة مدينة يقال لها كوار، بها قوم المسلمين من سائر الأحياء، أكثرهم بربر، وهم يأتون بالسودان"[3]. ابن عبد الحكم[4] يخبرنا بأن عقبة بن نافع افتتح كوار سنة 46هـ/666م، الذي مر بمنطقة زويلة بفزان وكان الطريق معروف منذ القدم يستعمل لأغراض تجارية[5].

احتلت كوار مركزا مهما في تجارة القوافل العابرة للصحراء، لما تمتلكه هذه المدينة من مناجم للملح، التي لم يكن في إقليم وسط الصحراء، ملاحات تضاهيها في قيمتها الإقتصادية[6]، لذا قصدتها قوافل الوارجلانية لغرض اقتناء هذه السلعة وبيعها في بلاد السودان، أبو يعقوب يوسف الوارجلاني في مصنفه يصرح أنه كان ضمن جماعة من المسافرين من بني وارجلان قادمون من كوار في قافلة زهاء ثلاثمائة رأس من الرقيق أو ينقص قليلا[7].

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 113.

[2]- عبد الفتاح فتحي أبو حسن شكر: **الإحياء بعد الإنساء في أعقاب طبقة الأشراف الأولى بالحجاز الأشراف الموسويين الحسنيين**، دار الكلمة، 2011، ج01، ص 341.

[3]- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 168.

[4]- ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ج01، ص ص 262-263؛ البكري: المصدر السابق، ج02، ص 185.

[5]- الدهماني سالم الدهماني: **"وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا وأثره في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصور الوسطى"**، مجلة المنهل، ص 01؛ أو ينظر إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: https://platform.almanhal.com/Files/2/76448 بتاريخ 2019/10/28 على الساعة 11:16.

[6]- مجموعة من المؤلفين: تاريخ إفريقيا العام، المصدر السابق، ج03، ص 257.

[7]- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: المصدر السابق، ج03، ص 282.

**12- كانم-برنو:**

تقع كانم في شمال شرق بحيرة كوري (تشاد)، وتعتبر أول تنظيم سياسي تم تأسيسه في السودان الأوسط. تشير المصادر إلى أن اسلام كانم برنو يرجع إلى ما قبل القرن التاسع الهجري، حيث صرح اليعقوبي على أنه في أواخر القرن العاشر الميلادي إن سكان كوار التي دخل الإسلام عن طريقهم كانوا مسلمون من عدة قبائل[1].

يعد موقع كانم ملتقى طرق القوافل التجارية المارة عبر إفريقيا مما جعل كانم منطقة نشاط فضلا عن أن بحيرة تشاد منطقة خصبة اجتذبت إليها كثير من العناصر[2]، وقد أشار اليعقوبي بقوله: "وأما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب فإنهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم: الزغاوة، وهم النازلون بالموضع الذي يقال له: كانم، ومنازلهم أخصاص القصب، وليسوا بأصحاب مدن، ويسمى ملكهم كاكرة"[3].

كانت كانم مقصد أبي يعقوب السدراتي في رحلة من رحلاته وهو يتحدث فيها عن وجودها بين كوار وزغاوة[4]. وقد أفادنا الإدريسي بنشاط أهلها التجاري لسد حاجياتهم الضرورية بقوله: "بلاد كانم ...بها تجارات وأعمال وصنائع يصرفونها فيما يحتاجون إليه"[5].

**13-زغاوة:**

تعد زغاوة من المراكز التجارية التي قصدها تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبالخصوص الوارجلانيون، ونقرأ عند ابن خلدون في العبر بأن: "زغاوة مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم"[6]. فهي بلاد واسعة، وسكانها قبيلة من السودان، وهم فرع من قبيلة التيبو العربية وبعض الزنوج[7].

وقد عرفت هذه المدينة بعلاقاتها التجارية مع المراكز التجارية سواء منها السودانية أو مع بلاد المغرب ومصر. وقد مر بها أبي يعقوب يوسف الوارجلاني خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وهو عائد من رحلته إلى بلاد السودان.

وما يؤكد ذلك أيضا ما أشار إليه الإدريسي بتواجد قوم رحالة يسمون سدراتة ببلاد زغاوة وسجل لنا ذلك ما نصه: "وفي بلاد زغاوة... قوم رحالة يسمون صدراتة يقال إنهم برابر وقد تشبهوا بالزغاويين في

---

[1]- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 183.

[2]- مُحَمَّد أمين أبه الأبقاري: **"نشأة الممالك والدويلات الإسلامية"**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا، العدد 14، 2006، ص 436.

[3]- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج01، ص 238.

[4]- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: المصدر السابق، ج03، ص 282.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 27.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج06، ص 413.

[7]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 149.

جميع حالاتهم وصاروا جنسا من أجناسهم وإليهم يلجؤون فيما عن لهم من حوائجهم وبيعهم وشرائهم"[1].
ويذهب لقمان بوعصبانة إلى أن القوم الرحالة الذين سكنوا بلاد زغاوة هم السدراتيون[2].

الإدريسي في نزهته أفادنا بأن سكان زغاوة مارسوا التجارة ولديهم صنائع مختلفة منها تربية المواشي والأبل وصيد الأسماك ودباغة الجلود وصناعتها وزراعة الذرة ما نصه: "زغاوة مدينة مجتمعة... ولهم تجارات يسيرة وصنائع يتعاملون بها بين أيديهم وشربهم من الآبار وأكلهم الذرة ولحوم الجمال المقددة والحوت المصيد والألبان عندهم كثيرة ولباسهم الجلود المدبوغة"[3].

يشير الإدريسي إلى أن أهل زغاوة مارسوا زراعة الذرة وقد استوردوا الحنطة من قبل تجار وارجلان ما نصه: "وأكثر ما يزرعه أهل زغاوة الذرة وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد وارقلان وغيرها"[4]. كتب الحموي في معجمه بأن أهل زغاوة أموالها في تجارة المواشي والملح وسجل ذلك بقوله: "بلاد الزغاوة أوسع، وأموال أهل بلاده الأموال المواشي، وبيوت أموال الملك واسعة وأكثرها الملح"[5].

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 110.
[2]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 141.
[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 29-30.
[4]- الإدريسي: المصدر نفسه، ص 111.
[5]- الحموي: المصدر السابق، ج04، ص 495.

## المبحث الثالث: السلع التجارية المتبادلة ووسائل التعامل التجاري بين تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجار بلاد السودان

شملت المبادلات التجارية بين ضفتي الصحراء سلعا ومنتجات متنوعة ومختلفة، منها ما هو مغربي ومنها ما هو مشرقي، بالإضافة إلى السلع والبضائع القادمة من وراء بحر الروم. وفيما يلي نرصد أسماء السلع والبضائع الصادرة من الإقليم الصحراوي المغرب أوسطي نحو بلاد السودان.

### المطلب الأول: صادرات الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط نحو بلاد السودان

أدت مدن الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط دور الوسيط في حركة التجارة القوافلية العابرة للصحراء، حيث تعتبر كقواعد انطلاق نحو بلاد السودان، وهي تعدُّ ملتقى قوافل المدن الشمالية ومستودعًا لبضائعها وسوقًا كبرى للسلع السودانية.

وارجلان أول هذه القواعد الصحراوية التي ارتبطت ببلاد السودان الغربي والأوسط ارتباطا وثيقا والسفر منها إلى هذه البلاد كان كثيرا[1]، واختص أهلها "في قيادة هذه القوافل التجارية فكان منهم الأدلاء ذوو الخبرة بالطرق الصحراوية في بلاد السودان"[2]. وتأتي توات ثاني القواعد الصحراوية التي ارتبطت هي الأخرى بعلاقات تجارية وثيقة مع بلاد السودان خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

وقد تنوعت وتباينت السلع والمنتجات الموجهة نحو بلاد السودان على غرار الملح، الأقمشة والمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية، والفواكه المجففة وريش النعام وغيرها من السلع.

#### 1-الملح:

الملح أو ما يسمى بالمعدن الأبيض، يعتبر من أهم السلع المطلوبة في بلاد السودان، لكون هذه المادة الحيوية عنصرا أساسيا في نمو جسم الإنسان والوقاية من بعض الأمراض[3]. وتستعمل في الطعام، ولأهميته في الصناعة الغذائية كالمصبرات، وفي صناعات أخرى مثل المنسوجات والدباغة[4].

---

[1]- مُحَمَّد عيسى الحريري: **مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، الدولة الرستمية (160-296هـ)**، دار القلم، الكويت، 1983، ص 210.

[2]- مُحَمَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 211؛ السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير، العصر الإسلامي**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج02، ص 573.

[3]- جميلة بن موسى: **"تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى القرن الخامس هجري(9م-11م)"**، إشراف: أ.د: إبراهيم فخار، بحث لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001، ص 177.

[4]- موريس لومبارد: **الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، تر: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1998، ص 248.

ويأتي بالدرجة الأولى من بين صادرات الإقليم، حيث تعكف القوافل بجلبه من ملاحة أوليل الواقعة على مسافة شهر واحد من أودغست، وشهر ونصف من مدينة سجلماسة[1]، وقد أشرنا في موضع سابق بأن تجار المدن الصحراوية للمغرب الأوسط كان لهم حضور بأودغست، وبما أن هذا المنجم يبعد مسافة شهر عن أودغست، فإن من الممكن حضورهم في المنطقة ومتاجرتهم بالملح نحو بلاد غانة أو بلاد كوكو الواقعة بالسودان الغربي والقريبة من موقع أوليل، بالإضافة إلى ذلك وقوع ملح أوليل في الطريق الغربي[2].

ويشير البكري إلى وجود معدن تانتال وهو عبارة عن حصن مبني بحجارة الملح، ويتجهز به إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان، والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون وله غلة عظيمة[3]. ويذكر ريمون موني بأنّ قطع الملح المصدرة إلى بلاد السودان يصل وزن الواحدة منها بين 85 و90 كلغ[4].

وقد عرفت القوافل التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خاصة بعد تراجع دور سجلماسة التجاري وبروز توات كمركز تجاري وتحوّل المسلك التجاري نحوها، ظهرت ملاحة تغازى التي توجّه إليها تجار الإقليم لشحن الملح باتجاه بلاد السودان وقد أشرنا إلى ذلك عند تفصيلنا للطرق المؤدية لبلاد السودان في المسلك الرابط بين توات-تغازى-تمبكتو.

قراءة في كتب السير الأباضية[5] تشير في مجملها إلى وجود السبخات بوارجلان[6] وما جاورها من بلاد، والتي تعد موردًا أساسيًا للملح، وقد استنتج لقمان بوعصبانة بأن تلك الأماكن هي السابقا تجمع الملح وتبيعه أو تصدره إلى السودان[7].

وفي فتوى لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني صدرت في حق من سرق الملح من وارجلان وهو في السودان أنّ عليه أنْ يرد قيمته، أو إرجاعه إلى الموضع الذي أخذه منه وهذا نصها: "ومن غصب

---

[1]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 91؛ عبد الرزاق أبو نصر: **تاريخ الغرب الإسلامي من خلال جغرافيات مشرقية مؤلفة قبل نهاية القرن الخامس للهجرة دراسة ونصوص**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ج02، ص 294؛ مُحَمَّد بن عميرة: **"معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط"**، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، العدد09، د.س.ن، ص 115.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358؛ إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 225.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358.

[4] - Mauny(R): Tableau géographie, Op.cit, p 357.

[5]- أبو زكرياء: المصدر السابق، (اسماعيل العربي)، ص 285.

[6]- يشير أحمد ذكار ووفقا لوكالة حوض الهيدروغرافي بورقلة التابعة لوزارة الموارد المائية إلى وجود عدة سبخات محيطة بوارجلان في عهدنا هذا وهي بامنديل، وسبخة الشط، وسبخة أم الأرانب، وسبخة المرقب، وسبخة سفيون. ينظر: أحمد ذكار: **"حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000هـ إلى 1301هـ/1591م إلى 1883م"**، إشراف: د: مُحَمَّد حوتية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2010، ص13.

[7]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 172.

ما لا قيمة له، كمن غصب ملحا في وارجلان، فقدر على الغاصب في بلاد السودان استأديناه الملح أو قيمته هنا في هذا الموضع الذي قدرنا عليه فيه"[1].

ابن حوقل في صورة الأرض، صرّح بأن القوافل التجارية تقوم بإدخال الملح إلى بلاد السودان، وربّما بلغ حمل الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار[2]. ونقرأ عند المهلبي في مصنفه بأن بيوت أموال ملك كوكو واسعة وأكثرها الملح[3]. يخبرنا البكري عن أهمية منجم الملح المسمى تاتنتال وموضع آخر يسمى أوليل على شاطئ البحر سجل ذلك بقوله: "ويسمّى هذا المعدن تاتنتال... ومن هذا المعدن يتجهّز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان، والعمل فيه متّصل والتجّار إليه متسايرون وله غلّة عظيمة. ومعدن للملح آخر عند بني جدالة بموضع يسمّى أوليل على شاطىء البحر، ومن هناك تتحمّله الرفاق أيضا إلى ما جاوره"[4].

لقد فرض ملك غانة على تجار الملح ضريبة تقدر بدينار ذهب لكل حمل يدخل مملكته ودينارين لمن يريد إخراجه وفي هذا الشأن يقول البكري ما نصه: "ولملكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد ودينارن في إخراجه"[5].

الإدريسي في نزهته أَقَرَّ بأن جزيرة أوليل بها ملاحة مشهورة وهي تزود على ما يبدو أغلب بلاد السودان بواسطة القوارب وسجل ذلك بقوله: "فأما جزيرة اوليل فهي في البحر وعلى مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان وذلك أن المراكب تأتي إلى هذه الجزيرة فتوسق بها الملح وتسير منها إلى موقع النيل وبينهما مقدار مجرى فتجري في النيل إلى سلى وتكرور وبريسى وغانة وسائر بلاد ونقارة وكوغة وجميع بلاد السودان"[6].

ياقوت الحموي أشار إلى دخول التجار إلى غانة بالملح ما نصه: "تسافر التجار من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غاتة، وجهازهم الملح"[7]. وأما القزويني فقد أفادنا باستغلال منجم تغازى الذي أصبح من أهم الملاحات التي تزود بلاد السودان بالملح وسجل ذلك بقوله: "وفيها معدن

---

[1]- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: المصدر السابق، ج02، ص 103؛ بوعصبانة: المرجع السابق، ص 172.

[2]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 98.

[3]- المهلبي: المصدر السابق، ص 55.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 360.

[5]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 366.

[6]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 17.

[7]- الحموي: المصدر السابق، ج02، ص 12.

الملح والشب، وإذا مات بها شيء من الحيوان يلقى في الصحراء فيصير ملحاً، والملح بأرض السودان عزيز جداً، والتجار يجلبونه من تغارة إلى سائر بلادهم يبتاع كل وقر بمائة دينار"[1].

وقد سجل لنا العمري في مسالكه بأن الملح في مملكة مالي يقايض بالذهب ما نصه: "أن الملح معدوم في داخل بلاد السودان، فمن الناس من يغرر ويصل به إلى أناس منهم يبدّلون نظير كلّ صبرة ملح [مثلها] من الذهب، قال: وحدّثت أنّ من أمم السودان الداخلة بل لا يظهر لهم بل إذا جاؤوا وضعوا الملح ثم غابوا فيضع السودان إزاءه الذهب، فإذا أخذ التجار الذهب أخذوا هم الملح"[2].

إن الأهمية الكبرى التي احتلها هذا المعدن في حياة الأفارقة والمغاربة معا، تبرز من خلال كمية الملح المستخرجة والمنقولة من هذه المناجم[3] السالفة الذكر.

**2- التمر ومشتقاته:**

تمتاز المدن الصحراوية للمغرب الأوسط وباقي الواحات الصحراوية الأخرى على غرار غدامس وسجلماسة وبلاد الزاب بزراعة النخيل المثمر، حيث يعمل أصحابها إلى توريد ثمار النخيل إلى بلاد السودان بالأحمال الكبيرة[4]. وقد عمل تجار كل من أسوف وأريغ ووارجلان وحتى بلاد الزاب إلى شراء التمر من الواحات القريبة كبلاد الجريد وبلاد الزاب التي اشتهرت بجودة تمورها[5]، ثم تقوم بتجميعه، ومن ثم تصريفه إلى أسواق بلاد السودان عبر المسالك التجارية منها تادمكة وكوكو وغانة، وكانم برنو.

بالإضافة إلى ذلك وَرَّدَ تجار صحراء المغرب الأوسط عسل التمور. فقد عثر على بعض القلل التي كانت تستعمل في جمع العسل[6]. وقد أشار ليثيو إلى أنّ سكان سدراتة بوارجلان اهتموا بصناعة الفخار[7]. وفي ردّه على كتاب ابن عم له في المغرب بأن يترك وارجلان لأنها أرض فقر، أجاب أبو صالح جنون بن يمريان بقوله: "يا ابن عمي ائتني أنت فعندنا أرض قَعْدَةُ رجلٍ تُحَمِّلُ الجَمَلَ عسلا"[8].

وقد سجل الإدريسي في نزهته بأن تجار وارجلان كانوا يجلبون التمر إلى بلاد السودان بقوله:"وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم أهل وارقلان"[9].

---

[1]- القزويني: المصدر السابق، ص 26.

[2]- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 128.

[3]- جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 177.

[4]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 139.

[5]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 161.

[6]- مسعود مزهودي: المرجع نفسه، ص 162.

[7]-Letheilleux(J): Op.cit, p 54.

[8]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 435.

[9]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 20.

**3- الإبل(الجمال):**

تعتبر الأبل وسيلة النقل الأولى في الصحراء، وقد يستغنى عن خدماتها وتتاجر وتباع في الأسواق. لقد كان الجمل سلعة مطلوبة في بلاد السودان خاصة تادمكة التي لها سوق عرفت ببيع الجمال[1]. وفي رواية لصاحب كتاب المعلقات صرح أن سعر الجمل بلغ ثمانية دنانير للجمل الواحد، وبيع بعد عدة أشهر من رعايتها بأربعة وعشرين دينارا للجمل الواحد[2].

أبو زكرياء في سيرة الأئمة ذكر أن الجمال تباع بكثرة في تادمكة، وروى قصة رجل لم يتمكّن من بيع جمله بقوله: "ما سمعنا بجمل رجع من تادمكة قط إلى وارجلان"[3].

**4-الأقمشة والمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية:**

إنّ من بين السلع المطلوبة والمفضلة من قبل أهالي بلاد السودان، اقتناء الأنواع المختلفة من الأقمشة والمنسوجات ذات الجودة العالية التي تصل المنطقة من المشرق ومن بلاد المغرب، ويشير البكري إلى توفر القطن ببلاد السودان بقوله: "وليس في بلدهم كثير قطن، غير أنهم لا تكاد تخلو دار أحدهم من شجر قطن"[4]، وأَقَرَ البكري بوجود صناعة للنسيج تصنع منه الثياب والأكسية[5].

بالرغم من وجود القطن إلا أن المدن السودانية تلجأ إلى استيراده لسد حاجياتها من هذه المادة زيادة على ذلك نجد الأقمشة، التي تقتنيها مدن الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إما باللجوء إلى أسواق[6] مدن الشمال عن طريق شبكة طرق تجارية، أو تنتظر القوافل الآتية من القيروان، حيث يذكر البكري أنّ هناك طريق يربط هذه الأخيرة بتادمكة مرورا بوارجلان، وأثناء دخول القافلة القيروانية إلى سوق وارجلان يقوم تجّارها بشراء ما يلزم من الأقمشة والألبسة والثياب قصد بيعه في أسواق بلاد السودان.

نقرأ عند البكري بأنّ أهالي تادمكة: "يلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولى وغير ذلك، ومَلِكُهُمْ يلبس عمامة حمراء وقميصا أصفرًا وسراويلًا زرقاء"[7]. وعن أهالي غانة يصرّح البكري بأنّ: "سائر الناس يلبس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم"[8]. وأما سوق أودغست فإنه يتجهز

---

[1]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 162.

[2]- مؤلف مجهول: كتاب المعلقات، المصدر السابق، ص 83.

[3]- أبو زكرياء: المصدر السابق، (اسماعيل العربي)، ص 174؛ الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 375.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 361.

[5]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 368.

[6]- يشير مسعود مزهودي إلى وجود نوعين من الأسواق منها الأسواق الموسمية التي ترتكز في المدن الكبرى لبلاد المغرب، فتكثر بها أنواع البضائع ويزداد وفود التجار والصناع والمزارعين. وإلى جانب الأسواق الموسمية، هناك الأسواق الأسبوعية التي كان يفد إليها الفلاحون ليعرضوا منتجاتهم الزراعية، والصناع مصنوعاتهم. ينظر: مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 157.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 370.

[8]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 363.

"بثياب مصبغة بالحمرة والزرقة مجنة"[1]. ويقول المهلبي في كتابه واصفاً لنا ملك زغاوة بقوله: "وزيّه لبس سراويلات من صوف رقيق والاتّشاح عليها بالثياب الرفيعة من الصوف الأسماط والخزّ السوسي والديباج الرفيع"[2]. لقد أشرنا في موضع سابق بأنّ أبا يعقوب يوسف الوارجلاني سلك طريقًا يربط بين سوق زغاوة ووارجلان مرورا بكوار. وأما عن ملك كوكو صرح المهلبي بأن: "زي ملكه ورؤساء أصحابه القمصان والعمائم"[3]. وتعتبر الأقمشة والمنسوجات القطنية وثياب الصوف والعمائم والمآزر أهم المنتجات التي تحملها القوافل التجارية إلى بلاد السودان[4].

**5- المصنوعات النحاسية والحديدية:**

تَصَّدَرَتْ المصنوعات النحاسية والحديدية صادرات القوافل التجارية العابرة نحو بلاد السودان، حيث يتم جلبها من أسواق المدن الكبرى لبلاد المغرب، من طرف التجار الأباضية لمدن الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط ويتجهون بها نحو المدن السودانية سالكين طريق وارجلان تادمكة كوكو، أو باتجاه غدامس كانم-برنو، أو نحو أودغست وغانة مرورا بسجلماسة.

يخبرنا البكري بأن أودغست بحاجة إلى النحاس المصنع بقوله: "ويجهز إلى أودغست بالنحاس المصنوع"[5]، وإضافة إلى ذلك كان يحمل إلى كوغة النحاس المسبوك[6]. ويشير بوعصبانة إلى وجود مصنوعات وارجلانية-تهارتية مثل الأواني النحاسية والخشب المرصّع بالعاج، وكذا المصنوعات الحديدية كالأسلحة والأقفال[7]، تُصَدَّرُ إلى أسواق بلاد السودان التي تصل إليها قوافل التجّار الآتية من مدن الشمال.

**6- سلع أخرى:**

يقوم تجار الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط بالإضافة إلى السلع والمنتجات التي ذكرناها، بتصدير الفخّار المطلي والمزخرف والحلي الذهبية والفضية[8]، وأصناف الزجاج والأصداف والأحجار[9]، وتشير الأبحاث الأثرية التي أجريت على مدينة أودغست إلى وجود أواني فخارية مغربية الصنع تعود إلى عهد

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 363.

[2]- المهلبي: المصدر السابق، ص 54.

[3]- المهلبي: المصدر نفسه، ص 55.

[4]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج02، ص 573؛ مُحَمَّد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 210؛ بوعصبانة: المرجع السابق، ص 176.

[5]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 345.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 367؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 169.

[7]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 176.

[8]- مُحَمَّد طمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 97.

[9]- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج02، ص 573؛ بوعصبانة: المرجع السابق، ص 176.

الدولة الرستمية[1]، بالإضافة إلى توات التي احتكر يهودها صناعة الفخار. وبالنسبة لريش النعام الموجود بكثرة في صحراء المغرب الأوسط وخاصة وارجلان، حيث أكد علماء الآثار وجود بيض النعام[2] في المنطقة، وهو ما أثبتته كتب السير والطبقات الأباضية عند سردهم لحادثة اقتحام عسكر أبو عبيد الله وارجلان وما عثروا عليه من بيض النعام مليئا بالشعير فحملوه معهم[3].

وقد سَجَّلَ مُحَمَّد العربي الزبيري في مصنّفه ذلك بقوله: "يوجد النعام في جنوب الجزائر وفي نواحي ورقلة على وجه الخصوص يصطاده الأهالي للحصول على جثته وشحومه والريش الذي يباع منه أبيض وطويل يقع في أقصى الجناحين وتستعمله القبائل في خيامها للتدليل على شرفها وَسُمُوِّ مكانتها"[4].

وتعدّ الفواكه المجففة، والودع والمسابح وأدوات الزينة، من السلع المطلوبة في الأسواق السودانية وكانت هذه السلع توزّع في جميع أنحاء بلاد السودان[5]، بالإضافة إلى ما توصّلت إليه الحفريات التي تمّت في أودغست والتي عثر فيها على بعض الأواني الزجاجية كالكؤوس والمزهريات والمصابيح الزيتية والتي صنفت ضمن قائمة البضائع الكمالية التي جلبها السودان من الشمال[6].

**المطلب الثاني: واردات الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط من بلاد السودان**

امتازت بلاد السودان كغيرها من البلدان ببعض السلع والبضائع التي لا يمكن الحصول عليها إلا من مراكزها التجارية وأسواقها مثل الذهب والرقيق الأسود وغيرها من السلع غير المتوفرة في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط والمطلوبة لدى روّاد هاته المراكز من تجار مدن الشمال أو حتى الاتصال بالموانئ البحرية أين يتواجد التجار الأوربيون وبالتالي يتم تصريفها هناك. وإليكم لائحة واردات تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط من البضائع والسلع في الآتي:

**1-الذهب:**

احتل معدن الذهب المراتب الأولى في حركة تجارة القوافل بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان، حيث جعل من إمبراطوريات السودان رمزا للحضارة الإفريقية لعدة قرون، كما أنه يُعَدُّ من

---

[1]- فاطمة بلهواري: **"العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي"**، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2010، العدد 10، ص 32.

[2]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 177.

[3]- أبو زكرياء: المصدر السابق، (اسماعيل العربي)، ص 172؛ الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 375.

[4]- مُحَمَّد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 165.

[5]- إبراهيم علي طرخان: مملكة غانة الإسلامية، المرجع السابق، ص 65.

[6]- جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 180.

السلع الرئيسية عند أهالي بلاد السودان في مبادلاتهم التجارية. المسعودي في أخبار الزمان تحدّث عن تجارة الذهب وكيف تتم عملية المبادلة مع التجار المغاربة بالسلع المختلفة المجلوبة من الشمال[1].

وأما عن مصادره يصرّح المسعودي بقوله: "وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك كلها فيها الذهب"[2]، منها مدينة غيارو الذي وصف البكري ذهبها بأنه أفضل الذهب[3]. وأغلب الذهب الموجود في أسواق أودغست، وكوكو، وغانة، وونقارة كان يجلب إلى وارجلان أو غيرها من البلدان مرورا بها[4].

ابن حوقل في صورة الأرض يصف أحوال غانة بقوله: "وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدّخرة من التبر المثار على قديم الأيّام للمتقدّمين من ملوكهم"[5]، فيما أحسن البكري وصف مجلس ملك غانة وكيفية تحلّيه بالذهب ما نصُّه: "وملكهم يتحلّى بحلى النساء في العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراطير المذهّبة عليها عمائم القطن الرفيعة"[6]، وحتى الكلاب المنسوبة على باب القبة في أعناقها سواجير الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمّانات ذهب وفضة[7].

لقد كان لتجارة الذهب أثر كبير في نمو العلاقات ما بين سكّان الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان، وساعد على اتصال الشعوب وانتشار الحضارة العربية الإسلامية في المنطقة[8].

**2-الرقيق(العبيد):**

لقد احتفظت الحضارة الإسلامية، التي أعقبت حضارات العصر القديم الكبرى والإمبراطورية البيزنطية بنظام الرق[9]، وتأتي تجارة الرقيق بالمرتبة الثانية بعد تجارة الذهب، حيث يجني أصحابها منها أموالا طائلة. وكان الفقر المدقع يدفع ببعض العائلات إلى بيع أبنائها وبناتها للقبائل المجاورة والبعيدة، كما كانت بعض الحروب تنتهي إلى وقوع جماعات كبيرة في الأسر ثم تباع[10].

---

[1]- المسعودي: أخبار الزمان، المصدر السابق، ص 88؛ زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 141.

[2]- المسعودي: أخبار الزمان، المصدر السابق، ص 88.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

[4]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 168.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 101.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 363؛ بوعصبانة: المرجع السابق، ص 169.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

[8]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 141.

[9]- موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 254.

[10]- جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 173.

كشف موريس لومبارد بأنّ هناك ثلاث مستودعات كبرى لجلب الرقيق وهي: "بلاد الصقالبة وتحتل الدرجة الأولى، وهي بلاد غابات أوربا الوسطى والشرقية، ثم بلاد الأتراك أو التركستان، أي بلاد سهوب آسيا الوسطى، وأخيرا بلاد السودان في مناطق السافانا وحافة الغابة الإفريقية"[1].

لقد استفاد الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط من هذه التجارة، حيث شكّلت وارجلان وتوات أحد أسواقه جراء الطلب المتزايد من طرف دول الشمال، والصراعات التي دارت رحاها على أرض المغرب الأوسط، ويقول الباحثون في هذا الصدد ما نصه: "جُعِلَ العبد الإفريقي عنصرا أساسيا في العديد من الحروب التي خاضها أمراء المغرب داخل وخارج المغرب حيث استخدمهم الزيريون والصنهاجيون والمرابطون كرماة في حروبهم"[2].

وتعّد كوار ببلاد السودان سوقًا رائجة لتجارة الرقيق، بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم بربر يأتون بالسودان[3]، وهذا أبو يعقوب يوسف الوارجلاني مع جماعة من بني وارجلان قادمون من كوار في قافلة زهاء ثلاثمائة رأس من الرقيق أو ينقص قليلا[4]. ويقول المهلبي عن ملك زغاوة أنّ: "يده مطلقة في رعاياه ويسترق من شاء منهم"[5]، ومن ثم يباعون في أسواق النخاسة بكانم وكوار حيث يلجأ التجار المغاربة باقتنائهم مقابل سلع مطلوبة في تلك البلاد.

ويروي الوسياني عن الشيخ أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد السدراتي-الوارجلاني(كان حيا في القرن 5هـ/11م) أنّه سافر إلى السودان "فجعل تجارته صامتا، واشترى جملا لركوبه، ومعه رجل حضري، فجاء الحضري إلى خالي فقال له: أيّ شيء أجعل تجارتي؟ فقال له: لا أدري، فجعل الحضري تجارته رقيقا، فقفلوا إلى أهلهم، فكان أبو مُحَمَّد لا تعب عليه ولا نصب،...وكان الحضري يتعب وينصب في الخدم والرقيق،... فيقول الحضري: سبحان الذي أراح عبد الله من هذا البلاء"[6].

لقد أرشدنا الدرجيني في طبقاته عن وجود الإيماء بوارجلان بقوله: "غارت غارة من العرب وفيهم واحد من أولاد بلمار على إماء وارجلان فأخذوها، قال: وتبعهم الشيخ ماكسن فلحقهم في الدرمون، في بئر الكاهنة، فطلبهم أن يردوا له أموال المسلمين لله عز وجل،...فردّوا إليه الإماء كلها"[7].

---

[1]- موريس لومبارد: المرجع السابق، ص 260.

[2]- جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 174.

[3]- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 183.

[4]- أبو يعقوب يوسف الوارجلاني: المصدر السابق، ج03، ص 282.

[5]- المهلبي: المصدر السابق، ص 54.

[6]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 446.

[7]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 434؛ الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 391.

واستطاع المرابطون وحدهم شراء ما يقارب ألفي عبد عام 466هـ/1072م[1]، وقد تكون أسواق المدن الصحراوية للمغرب الأوسط وفي مقدّمتهم وارجلان أحد الموّنين لهذه الصفقة المغرية، وقد استُخْدِمُوا في معركة الزّلاقة الشهيرة بين المرابطين وألفونسو السادس وبلغ تعدادهم ما يقارب أربعة آلاف عبد.

وبخصوص توات كشف ابن بطوطة في رحلته وأثناء عودته من تاكدة نحو فاس بالمرور بتوات بأنّ القافلة التي رافقها جلبت معها "نحو ستمائة خادم"[2]، إن توات استفادت من موقعها كمركز تجاري تجتمع به الرفاق من شراء الرقيق حيث أنّ هناك سوق للنخاسة تعرض فيه العبيد كسلعة. بالإضافة إلى ذلك يأتي تجار الشمال إلى أسواق الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط وارجلان وأريغ وأسوف وتوات لشراء الرقيق ويقومون بتصديره إلى جميع البلاد الإسلامية المختلفة وأوربا[3].

**3-الدُّرَق اللَّمَطية:**

تعتبر الدَّرَقُ اللمطية[4] من أكثر أسلحة بلاد المغرب شهرةً، حيث كانت من عوامل قوة جيوش المنطقة، خاصةً خلال فترتي المرابطين والموحدين[5]، لهذا الغرض يقوم تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بجلبها إلى أسواق بلاد المغرب. يعيش هذا الحيوان في صحراء بلاد المغرب[6]، وهو بضواحي أودغست كثير جدا[7]، وقد أشار ابن حوقل إلى وجود معدن الدرق بقوله: "ومن سجلماسة إلى لمطة معدن الدرق اللمطية عشرون يوما"[8]. فيما تحدّث البكري عن غلاء هذه السلعة ذات الجودة العالية بقوله: "وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما صنع من جلود العواتق منها، وهي الّتي طال قرناها لكبر سنّها فمنع الفحل علوّها"[9].

وعن أماكن صناعة الدرق اللمطية صرّح ابن الفقيه في كتاب البلدان إلى وجود "بلاد أنبية من السوس الأقصى على مسيرة سبعين ليلة في براريّ ومفاوز، وأهلها وأهل لمطة أصحاب الدرق"[10].

---

[1]- جميلة بن موسى: المرجع السابق، ص 174.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 712.

[3]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 142.

[4]- **حيوان اللمط**: هو دابّة دون البقر لها قرون دقاق حادّة لذكرانها وإناثها، وكلّما كبر منها الواحد طال قرناه حتّى يكون أكبر من أربعة أشبار. ينظر: البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358.

[5]- موسى هواري: "**الدَّرَقَة اللَّمْطية**"، الملتقى الوطني الأول حول: دراسات تاريخية تخليداً لروح الأستاذ موسى لقبال وطالبته الأستاذة المرحومة سامية سليماني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، يومي 29-30 أفريل 2009، ص 01.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358.

[7]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 345؛ موسى هواري: المرجع السابق، ص 03.

[8]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 45.

[9]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 358.

[10]- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص 133.

## 4-منتجات النعام:

### 4-1- ريش النعام:

ريش النعام من أرقى أنواع الريش وأكثره انتشارا في العالم علاوة على استخداماته المعروفة منذ قديم الزمان في أعمال التنجيد الفاخر وأعمال الديكور والإكسسوارات الكلاسيكية للسيدات وأدوات النظافة المنزلية[1]. فقد لقيت تجارته رواجا كبيرا لدى سكان بلاد المغرب عموما، حيث اشتد طلب الطبقات العليا في المجتمع المغربي للحصول عليه، واتخذوا منه مراوح للتهوية أو للزينة في البيوت والقاعات[2].

ويستخدم ريش النعام أيضا في الصناعات المنزلية كالأرائك والوسائد والمقاعد[3]. لذا كان من ضمن المواد التي استوردها تجار الواجهة الصحراوية للمغرب الأوسط بكميات كبيرة، وجمع ما تيسّر لهم منه أثناء عودتهم من بلاد السودان. وقد ذكر مُحَمَّد الطمار بأن ريش النعام يعدّ من بين المستوردات من السودان[4].

### 4-2- بيض النعام:

يعتبر بيض النعام من السلع العابرة إلى الضفة الشمالية، حيث يعدّ مُحَّهُ عنصرا مهما من بين العناصر الداخلة في صناعة الأدوية[5]، إضافة إلى ذلك يستعمل البيض في أغراض أخرى لحفظ الحبوب كالقمح والشعير كما ذكر الدرجيني[6]، وتزيين الناس بواباتهم ببيض النعام[7]. فقد كانت أسعاره عالية جدا في الأسواق.

## 5- سلع أخرى:

ومن السلع الأخرى التي وردت إلى مدن الإقليم الصحراوي نذكر الصمغ الذي يستخرج من شجرة تسمى آيروار[8]، والصمغ سلعة تجارية، الطلب عليها كثير، ودواء العين الذي أخبرنا عنه الدرجيني بقوله: "لما أصيب أبو معروف ببصره وجّه كتابا إلى الشيخ عبد الحميد الفزاني، وكان عالما كبيرا من أهل الدعوة، وكان قاطنا ببلد السودان- يستمد منه دواء العين"[1]، ويرجّح جودت عبد الكريم بأن دواء العين هو كحل

---

[1]- صلاح الدين أبو العلا: **إنتاج النعام-تربية-رعاية- تغذية-منتجات-مشاريع**، المكتبة الأكاديمية، مصر، 2009، ص 217.

[2]- حمد مُحَمَّد الجهيمي: **"العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/التاسع والحادي عشر الميلاديين"**، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار، ليبيا، د.س.ن، ص 12.

[3]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 143.

[4]- مُحَمَّد الطمار: المرجع السابق، ص 97؛ بوعصبانة: المرجع السابق، ص 177.

[5]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 143.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 434.

[7]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 177.

[8]- **آيروار**: هو شجر العلك(الصمغ العربي، يصمغ في أكتوبر ويستمر إلى مايو إلا أنه يقل في (الكريس)(الأربعون ليلة الوسطى من الشتاء) وصمغه أهم ما في القبلة. ينظر: المختار ولد حامد: **حياة موريطانيا-الجغرافيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 13.

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 327؛ جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط=**

البشمة[1] الذي ذكره ابن البيطار في مصنفه، والذي تجلبه القوافل من بلاد السودان من كوار وغيرهم من بلدانهم[2]. وقد أشرنا سابقا بأن القوافل الوارجلانية لها حضور في أسواق السودان الأوسط ومن بينهم كوار بالإضافة إلى ذلك نجد جوز الشرك[3] الذي يؤتى به من بلاد السودان[4] يُستخدم في أوجاع الوركين والركبتين والظهر، وكذلك فلفل السودان[5] الذي يستخدم لعلاج وجع الأسنان وتحركها[6].

تحمل تجار المدن الصحراوية للمغرب الأوسط الصعاب والمشاق لأجل توفير ما يلزم توفيره سواء لأهالي بلاد السودان أو لقاطنيها ولسكّان مدن الشمال لبلاد المغرب، بالإضافة إلى ذلك كان تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط على اتصال بالواجهة البحرية للمغرب الأوسط على غرار بونة، وبجاية، وجزائر بني مزغنة، وتنس وهنين.

لقد أصبح تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ذوو خبرة كبيرة جَرَّاءَ اتصالهم الدائم ببلاد السودان الغربي والأوسط، جعلت منهم أول هذه القواعد الصحراوية التي ارتبطت ببلاد السودان ارتباطا وثيقا والسفر منها إلى هذه البلاد كان كثيرا، وتخصَّص أهلها في قيادة القوافل التجارية فكان منهم الأدلاء ذوو الخبرة بالطرق الصحراوية في بلاد السودان[7].

---

**=خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 230.

[1]- **البشمة**: اسم حجازي للحبة السوداء المستعملة في علاج العين،...، يستعملونها في أمراض العين ضمادا وذرورا وغير ذلك من أمراضها، ويستعملونها للجلاء وإخراج القذى من العين والغشاوة وغير ذلك من أمراضها. ينظر : ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ط01، ج01، ص 131.

[2]- ابن البيطار: المصدر نفسه، ج01، ص 131.

[3]- **جوز الشوك**: هو جوز الحبشة وهو ثمر في قدر جوز الأكل إلا أنه أطول قليلا وطرفاه محددان كأنه شكل ما صغر من أصول الخنثى، ولونه أحمر إلى السواد قليلا، وطعمه كطعم الزنجبيل وأشد حرافة منه، ورائحته طيبة يؤتى به من بلاد السودان ويستعمل في الجوارشنات المسخنة وقد يؤتى من بلاد البربر يشيء منه دون هذا. ينظر: ابن البيطار: المصدر نفسه، ج02، ص 243.

[4]- ابن البيطار: نفس المصدر والصفحة.

[5]- **فلفل السودان**: يسمى بالبربرية حرفي وهو حب يشبه الجلبان وأوعيته وهو أسود اللون حريف الطعم مثل الفلفل يجلب من بلاد السودان وينفع من وجع الأسنان وتحركها. ينظر: ابن البيطار: المصدر السابق، ج03، ص 229.

[6]- ابن البيطار: نفس المصدر والصفحة.

[7]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 211.

## المطلب الثاني: وسائل التعامل التجاري بين تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجار بلاد السودان

### 1-العملات النقدية :

#### أ-الدنانير الذهبية :

أدى حجم النشاط التجاري بين تجار ضفتي الصحراء، إلى إيجاد وسيلة يتم من خلالها إتمام عملية البيع والشراء، حيث عمدت الممالك السودانية إلى صك دينار ذهبي أصبح معمولا به في المنطقة، وقد صرّح البكري في مسالكه عن أن أهل تادمكة يتعاملون بالدنانير حيث قال: "ودنانيرهم تسمّى الصلع لأنّها ذهب محض غير مختومة"[1]. وكان الدينار الذهبي هو العملة التي يتعامل بها التجار المغاربة في الشراء والبيع[2].

### 2-وسائل التعامل التجاري:

#### أ- التعامل بالنحاس:

على الرغم من وفرة الذهب في مناطق متعددة من بلاد السودان لكن كما يبدو استخدم النحاس كعملة في التبادل التجاري. وتشير المصادر الإخبارية إلى وفرة هذا المعدن في الصحراء، ففي مدينة نول مثلا التي تقع على مشارف بلاد السودان الغربي، كانت من بين صادراتها النحاس، ويخبرنا البكري بأن "النحاس المسبوك يتجهّز به إلى بلاد الشرك"[3].

وفي مدينة كوغة في مملكة غانة استخدم أهلها النحاس كعملة في التبادل التجاري[4]، كما استعمل النحاس كذلك كعملة شرائية في مملكة كانم – برنو وكان النحاس يبادل بالذهب وزن مثقال منه بثلثي مثقال من الذهب[5].

وقد سجل لنا ابن بطوطة أثناء زيارته لمملكة مالي وحلوله بتاكدة التي اشتهرت بمعدن النحاس كيفية سكه واستعماله كعملة للتبادل التجاري ما نصه: "ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه الأرض ويأتون به الى البلد فيسبكونه في دورهم.... فإذا سبكوه نحاساً أحمر صنعوا منه قضباناً من طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب، وتباع الرقاق

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 370.

[2]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 188.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 349.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 367؛ عمر صالح سليم الفنوس: "**دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا(4-10هـ/10-16م)**"، تحت إشراف: أ.د: صباح إبراهيم الشيخلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الفنون، جامعة بغداد، 2002، ص 147.

[5]- عمر صالح سليم النفوس: المرجع السابق، ص 147.

بحساب ستمائة وسبعمائة مثقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح"[1].

وينقل الشيخ عيسى الزواوي لنا محادثة جرت بينه وبين السلطان منسى موسى جاء فيها: " قال لي السلطان موسى: إن عنده في مدينة اسمها (نكوا) معدن نحاس أحمر، يجلب منه قضبان إلى مدينة بنبى قاعدة مالّي فيبعث منه إلى بلاد السّودان الكفّار، فيباع وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب، يباع كلّ مائة مثقال من هذا النحاس بستة وستين مثقالا وثلثي مثقال من الذهب"[2]. وقد خلص شيخ الربوة في نخبة الدهر في عجائب البر والبحر إلى أن على الرغم من وفرة الذهب في بلاد السودان إلا أنهم يستخدمون النحاس كعملة بقوله: "والذهب في بلادهم كثير لا يستعملونه وانما يستعملون النحاس"[3].

**ب-التعامل بالقماش:**

تُفْصِحُ المصادر عن أنّ القماش استخدم في المبادلات التجارية في الأسواق السودانية عوضا عن النقود ويبدو أن أهالي مدينة سلي تعاملوا بالقماش في عملية التبادل التجاري، وهذا القماش كما صرح البكري عبارة عن أُزر لطاف من قطن يسمُّونها الشكيبات[4].

**ج-التعامل بالصكوك والسفنجات:**

تعتبر السفانج إحدى مظاهر التعامل المالي الذي حظيت بها ضفتي الصحراء نظرا للمعاملات الضخمة التي كانت تشهدها المنطقة، فقد استدعت الظروف إلى إيجاد وسيلة للدفع، مأمونة من الضياع خفيفة الحمل، بعيدة عن متناول اللصوص[5]. وهي عبارة عن أوراق مالية، أو خطابات ضمان تستعمل في المعاملات التجارية الكبيرة خشية اللصوص وقُطَّاع الطرق لأنها خفيفة الحمل[6].

وقد أشار باحثون بأن: "استخدام السفانج في المعاملات التجارية بين بلاد المغرب وغيرها من البلاد المجاورة. وقد عُثِرَ على سفنجة بمبلغ مائتي دينار أرسلها تاجر من طرابلس إلى أحد تجار مدينة الفسطاط في مصر"[7].

أما الصكوك فقد كان لها حضور في المعاملات المالية في بلاد السودان، والصك في الأصل سند

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 711.

[2]- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المصدر السابق، ج05، ص 279.

[3]- شيخ الربوة: **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، تص: اغشطس بن يحيى، مطبعة الاكاديمية، بطرسبورغ، 1864، ص 268.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج 2، ص 360؛ عمر صالح سليم النفوس: المرجع السابق، ص 148.

[5]- آدم متز: **الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري أو عصر نهضة الإسلام**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.س.ن، ج02، ص 379.

[6]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 189.

[7]- مسعود مزهودي: نفس المرجع والصفحة.

الدَيْن[1]، وكانت هذه الصكوك تُكْتَبُ على شكل عقود بين التجار في الديون[2]. وأثناء نزوله بأودغست لاحظ ابن حوقل حضور الصك في المعاملات المالية بين التجار حيث قال: "ولقد رأيت بأودغست صكاً فيه ذكر لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سلجماسة باثنين وأربعين ألف دينار"[3].

وقد سمى ابن حوقل الرجل صاحب الدَّيْن والصَّك بقوله: "أن أبا إسحق إبراهيم بن عبد الله[4] هو صاحب الدين والصك الذي قدمت ذكره بأودغست"[5]. وهذا مُحَمَّد بن أبي سعدون[6] أحد التجار العرب المسلمين من العراق، وبحضور شاهدين على هذا الدين، يحمل قيمة الدين اثنان وأربعون الف دينار. وقد وَثَّقَ ابن حوقل ذلك أيضا بقوله: "ولقد رأيت صكاً كتب على مُحَمَّد بن أبي سعدون بأودغست وشهد عليه عدول باثنين وأربعين ألف دينار"[7].

**د- التعامل بالمقايضة:**

**- مقايضة الملح بالذهب:**

يعتبر الملح من السلع المهمة والضرورية لسكّان بلاد السودان، لحاجتهم الماسة له ولانعدام وجوده في بلادهم[8]، ولذلك لم يبالوا في مبادلته، بالذهب وزناً بوزن وأكّد البكري ذلك قائلاً :"يتبدَّل الملح فيها بالذهب"[9]. وقد أضاف البكري بأنَّ ملك غانة فرض على "حمل حمار الملح دينار ذَهَبٍ في إدخاله البلد ودينارين في إخراجه"[10].

أشار صاحب كتاب الإستبصار إلى أن بلاد الفرويين المجاورة لبلاد زافون ببلاد السودان يتم بها مقايضة الملح بالذهب ما نصه: "وببلاد الفرويين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم"[11]، فيما سجل العمري في سياق حديثه بأن أبي عبد الله بن الصائغ حدثه بـ: "أن الملح معدوم في داخل بلاد السودان، فمن الناس من يغرر ويصل به إلى أناس منهم يبدّلون نظير كلّ صبرة ملح [مثلها] من الذهب"[12]. إن

---

[1]- آدم متز: المرجع السابق، ج02، ص 379.

[2]- عمر صالح سليم النفوس: المرجع السابق، ص 147.

[3]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 96.

[4]- لم أعثر على ترجمته.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 97.

[6]- لم أعثر على ترجمته.

[7]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 61.

[8]- ابن حوقل المصدر نفسه، ص 98.

[9]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 362.

[10]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 364.

[11]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 219.

[12]- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج04، ص 128.

الملح السلعة النادرة في بلاد السودان أصبح على ما يبدو في مرتبة واحدة مع الذهب في أغلب الأوقات حيث أفادنا أبي حامد الغرناطي بأن القافلة تخرج من سجلماسة محملة بالملح نحو غانة ليقوم التجار بمقايضته بالذهب بقوله: "فإذا وصلوا الى غانة باعوا الملح وزناً بوزن من الذهب وربما باعوه وزناً بوزنين أو أكثر على قدر كثرة التجار وقلتهم"[1].

**– مقايضة سلعة بأخرى:**

يبدو أن عملية المقايضة في بلاد السودان عرفت شكلا آخر تعدى مقايضة الملح بالذهب إلى مقايضة سلعة بأخرى، الإدريسي في نزهته أبان عن هذا الشكل وهو يتحدث عن أهل كوكو بقوله: "وهم يداخلون التجار ويجالسونهم ويبضعونهم بالبضائع على جهة المقايضة"[2]. وأما ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي أشار بالتفصيل إلى مقايضة سلعة بأخرى في أسواق مملكة مالي التي مَرَّ بها ما نصه: " وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح والعطريات وحلي الزجاج"[3].

فقد استخدم سلطان مملكة كانم برنو هذا النوع من المقايضة مع تجار بلاد المغرب فجعلها الخيل مقابل العبيد، وقد تحدث الحسن الوزان خلال زيارته لهاته المملكة وسجل ذلك بأن: "الملك الحالي لهذه البلاد جاء بتجار من بلاد البربر ليأتوه بخيل ويستبدلوها بعبيد، يأخذون مقبل كل فرس خمسة عشر أو عشرين عبدا"[4].

**–التجارة الصامتة:**

اتسمت المعاملات المالية بين تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجار بلاد السودان بما يسمى بالتجارة الصامتة، حيث أشارت المصادر الإخبارية إلى ذلك، فالمسعودي في أخبار الزمان وأثناء حديثه عن مملكة غانة وما يتصل بها من معادن الذهب، وَضَّحَ عملية المبايعة بقوله: "ولهم خط لا يجاوزه من صدر إليهم فإذا وصلوا إلى ذلك الخط جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا، فيأتون أولئك السودان، ومعهم الذهب فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون، ويأتي أصحاب الأمتعة فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا فيعود السودان، فيزيدونهم حتى تتم المبايعة كما يفعل التجار الذين يتباعون القرنفل من أهله سواء [بسواء]"[5].

---

[1]– أبو حامد الغرناطي: المصدر السابق، ص 39.

[2]– الإدريسي: المصدر السابق، ص 28.

[3]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 708.

[4]– الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 176.

[5]– المسعودي: أخبار الزمان، المصدر السابق، ص 88.

**المبحث الرابع: دور اليهود في التجارة العابرة إلى بلاد السودان**

كغيرهم من الأجناس مارس اليهود نشاطهم الاقتصادي للحفاظ على كيانهم ولتأمين حياتهم من أي خطر قد يصادفهم، حيث انخرطوا في التجارة التي تعد السمة الأساسية التي ميزتهم عن غيرهم من الشعوب منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا. فاحتكروها عبر بسط نفوذهم على منافذها من موانئ بحرية خاصة مع دول أوربا، وأخرى برية سيطروا على الطرق التجارية العابرة إلى الصحراء وتجذروا في المراكز التجارية الصحراوية، وبلغت ذروتهم خلال القرن 8هـ/14م.

**المطلب الأول: نشأة وتطور التجارة بين اليهود وتجار بلاد السودان**

يرى ميشيل أبيتبول بأنّ تطور نشاط اليهود التجاري عبر الصحراء مرَّ بثلاث مراحل رئيسية خلال الفترة (2-9هـ/8-15م)، معتمدا على التحقيب الزمني وهي في الآتي:

**1-المرحلة الأولى(2-5هـ/8-11م):**

اتسمت هذه المرحلة بوضع الأسس البشرية والاقتصادية التي تسمح لتجار يهود بلاد المغرب أن يكونوا طرفا في هذه التجارة، وتميزت بالتبادل الداخلي بمنطقة إفريقيا[1]. وجدت دول المغرب المستقلة عن الخلافة بالمشرق في تجارتها مع بلاد السودان مصدرا لقوَّتها واستقلالها[2].

وبالتالي سمحت هذه الوضعية للتجار اليهود بالتوغل والاستقرار بواحات الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط التي أصبحت من كبريات المراكز التجارية، ومع تمركز وسيطرة الجماعات الأباضية والصفرية على طول الواجهة الصحراوية للإقليم وتسامحهم مع اليهود، كل هذه الأسباب شجعت اليهود على ممارسة التجارة بكل حرية وأمن.

وعن استقرار اليهود بالإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط نذكر أنْ كان لهم حضور في المراكز التجارية الكبرى، فتمركزت جماعة كبيرة من اليهود القرائين بوارجلان[3]، وأما أريغ فقد حظيت هي الأخرى باستقرار عدد لابأس به من الجاليات اليهودية بها، وذكر مارتان بأنهم "قاموا بتأسيس مستوطنات في وادي ريغ أين حافظوا على تقاليدهم وذكرياتهم"[4].

وأما توات فقد استفحلت بها الجماعات اليهودية التي استقرت بها بحسب مارتان كذلك حيث صرح بأن: "هناك إشارة تركها مُحَمَّد الهادي السبعي، المؤرخة بتاريخ 6 ربيع الأول عام 1003هـ(نوفمبر

---

[1]-Michel(A): **Juifs Maghrébins et commerces transsaharien (VIIIe-XVe siècles)**, Revue Français d'outre-mer, 1979, p 178.

[2]-Claude(C): **L'or du soudan avant les Almoravides mythe ou réalité**, Revue Français d'outre-mer, 1979, p 169.

[3]- فاطمة بوعمامة: **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 222.

[4]- Martin(A.G.P): Les oasis sahariennes, Op.cit, p 39.

1594م)، ونسخت من طرف مبارك بن علي المناصري بتاريخ 7 نوفمبر 1714م، جاء فيها:... هلال بن مسعود، قدم من بلاد الموصل، ومر بالقرية المسماة (تمازيغت)، وتوقف عام 131هـ (748-749م)، بتخفيف حيث أن اليهود تم إجلاؤهم منها، وأحضر معه تجارًا يهودًا استوطنوا المنطقة واستقروا بها"[1].

ويرى عبد الحميد بكري بأن: "وجود اليهود بتوات يرجع إلى قرون بعيدة فنزلوا بتمنطيط وتيطاف، وتخفيف، وتاسفاوت، غير أنّ شوكتهم علت بتمنطيط فزكت أموالهم بها، وسيطروا على التجارة والأسواق"[2].

ولحماية تجارتهم وقوافلهم ووجودهم تمركز اليهود في باقي المراكز التجارية الصحراوية لبلاد المغرب حيث نجدهم في منطقة الجريد، وتوزر، ونفزاوة، ومطماطة، وإلى الشمال منها بمنطقة قابس وقفصة[3]. وأما غدامس التي تبعد عن وارجلان "نحو عشرون يوما في صحراء قليلة الماء"[4]، احتضنت منذ القديم مجتمعًا يهوديًا بحسب النصوص الحاخامية التي أشارت إلى وجود حاخام اسمه موشي ها-الغدامسي[5].

وتأتي جادو التي تقع ضمن محطات الطريق الرابط بين وارجلان وكانم بجبل نفوسة، هذه المدينة بها جماعة يهودية كانت تتعامل مع التجار المارين من كانم إلى فزان[6]، صورها لنا البكري بأنها: "مدينة كبيرة تسمى جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير"[7].

وأما المغرب الأقصى فقد تواجد اليهود في عدة مدن منها درعة التي استوطنوها واستقروا بها، وصفها البكري بقوله: "وهذه المدينة آهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة"[8]، فيما أقرَّ ميشيل أبيتبول بأن هناك "جماعة من اليهود القرائين أسسوا شبه مملكة بإقليم درعة والتي دامت إلى القرن 9هـ/15م"[9].

ومن المدن الصحراوية التي اشتهرت أيضا بتواجد اليهود مدينة سجلماسة التي تقع في مفترق الطرق بين المغرب الأقصى، المغرب الأوسط والسودان الغربي[10]، وهي محطة استراتيجية لعبور القوافل و"مدينة

---

1- Martin(A.G.P): Les oasis sahariennes, Op.cit, p 37.

2- عبد الحميد بكري: **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ط02، ص 22.

3-Nahum(S): **Hébreo-Phéniciens et Judéo Berbères**, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1908, p 356.

4- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 224.

5- Michel(A): Op.cit, p 180.

6- فاطمة بوعمامة: المرجع السابق، ص 222.

7- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 181.

8- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 341.

9- Michel(A): Op.cit, p 179.

10- Ibidem.

الحكماء والجيونيم"[1] مما جعلها محل أطماع القوى المتصارعة وحاولت التحكم بها والسيطرة عليها.

وعليه فقد أصبحت من كبرى المراكز التي لها اتصالات مع باقي المراكز اليهودية الأخرى كالشام ومصر، وشمال المغرب، والأندلس للاستفسار عن بعض القضايا التي تهم اليهود الدينية والاقتصادية. ويُعَدُّ أبو زكري يهودا ها كوهين من أكبر وأغنى المفاوضين اليهود الذي أصبح وكيل التجارة لتجَّار شمال إفريقيا بمصر في القرن 6هـ/12م[2].

كما أَوْضَحْتُ فإنّ الجماعات اليهودية في هذه الفترة التي دامت قُرابة أربعة قرون هيئوا أنفسهم وتمركزوا في هاته الموانئ التجارية الصحراوية، وأسَّسوا سلسلة من المستوطنات الخاصة بهم على طول الواجهة الصحراوية لبلاد المغرب، وبالتالي أشرفوا على الحركة والنشاط التجاري وتحكَّموا في أغلب المنافذ المؤدية إلى بلاد السودان طيلة هاته الفترة.

وفي المقابل ارتبطت هذه الموانئ الصحراوية أو المراكز التجارية بمدن الشمال كفاس، وتلمسان، وبجاية، والقيروان، وطرابلس بعلاقات تجارية نشطت من خلالها موانئها لتصريف السلع والمنتجات إلى أسواق أوروبا وخليج فارس والمحيط الهندي[3]، وفي هذا الصدد يخبرنا ابن خرداذبة بأنَّ الطريق الذي يسلكه التجار اليهود: "يخرج من الأندلس أو من فرنجة فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى إفريقية ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الاهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان ثم إلى السند ثم إلى الهند ثم إلى الصين"[4].

وبخصوص بلاد السودان فقد صرَّح ميشال أبيتبول بأن هناك تجمُّعات لليهود في كل من ولاتة وودان ما نصُّه: "ومن ناحية أخرى، نحن نعلم يقينا بأنَّ اليهود عاشوا في ودان وولاتة، وهما منطقتا اتصال بين المناطق الساحلية الصحراوية قبل الدخول إلى بلاد السودان"[5] وهو ما كشف عنه الإدريسي وأثبته في نزهته بأنَّ: "أهل بلاد قمنورية فيما يذكره التجار يدَّعون أنهم يهود"[6]، وهو ما يفهم منه بأن ولاتة على اتصال بيهود توات الذين تربطهم تجارة بهم من خلال الطريق السالف الذكر بين توات وولاتة.

وقد أضاف الإدريسي أيضا بأنَّ: "وليس في جميع أرض لملم إلا مدينتان صغيرتان كالقرى اسم إحداهما ملل واسم الثانية دو وبين هاتين المدينتين مقدار أربعة أيام وأهلها فيما يذكره أهل تلك الناحية

---

[1]-Oliel(J) :**Les Juifs au Sahara Le Touat au Moyen Age**, CNRS Editions, paris, 1994, p 47.

[2]- Michel(A): Op.cit, p 179.

[3]- فاطمة بوعمامة: المرجع السابق، ص 222.

[4]- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص ص 154-155.

[5]- Michel(A): Op.cit, p 181.

[6]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 105.

يهود"[1]، وقد كان تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط السالكون طريق وارجلان-مالي من بينهم يهود يتجولون في هاته المناطق بُغية صرف بضائعهم مقابل التبر والرقيق.

إضافة إلى ذلك فقد كان الحضور اليهودي بمدينة زافون التي تقع بالقرب من تمبكتو، وفي إشارة للزهري مفادها: "مدينة قرافون[2]، وهي أقرب مدائن الصحراء من وارقلان وسجلماسة،... وهم قوم متشرعون بدين اليهودية، يدخل إليها من كوكو ووارقلان، وهم أفقر جناوة، ويقرؤون التوراة ويجلب إليهم من الصحراء والأندلس الحرير والزعفران والمتاع المصبوغ والقطران"[3].

إنَّ هذه المدينة لها علاقة مع يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجلى ذلك بدخول تجار وارجلان إليهم محمَّلين بأنواع السلع والبضائع، من كوكو التي تربطها طريق مباشر يمر عبر تادمكة وقد أشرنا إليه عند ذكرنا للطرق التجارية، إضافة إلى ذلك فإن توات بقربها من سجلماسة والتي تعدُّ من أكبر معاقل اليهود بالمنطقة وبالتالي فيهود توات على اتصال بإخوانهم بسجلماسة، ونتيجة لذلك فإنَّ يهود توات قد توغَّلوا إلى زافون واتصلوا بالجالية اليهودية هناك.

وبالجنوب الغربي من تمبكتو تحدَّث محمود كعت عن مدينة تسمى تندرمة[4] بأنها كانت تمثل مستوطنة بها جالية يهودية معتبرة بقوله: "ذَلِكَ المكَان، وَكَان قَبْلُ مَسْكَنَ قوم بني إسرائيل، وأجداثهم وآبارهم هنالك إلى الآن...وهاته الآبار التي حفرها أهل بنو إسرائيل ما حفروها بسبب شيء إلا أنهم أغنياء جدا من المال، ولهم مزارع من السلق ويكتسبون بها، يشتريها التجار منهم بثمن كثير"[5].

ويبدو من خلال نص محمود كعت بأن اليهود امتهنوا زراعة السلق والتي تدرُّ عليهم أموالا كثيرة جعلتهم من الأغنياء، ومدينة تندرمة هي قريبة من تمبكتو وبالتالي فهي على اتصال بيهود توات بواسطة الطريق المشار إليه سلفا. وقد عَمَّرَتْ هذه المستوطنة كما سماها ميشيل أبيتبول حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[6].

ويبقى يهود بلاد المغرب الإسلامي عموما والإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خصوصا، يتعاملون مع تجار بلاد السودان اليهود إلى أن أصدر الأسكيا مُحَمَّد ملك مملكة سنغاي قرارا حرم عليهم المتجارة في مملكته[7].

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 19.

-Oleil(J): Op.cit, p 47.

[2]- سماها الزهري أيضا زافون. ينظر: الزهري: المصدر السابق، ص 126، الهامش 340-2.

[3]- الزهري: المصدر ktsi، ص ص 126-127.

[4]- تَنْدِرْمَة: مدينة قديمة تقع عند مخرج بحيرة فاتي. ينظر: Mauny(R):Tableau géographie, Op.cit, p 125.

[5]- محمود كعت: المصدر السابق، ص ص 162-163.

[6]- Michel(A): Op.cit, p 182.

[7]- Ibidem

**2-المرحلة الثانية(5-منتصف القرن7هـ/11-13م):**

في هذه الحقبة عرفت بلاد المغرب عدة أحداث أبرزها دخول قبائل بني سليم وبني هلال إلى إفريقية والحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط، خلف ذلك عدم استقرار وحالة من الفوضى، وازداد بذلك قُطَّاع الطرق، وبالتالي نجم عن ذلك ولو لبعض الوقت "تحول حركة المرور من إفريقية إلى مصر الفاطمية"[1].

وفي الضفة الغربية لبلاد المغرب أعني هنا المغرب الأقصى قامت دولتين كبيرتين، كانا لهما شأن كبير على الساحة المغربية وعلى التجارة العابرة للصحراء، هما المرابطون ومن بعدهم الموحدون، الأولى بدأت حركتها من بلاد السودان الغربي حتى شملت المغرب الأقصى والأندلس، فيما وحدت الثانية بلاد المغرب والأندلس سياسيا وأصبحت تحت سلطة سياسية واحدة.

إن هذه التطورات الحاصلة أضرت بالتجار اليهود في النقاط التي سيطر عليها المرابطين، أدت إلى تراجع نشاطهم التجاري وبالتالي إلى "نهاية المستوطنات اليهودية في الصحراء"[2]. إضافة إلى ذلك احتكار سلطة المرابطين للأسواق ومناجم ذهب السودان الذي أصبح تحت تصرفهم، وأيضا دخول مملكة غانة تحت نفوذهم وكذلك سقوط أودغست في أيدهم عجل بتعطيل نشاط يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط. وأما يهود سجلماسة يقول جاكوب أوليل بأن: "في عام [446هـ/] 1054م تم احتلال سجلماسة من قِبَلِ المرابطين وخربت حدودها. وقد عانوا اليهود جراء ذلك، ولكن ما إن سيطروا على الوضع. تحسنت وضعية اليهود بها"[3].

ومع مجيء الموحدين عام 540هـ/1145م وأحكموا سيطرتهم على سجلماسة، ازداد التضييق على اليهود، في خضم هذه التطورات صور لنا جاكوب أوليل المشهد بقوله: "مع تولي حاكم جديد على سجلماسة من طرف الموحدين، فرض هذا الأخير على اليهود دخولهم في الإسلام أو الموت. منهم 150 يهودي فضلوا الموت، وأما البقية-تحت إمرة الحاخام يوسف بن عمران، الذي عاد فيما بعد إلى اليهودية- خضعوا إلى ذلك واسلموا"[4].

وقد تسببت هذه المضايقات في تراجع نشاط اليهود التجاري ليتحوَّل خلال هذه الفترة إلى بلاد الهند[5]، بعد فتوى لهم من قبل الحاخام جادوب بن فربون[6] بمغادرة سجلماسة والتوجّه نحو بلاد المشرق.

---

1- Michel(A): Op.cit, p 182.
2-Ibidem.
3-Oliel(J): Op.cit, p 47.
4-Ibidem.

5- فاطمة بوعمامة: المرجع السابق، ص 223.

6- لم أعثر على ترجمته.

### 3-المرحلة الثالثة(8-9هـ/14-15م):

عرفت هذه المرحلة عودة التجارة العابرة للصحراء إلى أوج نشاطها، واستعاد اليهود بدورهم نشاطهم التجاري "بتشجيع من الحكّام المسلمين خاصة من قبل الدولة الزيانية، والدولة المرينية، والدولة الحفصية، لما كانت تدره هذه التجارة من أرباح على خزينة الدولة"[1]. وفي المقابل في الضفة الصحراوية شهدت هذه الأخيرة بروز مملكة مالي الإسلامية التي وصل نفوذها قرابة وارجلان في الشمال، وبالتالي تحكمت في مناطق العبور والمحطات التجارية الواقعة على سواحل بلاد السودان، وسيطرت على تجارة الذهب في منطقة بوري بمالي وبامبوك بالسنيغال، واستغلال منجم ملاحة تغازى[2].

لقد ساعدت هذه التطورات يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط في المشاركة في تجارة القوافل العابرة للصحراء، وارتبطوا بعلاقات تجارية مع كل من يهود تلمسان، وسجلماسة، ويهود توزر وتونس.

وقد صرَّح جاكوب أوليل بأن "ومن الضروري التذكير بأن هناك من المدن والممالك منها سجلماسة وتلمسان، مصير توات مرتبط بها، ومن المستغرب أنها مستقلة في الظاهر ولكن هي على اتصال بتافيلالت حتى القرن 8هـ/14م، ثم بتلمسان"[3]. وفي هاته الحقبة أصبحت توات تمثل الباب الثاني للولوج إلى بلاد السودان بعد وارجلان، فقد نشطت الموانئ الصحراوية للمغرب الأوسط وازدادت حركتها التجارية، وهذا النشاط مرتبط بازدهار التجارة مع الواجهة البحرية لبلاد المغرب بأوروبا، فأصبح الطريق الرابط بين تلمسان-توات-النيجر من أهم وأشهر الطرق التجارية عبر الصحراء[4].

ويضيف ميشيل أبيتبول بأن: "توات ارتبطت بالمغرب الأوسط(الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط) بواسطة طريق ميزاب الذي تضمن العديد من المجتمعات اليهودية منها بورقلة، وتقرت-وهما محطتان رئيسيتان في الطريق المؤدي إلى بسكرة، قسنطينة، وبجاية من الجهة الغربية، وقفصة وتونس من الجهة الشرقية"[5].

امتهن يهود توات تجارة القوافل كغيرهم لأنها الوسيلة الوحيدة في تلك الحقبة للولوج لعالم التجارة وربح المال، وأصبحت بذلك تمثل المصدر الرئيسي لمعاشهم ولثرائهم، وقد تدخّل حاخام الجزائر حول مسألة متابعة النشاط التجاري ومتابعة العمل يوم السبت، الذي يعدّ محرّم فيه العمل عند اليهودية، فأصدر

---

[1]- فاطمة بوعمامة: نفس المرجع السابق، ص 223.

[2]-Levtzion(N): **Ancient Ghana and Mali**, Africana Publishing Company, New York, 1980, p 79.

[3]- Oliel(J): Op.cit, p 47.

[4]- Michel(A): Op.cit, p 186.

[5]-Ibidem.

الحاخام إسحاق بن ششت برفت (727-810هـ/1326-1408م) فتوى أجاز فيها لليهود متابعة سيرهم يوم السبت شرط أن يكون خروج القافلة قبل حلول هذا اليوم بثلاثة أيام[1].

وهكذا أصبح يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وفي مقدّمتهم يهود توات من الأثرياء وارتبطوا بعلاقات تجارية كما أشرنا سابقا مع أغلب يهود بلاد المغرب على غرار يهود تلمسان، ووهران من خلال ميناء هنين الذي ينزل به تجار جنوة والبندقية بسلعهم، ويقوم التجار اليهود بتسويقهم باتجاه توات أين يتصلوا بإخوانهم اليهود، وهم بدورهم يدخلون بهاته البضائع إلى أسواق بلاد السودان مقابل الحصول على ريش النعام والنحاس والتبر.

وفيما يلي نذكر أهم السلع والبضائع التي اهتم بها يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وانخرطوا بالمتاجرة بها.

**المطلب الثاني: السلع التي اختص بها اليهود في تجارتهم مع بلاد السودان**

**1-اليهود وتجارة الذهب:**

يعتبر معدن الذهب أو التبر من المكونات الرئيسية لثراء بلاد السودان، وهو يمثل قوة جميع الكيانات السياسية التي قامت هناك كمملكة غانة، ومملكة مالي، ثم مملكة سنغاي. تفطن يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط لهذه السلعة الثمينة والمطلوبة سواء في أسواق بلاد المغرب أو أوربا، وأصبحوا يمثلون طرفا في تجارة الذهب، "وكذلك في نقل التبر إلى بلاد المغرب-وفي أغلب الأحيان إلى أوربا"[2].

وقد أشار جوزيف كوك بأن اليهود: "بوجودهم بجانب مناجم الذهب. قد ضمن لهم مستوطنات أخرى خصوصا الواقعة على رأس بلاد المغرب(توات) التي شهدت ازدهار استثنائي"[3]. وقد استثمر يهود بلاد المغرب خاصة منهم يهود توات جهودهم في تجارة صياغة الذهب وأتقنوها، وانتشرت محلّاتهم في أماكن عدة منها تمنطيط بتوات وسجلماسة وفاس.

لقد لقيت هذه التجارة انتباه ملوك أوربا لغرض الحصول على الذهب، فعملت إلى إرسال العديد من الوسطاء والتجار، الذين عجت بهم موانئ المغرب الأوسط على غرار هنين وبجاية وجزائر بني مزغنة وغيرها، ومنهم من انتقلوا إلى قلب الصحراء وبالتحديد توات من أجل التفاوض بشأن السلع، ومعرفة أسرار وخبايا مناجم الذهب[4]. وبدأت البعثات تتوغّل في الصحراء من طرف الأوروبيين، من ضمنها نذكر رحلة البرتغالي جواو فرناندز الذي بقي في موريتانيا عام 850هـ/1446م، ورحلة الجنوي أنطونيو مالفنتي

---

1- Michel(A): Op.cit, p 188.
2-Oliel(J): Op.cit, p 60.
3-Joseph(C): **Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale du VIIIe au XVIe siècle**, Editions du Centre National de la recherche scientifique, paris,1974, p 142.
4-Oliel(J): Op.cit, p 61.

عام 851هـ/1447م الذي مرَّ بتوات وأمضى بها بعض الوقت وسجَّل ملاحظاته عنها وعن ارتباطها ببلاد الذهب السودان.

وفي عام 860هـ/1455م وصل كا دا موستو من البندقية[1] عبر البحر ونزل بسواحل موريتانيا أين حل بودان، وفي عام 875هـ/1470م وصل إلى تمبكتو من فلورنسا بنيتو دي[2]. إن هذا الاهتمام من قِبَلِ الأوربيين ووصول العديد من الرحَّالة قصد معرفة مناجم الذهب بالسودان، في اعتقادنا هو التحضير لاحتلال المنطقة والاستحواذ على مناجم الذهب، والذي عجل أواخر القرن السادس عشر للميلاد إلى غزوه من طرف العاهل المغربي أحمد المنصور السعدي عام 1000هـ/1591م.

**2-اليهود وتجارة النحاس:**

النحاس وهو أحد المواد التي كان لها حضور في تجارة العصر الوسيط ببلاد السودان. أخبر عنه ابن بطوطة في رحلته، بدأ الاستغلال لهذه المادة منذ العصور القديمة. صرّح جاكوب أوليل بأنَّ هناك: "مناجم للنحاس موجودة وكانت تستغلُّ في بلاد المغرب منذ القرن 3هـ/9م، جزء من الإنتاج كان يصدّر نحو بلاد السودان مقابل الحصول على الذهب أو الرقيق"[3].

وبخصوص بلاد السودان فإن البكري في مسالكه أفادنا بأنه: "يتجهَّز إلى أودغست بالنحاس المصنوع"[4]، وأن ملك غانة "له على حمل النحاس خمسة مثاقيل"[5]. وكتب جون دوفيس بأنَّ: "الصحراء الإفريقية لها في نفس وضعية بلاد المغرب في إنتاج النحاس، والذي بدوره منتج له، وهو -أي بلاد المغرب- مستورد له أكثر فأكثر بداية من القرن 7هـ/13م إلى العالم المسيحي"[6].

أثبت دوماس لاتري بأن أوربا كانت بحاجة ماسة للنحاس أين: "يستورد بكميات كبيرة منذ القرن الثاني عشر وحتى القرن السادس عشر، من جميع بلاد المغرب أين توغلوا إلى بلاد السودان. وقد جلب النحاس على هيئات مختلفة منها على شكل أعمدة، أو أوراق، أو خيوط"[7].

إن استخدام النحاس والمتاجرة به في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط تنسبه المصادر الإخبارية إلى يهود توات خاصة أنهم استخدموه في الحرف التقليدية وأبدعوا فيها، وأصبح بذلك يمثّل عنصرًا مهمًا في

---

[1]- **البندقية**: إحدى المدن الإيطالية التي ارتبطت بعلاقات تجارية مع بلاد المغرب أواخر العصر الوسيط.

[2]- Oliel(J): Op.cit, p 61.

[3]- Oliel(J): Ibid, p 62.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، 345.

[5]- البكري: المصدر نفسه، ج02، ص 364.

[6]-Devisse(J): **Routes De Commerce Et Echanges En Afrique Occidentale En Relation Avec La méditerranée**, Revue d'histoire économique et sociale, Vol. 50, No. 3, 1972, p 362.

[7]-De Mas Latrie(M.L): **Traites de Paix et de Commerce**, Henri Plon Imprimeur Editeur, paris, 1866, p. 210.

التجارة. ودليل ذلك تدخل أحد الحاخامات واسمه سليمان بن شمعون في نزع شب بين تجار يهود وهران سببه خطأ في بيع ثلاثين حمولة نحاس تركت في مخازن للبيع ليهود توات[1].

### 3-اليهود وتجارة الملح:

يعتبر الملح من المواد المعدنية التي لا يمكن الاستغناء عنه في الحياة، وهو نادر الوجود في بلاد السودان، لكنه بغزارة متوفر بالصحراء، تداولت تجارته منذ القدم. وقد صرح جول فورست بقوله: "يمكننا القول بأن الخط الشمالي بصورة عامة (باستثناء صحراء إفريقيا السوداء)، قد أسرفت الطبيعة في توزيع الملح به، مقابل الجنوب، الذي أعطته الذهب. وبفضل هذه القسمة، كانت القوافل منذ القدم، تتوغل في الصحراء حاملة ملح الشمال إلى الجنوب، وتجلب معها معادن معينة"[2].

تشير المصادر الإخبارية بأنَّ مناجم أوليل التي تقع على مسار القوافل القادمة من سجلماسة باتجاه بلاد السودان خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كانت المصدر الرئيس لتجارة الملح نحو بلاد السودان، ثم ليتغير مسار القوافل نحو تغازى خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وتضاءل دور سجلماسة لصالح توات. وقد استفاد يهود توات من تجارة الملح بشهادة مالفنتي التاجر الجنوي الذي رأى بتمنطيط بيوت مبنية من كتل من الملح[3].

### 4-اليهود وتجارة الرقيق:

إن تجارة الرقيق في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، كانت في أغلبها تستورد من بلاد السودان أو ما يسمى بالرقيق الأسود، الذي تنوعت سلعته بين رجال ونساء وأطفال. وفي تقرير له صرَّح الإدريسي بأنَّ من بين الضحايا أطفال البدو حيث قال: "وأهل المدن الذين يجاورونهم من أجناسهم يسرقون أبناء هؤلاء القوم الرحالة الذين يعمرون هذه الصحارى... ثم يبيعونهم من التجار الداخلين إليهم بالبخس من الثمن ويخرجونهم إلى أرض المغرب الأقصى ويباع منهم في كل سنة أمم وأعداد لا تحصى وهذا الأمر الذي جئنا به من سرقة قوم أبناء قوم في بلاد السودان طَبْعٌ موجود فيهم لا يرون به بأسا"[4].

يبدو أن تجارة الرقيق في بلاد السودان هو أمر لا يرون فيه بأسا، نظرا لأنه مردوده يعود بالفائدة إلى ملوك بلاد السودان، فهم يسمحون بهذه التصرفات ولا مانع لذلك. وبالإضافة إلى ذلك يشتري الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط في أغلبه البنات والنساء، حيث نجده في أكبر المراكز التجارية بسوق النخاسة

---

[1]-Oliel(J): Op.cit, p 62.

[2]-Forest(J):**Commerce et Industrie Production des Plumes d'Autruche de Barbarie, Le Sel Gemme Saharien**, Librairie africaine et coloniale, paris, 1895, p 62.

[3]-Oliel(J): Op.cit, p 65.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 110-111.

لأجل الخدمة في البيوت. ابن بطوطة في رحلته كشف عن ذلك أثناء عودته من تاكدة إلى فاس مرورا بتوات عام 754هـ/1353م، بأن "في الرفقة ستمائة خادم"[1].

انخرط إذن يهود الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وفي مقدمتهم يهود توات في هذه التجارة، واستخدموا الخدم في أشغالهم وعلى سبيل المثال لا الحصر تم استخدامهم في الفقارة للسقي، بالإضافة إلى ذلك فقد تمَّ بيع العديد منهم إلى يهود تلمسان من أجل إعادة بيعهم في أوربا.

وكخلاصة لما سبق ذكره يمكننا القول بأن العلاقات التجارية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال القرون الثالث والتاسع الهجري/التاسع والخامس عشر الميلادي، حيث شهدت تطورا ملحوظا أبانته المصادر. وقد تجسدت هذه العلاقات في وجود مسالك تجارية واصلة بين طرفي التواصل، حيث قمنا بتسليط الضوء على كبرى المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وارجلان وتوات وارتباطها بالمراكز التجارية لبلاد السودان، إلى جانب ذلك تعرفنا على وسائل النقل والمواصلات المعتمدة، من خلال تجنيد كل من الإبل والحمير والبقر وحتى الإنسان في نقل السلع والبضائع، إضافة إلى ذلك فقد انخرطت الملاحة النهرية في ذلك.

لقد تم التعريف بالمراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان من خلال إماطة اللثام عن نشاطها التجاري، وعلاوة على ذلك عرجنا على صادرات وواردات كل من طرفي التواصل من السلع والبضائع، ضف إلى ذلك كشفنا عن وسائل التعامل التجاري بين التجار.

لقد أدى اليهود دورا مهما في التجارة العابرة للصحراء، خاصة إذا علما بأنهم كان لهم وجود وانتشار في كامل المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وأخص بالذكر توات التي على ما يبدو قد احكموا سيطرتهم عليها.

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 712.

# الفصل الثالث

# العلاقات الثقافية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة(3هـ-9هـ/9م-15م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثالث: العلاقات الثقافية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م)

عرفت العلاقات بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان وجها آخر مختلف عن سابقه، كان نتاج تواصل تجار القوافل القادمون من المراكز الحضارية بالشمال نحو المراكز الحضارية بالجنوب واختلاطهم بالسكان الأصليين، أطلق عليه العلاقات الثقافية. لقد حمل التجار على ما يبدو العبء الأكبر في ايصال هذه المؤثرات الثقافية إلى بلاد السودان ووضع اللبنات الأولى بها، ليأتي العلماء ورجال الدعوة وشيوخ الطرق الصوفية وساروا معهم وانخرطوا في نشر الثقافة العربية الإسلامية أين شهدت بلاد السودان مراكز ثقافية ذاع صيتها عبر العالم الإسلامي.

علاوة على ذلك فقد ترتب عن وفود العلماء والشيوخ إلى تأطير العديد من طلبة العلم السودانيين، أصبحوا فيما بعد ينافسون كبار العلماء في تلك الفترة، وقد كان التأثير جليا في العمارة السودانية خاصة منها الدينية وحتى المدنية كما سنلاحظه ونتطرق إليه.

## المبحث الأول: وسائل انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان

يبدو أن المراكز التي نشأت على طرق الصحراء كمحطات لعبور القوافل التجارية والعابرة لها والآهلة بالسكان، قد استقطبت العديد من التجار والعلماء والفقهاء ورجال الدعوة، إضافة إلى رجال الطرق الصوفية، أصبحت بذلك تمثل منارات ومراكز إشعاع علمي وثقافي في كل من بلاد السودان.

وقد ساهمت العديد من الوسائل في انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان والتي نسوغها في الآتي:

### المطلب الأول: دور الهجرات البربرية والعربية

تعتبر هجرة القبائل البربرية والعربية إلى بلاد السودان أحد العوامل المهمة التي مهدت لانتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى المنطقة، وارتبط ذلك إلى حد كبير بالجهود الكبيرة التي أدتها قبائل صنهاجة والتي أصبحت تشكل عنصرا فاعلا في التركيبة السكانية لبلاد السودان. ومع ارتباط بلاد السودان بعلاقات تجارية مع بلاد المغرب عامة والإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خاصة، أضافت عنصرا آخر في تركيبته السكانية وهو قبيلة زناتة بفروعها التي سجل لنا البكري حضورها في أودغست ما نصه: "وسكّانها أهل إفريقية وبرقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة، هؤلاء أكثرهم"[1].

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.

إن هذه القبائل السالفة الذكر من قبيلة زناتة التي استوطنت الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط والتي كما أشرنا سابقا ارتباط أودغست بمسلك تجاري بوارجلان وبالتالي لا نستغرب حضور هؤلاء في أودغست وقد أصبحوا يشكلون عنصرا مهما في تركيبة سكانها.

وقد عملت هذه القبائل الآتية من المراكز الحضارية لصحراء المغرب الأوسط على نشر الثقافة العربية الإسلامية بتواجدها بأودغست، تجلى ذلك في تشييدها للمساجد وتعليم أبنائهم القرآن الكريم. وفي هذا الشأن يقول البكري بأن أودغست: "بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلّمون للقرآن"[1]. إن هذا العدد الهائل من المساجد الآهلة وفي جميعها معلموا القرآن يوحي لنا بانتشار الإسلام بأودغست وبالتالي الثقافة العربية الإسلامية.

ابن بطوطة أثناء تواجده ببلاد السودان أَقَرَّ باستيطان جماعة من البيض اعتنقت المذهب الأباضي وأخرى اعتنقت المذهب المالكي هاجرت إلى قرية زغاري[2] في بلاد السودان واستوطنها ما نصه: "وصلنا إلى قرية زاغري،... يسكن معهم جماعة من البيضان، يذهبون مذهب الأباضية...، يسمون صَغَنَغُو... والسنيون المالكيون من البيض يسمون توري"[3]. إن جماعة البيضان الذين على مذهب الأباضية هم على ما يبدو من وارجلان بحكم ارتباط أهلها بمسلك تجاري بزاغري كما أثبتناه في الفصل السابق. وأما السنيون المالكيون من البيض يمكن اعتبارهم من توات وذلك لقربها من ولاتة التي لها صلات وثيقة بها.

وأما كوكو التي ارتبطت بعلاقات تجارية وثيقة مع حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط عن طريق وارجلان، نعتقد أن هناك هجرات لجماعات بربرية وعربية استوطنت هاته البلاد واستقروا بها، وقد أَبَانَ ابن بطوطة ذلك بتواجد مسجد يطلق عليه "مسجد البيضان"[4]. كما هاجر الكثيرون منهم إلى جنى وسكنوا بها وكانوا يتحاكمون عند القضاة بالشرع، وفي هذا الصدد صرح السعدي ما نصه: "وهو شأن السودانيين، والبيضان هم يتحاكمون عند القضاة"[5].

إن الصلات التجارية التي تربط بين وارجلان إحدى حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان قد شجع بعض القبائل البربرية والعربية إلى الهجرة والانتقال إلى تلك الربوع، ولاسيما لمن يوافقهم المذهب[6]. وبخصوص ولاتة فقد هاجرت إليها العديد من القبائل واستقرت بها بشهادة السعدي

---

[1]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.

[2]-**زاغري**: قرية كبيرة يسكنها تجار السودان، ويسمون ونجراته. تبعد مسيرة عشرة أيام من إيوالاتن. ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 693.

[3]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[4]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 709.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 119.

[6]- بشار أكرم ملاح: المرجع السابق، ص 115.

الذي أفادنا بها ما نصه: "ومن كل بلاد، من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالة وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك"[1].

ابن بطوطة أثناء تواجده في مالي لاحظ أن هؤلاء من المهاجرين البربر والعرب كانوا يسكنون أحياء خاصة بهم، فيها مساجد يصلون فيها حيث صرح ما نصه: "...وصلت إلى مدينة مالي حضرة ملك السودان، فنزلت عند مقبرتها، ووصلت إلى محلة البيضان"[2]، وفي موضع آخر ذكر أنهم كثيرا ما يجتمعون بالأهالي ويخالطونهم وحتى مصاهرتهم، وبالتالي ينجم عن ذلك السلوك الحضاري انتشار للثقافة العربية الإسلامية في مجتمعاتهم.

ومن الهجرات العربية التي أدت دورا فعالا في نشر الثقافة العربية الإسلامية وتعزيزها في بلاد السودان هي هجرة قبائل بني هلال وبني سليم خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى بلاد المغرب أين استقرت واستوطنت الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط كان من بينها قبائل بني معقل التي أصبحت من مكوناته كما أشرنا في الفصل الأول.

إن الأحداث السياسية المضطربة التي شهدتها بلاد المغرب بعد استيطانهم، قد سمح لهجرة بعض من أفخاذ قبيلة بني معقل وهم قبيلة البرابيش إلى جنوب المغرب الأقصى ثم إلى بلاد السودان، ويخبرنا الحسن الوزان بأن مواطنهم كانت أيضا على ما يبدو تقع في "صحراء ليبيا في قسمها الموالي لإقليم سوس"[3] أو ما يعرف بإقليم درعة جنوبي مراكش الواقع بين تافيلالت ونون[4].

وقد كانت هجرتهم إلى تاوديني[5] وأروان[6] في مملكة مالي خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي واستقروا هناك في منطقة النيجر وما حولها، وقد سجل موريس دولافوس ذلك بقوله: "إن أول هجرة قام بها البرابيش إلى تاوديني وأروان مع نهاية القرن الثامن"[7].

ويشير بول مارتي إلى أن خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي قامت بعض العصائب العربية بالدخول إلى بلاد السودان ما نصه: "وكما هو معروف، فإنه خلال القرن [التاسع الهجري/] الخامس عشر قامت ذراري حسان، وهي العصائب العربية المسلحة والغازية بقيادة أبناء حسان، قاموا

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 127-129.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 694.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج01، ص 54.

[4]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ج01، ص 107.

[5]- **تاوديني**: قرية تقع على منحنى نهر النيجر إلى الشرق من تمبكتو بنحو عشرة أيام وقربها من تمبكتو أعطاها أهمية تجارية كبيرة. ينظر: مُحَمَّد الغربي: المرجع السابق، ص 587.

[6]- **أروان**: تقع في واد كثير النخل محاطة بتلال من الغرب وأخذت أهميتها منذ القدم بسبب وقوعها على طريق قوافل الملح وكانت نقطة مهمة مهمة للعبور نحو المغرب. ينظر: مُحَمَّد الغربي: المرجع نفسه، ص ص 585-586.

[7] - Delafosse(M): Haute Sénégal Niger, Op.cit, t01, p 180.

بالدخول إلى أقصى الجنوب المغربي ومنه انطلقت الرحلة دون توقف داخل الصحراء الغربية حتى وصلوا إلى تخوم السودان، أي أراضي الزنج الممتدة على الخط الذي يصل بين مدينتي سان لوبس[أندر] وتمبكتو"[1].

كما شهدت المنطقة أيضا هجرة قبيلة كنتة العربية من حاضرة توات نحو بلاد السودان، وقد أثبت بول مارتي في مصنفه كنتة الشرقيون بنزولهم إلى تلك البقاع بقوله: "هي تلك الوحدة السلالية القوية والتي تندرج فروعها المختلفة ابتداء من توات حتى منطقة زيندر بواسطة الطوق الغربي من الصحراء الكبرى: المتمثل في توات وآدرار الموريتاني، وتقانت، والعصابة والحوض، وأزواد، وعقفة نهر النيجر، وتمترين، وآدرار ايفوقاس وحاليا حتى ضفة الهوسا الشرقية من نهر النيجر"[2].

هناك قبيلتين عربيتين من توات نزحتا نحو بلاد السودان وهما الترارزة والبراكنة اللَّذَيْنِ يرجع نسبهما إلى المغافرة بن أودي بن حسان[3]، يشير عباس عبد الله بأن "كثيرا من هؤلاء القبائل قد انصهروا في المجتمع الإفريقي حتى فقدوا دماءهم العربية الخالصة ولكنهم أعطوا مقابل ذلك الإسلام ونشروا العربية"[4]. وقد استمر سيل الهجرات للقبائل العربية نحو بلاد السودان دون انقطاع، كان ذلك أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وقد أَبَانَ أمين توفيق الطيبي إلى ذلك ما نصه: "وفي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي نسمع لأول مرة وصول قبائل عربية إلى منطقة بحيرة تشاد، وإليها تنتسب قبائل الشاوية[5] الموجودة اليوم في كانم وبرنو"[6].

ويضيف عز الدين عمر موسى ما نصه: "ومن الثابت أن تعريب البادية المغربية قد تم في القرنين الخامس والسادس/الحادي عشر والثاني عشر ما عرف بالموجة الهلالية التي عرَّبت أيضا الصحراء الغربية في القرنين السابع والثامن/ الثالث عشر والرابع عشر، وبلغت غرب إفريقيا فعربت ابتداءً من القرن

---

[1]- بول مارتي: **من عرب مالي البرابيش"بنو حسان"**، تع: مُحَمَّد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص 09.

[2]-بول مارتي: **من عرب مالي والنيجر كنتة الشرقيون**، تع: مُحَمَّد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص 09.

[3]- مُحَمَّد الصالح الولاتي: **الحسوة البيسانية في علم أنساب الحسانية**، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015، ص 242.

[4]- عباس عبد الله: **"التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي في العصر الوسيط"**، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية- أدرار، أدرار، العدد 34، 2015، ص ص 106-107.

[5]- **قبائل الشاوية:** وهي قبائل موجودة في منطقة برنو التي تعد من ذرية القبائل الهلالية بعد أن رحلت من مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. ينظر: أمين توفيق الطيبي: **"كانم-برنو بالسودان الأوسط في العصر الوسيط علاقات تاريخية عريقة بالعرب والمسلمين"**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب بغداد، العدد 37، 1988، ص 119.

[6]- أمين توفيق الطيبي: نفس المرجع والصفحة.

التاسع/الخامس عشر منطقة منحني نهر النيجر مع بني حسان، والجزء الشمالي المحيط ببحيرة تشاد مع العرب الشاوية المعروفين الآن في نيجيريا بعرب الشوا"[1].

**المطلب الثاني: دور التجار**

شَرَّعَ الإسلام ضوابط يلتزم بها التاجر في عملية التجارة لغرض المحافظة على الروابط الأخوية بين الناس، حيث أمر بالصدق والأمانة في البيع وإرخاص الأسعار وبحسن الكيل والميزان، وفي المقابل حارب الاحتكار وحرم التزييف وترويج البضاعة المغشوشة. ويبدو أن التاجر المسلم كان عليه في بيعه وشرائه كله أن يقيم المصالح الشرعية وتحقيق المصالح العامة للمجتمع، من ذلك الدعوة إلى نشر الإسلام بواسطة تطبيق القواعد الخلقية للإسلام في التجارة.

ساهم التجار منذ أن توطد الإسلام في بلاد المغرب مع نهاية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، على نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ونقلها إلى كل مكان وصلوا إليه منها بلاد السودان. ونلاحظ أن هذه المساهمة تعاظمت مع قيام سلطة مركزية قوية توفر الأمن سواء في بلاد المغرب أو في بلاد السودان.

إن التاجر المسلم من خلال معاملته الحسنة وخلقه القويم وصدقه في التعامل ومظهره الحسن قد جذب العديد من غير المسلمين في بلاد السودان إلى الإسلام. وقد أشار توماس أرنولد في مصنفه الدعوة إلى الإسلام ما نصه: "وإذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه، وانتظام أوقات الصلاة والعبادة"[2]. علاوة على ذلك نجد تفرغ التاجر المسلم ليلا لإقامة حلقات الدرس التي على ما يبدو قد ساهمت في نشر الإسلام والثقافة العربية في تلك البقاع.

وقد صور لنا أحمد شلبي ذلك المشهد ما نصه: "وعندما يجن الليل ويتوقف التاجر عن البيع والشراء، وينصرف عن المعلم مريدوه وتلاميذه، نجد حول هذا وذاك جموعا جديدة من الرفاق فيما يمكن أن نسميه «صالونا أدبيا» يتذاكر فيه الحاضرون ألوانا من الفكر، فينجذب الناس إلى الدعوة الإسلامية، ويتسع الصالون من يوم إلى يوم، وينبثق عنه صالونات جديدة ويزيد انتشار الدعوة مع ذلك"[3].

وتشير المصادر الأباضية إلى الارتباط الوثيق بين نشاط التجار الأباضية ونشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد السودان على السواء. نذكر من بين هؤلاء التجار العلماء الذين عُرِفُوا بنشاطهم العلمي وسلوكهم الديني القويم في الآتي: أبا نوح سعيد بن يخلف، وأبا صالح الياجراني، وأبا القاسم يونس، وأبا

---

[1]- عز الدين عمر موسى: **دراسات إسلامية غرب إفريقية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ط02، ص 111.

[2]- توماس أرنولد: **الدعوة إلى الإسلام- بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971، ص 391.

[3]- أحمد شلبي: المرجع السابق، ج06، ص 163.

معروف ويدرن بن جواد، وتملي الوسياني، وأبا مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد السدراتي، وإسماعيل بن علي الفزاري، وفلحون بن إسحاق، وعلي بن يخلف المزاتي.

إن الشماخي قد سَجَّلَ لنا حادثة إسلام ملك ملل على يد تاجر أباضي اسمه علي بن يخلف المزاتي بقوله: "وذكر ذلك البكري في المسالك والممالك الا انه لم يسمه وسماه غيره وهو انه سافر إلى دواخل غانة تاجرا فقام بها وله مكان عند ملكها وكان عظيما تحته اثنى عشر معدنا يستخرج منها التبر ووقع القحط ببلادهم فاشتكت الرعية إلى السلطان وذلك بمدينة مالي... فقال له الملك ادع ربك لعله يغيثنا قال لا يجوز وانتم تعبدون غيره قال كيف صفة الاسلام فما زال به حتى وحد وتكلم بكلمة الحق... وأخذ يعلمهم الصلاة وفرائض الدين والقرآن...وهذا سبب دخول الاسلام بلاد السودان بغانة"[1].

من خلال هذه الصورة تبين لنا مدى مساهمة تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان، وما يؤكد ذلك أيضا ما أدلى به روبير سرج أحد علماء الآثار الفرنسيين الذي أشرف منذ العام على 1962م والى غاية العام 1983م على حفريات كمبي صالح، أوداكوست، وآزوكي، بشهادته لإبراهيم فخار عند التقائه به ما نصها: "إن روبير سرج حدثني في مدينة نواقشوط بأنهم عثروا من بين ما عثروا عليه قبوراً يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الهجري[القرن الثامن الميلادي] وتضم هذه القبور الكثير من أنواع العملات والأواني التي هي رستمية أو أندلسية الأصل، وحيث أن من عادة سكان إفريقيا السوداء في العصر الوسيط أن يدفنوا الغرباء بما معهم من بضائع لعدم معرفة هويتهم، فقد مكنت الباحث الأثري في علم الآثار في جامعة داكار من بعض النصوص التي كتبت أسماء التجار الأباضية الذين لاقوا حتفهم في أودغست ومالي والنيجر"[2].

ومن ذلك أيضا ما توصل إليه تاديوس ليفينسكي بخصوص الدور الفعال الذي أداه التجار الأباضية في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان، ومشاركتهم في الإنعاش الاقتصادي[3]. يبدو أن التجار المسلمين قد رافقهم في نشر الاسلام والثقافة العربية بعض الخصائص التي نراها أساسية نوردها في الآتي:

-المعاملات التجارية التي تتم بين التاجر المسلم والزبون السوداني-غير المسلم- والتي تتسم بالصدق والنزاهة، تولد بين الطرفين علاقة ود ومحبة تقوم على الثقة المتبادلة، مما يسهل على التاجر المسلم استمالته إلى الدين الإسلامي وإفهامه بأنه انما يسير في معاملاته وفقا للشريعة الاسلامية، حتى ينتهي الأمر به اعتناق الاسلام.

---

[1]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص ص 659-660

[2]- إبراهيم فخار: **"الجماعات الأباضية في شمال إفريقيا"**، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 03، 1971، ص 116.

[3]- مُحَمَّد صالح ناصر: دور الأباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 44.

-استقرار العديد من التجار المسلمين في بعض مدن بلاد السودان، ومصاهرتهم للسكان وانجبوا ذرية، وبفضل ثرواتهم كونوا لهم نواة حياة اجتماعية كانت مغايرة عما كانت عليه عوائل السودان، وبالتالي يعتبرون من الشواهد الحية للعوائل الاسلامية في تلك المنطقة.

**المطلب الثالث: دور العلماء والفقهاء ورجال الدعوة**

من الوسائل التي ساهمت في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان فئة العلماء والفقهاء ورجال الدعوة، الذين تحملوا الصعاب لأجل إعلاء راية الإسلام ونشر الوعي الديني الإسلامي عند المجتمعات الوثنية في تلك الربوع.

وقد عمل المسلمون وفي مقدمتهم فئة العلماء والفقهاء ورجال الدعوة إلى نشر الإسلام والدعوة له بالطرق السلمية امتثالا لقول الله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾[1]، فكانت الجاليات المسلمة المتواجدة في بلاد السودان على ما يبدو أغلبها دعاة للإسلام ونشر للثقافة العربية، يوصلون تعاليمه إلى كل سوداني يلتقون به[2]. ويورد الشيخ أحمد بابا التمبكتي في هذا الشأن نصا يُقُرُّ فيه بأن أهل السودان: "أسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم، كأهل كنوا، وكشن، وبرنوا، وسنغي، ما سمعنا قط أن أحدا استولى عليهم قبل إسلامهم..."[3].

إن رجال الدعوة من الجماعات الأباضية كانت السباقة في هذا المجال، حيث أشرنا في موضع سابق بأن أغلب الوافدين إلى بلاد السودان هم يحملون صفتي التاجر والداعي المسلم وبالتالي لا يمكن التمييز والفصل بينهم كان ذلك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين.

أفادنا البكري خلال القرن الخامس الهجري/الحدي عشر الميلادي، أن أحد دعاة المسلمين الذي ينحدر على ما يبدو من وارجلان أحدى حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، قام بدور كبير في إسلام حاكم إحدى مدن بلاد السودان مدينة ملل من أعمال مملكة غانة، وتعليمه الصلاة والاستغفار والطهارة والوضوء. ومن ذلك تعليمه كيفية الدعاء وطلب الغيث من الله تعالى، حيث أصيبت تلك البلاد بقحط أصابهم سنوات، وأشار إليهم هذا الداعي إلى طلب الدعاء والغيث وما إن بدءوا تساقط المطر فاسلم الملك وحسن إسلامه وقام بتكسير الأصنام في بلاده وعمل بشرائع الله وسنة رسوله ﷺ[4].

---

[1]- سورة البقرة/ آية 256.

[2]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 134.

[3]- أحمد بابا التمبكتي: **معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الإسترقاق**، تح: فاطمة الحراق وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000، ص ص 53-54.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص ص 366-367.

وقد احتل علماء الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وفي مقدمتهم علماء توات على غرار الشيخ المغيلي وأبي القاسم التواتي والشيخ مخلوف البلبالي مكانة مرموقة لدى سلاطين مملكة برنو الإسلامية بالسودان الأوسط، كان من بينهم أسرة الكنتيين، التي على ما يبدو كانوا ينظرون إليهم نظرة إكبار وتعظيم ويعتبرونهم من المرابطين، ويسعون لاستقدامهم إليهم وإغرائهم بالإقامة بينهم[1].

أورد مارتان في كتابه الواحات الصحراوية نص رسالة وجهها أحد سلاطين برنو العام 843هـ/1439م وهو السلطان كدي بن حمشيش[2] إلى علماء توات والقائمين على أمرها يحثهم على القدوم وإرسال البعثات إلى بلاده هذه نصها: "من السلطان كدي بن حمشيش سلطان برنو أيده الله ونصره وحده.. أما بعد: فإلى المرابطين الذين مع الشيخ مختار وسيدي عمر الشيخ وإلى سائر إخوانهم وإلى درمشقه المقيم حاليا بتوات. السلام عليكم جميعا. وبعد: فقد عجبنا من أمركم، لماذا تركتم عادة كبرائكم؟ لماذا قصرتم عن النزول وإرسال البعثات إلى بلادنا منذ عهدكم مع كبيرنا السلطان صغير؟ فأنتم لم تعودوا إلينا منذ ذلك الحين ، لماذا هذا؟ فأنني أقسم بالله أنه لن يصيبكم أي شيء من الأذى فيما لو جئتم، لا من جهتي ولا من غيري، فعليكم أن تأتوا إذن كعادتكم، وكل من جاء من توات حاملا معه رسالة منكم لا يسأل عن شيء من الرسوم، لأن البلاد بلادكم كما كانت بلاد أسلافكم، والسلام"[3].

نفهم من خلال هذه الرسالة أن الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ممثلا بحاضرة توات تربطه علاقات ثقافية تجسدت في حركة انتقال علمائها إلى مملكة بورنو، إضافة إلى ذلك أن هذه الرسالة جاءت على ما يبدو جراء عزوف علماء توات عن الدخول إلى مملكة بورنو بسبب الوضع السياسي المضطرب الذي ساد المنطقة في أغلب الأحيان، واحتكار يهود توات للتجارة العابرة إلى الصحراء والتحكم في دواليبها.

ومن ذلك أيضا أن سلطان برونو كان محبا للعلم ومشجعا لأهله، حيث قدم إغراءات لعلماء توات الوافدون إليه من إعفاء للرسوم، والحماية من الأذى، وأنهم ليسوا غرباء بل هم أهل البلد وساكنته. وسنشهد عند ذكرنا للمراكز الثقافية بين الضفتين توافد علماء توات إلى تلك البقاع وفي مقدمتهم الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي.

---

[1]- عبد العلي الودغيري: **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الأفريقي وملامح من التأثير المغربي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2011، ص 23.

[2]- كدي بن حمشيش: اعتلى عرش مملكة برنو يوم 3 شعبان 843 هـ الوافق لـ 1 جانفي 1440م، وتوفي عام 850هـ/1446م، قتله عبد الله من قبل دوناما ابن بيري. ينظر: Urvoy(Y): **Histoire de l'empire du Bornou**, Librairie Larose, Paris, 1921, p 55.

[3]-Martin(A.G.P): Les Oasis Sahariennes, Op.cit, pp 122-123.

- مهدي رزق الله أحمد: **حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثاره الحضارية**، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، 1998، ط01، ص 720.

إن نجاح فئة العلماء والفقهاء ورجال الدعوة في نشر الثقافية العربية الإسلامية في بلاد السودان له عدة أسباب يمكننا سردها في الآتي:

1-إحترام هذه الفئة للعادات والتقاليد المحلية للمجتمع السوداني ولم يحتقروها مقابل ما تمتعوا به من تسامح وتقدير من قبل السكان الأصليين.

2-ومما سهل عمل الفقهاء والعلماء ورجال الدعوة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان والذين من بينهم الفقيه يحي التادلسي والشيخ موسى بن هارون بن عمران الوسياني، هو مبادئ الإسلام التي تؤخي بين المسلمين على اختلاف الوانهم وأجناسهم وتساويهم أمام الله. وفي هذا الشأن كتب توماس أرنولد ما نصه: "وفي الحق يظهر أن الاسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبقة منحطة، كما كان الحال، ولسوء الحظ، في كثير من الأحيان، في العالم المسيحي"[1].

3-مصاهرة العلماء والفقهاء ورجال الدعوة واختلاطهم بالسكان المحليين من دون مهر أو ضغط من ذلك ما أدلى به ابن بطوطة بأن أحد فقهاء البيضان المغاربة اسمه: "ابن الفقيه متزوجا ببنت عم السلطان"[2]. وقد شجع ذلك السودانيون إلى تقبل الإسلام واعتناقه ثم قاموا بعد ذلك بنشره بأنفسهم[3]، وقد سجل ذلك ابن بطوطة حرص السودانيين في تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم ما نصه: "ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم، وهم يجعلون لأولادهم القيود، إذ ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له: ألا تسرحهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن"[4].

علاوة على ذلك فقد بادروا بفتح المدارس وتشييد المساجد واستقطاب العلماء والفقهاء إلى بلدانهم وهو ما أشار إليه ابن فضل العمري في مسالك الأبصار ما قام به سلطان مالي منسى موسى(712-738هـ/1312-1337م) هذا نصه: "وبنى به المساجد والجوامع والمواذن، وأقام به الجمع والجماعات والأذان، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك ﷺ"[5]، على غرار الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي قال عنه السعدي ما نصه: "هو جاء من أرض الحجاز بصحبة السلطان موسى صاحب ملي حين رجع من الحج، فسكن تمبكتو وأدركه حافلا بالفقهاء السودانيين. ولما رأى أنهم فاقوا عليه في الفقه رحل إلى فاس وتفقه هناك، ثم رجع إليه فتوطن فيه"[6]. وقد ذكر السعدي بأن والي تمبكتو كي مُحَمَّد نض بنى مسجدا

---

1- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 394.

2- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 695.

3- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 393.

4- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 704.

5- العمري: المصدر السابق، ج04، ص 49.

6- السعدي: المصدر السابق، ص 186.

وجعل الشيخ يحي التادلسي إماما له ما نصه: "قدم تمبكتو...فتلقاه تمبكتو كي مُحَمَّد نض...فابتنى مسجده وجعله إماما فيه"[1].

**المطلب الرابع: دور مشائخ الطرق الصوفية**

يعد الدور الذي قام به مشائخ ورجال الطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد السودان بالهام والفعال، حيث كانوا يميلون إلى سكن القرى والنجوع ويكتفون بما يسد رمقهم ويكفيهم ذل السؤال. نجحت الطرق الصوفية واستطاعت أن تثبت وجودها في كثير من مناطق بلاد السودان.

وقد صرح عبد الله سالم بازينة بأن بعض الطرق الصوفية استطاعت أن: "تحول الصحراء القاحلة إلى مناطق مزدهرة ومجال حيوي بعد أن بعثت فيها الحياة والطمأنينة،...وقامت بتأسيس المساجد وفتح المدارس، والمصاهرة مع أهالي البلاد التي يتردد عليها المسلمون أو يستوطنوها، وشراء العبيد لتعليمهم مبادئ الدين الحنيف، ثم إعتاقهم لوجه الله وإعادتهم إلى أوطانهم ليدخلوا إخوانهم في الدين"[2].

قراءة في كتاب تاريخ السودان للسعدي تفيدنا بتواجد بعض الشخصيات المعروفة بالتقوى والورع ممن عاشوا تمبكتو، وجنى، حيث صور لنا الأولى بأنها كانت: "...مألف الأولياء والزاهدين"[3]، والأخرى قال عنها: "...وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى وبلاد شتى"[4].

وقد ساهم الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط بأوليائه وصلحائه الذين حلوا ببلاد السودان في نشر الثقافة العربية الإسلامية بحسب شهادة السعدي في تاريخه، كان من بينهم الفقيه العابد القطب ولي الله سيدي يحي التادلسي، والشيخ الزاهد العارف بالله الولي الإمام أبو القاسم التواتي الذي سكن بجوار المسجد وكان يعلم الأطفال.

وتعد الطريقة القادرية التي ظهرت خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني[5] هي الطريقة التي وجدت رواجا وانتشارا ملحوظا في بلاد السودان. دخلت بلاد المغرب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي على يد الشيخ أبي مدين شعيب الغوث(ت

---

[1]- السعدي: المصدر نفسه، ص 185.

[2]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 201.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

[4]- السعدي: المصدر نفسه، ص 117.

[5]- **عبد القادر الجيلاني**(471 - 561 هـ/1078 - 1166 م): عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو مُحَمَّد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل= =إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج04، ص 47.

594هـ/1198م)[1] دفين تلمسان، وأخذت طريقها نحو بلاد السودان على ما يبدو على أيدي مهاجرين من توات في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، فاتخذوا من ولاتة أول مركز لطريقتهم[2]. يبدو أن بول مارتي له رأي مخالف لما صرح به توماس أرنولد حيث أقر بأن المغيلي هو: "الرئيس الأعلى للطريقة القادرية في الغرب الإفريقي... وعن طريقه راحت تنتشر الطريقة القادرية في ذراري كنتة"[3].

ومن وجهة نظرنا نستخلص أن الشيخ المغيلي هو الذي أدخل الطريقة القادرية إلى بلاد السودان ثم انتشرت في قبيلة كنتة المنحدرة من توات، ودليل ذلك ما أشار إليه بول مارتي وأبان حيثياته العلاقة التي ربطت عمر الشيخ بن أحمد الكنتي[4] بالشيخ عبد الكريم بن مُحَمَّد المغيلي هذا نصها: "وفي الواقع لقد أخذ سيدي عمر الشيخ بدعوة المغيلي وبفضائله ولازمه وتبعه في كل جولاته لنشر الدين والإصلاح، ويظهر أنه كان رسوله لنشر الإسلام والطريقة القادرية في الساحل السوداني، ومما لا ريب فيه أن هذا هو الذي جعل اسم سيدي عمر الشيخ واسم كنتة أكثر شهرة في المنطقة من اسم المغيلي كما أن الفرع الناشئ عنه هو الذي سيصبح مع استقلاله الذاتي أكبر الطوائف القادرية، وهو الفرع البكائي من سيدي عمر الشيخ ولد الشيخ أحمد البكاي"[5].

---

[1]- **أبو مدين شعيب(509-594هـ/1115-1154م)**: هو أبو مدين شعيب ابن حسين الأنصاري، أصله من حصن قَطْنِيانة من عمل اشبيلية ثم نزل ببجاية وأقام بها إلى أن أمر باشخاصه إلى حضرة مراكش. فمات وهو متوجه إليها بموضع يسر عام أربعة وتسعين وخمسمائة وقيل عام ثمانية وثمانين. ودفن بالعباد خارج تلمسان. ينظر: ابن زيات التادلي: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب- ناشرون، بيروت، 2016، ص 319.

[2]- توماس أرنولد: المرجع السابق، ص 365.

[3]- بول مارتي: من عرب مالي والنيجر كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص 33.

[4]- **عمر الشيخ بن أحمد الكنتي**: أحد الأولياء المشهورين بالولاية والصلاح، والفهم وغزارة العلم. ولد قبل سنة 864هـ/1459م تقريبا. من شيوخه مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي وأخذ عنه الطريقة القادرية. تواتر عنه أنه كان يحفظ ما يزيد عن ألف مجلد من فنون العلم، وله من الرحلات المشهورة إلى المغرب، والأندلس، ومصر، والشام وأرض الحجاز، كل هذا برسم الاستفادة والزيادة من العلم، وقد حج حجات، وتصدر للتعليم والتربية قبل أن يبلغ العشرين من عمره...مات شهيدا عندما ضربه بعض اللصوص البربر العام 960هـ/1552م. ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016، ص ص 329-331.

[5]- بول مارتي: من عرب مالي والنيجر كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص 33.

## المبحث الثاني: مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان

### المطلب الأول: انتشار اللغة العربية

تمثل اللغة أكبر وسيلة اتصال ثقافي بين الشعوب باعتبارها الوعاء الذي يوحد المظاهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهي لا تتعدى كونها وسيلة للتخاطب فحسب بل أداة لتوحيد التفكير ونقل التجربة الحضارية من مكان إلى آخر. وقد جاءت اللغة العربية وانتشرت جنبا إلى جنب مع الدين الإسلامي، خاصة إذا علمنا أنها لغة القرآن الكريم الذي أنزل على النبي ﷺ، ولأن الانخراط في الدين الإسلامي واعتناقه مرتبط بتعلم اللغة العربية وبالتالي تعلم القرآن والسنة وأمور الدين[1].

وإذا علمنا رأي الفقهاء في عدم جواز القراءة بغير العربية في أداء الصلاة، فقد وجب تعلمها وأصبحت ضرورة ملحة لمن اعتنق الإسلام من أهالي بلاد السودان، لفهم الوحي والتنزيل عند المسلمين ولأداء فريضة الصلاة، وحفظ السور القرآنية وقراءة الأوراد، كما هي أيضا ضرورية لفهم الكتب الدينية الأساسية من حديث وتفسير وقراءات وسيرة نبوية وغيرها من العلوم الشرعية.

وفي هذا الصدد أشار حسن أحمد محمود إلى ذلك بقوله: "ما أجمع عليه أغلب الأئمة المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن، فكان لابد لمن يريد أن يعرف أسراره أن يقبل على تعلم اللغة العربية، وكذلك عدم جواز كتابته بغير العربية، وعدم جواز القراءة بغير العربية في الصلاة، رغم أن أبي حنيفة قد أجاز في بعض الحالات القراءة في الصلاة بالفارسية، إلا أن كل الفقهاء تقريبا نهوا عن ذلك"[2].

إضافة إلى ذلك أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة في بلاد السودان حيث أشار عبد العلي الودغيري إلى ذلك ما نصه: "وقد ازدهرت العربية ازدهاراً كبيراً في ظل الممالك الإسلامية والسودانية ككانم وبرنو ومالي والسنغاي"[3]. ويبدو أن اللغة العربية كانت تستعمل في أداء الوظائف الدينية والثقافية والعلمية والإدارية على الرغم من أنها لم تكن لغة التخاطب اليومي. وقد كان عدد من حكام هذه البلاد يتقنونها إتقانا متوسطًا أو جيدًا. ولعل أقدم السلاطين والحكام معرفة باللغة العربية هو سلطان مالي الحاج منسى موسى(ت728هـ/1337م) الذي دلت القرائن الكثيرة على معرفته بالعربية وإجادته لها. وجاء في مسالك الأبصار وممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ما يدل على ذلك ما نصه: "ولكنه كان لا يحدثني إلّا بترجمان مع إجادة معرفته للتكلم باللسان العربيّ"[4].

ونقلا عن آدمُ الفُندُكي صاحب كتاب الآثار الكنوية صرَّح عبد العلي الودغيري بخصوص السلطان

---

[1]- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 35.

[2]- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 43.

[3]- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 36.

[4]- العمري: المصدر السابق، ج04، ص 54.

مُحَمَّد رمفا حاكم كانُو الذي وفد إليه الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي وأقام عنده كان ذلك أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ما نصه: "وقد حضره كثير من العلماء والصلحاء وتصدق عليهم بمال جزيل، منهم الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني والشيخ عبد الرحمن بن زنتا... وفي زمنه ظهرت الأقمصة والعمائم وبدأت اللغة الهوسية[1] تأخذ من العربية...ومن ذلك الزمان بدأ تفسير اللغة العربية بالهوسية..."[2].

**المطلب الثاني: النظام التعليمي ومراحله**

إن من مظاهر الثقافة العربية الاسلامية ببلاد السودان على ما يبدو ارتباط النظام التعليمي فيه بالنظم التعليمية السائدة في الأقطار الاسلامية عامة والإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خاصة. ويعد النظام التعليمي من أهم مظاهر عملية التفاعل بين الثقافة العربية الاسلامية وقيم الثقافة الافريقية المحلية[3]. وقد انقسمت مراحل النظام التعليمي التي سادت بلاد السودان خلال الفترة موضوع الدراسة إلى مراحل رئيسية نوردها في الآتي:

**أ-مرحلة التعليم الأولى(الكتاتيب):**

تعد الكتاتيب أول مراحل النظام التعليمي التي يجب على الصبيان الانخراط فيه بعد بلوغ سن السابعة. وهي تشبه ما يمكن أن نسميه حاليا بالمدارس الابتدائية[4]. وبخصوص المواد التي يتلقاها المنخرط أو الصبيان مبادئ القراءة والكتابة بالخط المغربي والحساب وحفظ القرآن الكريم برواية ورش[5]، وأصول الدين وقصص الأنبياء والسيرة النبوية.

انتشرت الكتاتيب على ما يبدو في معظم مدن وقرى بلاد السودان، بجوار المساجد والتي عادة ما تكون ملحقة به على شكل حجرة أو أكثر مخصصة للتدريس كما كانت هناك نزلا لإقامة الطلاب الذين يأتون من أماكن بعيدة، صرح بذلك نعيم قداح ما نصه: "كانت المدارس ملحقة بالمساجد، فإلى جانب

---

[1]- **اللغة الهوسية:** من اللغات الزنجية، وهي شائعة في مملكة حوس(أوحوسة) من السودان الغربي بين نهر النيجر، وبحيرة تشاد. وكانت عاصمة هذه المملكة الاسلامية قبل دخولها في نفوذ بريطانيا من مستعمرة النيجر هي مدينة سكت(سقطو Sokoto) الشهيرة، ولذا تسمى أيضا "بلغة سقطو"، وهي مزيج من أصلين زنجي، وحامي، أو سامي يتكلمها عدة ملايين غير الحوسة التي هي أكبر أمم إفريقيا اليوم، وعددها نحو 15 مليون نسمة.ينظر: عبد الفتاح عبادة: **انتشار الخط العربي في العالم المشرقي والعالم الغربي دراسة علمية تاريخية اجتماعية**، دار الكتب المصرية، الجيزة، 2019، ص 54.

[2]- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص ص 42-43.

[3]- مطير سعد غيث أحمد: **الثقافة العربية الاسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي-دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي**، دار المدار العربي، بيروت، 2005، ط01، ص 219.

[4]- مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الاسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي-دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، المرجع نفسه، ص 220.

[5]- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 21.

كل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد، وهناك أمكنة أخرى لنوم الطلاب القادمين من بلاد بعيدة"[1].

وقد حرص أهل السودان على تحفيظ صبيانهم القرآن الكريم والصلوات الخمس عن طريق التلقين والسماع من معلمه، والذي يتقاعس على الحفظ يعرض نفسه إلى العقاب بشهادة ابن بطوطة الذي زار المنطقة وصرح ما نصه: "ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم، وهم يجعلون لأولادهم القيود، إذ ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له: ألا تسرحهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن"[2].

ويروي لنا ابن بطوطة حالة أخرى تعرضت للعقاب جراء التقصير في حفظ القرآن الكريم ما نصه: "ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي: ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم عني الشاب وضحك، وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن"[3].

لقد حرص أهل بلاد السودان على تمسكهم بتعليم صبيانهم وشبابهم القرآن الكريم وحفظه ومن خالف ذلك يتعرض للعقاب بعزله وتقييد رجله، ولا يطلق صراحه إلا بعد حفظه للقرآن الكريم. ويذكر ابن بطوطة حرص أهل إيوالاتن على حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه ما نصه: "إن أهل إيوالاتن مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن"[4].

وقد صور لنا عمر الماحي ما يحدث ببلاد السودان بخصوص الكُتَّابُ ما نصه: "يلفت الصغار عندما يعودون من أعمالهم الشاقة- رعي البقر والغنم والإبل وإحضار الحطب والقش- في حلقات لحفظ القرآن الكريم حول المعلم طوال أيام الأسبوع، ما عدا الخميس والجمعة وأيام العطل الرسمية، أهمها عطلة عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك 15 يوما، أما المولد النبوي الشريف فمخصص له عشرة أيام"[5].

أفادنا الحسن الوزان بخصوص طريقة التعليم المتبعة في بلاد السودان ما نصه: "ولا يعلمهم المعلم القراءة والكتابة في كتاب، بل في ألواح كبيرة يكتب عليها التلاميذ. ودرس كل يوم عبارة عن آية من القرآن، فيختمون القرآن في سنتين أو ثلاث، ثم يستأنفون ذلك عدة مرات، إلى أن يحذقه الطفل جيدا ويحفظه على ظهر قلب. يحصل ذلك بعد سبع سنوات على أبعد تقدير. وبعد ذلك يقوم المعلم بتعليم الأطفال شيئا من قواعد الكتابة"[6].

---

[1]- نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الاسلام**، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1960، ص 141.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 704.

[3]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[4]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 690.

[5]- مُحَمَّد صالح أيوب: **"أثر انتشار الدعوة والحضارة الاسلامية على الحياة الاجتماعية حول حوض تشاد"**، مجلة دراسات دعوية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، العدد 04، 2000، ص 80.

[6]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج01، ص 261.

إن هذه الصورة التي أبان عنها الحسن الوزان تكشف عن بداية الدراسة بالنسبة للصبيان حيث ينخرطون في سن الخامسة أو السادسة، ويستمرون في ذلك حتى بعد سن السابعة لحفظ القرآن الكريم، ومن ثم ينتقلون إلى مرحلة جديدة وهي تعلم الخط وقواعد الكتابة والتي علة ما يبدو قد يبلغ الصبي فيها حتى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر.

ونهاية هذه المرحلة الأولى من النظام التعليمي عادة ما يكرم الصبي الذي ختم القرآن الكريم أو جزء منه مع حفظ بعض المبادئ الفقهية، بالخروج من الكتاب مع أفراد عائلته وبقية الصبيان بالزغاريد والموسيقى إلى البيت الذي يعد فيه والد الطفل وجبة طعام[1].

**ب-مرحلة التعليم الثانية(المسجد):**

يبدو أن مرحلة التعليم الثانية التي تؤهل إلى مرحلة التعليم العالي أو الجامعي كان على الطالب الراغب في مواصلة تعليمه عليه أن يدرس ويجتهد بطريقة غير نظامية في أحد مساجد المدينة[2]، حيث يتلقى الدروس على أيدي مجموعة من المدرسين في حلقات دراسية يحصل من خلالها على علوم التفسير والفقه المالكي والتاريخ والسيرة النبوية وعلوم العربية والمنطق وغير ذلك[3].

ويشير فريد عبد الرشيد المهندس إلى أن هاته المرحلة من التعليم: "تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب المبسطة وكان يتولى تدريسها غالبا من يسمون الأشياخ. ويبدو أن الأشياخ في العرف العام آنذاك كانوا من متوسطي الثقافة بالنسبة للأساتذة"[4].

**ج-مرحلة التعليم من النوع العالي:**

تتميز هذه المرحلة من النظام التعليمي المتبع في بلاد السودان بأن مناهج الدراسة تكون أشد صعوبة وأكثر عمقا من المرحلة السابقة، من خلال توفر أساتذة مختصون والتطرق إلى القضايا التفصيلية والشروح الدقيقة، وبعد فترة من التكوين والتي تمتد لأكثر من عشر سنوات يتوج الطالب بإجازة من شيخه بعد مشاركته واجتيازه امتحانات صعبة من قبل أساتذة كبار متضلعون في هذا الميدان، ويشير عبد القادر زبادية إلى ذلك بقوله: "فقد كان التعليم من النوع العالي، حيث تدرس المواد في شكل اختصاص وتتناول بتفصيلات واسعة، وتناقش المسائل فيها على مستوى أمهات المؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون حتى ذلك العهد"[5].

---

[1]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 452.

[2]-مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الاسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي-دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، المرجع السابق، ص 222.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 175.

[4]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 453.

[5]- عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 144.

ونتيجة لهذا المستوى العالي الذي تميزت به مرحلة التعليم من النوع العالي فقد برزت عدة مؤسسات ذات مستوى علمي رفيع وجعلت منها عاصمة من عواصم الدين والعلم والآداب في بلاد السودان على غرار جامعة سنكوري بتمبكتو والمسجد الجامع بكانو. وقد عجت هاته المؤسسات العلمية بالعلماء والفقهاء، "الذين كانوا يستبدلون بعمامة الفقيه جلباب التلاميذ، أي يتحول الفقهاء إلى طلاب"[1].

وقد امتازت مؤسسة التعليم من النوع العالي ببلاد السودان بالحرية التامة في أسلوب التربية البيداغوجية وبشهرة بعض أساتذتها التي اجتذبت الطلاب من كل أنحاء بلاد السودان ومن بلاد المغرب ومصر. ويبدو أن هؤلاء الأساتذة لا يمكن لهم الجلوس للتدريس في مراكز التعليم من النوع العالي ببلاد السودان، إلا أن يكون ذو كفاءة ومقدرة والتضلع في المادة المراد تدريسها إضافة إلى حصولهم على تزكية من عالم مشهود له بالقدرة العلمية.

**د-التعليم المهني(الحرفي):**

يبدو أن حركة المبادلات التجارية النشطة بين الضفتين والتي نتج عنها نشأة مراكز تجارية كبرى في بلاد السودان، بحيث أصبحت هذه المراكز تزخر بكثرة الدكاكين المملوءة بالمنسوجات، وحوانيت الحياكين والحدادين والخرازين بشهادة الحسن الوزان الذي سجل لنا ذلك وهو يصف تمبكتو بقوله: "ودكاكين كثيرة للصناع والتجار، لاسيما دكاكين نساجي أقمشة القطن"[2].

إن كثرة هذه الدكاكين في مختلف المجالات التي تعج بها تمبكتو على سبيل المثال لا الحصر تبين توجه أهلها إلى تعلم المهن والحرف قصد الاسترزاق منها، وما يعزز ذلك إشارة في تاريخ الفتاش لمحمود كعت مفادها بأن: "مُحَمَّد بن المولود أنه رأى منها ستة وعشرين بيتا من بيوت الخياطين المسماة بِتِنْدِ(بتاء مكسورة) ولكل واحدة من تلك البيوت شيخ رئيس معلم، وعنده من المتعلمين نحو الخمسين، وعند بعضهم سبعين إلى مائة"[3].

إن إشارة محمود كعت السالفة الذكر أبانت عن مدى إقبال سكان تمبكتو في تعلم مهنة الخياطة في مكان خاص وبواسطة معلم مختص في ذلك المجال، الأمر الذي يعكس لنا مدى تفشي وانتشار هذا النوع من التعليم في بلاد السودان الذي ربما قد انتقل إليهم من المراكز الحضارية لصحراء المغرب الأوسط.

إن مراحل النظام التعليمي التي أوردناها وسادت بلاد السودان على ما يبدو مشابهة إلى حد بعيد إلى ما هو معمول به في بلاد المغرب عامة والإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط خاصة.

---

[1]- مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الاسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي، المرجع السابق، ص 223.

[2]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 165-166.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 296.

**المطلب الثالث: المقررات الدراسية**

نقصد بالمقررات الدراسية هي مجموعة الكتب والعلوم التي كانت تدرس في بلاد السودان، ويبدو أن علوم القرآن الكريم تأتي في مقدمتها، حيث سجل ابن بطوطة ذلك بقوله: "فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن"[1]، علاوة على ذلك حرص أهلها على تسليط أقصى العقوبات لمن لم يحفظ من أبنائهم القرآن الكريم ويقول ابن بطوطة في ذلك ما نصه: "ومنها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه"[2].

إن تحفيظ القرآن الكريم في بلاد السودان كان على روايتي الإمامين ورش[3] وقالون[4] اللتين عرفتا انتشارا واسعا به. وقد أورد السعدي بأن سيدي ابن عبد المولى الجلالي كان يدرس القرآن الكريم على روايتي ورش وقالون لتلامذته بقوله: "الفقيه عبد الرحمن ابن أحمد المجتهد...أخذ روايتي ورش وقالون دراية عن حامل لوائها في زمانه سيدي ابن عبد المولى الجلالي"[5].

ويأتي في المرتبة الثانية كتب الحديث الشريف الصحيحين البخاري ومسلم وفي ذلك سجل السعدي بقوله: "...صحيح البخاري... وكذا صحيح مسلم"[6]، وكتب الفقه فأكثر ما يقرئ ويدرس " المدونة والرسالة ومختصر خليل والألفية السلالجية"[7]، علاوة على ذلك أشار ابن بطوطة إلى تواجد كتاب المدهش المدهش لابن الجوزي في بلاد السودان بقوله: "ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي"[8]. ثم تحل مختلف العلوم الأخرى في المرتبة الثالثة على غرار النحو الذي اشتهر للتدريس به كتاب ألفية ابن مالك[9]، وفي التعريف بشمائل المصطفى ﷺ عُرِفَ بكتاب القاضي عياض الشفا[10].

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 690.

[2]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج02، ص 704.

[3]- **ورش**:(110-197هـ/ 728- 812م)، عثمان بن سعيد بن عديّ المصري: من كبار القراء. غلب عليه لقب " ورش " لشدة بياضه. أصله من القيروان، ومولده ووفاته بمصر. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج 04، ص 205.

[4]- **قالون**: (120- 220هـ/738- 835م) عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني، مولى الأنصار، أبو موسى: أحد القراء المشهورين. من أهل المدينة، مولدا ووفاة. انتهت اليه الرياسة في علوم العربية والقراءة في زمانه بالحجاز. وكان أصمّ يُقرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ. و " قالون " لقب دعاه به نافع القارئ، لجودة قراءته، ومعناه بلغة الروم جيد. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج 05، ص 110.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 351-352.

[6]- السعدي: المصدر نفسه، ص 175.

[7]- السعدي: المصدر نفسه، ص 159.

[8]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 708.

[9]- الخليل النحوي: **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 185.

[10]- السعدي: المصدر السابق، ص 156.

**المطلب الرابع: فن العمارة: البناء، النحت، النقش**

تعتبر العمارة أحد مظاهر التواصل الثقافي بين الشعوب، وهي تمثل مدى تغلغل الفكر الإنساني بالمناطق التي كان للجاليات التي استوطنتها أثر مادي على وجه الخصوص، فالعمارة بتنوع زخرفاتها وازدهار زينتها، عبارة عن موسوعة حقيقية فيها فيض من الصور الأصلية، كما تعتبر من الشهادات الحية والمؤثرة.

وقد عرفت العمارة الإسلامية وتطورت من خلال الفن المعماري والذي يعد تراث ضخم في كمه، غني في قيمته، فهو عمل حضاري استمد قوته ولغته من أسباب عقيدة تميزت عن غيرها من العقائد[1]. وقد شمل الفن الإسلامي ميادين كثيرة كان من بينها فن العمارة الدينية الذي على ما يبدو قد عبر الصحراء الكبرى نحو بلاد السودان، إضافة إلى ذلك العمارة المدنية والتي سوف نتعرض لها في الآتي.

**أ-العمارة الدينية المنتشرة في الصحراء:**

عرفت بلاد السودان انتشار نمطين مختلفين في فن العمارة الدينية وأخص بالذكر تشييد المساجد. ومن المعلوم أن المنطقة احتضنت المذهبين الأباضي والمالكي حيث عمل كل مذهب في تكريس وابراز تواجده في المنطقة من خلال تشييد أماكن العبادة الخاصة به. وبحسب فقه كل واحد منهما يختلف تصميم المسجد أين نجد فروقات فيما بينها. وقد ميزنا نمطين مختلفين انتشارا في بلاد السودان العمارة الدينية الأباضية والعمارة الدينية المالكية.

**1-العمارة الدينية الأباضية:**

يعتبر بناء المساجد فن عربي إسلامي قائم بذاته ودليل على تواجد الإسلام وانتشاره بالمنطقة الموجودة بها تلك المساجد، حيث حظيت بلاد السودان بكثرة المساجد وانتشارها. وفي تقرير أعده المستشرق الألماني جوزيف شاخت حول العمارة الدينية العابرة للصحراء نشره معهد البحث الصحراوي بجامعة الجزائر سنة 1954م، عن الأباضية ولاسيما إباضية وارجلان وسدراتة ووادي ميزاب.

وجاءت هذه الدراسة على ما يبدو مستندة إلى المقارنة والملاحظة والتحليل النظري، قام بها في بعض بلاد السودان، وفي المقابل توجه نحو قرى وادي ميزاب ووارجلان وجربة. وأثبت من خلال ذلك إلى أن الطراز المعماري الأباضي ولا سيما في بناء المساجد والمصليات في بلاد السودان ضاربة بجذورها في تاريخ المنطقة[2]. وخلص إلى وجود تشابه نمطي بين مساجد إباضية وارجلان وميزاب، ومساجد شعب الفولبي أو "البال" الكائنة ببلاد السودان من خلال ثلاثة دلائل وهي على التوالي:

---

[1]- لامعة زكري:"**الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م**"، تحت تحت إشراف: د. مبخوت بودواية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، 2010، ص 83.

[2]- محمد صالح ناصر: دور الأباضية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 56.

**-الدلالة الأولى:** وتمثلت في غياب المنبر في مساجد شعب "البال" هي الدلالة البارزة للعيان[1]، فعلى الرغم من أن هذا الشعب في عمومه انخرط في المذهب المالكي في عهدنا هذا، ومن المعلوم أن المذهب المالكي يتمسك بوجود المنبر في المساجد. إن ظاهرة غياب المنبر تخص شعوب البال دون شعوب الكانوري أو الهوسا[2].

قام جوزيف شاخت باستجواب بعض علماء الدين عن مسألة غياب المنبر لعله يجد تفسيرا لهذا الأثر، فأوضحوا له أن المنبر ليس شرطا لصحة قيام صلاة الجمعة. لم يقتنع شاخت بتلك الأجوبة وفسر تلك الظاهرة على أن شعب البال أعتنق المذهب الأباضي منذ الوهلة الأولى لدخول الإسلام للمنطقة وتأثرت العمارة الدينية مجسدة في بناء المساجد بالطراز الأباضي، الذين يعود لهم الفضل إلى نشر الدين الإسلامي إلى بلاد السودان، إضافة إلى ذلك أن غياب المنبر في مساجد إباضية بلاد المغرب كان منذ قرون عديدة.

وقد كتب مُحَمَّد صالح ناصر موضحا ذلك ما نصه: "كانت للمذهب نظرته لأداء صلاة الجمعة وشروطها، فإن أتباع المذهب الأباضي وبعد سقوط إمامتهم بتاهرت سنة 296هـ/909م، انتقلوا من مرحلة الظهور إلى مرحلة الكتمان، وإمامة الظهور بالنسبة للمذهب هي من أهم شروط قيام صلاة الجمعة، لأنه من خلالها يظهر الإمام العادل"[3].

واستنتج شاخت بأن ظاهرة غياب المنبر في مساجد البال[4] في بلاد السودان، جاءت إلى المنطقة بعد سقوط الإمامة الأباضية بتيهرت سنة 296هـ/909م[5]. وأضاف بأن وصولها كان عن طريق التجار الأباضيين عبر ممرين الأول ينطلق من الجنوب التونسي(منطقة الجريد)، ثم سوف، وصولا إلى بلاد السودان عبر واحة وارجلان، والآخر يمر عبر ميزاب[6] إلى وارجلان، ويأخذ نفس طريق الممر الأول. كما أكد

---

[1]-Schacht(J): **Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le sahara**, Institut de recherche saharienne de l'université d'Alger, t11, 1954, p 15.

[2]- إلياس حاج عيسى: **"مدينة وارجلان-دراسة في النشاط الإقتصادي والحياة الفكرية- (في الفترة 4-10هـ/10-16م)"**، تحت إشراف: أ.د عبد العزيز لعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ-شعبة التاريخ الوسيط، 2009، ص 176.

[3]- مُحَمَّد صالح ناصر: **منهج الدعوة عند الأباضية**، تق: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار ناصر للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2013، ط05، ص 270.

[4]-**البال**: ينحدرون من البدو البيض المعروفون في السودان...وصلوا على ما يبدو من أدرار أفوغاس خلال القرن الأول الميلادي. وهم مزيج من البربر واليهود. نراهم يظهرون في القرن الثالث الميلادي في أصل إمبراطورية غانة، أول دولة سودانية معروفة. ينظر:

Urvoy(Y): Op.cit, p 95.

[5]-Schacht(J): Op.cit, p 17.

[6]- Schacht(J):Ibid, p 18.

شاخت على غياب هذه الخصائص المعمارية غيابا كليا في منطقة جنوب المغرب(الأقصى)[1].

**-الدلالة الثانية:** وهي المحراب ذو الشكل المستطيل، فبعد ملاحظات ومقارنات بين عديد المساجد خلص شاخت إلى أن: "ميزاب هو بدون شك نقطة الانطلاق لهندسة المحراب ذو تصميم مستطيل"[2]، وعلى الرغم من وجود هذا النوع من المحاريب في مناطق أخرى من العالم الإسلامي كمحراب مسجد سيدي سفيان ببجاية وفي غيرها من الأماكن[3]، إلا أن وجوده في العديد من مساجد ميزاب وعند مساجد شعب البال يصبح من المميزات الملفتة للانتباه.

إضافة إلى ذلك وجد في المصليات بميزاب بدلا من القاعات المسقفة أي المساجد، وقد أبدى جون ليثيو رأيه بخصوص هذه الظاهرة بوجود المحراب ذو الشكل المستطيل بسدراتة وبالمسجد القديم بقرية نقوسة الذي هو أصل أباضي[4]. وقد تساءل شاخت مرة أخرى حول هذه الميزة مع جمع من علماء أباضية وادي وادي ميزاب وكانت إجابتهم بأن لا علاقة للشكل المستطيل أو نصف الدائري في بناء المحراب بالدين أو المذهب، وإنما هي قضية تعود إلى ذوق الباني لا أكثر ولا أقل، وهم على حق في ذلك[5].

وخلص شاخت إلى أن: "ومع ذلك فإن هذا يؤكد مرة أخرى تأثر مساجد بلاد السودان بهذا الطراز من البناء وهو خاص بميزاب، وليس خاصا بالأباضية لأنه شكل لا وجود له في مساجد إباضية جربة مثلا"[6].

**-الدلالة الثالثة:** تعتبر أهم ميزة قدمها شاخت، هي شكل المئذنة الهرمي الذي يعد طابعا خاصا تتميز به مساجد الأباضية بوادي ميزاب ووارجلان عن غيرها من مساجد العالم الإسلامي، وإن وجد ذلك ففي أحد مساجد واحة سيوه حيث كانت الأباضية لها وجود أيضا[7].

لقد وجدت هذه المئذنة بهندستها الجميلة بكثرة في مساجد بلاد السودان، ولم تكن خاصة بمساجد شعب البال، بل وجدت أيضا في مساجد شعوب إفريقية أخرى مثل الهوسا والكانوري، وهو ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي مارسيل مارسية بقوله: "هذا النوع من المئذنة مشترك بين الهوسا، والكانوري، وشعوب أخرى، بدون إقصاء البال، وانحراف المآذن بهذا الشكل هو موجود عن إباضية ميزاب"[8]، وخلص إلى أن هذا الطراز المعماري انتقل إلى شعوب السودان عن طريق الحضارة الإسلامية التي نقلها الأباضيون، وخاصة

---

1- Schacht(J): Op.cit, p18.
2-Ibidem.
3- محمد صالح ناصر: دور الأباضية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 55.
4-Lethielleux(J): Op.cit, p 69.
5-Schacht(J): Op.cit, p 19.
6-Ibidem.
7- محمد صالح ناصر: دور الأباضية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 58.
8-Mercier(M): **"Notes sur une architecture berbère saharienne"**, Hesperis, VIII, 1928, p 413; Schacht(J): Op.cit, p19.

الوارجلانيون إلى هذه المناطق[1].

**2-العمارة الدينية المالكية:**

كان لانتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الأثر البالغ على العمارة الدينية بالمنطقة تجسد ذلك في إدخال طابع خاص في بناء المساجد السودانية من قبل الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط أين استخدام الأجر لأول مرة[2]. علاوة على ذلك أصبح لكل مدينة مسجدها الكبير على غرار المسجد الكبير بتمبكتو، وجاو، وجني، وأغاديس.

إن هذا النمط من المساجد نجده مشابها على ما هو عليه مساجد الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط المالكية التي تميزت بتواجد المحراب والمأذنة المضلعة واستخدام الأجر. وفي هذا الصدد أصدر الباحثان بتريس قريسي و سوزان بورنيس تقريرا حول المسجد الكبير بأغاديس ودرسا فيه تاريخ وتصميم المسجد والمواد التي استخدمت في تشييده. أشار التقرير إلى استخدام الحجارة في بناء المسجد الكبير بقوله: "يتم استخدام الحجر، في شكل حصوات خشنة، فقط لقاعدة الجدران وأسسها"[3].

وأما الجدران فقد استعمل في تشييدها ما سمي بانكو مولي هذا نصه: "بنيت جميع ارتفاعات الجدران من كرات بانكو الذي قطره مساوٍ حجم رأس الإنسان(حوالي عشرين سنتمترا)"[4]، وهو ما يعرف يعرف بالأجر ببلاد المغرب. تتم عملية تحضير كرات البانكو هو الأجر الذي يستعمل في بناء جدران المسجد، "بعجن الطين والماء من قبل البنائين حتى يصبح الطين على شكل سائل. نضيف له فيما بعد العشب والقش. ويترك ليوم واحد. ثم نضيف له الماء ويعجن مرة أخرى، ونقوم بالعملية لليوم الثالث. ثم يتم تشكيل كرات بانكو وتترك للتجفيف في غضون يومين. وفي اليوم الثالث(اليوم السادس من بداية العملية) تصبح صالحة للاستعمال وتنقل عبر الجمال إلى حقل الأشغال"[5].

إن عملية تحضير كرات البانكو التي تستخدم في بناء جدران المسجد الكبير بأغاديس هي نفس عملية تحضير الأجر التي تتم في توات على سبيل المثال وباقي الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط من استعمال للطين والعشب والقش وحتى في عملية التجفيف.

ويعود الفضل إلى المهندس والشاعر الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطوجين، الذي عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي في نقل الفن المعماري الاندلسي إلى أغلب مدن

---

[1]- محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الأباضية، المرجع السابق، ص 272؛ إلياس حاج عيسى: المرجع السابق، ص 177.

[2]- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 253.

[3]-Cressier(P), Burnus(S): **La grande mosquée d'Agadez**, In: Journal des africanistes, 1984, t 54, fascicule 1, p 09.

[4]- Ibidem.

[5]- Cressier(P), Burnus(S): Ibid, p 10.

المغرب الإسلامي بما فيها الأوسط، وحتى في بلاد السودان[1]. وقد ظهر ذلك جليا ببنائه لأول مسجد بالطين في غاو ذا سقف يحتوي على سطح ومنارة ذات شكل هرمي، وهو محراب مبني بالأجر والطين المشوي بالنار، وأحزمة ظاهرة أصبحت متواجدة أينما وجد المسلمون في السودان[2].

**ب-العمارة المدنية:**

كانت العمارة المدنية إحدى أنواع العمارة الإسلامية ببلاد السودان، وتضم كل من الدور والقصور والحمامات والفنادق والقيساريات ودور الصناعة. إن الطابع المعماري المدني في بلاد السودان كان واضحا في المنشآت العمرانية المختلفة بشهادة السعدي الذي سجل لنا ذلك ما نصه: "...ولم تأته العمارة إلا من المغرب"[3]، بخصوص القصور صرح الإدريسي في نزهته أن ملك غانة: "وله قصر على ضفة النيل قد أوثق بنيانه وأحكم إتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج وكان بنيان هذا القصر في عام عشرة وخمس مائة من سني الهجرة"[4].

إن تردد جالية الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط من تجار وعلماء واتصالهم بالملوك والنبلاء والوجهاء، قد استدعى السلطة الحاكمة بأن يستقدموا بنائين من تلك الربوع ليقيموا لهم البيوت والقصور على الطراز العربي المغربي، الذي كان سائدا في أول الأمر في القسم العربي من مدينة كومبي صالح[5].

بالإضافة إلى ذلك أثرت الجالية الصحراوية المغرب اوسطية في نمط بناء المنازل أين أصبح لكل منزل جناح خاص بالضيوف، ومن ذلك أيضا بناء المخازن للبضائع في أسفل دور السكن التي كانت تتسم بالسطوح العليا والأبواب الضخمة، وتنظيم المتاجر والحوانيت حول المسجد، والتي كانت تبيع العطور والكتب وأبنية الصناعة والتجارة[6].

وفي مشهد رهيب صور لنا فليكس ديبوا مباني تمبكتو أثناء حلوله وهو على راحلته ما نصه: "فالمباني المحيطة بها عالية...، وكان بعضها يضم أدورا ثانية... تساقطت أعمدة النوافذ ذات الطراز المغربي...، وكانت الأبواب غريبة ذات كتل ضخمة مثبتة بمسامير ضخمة، وكانت مغلقة بإحكام"[7].

---

[1]- لامعة زكري: المرجع السابق، ص 92.

[2]-Delafosse(M): **Haut-Sénégal-Niger**, Op.cit, t 02, p 189.

- نور الدين شعباني وزينب جعني: **"الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية"**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، العدد 04، 2016، ص 248.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 129.

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 22.

[5]- بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 253.

[6]- بودواية مبخوت: نفس المرجع والصفحة.

[7]- فليكس ديبوا: **تمبكت العجيبة**، تر: عبدالله عبد الرازق إبراهيم، مر: شوقي عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 172.

إن هذه الشهادة العينية التي أدلى بها فليكس ديبوا بخصوص مباني تمبكتو، وإن كانت متأخرة عن الفترة موضوع الدراسة إلا أننا نستشف من خلالها ما كانت عليه المدينة في فترة ازدهارها، ويمكننا القول بأن هذا النمط من العمارة هو المعمول به في الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط التي جعلت من مساكنها تضم أدورا ثانية علوية للسكن، والطابق الأرضي يتم فيه تخزين السلع والبضائع والذي جعلت أبوابها ذات أحجام كبيرة ليسهل على ملاكها عرض سلعهم للتجار القادمون من مختلف المناطق.

وقد خلص ريمون موني إلى أن: "المدن المغاربية الواقعة على حدود بلاد السودان، والتي أصبحت عبارة عن مستعمرات تجارية حقيقية منها سجلماسة، نول لمطة، تامدلت، ورقلة، غدامس، زويلة، فزان، كانت على اتصالات دائمة وتجمعها نقاط مشتركة مع المدن السودانية في الجنوب. إن حفريات كومبي صالح(غانة)، وبقايا أنقاض تاغدواست(أودغست)، السوق(تادمكة)، مقنعة تماما: بأن التجار العرب والبربر الذين سكنوا المنطقة نقلوا معهم خصائصهم المعمارية، ونمط معيشتهم، وأدواتهم ومعداتهم إلى جنوب الصحراء"[1].

[1]-Mauny(R): Tableau géographique…, Op.cit, p 390.

## المبحث الثالث: المراكز الثقافية في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان

### المطلب الأول: المراكز الثقافية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط

عرف الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط عدة مراكز ثقافية كان لها الفضل في انتشار الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد السودان وتجلى ذلك بواسطة القوافل التجارية التي كان تجوب تلك الربوع. وفيما يلي نلقي نظرة عن هاته المراكز الثقافية بصحراء المغرب الأوسط.

**1-وارجلان:**

أدى سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، إلى بروز وارجلان كقطب علمي ثقافي يعج بالشخصيات العلمية من أهلها، ثم ممن قدم إليها من المناطق المجاورة، خاصة منها جبل نفوسة، وبلاد الجريد، ومن الفارين إليها من تاهرت، فأصبحت بذلك قبلة للجماعات الأباضية من مختلف الأمصار ومستقرا لها.

وقد صرح عمرو خليفة النامي بأن وارجلان أصبحت: "كمركز تجاري هام وكمحطة رئيسية لحركة القوافل التي تنطلق منها إلى الجنوب وإلى الشرق والغرب والشمال، وكذلك لما تتمتع به من الأمن النسبي الذي فرضه أهميتها التجارية وانعزال موقعها مع قوة أهلها واتساع العمران حولها، كل هذا جعلها مكانا مثاليا للقيام بدور البديل المباشر لتاهرت"[1].

إن انتشار المذهب الأباضي بوارجلان وعلو كعبها في التجارة إضافة إلى ازدهارها العمراني، جعل منها مناخا ملائما للحركة العلمية. ويبدو أن وارجلان كانت جديرة بأن تحل محل تاهرت، كونها أحد أهم حواضر المعرفة.

كتب الشيخ أعزام في مصنفه غصن البان بأن وراجلان "هو من فاتح القرن الثاني وطن إسلامي علمي، أنبت كثيرا من فحول العلماء، وأعاظم الرجال. حتى أن الإنسان لا يمر بشارع أو طريق إلا ويسمع هذا قبر الشيخ فلان، أو مسجد العلامة فلان، أو محضرة العالم الفلان. إلى غير ذلك من الألقاب الشريفة، والشاهد على ذلك العيان، وليس بعد العيان بيان"[2].

لقد حرصت وارجلان بأن يكون لها مؤسسات ثقافية كان لها الدور الفعال في إثراء وازدهار الحركة العلمية والثقافية بها، وجعلت منها حاضرة ثقافية، وهي عديدة ومتنوعة ولعل أبرزها: الغيران، الحلقة، المساجد والجوامع، ودور المشائخ. وفيما يلي نوردها في الآتي:

---

[1]- عمرو خليفة النامي: **"ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري"**، مجلة الأصالة، العدد 42، الجزائر، 1977، ص 17.

[2]- أعزام: المرجع السابق، ص 49.

**-الغيران:**

أدرجت الغيران كمؤسسة تعليمية بوارجلان لما حظيت به على ما يبدو تحقيق الخلوة والتفرد والانعزال عن الخارج بغية الاستزادة المعرفية[1]، ويبدو كذلك أن تواجد مثل هذه الغيران بالمنطقة لطبيعة الأرض الصخرية التي تمتاز بها وراجلان، ولاحتياطات أمنية خاصة بعد سقوط دولة الإمام ودخول المذهب الأباضي مرحلة الكتمان استغلت هذه الغيران لهذا الغرض.

وذكر الوسياني في سيره بأن أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر النفوسي الفرسطائي(ت 440هـ/ 1049م) عند حلوله بوارجلان ينزل في الغار التسعي "الذي حفره له أبو القاسم في قصر بني نونة يدعى التسعي يعنون به تسع سنين وأربعمائة، حفره وهو في ناحية الشمال من القصر، على قبالته مصلى يزار ومستجاب"[2].

ومن الغيران التي ذاع صيتها وكان لها حضور علمي بوارجلان، ما يعرف بغار بني أجاج، الذي أشار إليه الدرجيني على لسان عيسى بن يزكشن بقوله: "مررنا بأبي صالح في الغيران المعروفة «ببني أجاج» خارج وارجلان"[3]، حيث عكف كبار المشائخ بوارجلان إلى اتخاذه ملجأ للدراسة وتلقى العلوم المختلفة، وقد أثبت الشماخي في سيره بأن مُحَمَّد بن سليمان النفوسي ومُحَمَّد بن عمرة اليروتني: "كانا يدرسان الكتب في غيران بني أجاج، ...وأجوبة الأئمة مخ الفقه"[4].

**-الحلقة:**

قراءة في طبقات المشائخ للدرجيني مفادها بأن: "الحلقة اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم في الدين بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم"[5]، وفيما عرفها روبيرتو روبيناتشي وأضاف ما نصه: "فالحلقة هي عبارة عن حلقة من الطلاب والذين، ليسوا عامة يدرسون علما واحدا بعينه، يجتمعون حول أحد المعلمين للاستماع لتعاليمه"[6].

برزت هذه المؤسسة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أين طُلِبَ من أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي أن يضع لهم تنظيم خاص بطلبة العلم على شكل حلقة وكان ذلك في أريغ. وكان

---

[1]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 217.

[2]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 580.

[3]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 373.

[4]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 576؛ إبراهيم بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج02، ص 378.

[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 04؛ عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 218.

[6]- روبيرتو روبيناتشي: **الغزابة حلقة الشيخ مُحَمَّد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الإسلام)**، تر: لميس الشجني، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م.ن، 2006، ص 28.

الهدف الأساسي ومن وراء نشأة هذا الصرح الثقافي العلمي على ما يبدو هو التعليم وإقامة معالم الدين والمحافظة على المذهب الأباضي واستمراريته.

إن القائمين والمشرفين عن مؤسسة الحلقة التي تميزت في بادئ أمرها بالاستقرار في مكان معين في بادئ أمرها، قد اتبعت نظام آخر أطلق عليه بنظام "الحلقات المتجولة"[1]، تمثلت في تنقل بعض العلماء والشيوخ برفقة طلبتهم أحيانا يطوفون بين القرى والمدن بوارجلان.

ويعد الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت471هـ/1079م) من الذين اتخذوا حلقة متنقِّلة بين مواطن الأباضيَّة، في السهول والجبال والأودية والجزر، ويبقى في كلِّ بلدة مع تلامذته مدَّة للتعلُّم والتعليم يجتمع عليهم أهلها وكثير من طلاَّب العلم[2].

**-المساجد والجوامع:**

شكلت المساجد والجوامع منذ صدر الإسلام أحد أهم روافد العلم والتبادل الثقافي، حيث لم تكتف بإقامة الصلوات الخمس أو ما يتصل بها، بل كانت محل ينظر فيه في أمور الرعية أيضا، أو عند النوازل خاصة المستعصية منها أن يجتمع "لحلها العلماء العظماء من جميع القرى فيفصلونها على مقتضى الكتاب والسنة وآثار السلف"[3]. وقد كشف الدرجيني ما يفصل ذلك بقوله: "واجتمعت بوارجلان بالمسجد الكبير جماعة فيها من أهل الدعوة...فسألهم رجل عن مسألة وهي، الأجرة هل تؤخذ على تعليم القرآن أم لا"[4].

شهدت وارجلان العديد من المساجد على اختلاف مسمياتها، فقد كتب أبو زكرياء يحي على لسان أبي الربيع ما نصه: "قال لي خالي عبود بن منار[5]: اتبعت الشيخ أبا صالح ذات ليلة-فقد ذكر عنه أنه يصلي في ليلة الجمعة في مساجد وارجلان أجمع- واتبعته ليلة أنظر ما يصنع. فكلما دخل مسجدا صلى فيه ما قدر الله، وأصلي أنا أيضا، حتى ينصرف انصرفت أتبعه في مساجد عدة يصلي فيها وأنا أتابعه حتى

---

[1]- محمود حسين كوردي: **الحركة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي(خلال القرون 2-8هـ حتى 8-14م)**، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م.ن، 2008، ص 79.

[2]- إبراهيم بحاز وآخرون: المرجع السابق، ج02، ص 215.

[3]- أعزام: المرجع السابق، ص 104.

[4]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 399.

[5]- **عبود بن منار المزاتي(النصف الثاني ق: 5هـ / 11م)**: رجل صالح من أهل وارجلان، عُرف بالزهد والعبادة، ووردت أخباره مع أضرابه من الزهَّاد، أمثال: أبي صالح الياجراني، وأبي محمَّد عبد الله بن مانوج اللمائي، وأبي جعفر أحمد بن خيران الوسياني. كما عاصر أبا زكرياء يحي بن أبي بكر (ت: 471هـ/1078م) صاحب السيرة. وعبود خال للشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وقد روى أبو الربيع أحداثا وقعت له مع خاله. مات في غارة شنَّها منصور فلدين بن أبي علي. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم أعلام الأباضية**، المرجع السابق، ج02، ص286؛ تادايوس ليفيتسكي: **المؤرخون الأباضيون في إفريقيا الشمالية**، تر: ماهر جرار وديما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م.ن، 2007، ص 13.

دخل مسجدا، فدخلت خلفه. فصار يصلي حتى غلب عليَّ النعاس والسِّنة... فانتبهت فإذا هو قد ذهب ومضى لا أدري بعد أين ذهب"[1]. ولعل أبرز المساجد التي شهدت حركة علمية نشطة مسجد الشيخ أبي صالح جنون بن يمريان (أوائل القرن: 4هـ/10م)، الذي تم تأسيسه على ما يبدو خلال القرن 3هـ/9م[2]، إن نسبة المسجد إلى الشيخ جنون ربما تعود لشخصية هذا الرجل الذي له الفضل في ازدهار الحركة العلمية، وانتظام الحياة الدينية، وذلك لِما له من نفوذ واسع، وتأثير مباشر، ولِما يبذله من المال الطائل، في دعم تلك الحركة العلمية، والنفقة على الشيوخ والطلبة، وغدت بذلك وارجلان وريثة تيهرت في مجدها العلمي والحضاري.

وقد أحي هذا المسجد حلقات العلم والمذاكرة واستقبل طلبة العلم والشيوخ، وتم توسعته على ما يبدو بعد هجرة الأباضيين إلى وارجلان بعد سقوط الدولة الرستمية[3]. علاوة على ذلك تشير المصادر الأباضية إلى وجود المسجد الكبير أو ما يعرف بالجامع الذي مهمته هي مدارسة القضايا العلمية خاصة منها ذات الطابع الفقهي أو المتصلة منها بالقضايا الاجتماعية[4]، وفي ذلك ما نصه: "اجتمعت بوارجلان بالمسجد الكبير جماعة فيها من أهل الدعوة منهم أبو عبد الله بن بكر وابن سوردين وابن زورسكن وعبد الله المديوني، وغيرهم ممن حضر؛ فسألهم رجل عن مسألة وهي الأجرة: هل تؤخذ على تعليم القرآن أم لا؟ فتدافعوا السؤال بينهم"[5].

وقد ارتبط اسم بعض المساجد من خلال ما شهدته أو عرفت به بدراستها لمسائل علمية، كمسائل صومعة تماواط، التي تؤشر لما كان يدار بمساجد وارجلان من مسائل أصبحت عنوانا عليها[6]، وفي هذا الصدد صرح الوسياني بقوله:"... وقال: فأخذتهما وكتبتهما وعلقتهما، بصومعة مسجد تماواط، فدعيت "مسائل صومعة تماواط""[7].

**-دور ومنازل المشائخ ورجال الدعوة:**

اتخذ العلماء والمشائخ ورجال الدعوة من دورهم ومنازلهم أماكن لاستقبال طلبة العلم خاصة منهم الميسورين والذين هم بداخل المدن. وقد أخبرنا الدرجيني بأن أبي سليمان أيوب بن اسماعيل "كانت له

---

[1]- أبو زكرياء يحي الوارجلاني: **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تح: عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية للنشر، بيروت، 1981، ط01، ص 310؛ عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 218.

[2]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 156.

[3]- مختار حساني: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2011، ج 05، ص 261.

[4]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 218.

[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 399؛ الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص ص 859-860؛ أبو زكرياء يحي الوارجلاني: المصدر السابق، (عبد الرحمن أيوب)، ص 349؛ أعزام: المرجع السابق، ص 312.

[6]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص 219.

[7]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص ص 413-414.

داران بوارجلان متقابلتان يفصل بينهما طريق وفوق الطريق ساباط وصل بين الدارين من علو فإحدى الدارين دار سكناه والأخرى مطلقة للتلامذة والأضياف"[1]. يبدو أن هذه المؤسسات والمنشآت ساهمت بقدر لا يستهان به في تقديم الدعم للحركة العلمية والثقافية بوارجلان واحتضانها، وانتجت من صلبها شيوخ وعلماء كان لهم الفضل بارتقاء وارجلان إلى حاضرة ثقافية وقلعة للعلم والعلماء بعد سقوط تاهرت، وافتكت بجدارة مكانتها بين الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي على العموم والمغرب الأوسط على الخصوص. وفيما يلي نرصد لائحة العلماء الفاعلين الذين كانت لهم اسهامات ثقافية وعلمية بوارجلان.

**– لائحة العلماء والشيوخ بوارجلان:**

شهدت وارجلان كباقي المراكز الثقافية بروز العديد من العلماء والشيوخ الذين كان لهم دور في تنشيط الحركة العلمية والثقافية بها. ونود فيما يلي رصد لائحة بأسماء العلماء والشيوخ البارزون والذين أبقوا على أثارهم وهم:

**– الشيخ أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي المعروف بـ "الطرفي"(القرن 3هـ/9م):**

يعد الشيخ أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن سهلون السدراتي المعروف بـ "الطرفي" والملقب بـ "شيخ الرأي الناصح" من أعمدة المذهب الأباضي بوارجلان، كانت قرائته على الأئمة بتاهرت قبل انطفاء تلك المصابح[2]، وعاصر الإمام عبد الرحمن بن رستم[3].

صنفه الدرجيني ضمن الطبقة السادسة، أي القرن الثالث الهجري. تولى منصب القضاء بوارجلان نظرا لمكانته العلمية، وكان مرجع الفتوى في زمانه، كما امتاز بحسن التدبير وسداد الرأي وبعد النظر[4]، تصدر الإقراء في مجالس العلم وعرف بنشاطه الدعوي والتعليمي وإقامة حلق العلم بتعليم التلاميذ، وإلقاء الدروس الدينية في المساجد. تخرج على يد الشيخ الطرفي العديد من العلماء والشيوخ وطلبة العلم أبرزهم الشيخ أبي صالح جنون بن يمريان الذي أصبح شيخ وارجلان بعد وفاته(أي الشيخ أبو يعقوب الطرفي)[5].

**–الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان اليهراسني الوارجلاني(أوائل القرن 4هـ/10م):**

قراءة في أغلب المصادر الأباضية[6] تفيد بأن شخصية أبي صالح جنون بن يمريان كانت مسؤولة في المكان الأول عن ازدهار الحركة العلمية وانتظام الحياة الدينية والإستقامة الخلقية بوارجلان، وتجلت تلك

---

[1]– الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 460.

[2]– الدرجيني: المصدر نفسه، ج02، ص 331.

[3]– إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم أعلام الأباضية**، المرجع السابق، ج02، ص474.

[4]– الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 332؛ إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 474.

[5]– قاسم الشيخ بالحاج: **مدينة وارجلان...قلعة الدين والعلم**، العالمية للطباعة والخدمات، تيبازة، 2016، ص 32؛ مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 240؛ عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 18.

[6]– الدرجيني: المصدر السابق، ج02،ص ص 341-343؛ الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص ص 432-436.

المسؤولية من خلال نفوذه الواسع وتأثيره المباشر والسعة في المال وبذله في دعم الحركة العلمية والنفقة على الشيوخ والطلبة[1]. وصفه الدرجيني بقوله: "العالم الفقيه، الفطن النبيه، اليقظان الذكيُّ، الورع الزكيُّ... كان يلقَّب شيخ الرأي الناصح"[2].

وقال عنه الشماخي: "أبو صالح جنون بن يمريان، رحمه الله. كان عالما، ورعا، سخيا، ذا كرامات،... وهو أحد أقطاب الدين"[3]. وذكر أعزام أن: "له تآليف كثيرة أعدمتها الفتن العمى"[4]. وقد وقد سار أبو صالح على خطى شيخه بعد توليته مشيخة وارجلان. وبوفاته تراجعت الحركة العلمية، ودخلت وارجلان في ركود ثقافي إلى أن انبعثت من جديد مع قدوم أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي الذي أعاد لوارجلان وجهها الثقافي المعهود من خلال وضعه لنظام العزابة.

**-الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل(أوائل القرن 4هـ/10م):**

تأتي شخصية الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل الذي إليه انتهت رئاسة الأباضية في العلم[5]. أدرجه الدرجيني ضمن الطبقة الثامنة (350-400هـ). وصل وارجلان مستخفيا من المعز لدين الله الفاطمي خشية أن ينقله معه إلى القاهرة. وأثناء حلوله بها حظي باستقبال كبير خصه به شيخ وارجلان أبو صالح جنون بن يمريان.

وقد صَوَّرَ لنا ذلك المشهد صاحب الطبقات الدرجيني بقوله: "تقدم من قبلهم من يبشر أبا صالح جنون بن يمريان رحمة الله عليه بقدوم أبي نوح ومن معه، فاستبشر وقال للبشير ارجع إليه وقل له لا تخف نجوت من القوم الظالمين، ولما وصل وارجلان أنزله الشيخ وجماعة أهل وارجلان، وأحسنوا نزوله، وتجاوزوا الحد في الإعظام، وأكرموا مثواه غاية الإكرام...وأجرى له كل يوم مائدة، وأخرى عشية"[6].

جلس أبو نوح للتدريس وتنظيم الحلقات العلمية في مسجد أبي صالح جنون، ومكث مدة بوارجلان ثم رغب في العودة إلى الحامة بإفريقية[7]، فغادرها رغم محاولات الشيخ أبي صالح ليبقى بوارجلان.

---

[1]- عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 20.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 331.

[3]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 542.

[4]- أعزام: المرجع السابق، ص 292.

[5]- عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 19.

[6]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 144.

[7]- مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 241.

**– الشيخ أبو موسى هارون بن موسى أبي عمران بن سُدرين الحامِّي الوسياني(ق:4هـ/ 10م):**

الشيخ أبو موسى هارون بن موسى أبي عمران بن سُدرين الحامِّي الوسياني(ق:4هـ/ 10م) عالم ذو مقام معتبر بين أضرابه، وآثار باقية في سير الأباضية[1]. كان من المعاصرين للشيخ أبا صالح جنُّون بن يمريان، مكث بوارجلان بجوار أبو صالح الذي عقد على التدريس وإلقاء المواعظ بمسجد الشيخ جنون، إلا أن إصراره على السفر إلى غانة ببلاد السودان، دفع بالشيخ أبي صالح بأن يطلب منه أن يضع له مسائل في التوحيد والردِّ على المخالفين[2]، فألَّف لهم كتابًا في الألواح. وأعجله السفر فلم يعرضه، ولذلك كانت فيه مسائل فيها مقال[3].

**– الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي(ت440هـ / 1048م):**

ومن الشخصيات البارزة التي خَلَّفَتْ بصمة واضحة في المجال الثقافي والعلمي والتربوي بوارجلان الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي، أحد أقطاب الأباضية في بلاد المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين. يمثل هذا الشيخ حلقة وصل بين مرحلتين من مراحل الحياة العلمية والسياسية في المجتمعات الأباضية بالمغرب[4]. صنفه الدرجيني ضمن الطبقة التاسعة (450-500هـ). قال عنه الشيخ أعزام: "وفد من نفوسة إليها(وارجلان) لمشروع إصلاحي كبير، بعد ما حصل على العلوم العقلية والنقلية في نفوسة والقيروان، وكان من حكماء أهل زمانه"[5].

وكان أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر كثير التنقل في البادية يدعو الناس إلى المذهب الأباضي، وأوعز إلى تلاميذه بالانتشار في أحياء الأباضية للقيام بالتعليم والإرشاد والوعظ. وكان يشجع تلاميذه على دراسة الكتب وتأليفها[6]. تخرج على يده العديد من العلماء منهم أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م) صاحب كتاب السير المعروف.

**–الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت 471هـ / 1078م):**

يعد أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي من تلامذة الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي النجباء، انتقل إلى جربة وفيها واصل مشواره العلمي في حلقة أبي مُحَمَّد ويسلان بن أبي صالح وزكرياء

---

[1]– إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 441.

[2]– الوسياني: المصدر السابق، ج02، 567.

[3]– الوسياني: نفس المصدر والصفحة.

[4]– عمرو خليفة النامي: المرجع السابق، ص 20.

[5]– أعزام: المرجع السابق، ص 308.

[6]– مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 240.

ويونس. أفنى شبابه في القراءة، وبقية عمره في الإقراء[1]، فصار من أكابر العزَّابة وممن جازت عليهم سلسلة نسب الدين[2].

وقد كان لاتخاذه حلقة متنقِّلة بين مواطن الأباضيَّة، في السهول والجبال والأودية والجزر، العديد من طلبة العلم الذين نهلوا من علمه الغزير، وصل وارجلان في عام الزيارة 449هـ/1057م، ثمَّ البكرات[3]، في بداية 450هـ/1058م[4]، ويبقى في كلِّ بلدة مع تلامذته مدَّة للتعلُّم والتعليم يجتمع عليهم أهلها وكثير من طلاَّب العلم. وقد نهى طلبته عن التدخل في الشؤون الداخلية للناس إلا ما كان على سبيل الوعظ والإرشاد[5]. ومن أشهر الطلبة الذين أخذوا عنه العلم أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني.

**-الشيخ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني(ت 471 أو بعد 474هـ / 1078 أو بعد 1081م):**

نشأت هذه الشخصية بوارجلان، وَدَرَسَت بأريغ على يد الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفي العام 471هـ/1078م[6]، الوسياني ينسب أخاه أبا يحي زكرياء بن أبي بكر إلى بني يهراسن، ويذكر ويذكر جدَّه بسعيد، فهو إذن: «يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني»[7]. جَدَّ في تحصيل العلم العلم حتى برع في الفقه والتاريخ، وكانت له حلقة علم، ربَّما كانت تعقد في المحضرة القديمة بآجلو بوادي أريغ.

كتب الدرجيني واصفا إياه وأخاه زكرياء ما نصه: "كانا من الأفاضل، المقتفين آثار الأوائل... بأدلَّة ذات إقناع، وحجج تملأ القلوب والأسماع، تغني عند المحاضرة ما تغني المشرفيَّة عند القراع، فكانا مراد الفارين، على تباعد الدارين"[8].

**-الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي(القرن 6هـ/12م):**

يعد الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي من علماء القرن 6هـ/12م، صنفته كتب الطبقات ضمن الطبقة الحادية عشر، من أشهر علماء وارجلان، وهو شاعر بربري شهير[9]. كان مبعث

---

[1]- أعزام: المرجع السابق، ص 318.

[2]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 215.

[3]- **البكرات**: هي إحدى قرى وارجلان.

[4]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 215.

[5]- بوعصبانة: المرجع السابق، ص 127.

[6]- أبو زكرياء: المصدر السابق، (عبد الرحمن أيوب)، ص 14.

[7]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 451.

[8]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 448.

[9]- تاديوس ليفينسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص 73.

حركة علمية مزدهرة ومجدد لها بعد وفاة الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان. كتب عنه الدرجيني في طبقاته والشماخي في سيرته ما نصه: "بحر تتقاذف في غواربه السفن، وبدر يقتفي به من اقتدى من المقتفين، إن سئل في العلم أجاب فأقنع...شيخ شيوخٍ أكثرُهم ساد، وقلَّ من روى من تلامذته إلاَّ استفاد"[1].

امتاز بعلمه الغزير، وسخَّر ماله لخدمة العلم، فقد خصَّص داراً لتلامذته متَّصلة بدار سكناه، وجعلها مأوى للضيوف والوافدين، ينفعهم فيها بأطايب ما كسبت يداه، وصفه تلميذه يخلف بن يخلف التميجارى محدثا حفيذه الدرجيني بقوله: "كان شيخنا أبو سليمان أيوب بن اسماعيل كثير الأبرار بتلامذته، وكانت له داران بوارجلان متقابلتان، يفصل بينهما طريق، وفوق الطريق ساباط وصل بين الدارين من علو، فإحدى الدارين دار سكناه والأخرى مطلقة للتلامذة والأضياف"[2].

وتروي كتب السير بأن له كرامات كثيرة، كانت للشيخ أبو سليمان أيوب حلقة علم جمع بها تلامذته وطلاب العلم من كل صوب وحدب. تخرَّج على يديه العديد من العلماء أثروا بإنتاجهم العلمي الحركة العلمية بوارجلان، وأصبحت مؤلَّفاتهم عمدة للإباضية في القرون اللاحقة[3]، ومن هؤلاء نذكر منهم منهم الشيخ يخلف بن يخلف التيمجاري جدُّ الدرجيني صاحبِ كتاب الطبقات السالف الذكر، والشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي الذي كان له صيت بأسوف، والشيخ أبو عمَّار عبد الكافي.

**-الشيخ أبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني(ت 570هـ/1174م):**

برز نجم الشيخ أبو عمار عبد الكافي(ت 570هـ/1174م) أحد تلامذة الشيخ أبو سليمان أيوب بن إسماعيل النجباء، يعود أصله إلى قبيلة تناوت البربرية التي كان يسكن قسم منها في واحة وارجلان[4]. تفوق أبو عمار عن علماء عصره واشتهر بمعرفته الواسعة في مختلف مجالات العلم وخصوصا ميله لعلمي الكلام والجدل.

ظهر نشاطه الدعوي بوارجلان وتصدَّى لإحياء الدين بحلقات العلم، فقصده الطلبة من مختلف مواطن الأباضية بالمغرب لما لاحظ تراجع المذهب الأباضي بالعديد من المناطق بالمغرب. وقد نوه الدرجيني في طبقاته بالدور الذي أداه أبو عمار في خدمة المذهب بقوله: "تدارك المذهب قد أقبر فأنشره نشورا، ونوه به، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فأحيا الله به رفاته وجمع ببركته شتاته"[5].

تصدر أبو عمار للإقراء والتدريس في مساجد وارجلان، وَخَلَّفَ تراثا فكريا لا يستهان به في مجال التأليف منها: كتاب الموجز في علم الكلام، وكتاب الجهالات، كتاب الاستطاعة، كتاب الفرائض، وكتاب

---

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 459؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 632.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 459؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 632.

[3]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 466.

[4]- تاديوس ليفينسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص 35.

[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 485.

مراسلات مع علماء الأباضية في ميزاب وبلاد غانة[1]، وهو ما حذى بالدرجيني بوصفه بأنه: "خدم العلم دهرا حتى وعاه، واوعى منه الأوعية، ثم أخذ يوفيه ويعلمه، فسالت منه الأوعية، في تصنيف كتاب، أو تهذيب جواب، أو تدرب متكلم، أو إفادة متعلم"[2].

**-الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني(ت570هـ/1174م):**

يعد الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني(ت570هـ/1174م) أحد نجباء الشيخ أبو سليمان أيوب بن اسماعيل(ت524هـ/1129م)، ومنهم من صرح بأنه تتلمذ أيضا على أبي عمار عبد الكافي[3]، وفيما فصل إبراهيم بحاز في ذلك بقوله: "والذي ترجحه الروايتين أنه كان رفيقا له في الدراسة لا شيخا"[4]. وصفه الدرجيني بأنه: "بحر العلم الزاخر، المسخر للنفع فترى الفلك فيه مواخر الرفيع القدر والهمة الجامع لفضائل كل أمة، والمحتوى على علوم جمة"[5].

من أبرز علماء الأباضية في بلاد المغرب، كان مهتما بالتاريخ وعلوم أخرى، سافر كثيرا لأجل التحصيل العلمي وتوسيع مداركه وحقل معرفته، انتقل إلى قرطبة لدراسة اللغة العربية والحساب[6] وحصل منها على مختلف العلوم النقلية والعقلية، وكان من بين طلاَّبها النجباء الذين امتازوا بالنبوغ النادر، والاطِّلاع الواسع، حتَّى كان الأندلسيون يلقِّبونه بالجاحظ.

وصفه الشماخي في سيرته بأنه: "كان في علوم القرآن غاية، وفي علوم اللسان من النحو واللغة والتصريف آية، وفي علوم النظر والجدال والمنطق والكلام نهاية، وفي علم الحديث ونقل الأخبار والسنن والآثار والفروع والأحكام وعلم الفرائض والمواريث، ومعرفة رجال الأحاديث وعلم الحساب والتنجيم، بل علوم الأقدمين، في جميع ذلك علامة"[7].

ساهمت هاته الشخصية في إثراء الحركة العلمية والثقافية بوارجلان خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد شهدت وارجلان خلال هذا القرن أوج عطائها وازدهارها العلمي والثقافي. جلس الرجل للإقراء في مجالس العلم وتلقين الطلبة أصناف العلوم، وأخذ يقدم عصارة علمه وأفكاره، وخلاصة تجاربه وأسفاره لطلبته في دروسه. الدرجيني في طبقاته صور لنا جانبا من حياته بقوله: "وذكروا عنه أنه أقام سبعة أعوام ملازما داره لا ينصرف، فكان متى زاره أحد من الزوار وجده إما ينسخ وإما يدرس،

---

[1]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 259.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 485.

[3]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 481.

[4]- إبراهيم بحاز وآخرون: نفس المرجع والصفحة.

[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 491.

[6]- تاديوس ليفينسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص 79.

[7]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص ص 641-642.

وإما يقابل، وإما يبرئ الأقلام، وإما يطبخ الحبر، وإما يسفر كتابا، لا يعدل عن هذا الفن إلى ما سواه إلا إن قام لأداء فريضة"[1].

تقلد الشيخ أبي يعقوب منصب الإفتاء وأصبح بذلك مرجع لكل إباضية بلاد المغرب، وفي إشارة له يخبرنا الشماخي عن رسالة جاءته من عالم من جبل نفوسه يود معرفة بعض أمور في الدين ويفتيه فيها هذا نصها: "وذكر أن الشيخ الحافظ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي في جواب الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن الشيخ أبي سليمان داود النفوسي في فضل السنن التي أحدثها عمر بن الخطاب، ونقمتها عليه الشيعة والروافض، بأن قال: لو مسخ الله رجلا... وله قصة عجيبة. والرجل الممسوخ أنثى في بني مصعب"[2].

وقد خلفت هذه الشخصية التي أسهمت بنشاط علمي بارز العديد من المؤلفات شملت مختلف مجالات الفكر والعلوم أبرزها: في علم الحديث ورجاله له مصنف يعرف بـ "ترتيب المسند" أو الجامع الصحيح للربيع بن حبيب، وفي أصول الفقه ألف أبي يعقوب كتابا سماه "العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف"، وفي أصول الدين وعلم الكلام "كتاب الدليل والبرهان"، وفي الشعر من خلال "الرحلة الحجازية"، والعديد من المؤلفات الأخرى.

عرفت وارجلان إذن وجود العديد من العلماء الأفذاذ الذين ساهموا في إثراء وتفعيل الحركة العلمية والثقافية بها، حيث جلسوا للإقراء والتدريس في شتى مؤسسات التعليم التي زخرت بها وارجلان، وكان لبعضهم أن تقلد منصب الإفتاء والقضاء حتى أصبحت وارجلان قبلة لإباضية بلاد المغرب لأجل النظر في النوازل والقضايا الدينية، وقد هيئ المناخ العلمي والفكري السائد بها إلى مبادرة جل علمائها في تأليف مصنفاتهم في شتى العلوم.

**2-أريغ:**

تعد أريغ المركز الثقافي الثاني بعد وارجلان، نظرا للدور الفعال الذي أدته في الحياة الثقافية والعلمية، حيث احتضنت العديد من العلماء والشيوخ وطلبة العلم، وقد امتاز أهلها بأخلاقهم الحسنة بشهادة أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي مؤسس نظام الحلقة، الذي أختار العيش بينهم.

وقد صور لنا الدرجيني ذلك الحوار الذي دار بين أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر وطلبته بقوله: "والشيخ في أثناء ذلك يستخير الله فيما يقدمه من أموره، حتى فتح الله عليه برأي فشاور أصحابه فقال لهم ها هنا ناسا رقاق القلوب ارجو أن ينتجع فيهم الإسلام، ويتلقوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخير أهلا وهم: مغراوة ريغ، فما رأيكم في الانتقال إلى جهتهم؟"[3]، فأجابوه بقولهم: "في رأيك اليمن والبركة، فسروا بذلك

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج 02، ص ص 492-493.

[2]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص ص 683-684.

[3]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 170.

بذلك سرورا عظيما، واغتبطوا أي غبطة"[1]. أقرت كتب السير والطبقات بازدهار أريغ ثقافيا وعلميا، منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وأكدت على رواجها بمجالس العلم وكثرة حلقات العزابة بها[2]، إضافة إلى ذلك احتوائها على حواضر علمية اشتهرت بها كآجلو، وتاجديت، وتينيسلي. ومع بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وبالضبط سنة 409هـ/1017-1018م، احتضنت أبا عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي وتم له تأسيس نظام العزابة الذي أصبح فيما بعد نظامًا اجتماعيًا تربويًا حافظ على كيان الجماعات الأباضية إلى عهدنا هذا .

أصبحت أريغ تمثل مركز الدعوة في الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط، علاوة على ذلك عُرِفَتْ المنطقة بكثرة المجالس وحلقات العلم والتدريس على غرار حلقة أبو زكرياء يحي بن ويجمن الهواري التي مقرها بتين زراتين وغيرها من الحلقات التي لم تفصح عنها المصادر. وفيما يلي نعرج إلى ذكر أهم حواضر أريغ وما شهدته من نشاط ثقافي علمي.

### 2-1-آجلو[3]:

من البلدان الصغيرة التي وجدت لها مكانة مميزة وملجأ للعلماء وطلبة العلم في أريغ، حيث وصفها الشيخ عبد الرحمن باكلي بقوله: "مثل ذلك بلدة "آجلو"...، وما اشتهرت به من صلاح حتى اتسمت ببلدة الصالحين"[4]. عُرِفَت هذه البلدة بالصلاح والعلم وكثرة الصالحين، نظرا لأنها تمثل لدى الجماعات الأباضية موطن السلامة في الدين، لذا كثيرا من العلماء والشيوخ ممن يعيشون في بلدانهم الاضطرابات والقلاقل يعدون العدة للهجرة إليها، ويوصون أبنائهم بذلك. وقد بلغت ذروة مجدها وعظمتها في هذه الناحية عندما اختارها أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر فاتخذها موطنا له ولطلابه.

وتشير المصادر إلى امتلاك آجلو لمرافق تعليمية كان لها الفضل في احتضان طلبة العلم ومدرسيهم، حيث نقرأ عند الوسياني ما نصه: "وجاء الشيخ نزوراس بن يوسف من الحج سنة إحدى وأربعين[5] فوجد الناس يصلون في الغار في أجلو الغربي...فبنى مسجد أجلو الكبير"[6]، وكان لآجلو الشرقية غار كان للعزابة وطلبة العلم يتدارسون فيه مختلف العلوم، حيث أشار الوسياني بقوله: "وذكر أن أبا تغلا سمع قراءة العزاب في غار آجلو الشرقية عزاب أبي عبد الله"[7].

---

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 170.

[2]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 163.

[3]-**آجلو**: مدينة كانت تقع قرب البلدة التي تسمى اليوم ببلدة عمر. علي يحي معمر: المرجع السابق، ج04، ص 250.

[4]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج04، ص 250.

[5]- المقصود بسنة إحدى وأربعين وأربعمائة الموافق لـ تسع و أربعين وألف للميلاد.

[6]- الوسياني: المصدر السابق، ج 01، ص 368.

[7]- الوسياني: المصدر نفسه، ج01، ص 363.

**-لائحة العلماء والشيوخ بآجلو:**

ومن العلماء الذين ضاع صيته بهذه البلدة وكان لهم وقع في الحياة الثقافية والفكرية الشيخ سال(عاش أواسط القرن 5هـ/11م) وصفه الشماخي بأنه: "الشيخ التقي الورع ذو الكرامات والفضائل الساطعة، سال خاف مقام ربه فرفع درجته"[1]. وقد حظيت آجلو ببعض البيوتات العلمية التي كان لها حضور نشط في الحياة الثقافية منها بيت العالم الصالح معاذ بن أبي علي(القرن 5هـ/11م)[2] وأبنائه من بعده. وقد صرح الوسياني على لسان الشيخ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر بقوله: "خير شيوخ آجلو معاذ، وخير فتيان آجلو ولده إبراهيم"[3]، فيما أضاف الشماخي: "وخير نساء آجلو عائشة بنت معاذ"[4].

ومن العلماء الذين أدلوا بدلوهم في الحياة الثقافية بآجلو وآثروا المكوث بها أبو الخطاب عبد السلام المزاتي(القرن 5هـ/11م)[5]، والشيخ ماكسن بن الخيّر (ت 491هـ/1097م)[6] الذي أسَّس حلقة حلقة للعلم، فتخرَّج فيها جمع من الأفذاذ، وحل بها الشيخ يزيد بن يخلف الزواغي(القرن 5هـ/11م) زائرا بعزابته وفيهم أبو مُحَمَّد عبد الله اللواتي[7] وذلك سنة 450هـ/1058م، فرغب أبو مُحَمَّد عبد الله اللواتي بالمكوث بآجلو ومرافقة الشيخ أبي مُحَمَّد ماكسن[8]، وكان يُقْرِئُ الطلبة آثار الربيع بن حبيب عن ضمام عن

---

[1]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 682؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 164.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 446.

[3]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 592؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 614.

[4]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 614؛ علي يحي معمر: المرجع السابق، ج04، ص 251.

[5]- **عبد السلام بن منصور ابن أبي وزجون المزاتي (أبو الخطاب)**: أحد أعلام الأباضية الذين أسهموا في إرساء قواعد نظام حلقة العزَّابة، رفقة الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي (ت: 440هـ). أصله من نفوسة بليبيا تلقَّى علمه بها، وفي سبيل العلم هجر أهله ورحل مع ظعائن زمانه إلى طرابلس، ثمَّ عاد إلى الجبل، وقصد المشرق للحجِّ، فاستقرَّ به المقام ببلاد درجين بقسطيلية، ثمَّ رحل عنها بعد هجوم جيش من صنهاجة على قلعة درجين وتدميرها سنة 440هـ، وسكن أسوف. من أبرز مشايخه أبو عبد الله الفرسطائي، كما كان من أنجب تلاميذ أبي نوح سعيد بن زنغيل، انتقل معه إلى تين يسلي ببلاد أريغ؛ قال عنه أبو زكرياء الوارجلاني: «كان كثير الاجتهاد، وممن انتفع بكثرة الجهاد، وانتفع به كثير من العباد». ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية: المرجع السابق، ج02، ص 254.

[6]-**ماكسن بن الخير بن محمَّد الجرامي الوسياني اليفرني**: ولد بالقيروان، وفقد بصره وهو ابن سبع سنين، حفظ القرآن الكريم. أخذ العلم كذلك عن أبي عبد الله محمَّد بن بكر (ت: 440هـ/1049م)، وعن أبي سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني (ت462هـ/1069م)، وعن أبي مُحَمَّد عبد الله بن مانوج. كان كثير الأسفار للدعوة وإصلاح شؤون الأمَّة، فتنقَّل بين وارجلان- بلده-، وتين يسلي، وأسوف، وطرابلس، وتين وال، وتين تلات، وآجلو. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 354؛ تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص ص 52-53.

[7]- **أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن ناصر بن ميال بن يوسف اللواتي**: شاعر ومؤرخ ومحدث إباضي من بلاد برقة حفيد ميال اللواتي، عامل= =أفلح على نفزاوة، تحول إلى آجلو وعمره 58 سنة 450هـ/1058م، وتوفي بها سنة 528هـ/1133م، له تأليف في تاريخ الأباضية اعتمد عليه الدرجيني والشماخي وعدد كبير من تلامذته منهم أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي وأبو نوح والوسياني. ينظر الشماخي: المصدر السابق، ج03، ص 1014؛ تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص ص 50-51.

[8]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 291؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 166.

عن جابر برواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة، وكان يفسر ويشرح لهم بالبربرية[1]. استفادت آجلو باحتضانها للعلماء والشيوخ الكبار خاصة منهم أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي من علم هؤلاء السادة الأفاضل من علماء وشيوخ وطلبة علم من مختلف المناطق التي تواجد بها الجماعات الأباضية، وَعَلاَ شأنها بين الحواضر العلمية بأريغ، وأصبحت قبلة لمن يريد الاستزادة وطلب العلم من أصحابه.

**2-2-تاجديت[2]:**

الوسياني في سيره كتب ما نصه: "اجتمع في تيجديت خلق كثير؛ اجتمع فيه من أهل الفضل والعدل والخير والحبر والعلم والزهد والعبادة والأدب والورع والسيادة ما لم يجتمع في سائرها من بلدان أهل الدعوة في ذلك الأوان"[3]، وفيما صرح علي يحي معمر على لسان الشيخ إبراهيم أبي اليقظان قائلا: " كان كان لـ "تجديت" شهرة عالمية في العلم والعمران والنظام العجيب"[4].

وأضاف أيضا على لسان عبد الرحمن بن عمر باكلي ما نصه: "وناهيك بتاجديت وما بلغته من ازدهار وتألق أنوار، وقد قصت علينا السيرة ما يدهش ويبهر.. تحدث كثير من المؤرخين على هذه المدينة التي كانت في يوم من الأيام عاصمة من عواصم العلم، ومركزا من مراكز الثقافة الإسلامية تشد إليها الرحال، ويَؤُمُّهَا الطلاب من كل مكان"[5].

تكاد تكون هذه البلدة مدينة علمية بامتياز لما حظيت به من اهتمام العلماء والشيوخ وطلبة العلم فكانوا يشدون الرحال إليها، وقد برزت أسماء كثيرة لمع برقها في ميدان العلم والمعرفة.

**-لائحة العلماء والشيوخ بتاجديت:**

أورد الوسياني مجموعة من كبار علماء تاجديت كان لهم دور فعال في إثراء وتنشيط الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة منهم:

**-الشيخ أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي المدوني(منتصف القرن 4هـ/10م):**

كان الشيخ أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي المدوني[6](منتصف القرن 4هـ/10م) كثير الأسفار

---

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 416؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 595.

[2]- **تاجديت:** تسمى في الوقت الحاضر بتقديدين تقع بالقرب من مدينة "جامعة" جنوب شرق الجزائر، عرفت بالعلم والعلماء والصالحين، يقول أبو اليقظان إبراهيم ما نصه: "ويبدو لي بتسمية هذا البلد بـ"تجديت" أنهم بإنشائها يحاولون مقابلة عاصمة تاهرت التي يسمونها بـ"تاقدمت" كما هو مرسوم بمحطة أطلال تاهرت، وكأنهم يهدفون إلى إنعاش تاهرت القديمة "تاقدمت" باسم البلد الجديد "تجديت" وهو مرمى بعيد، وهدف سياسي له مغزى يرمي إلى تجديد تاهرت في الجنوب". ينظر: علي يحي معمر: المرجع السابق، ج04، ص 255.

[3]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 665.

[4]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج04، ص 255.

[5]- علي يحي معمر: نفس المرجع والصفحة؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 166.

[6]- ينظر ترجمته في تاديوس لفنسكي: المؤرخون الإباضيون بإفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص 58.

يتنقَّل بين مراكز أهل الدعوة، وقد وصل إلى تادمكة في بلاد السودان. صور لنا الوسياني ما وصلت إليه حلقة العزابة التي كانت تعقد بتاجديت وعدد العلماء الذين يَؤُمُونَ الطلبة، والاحترام الذي يوليه المشائخ لبعضهم البعض بقوله: "في الحلقة مائتين قد حفظوا مائتي دفتر. وفيها من مائة عالم لا يَرُدُّ أحدهم مسألة إلى الآخر إلَّا من جهة الأَدَبِ والكِبَرِ"[1].

**-الشيخ أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمريني[2](النصف الأول من القرن 5هـ/11م):**

كان أبو عمران صاحب حلقة للعلم تخرج فيها العديد من الطلبة، وصفه الدرجيني بأنه: "رأس من رؤوس المذهب وأعلم علمائه وشمس من الشموس الكاشفة لظلمائه، العلم والأدب حليته، والكرم والصبر سجيته.. أدرك المشائخ وروى عنهم العلوم والآثار"[3].

**-الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي(ت440هـ/1048م):**

يعد الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي من الذين أخذوا العلم على الشيخ أبي عمران موسى الذي درس عنده الفروع في قسطيلية[4]. ويعود الفضل له في إرساء نظام العزابة عام 409هـ/1009م، وهو من بين الشيوخ والعلماء الذين أدرجهم الوسياني ضمن العزابة الكبار الذين اجتمعوا بتَجْديت بأريغ.

**-الشيخ أبو يعقوب يوسف بن نفاث القنطراري النفوسي(ت440هـ/1049م):**

تبوأت شخصية أبو يعقوب يوسف بن نفاث القنطراري النفوسي[5](ت440هـ/1049م)، منزلة علميَّة هامَّة بين معاصريه، فكانوا يرجعون إليه للفصل في مسائل الخلاف.

**-الشيخ أبو يعقوب يوسف بن سهلون البرياني(القرن 5هـ/11م):**

يعد أبو يعقوب يوسف بن سهلون البرياني[6](القرن 5هـ/11م)، من الذين كانت لهم في بعض مجالسه العلمية حوارات ومناقشات مع علماء عصره في النوازل والقضايا العصيبة، وقد خالف الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن بكر في بعض منها.

---

[1]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 645.

[2]- **أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي**: رأس من رؤوس العلم في زمانه، وهو من أهل تجديت، أخذ العلم عن أبي صالح بكر بن قاسم، وعن أبي القاسم يزيد بن مخلد الحامي. إبراهيم بحاز وأخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج 02، ص 429.

[3]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 409.

[4]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 368؛ بوعصبانة: **منتقيات من التراث مقالات ومحاضرات**، مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، 2016، ط01، ص 139.

[5]- ينظر ترجمته في إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 494.

[6]- ينظر ترجمته في أعزام: المرجع السابق، ص ص 312-314.

**-الشيخ أبو سليمان داود بن أبي يوسف إلياس الورتاجني الوارجلاني(ت462هـ/1069م):**

أبو سليمان داود بن أبي يوسف إلياس الورتاجني الوارجلاني[1](ت462هـ/1069م) من الشخصيات التي كانت لها حذوة في المجتمع الأباضي، ونظرا لعلمه ومكانته كان الشيخ ماكسن بن الخير ينتقل بحلقته إليه، وقد كانت تقرأ عليه حلقة أبي عبد الله محمَّد بن بكر في فصل الشتاء.

لقد نافست تاجديت على المراتب الأولى في أريغ، حيث افتكت لها مكانا مرموقا ضمن الحواضر العلمية الصحراوية التي أصبحت ملجأ وقبلة للعلماء والشيوخ وطلاب العلم، يشد الرحال إليها بغية الإستزادة من معين علمائها وفقهائها.

**2-3-تينيسلي[2]:**

كتب الدرجيني حول بلدة تينيسلي ما نصه: "..ثم انتقل أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر وتلامذته إلى تينيسلي ورتب بها الحلقة، وشيد من كريم البنيان ما يتشبه بها العزابة ويشتهون به الآن، وإن كان الناس قد فسدوا، وفسد الزمان فهذا سبب قعود الحلقة المباركة"[3]. وقد أدى انتقال مؤسس نظام العزابة وتلامذته إلى تينيسلي إلى ازدهارها ثقافيا وعلميا، وكثرت على إثر ذلك مجالس التدريس وحلقات العلم، واستقطبت بذلك العلماء وطلبة العلم من كل حدب وصوب.

**2-4-أوغلانة[4]:**

بالإضافة إلى تلك القرى والمدن العلمية السالفة الذكر نذكر أيضا بلدة أوغلانة التي خصتها كتب بالسير والتراجم الأباضية بالإشارة إليها وبمساهمتها في الحركة الفكرية بأريغ من خلال شيوخها وعلمائها الكبار، منهم الشيخ فلفول بن يحي[5](حيا عام 430هـ/1038م)، وأبو اسحاق إبراهيم الواغلاني[6](ت508هـ/1114م) وصفه الشماخي بقوله: "كان ركنا من أركان أهل الدين، ومأوى

---

1- ينظر ترجمته في إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 142؛ تاديوس لفنسكي: المؤرخون الإباضيون بإفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص ص 73-74.

2- **تينيسلي**: هي إحدى قرى وادي ريغ. Lewicki(T): Etudes Maghrébines et Soudanises, Op.cit, t02, p 77.

3- الدرجيني: المصدر السابق، ج01، ص 170.

4- **أوغلانة**: أو وغلانة قرب مدينة جامعة، بولاية الوادي، لا تزال خرابها موجودة إلى الآن. الوسياني: المصدر السابق، ج01، ص 350.

5- **فلفول بن يحيى بن أبي عبد الله محمَّد ابن الخير**: كان شيخًا عالمًا ذكيًّا سخيًّا، عاصر أبا العبَّاس أحمد بن محمَّد بن بكر (ت: 504هـ / / 1110هـ). كان شديدا في الأمر والنهي، له حلقة للتعليم. ترك مأثورات وقصائد شعريَّة وحكما. ينظر في إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 343.

6- **إبراهيم بن مُحَمَّد ابن إبراهيم الوغلاني**: عالم من علماء اللغة، وفيه قال أبو زكرياء يحيى: «يستند إليه في اللغة كما يستند إلى السارية...».كانت داره مأوى للأخيار، ينقلون عنه علوم الدين وعلوم العربية، ولم تسعفنا كتب السير التي بين أيدينا بذكر تلاميذه. وافته المنية في أنْدَرَار. ينظر في إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 31.

وحصنا للأخيار"[1].

**3-أسوف:**

هي من المناطق التي عُرِفَتْ بانتمائها إلى الجماعات الأباضية، وكان أهلها سندا للعديد من الثورات الأباضية ضد الاضطهادات التي أحيكت ضدهم، وقد أشار أبو زكرياء يحي عندما تناول مسيرة أبي نوح بعد معركة باغاي بقوله: "..وسارا حتى وصلا أسوف، (وادي سوف) فخرج إليهما الناس يلتقونهم فرحين مسرورين بمقدمهما وهم يعلمون ما نزل به، فصاروا يناولون له، وكل بمقدرته، ويدفعون إليه الأموال من الحيوان والصامت وما تيسر لهم"[2].

تمثل أسوف همزة وصل بين الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط وحواضر المغرب الأدنى لموقعها بين عديد الحواضر الأباضية، حيث كانت سببا في تطور الحركة العلمية بها[3]، وتذكر المصادر الأباضية بزيارة العديد من علماء المذهب وشيوخه إليها، حيث كانوا طرفا في بث العلم بين أهلها وتبيان الصلاح لهم. ويعد الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل (القرن 4هـ/10م) أحد العلماء الذين كان لهم ارتباط بأسوف كما أشرنا سابقا، إضافة إلى ذلك فقد كانت حلقة أبو الربيع سليمان بن يخلف (ت471هـ/1078م) تضم العديد من طلبة أسوف الذين تتلمذوا على يده[4].

ومن علماء أسوف خلال القرن الخامس الهجري يذكرهم الشماخي باقتضاب شديد واكتفى بوصفهما بالخير والصلاح والتقوى هما الشيخان جلّداسن وابنه يدّر[5]. وقد صرح كل من الوسياني والشماخي بأن المرأة السوفية كانت من بين الفاعلين في الحركة الثقافية وساهمن في تنشيطها، ومن أشهرهن سارة اللواتية(القرن 5هـ/11م) حيث قالا: "وسارة إمرأة لواتية مسكنها سوف، صالحة عابدة"[6]. وأضاف وأضاف إبراهيم بحاز بأنها: "كانت تروي أشعاراً بالبربرية،...وكانت تأوي الشيوخ، وتزورهم طلباً للعلم وسؤالاً في أمور الدين"[7].

ومن أبرز علماء أسوف الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، اشتهرت هذه الشخصية بالمجادلة وعلم الكلام، كانت له جولات وصولات بين وارجلان وبلاد الجريد وطرابلس. قَدَمَهُ الدرجيني على أنه: "هو في أهل المذهب أحد الأعلام،

---

[1]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 630.

[2]- أبو زكرياء: المصدر السابق، (اسماعيل العربي)، ص 244.

[3]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 170.

[4]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 302؛ الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 638.

[5]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 739؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 171.

[6]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 760.

[7]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 166.

الكاشف بحسن بيانه ونور منطق لسانه دياجي الظلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المجاحش المدافع عن كلمة الإسلام، حتى أن له في مواطن اللين قراعا بلسان مخدام، وربما كان في محل هدنة فاشتعل الإضرام، ولم يعبأ بمن قال، كل مقال له مقام"[1].

كانت له حلقات علم تخرج على يده علماء أفاضل. وقد حاول بمنهجه في الحوار والإقناع إلى إعادة أهل الحامَّة ببلاد الجريد إلى المذهب، بعد أن تولَّوا عنه، لكنه لم يوفق وخسر المعركة، في هذا الصدد يروي لنا الشماخي الحادثة كما وقعت بقوله: "وقد سئل عن سبب انقراض المذهب من الحامة، قال: إنها لم تزل في الإدبار منذ عهد أبي القاسم وأبي خرز...ووضعوا سؤالا. فسألوه عنه، وهو: هل يجوز في مذهبكم نكاح نسائنا؟ فأجاب...وأكرهوا من بقي بالرجوع إلى مذهبهم[2]، وغسلوا المسجد الكبير من مساجد الوهبية، وزعموا أن ذلك تطهير له"[3].

وله من التأليف العديد من أبرزها كتاب السؤالات، الذي اختصه في العقيدة، ورسالة في الفرق فحواها ردوده فيها عن كل الفرق المخالفة للإباضية الوهبية، معتبرا إياها فرق ضالة خاصة منها النكارية والنفاثية والسكاكية والخلفية والفرثية وفرق الخوارج[4]. وصفه الشماخي بأنه: "كان إماما في العلوم، لاسيما في الكلام"[5]. وحسب علمنا مازال لم يحقق بعد.

**4-وادي ميزاب:**

انخرط وادي ميزاب في الحركة العلمية والثقافية منذ قدوم الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي وتلاميذه الكثيرين أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي إليه، ومع هجرة العديد من الجماعات الأباضية إليها من شتى أنحاء بلاد المغرب واعتناق بني مصعب للمذهب الأباضي، بدأ الاستقرار ببلاد الشبكة الذي توج ببناء ثلاث قرى أدت إلى ترك حياة البدو والترحال إلى حياة التحضر والاستقرار.

وفي هذا الصدد يقول علي يحي معمر: "ولم ينته هذا القرن(الخامس الهجري)/[الحادي عشر الميلادي] حتى تكونت ثلاث قرى كانت نواة الاستقرار للشعب المصعبي أو الميزابي، تلك القرى أو المدن

---

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص 483.

[2]- يبدو أن الذين أكرهوا أصحاب المذهب الإباضي من الوهبية إلى العودة إلى مذهبهم هم أصحاب المذهب المالكي الذي أصبح سائدا في تلك المنطقة.

[3]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 639.

[4]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 171.

[5]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص ص 638-639.

هي العَطَف وبدأت تتكون مع أول القرن الخامس، ثم بَنُّورَة وبدأت تتكون في العهد الرابع من نفس القرن، ثم غرداية وبدأت في العقد الثامن من نفس القرن"[1].

وقد صَرَّحَ صالح بن عمر أسماوي بأن: "أبو عبد الله مُحَمَّد اختار "تجنينت"[2] مقرا لدعوته ولتدريس طلبته، واتخذ بها مصلى، وبنى فيه مقاما تعقد فيه مجالس العلم، وتقام فيه حلقات تلاوة القرآن"[3]، وانطلقت بذلك النهضة العلمية والثقافية بميزاب من خلال توافد العلماء والشيوخ إليها. ومن الذين كان لهم اسهامات في تنشيط الحركة الثقافية بها نذكرهم فيما يلي:

**-لائحة العلماء والشيوخ بوادي ميزاب:**

بعد أن وضع أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر وتلاميذه البذرة الأولى في تنشيط الحركة الثقافية بوادي ميزاب، من خلال عقد حلقات العلم وجلسات للمذاكرة بالمؤسسات التعليمية المعروفة أنذاك على غرار المساجد، والغيران، ودور المشائخ، والحلقة، وحتى مجالس الإفتاء، كان نتاج ذلك كثرة طلبة العلم وازدياد أتباعهم، وبرز بذلك العديد من العلماء والشيوخ وهم كالتالي:

**-الشيخ بابه السعد الداوي(ت442هـ/1050م)[4]:**

من علماء ميزاب الأوائل أصله من زناتة، أخذ العلم بأريغ عن مؤسس نظام العزَّابة أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي[5]، ودرس عنده مبادئ هذا النظام. وصل إلى وادي ميزاب سنة 438هـ/1046م، فانتهج تعاليم شيخه وسار على دربه[6].

---

[1]- علي يحي معمر: المرجع السابق، ج04، ص 321.

[2]-**تجنينت**: تأسيسها كان حوالي 402هـ/ 1012م على قمة الجبل، ونجد مسجدها في المركز وحوله تنشأ المباني المتعددة الوظائف وعلى رأسها المساكن في تدرج مستمر متبعة تضاريس الأرضية المنحدرة للهضبة وصولا إلى التحصينات التي تحيط بالقصر على شكل سور دفاعي تخلله أبواب رئيسية وفرعية تعلوه أبراج المراقبة وبمحاذاة السور توجد ساحة السوق الذي يعتبر الفضاء الرئيسي للتبادلات التجارية. ينظر: **سلسلة قصور غرداية قصر العطف-تجنينت**، جمع وتنسيق: حمو علي حاج داود، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، غرداية، 2014، ص 04.

[3]- صالح بن عمر أسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب**، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2006، ط01، ص 371.

[4]- كتب إبراهيم بحاز بأن الشيخ بابه السعد الداوي اختلف في تاريخ وفاته اختلافا كبيرا فنجد 442 هـ / 1050م؛ ونجد 542هـ/ 1147م. ويصعب تحديد الصواب من الخطأ، ذلك لوجود ثلاث حوادث كانت مفصلا في حياته -أولاً: أنه أخذ العلم عن أبي عبد الله مُحَمَّد بن بكر (ت 440هـ/1048م)، وثانيا: ذكرت المصادر وفوده إلى ميزاب سنة 438 هـ / 1046م، وثالثا: أنه عاصر أعلام القرن السادس منهم: با عبد الرحمن الكرثي، وأبا جعفر مسعود. ينظر: إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 69.

[5]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع نفسه، ج02، ص 68.

[6]- صالح بن عمر إسماوي: المرجع السابق، ص ص 372-374؛ علال بن عمر: المرجع السابق، ص 175.

**-الشيخ أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي(ت 563هـ/1167م):**

من الشخصيات التي وفدت على وادي ميزاب الشيخ أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي الذي جاء من فساطو بجبل نفوسة سنة 470هـ/1078م. وفي سنة 475هـ/1084م طلب منه أهل العطف أن ينزل بينهم واعظا ومعلِّما، فمكث بينهم سنتين[1].

يبدو أن الشيخ أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي غادرها نحو غرداية أين سكنها وكان يتنقل بين المدن المجاورة لعرض تعاليم المذهب، ويعلم الطلبة فنون العلم[2]. كتب إبراهيم بحاز بأنه "وفي سنة 485هـ/1092م خلف الشيخ أوعيسى في المشيخة العلمية والاجتماعية والسياسية للبلدة(مليكة)"[3].

**-الشيخ إبراهيم بن مناد التاجنينتي(النصف الأول من القرن 6هـ/12م):**

تعتبر هذه الشخصية من تجنينت عاشت خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كان الشيخ إبراهيم بن مناد على الاعتزال ثم تحول إلى المذهب الأباضي وأصبح من نجباء الشيخ أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي.

وقد أصبح الشيخ إبراهيم بن مناد من رجال الدعوة، ويعود الفضل له إلى انتشار المذهب الأباضي في بادية بني مصعب، وفي هذا الصدد كتب صالح بن عمر إسماوي ما نصه: "كانت له مواقف معتبرة في الدعوة ودحض حجج الخصوم"[4].

**-الشيخ عبد الرحمن الكرثي المصعبي(النصف الأول من القرن 6هـ/12م):**

من علماء ميزاب في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ومن المعمِّرين الأوائل لها، كان ينشط في مليكة[5]، حتَّى صارت منارًا للعلم يقصدها الطلبة من جميع قرى وادي ميزاب[6]. كانت له مراسلات مع علماء وارجلان يستشيرهم في مسائل تخص الدين.

وقد أورد الدرجيني رسالة بعث بها الشيخ عبد الرحمن الكرثي إلى علماء وارجلان، يستفتيهم في مسائل العقيدة، كاليقين والقدر وأشراط الساعة، فأجابه عنها أبو عمَّار عبد الكافي التناوتي هذا نصها: "وذكر عيسى بن أحمد أن أبا عبد الرحمن الكرثي كتب إلى جماعة الشيوخ بوارجلان كتابا يسئلهم سؤال مسترشد قال: فلما ورد عليهم كتابه لم يروا نفوسهم أهلا لمجاوبته إلا أبا عمار، فجاوبه عن جميعها حسبما

---

[1]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 415.

[2]- علال بن عمر: المرجع السابق، ص 175.

[3]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 415.

[4]- صالح بن عمر إسماوي: المرجع السابق، ص 373.

[5]- **مليكة**: أسست عام 756هـ/1355م، سميت كذلك نسبة لقبيلة أمازيغية منتشرة في شرقي الجزائر مليكش. ينظر: يوسف بن بكير الحاج الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 18.

[6]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 246.

يفسر"[1]. وفيما حصرها الوسياني في خمس مسائل بقوله: "وذكر الشيخ عيسى بن حمدان أن الشيخ عبد الرحمن الكرثي المصعبي كتب إلى شيوخ وارجلان-رحمة الله عليهم- بخمس مسائل، فرد أبو عمار جوابها مع جملة الشيوخ"[2]. وقد صرح يوسف بن بكير الحاج سعيد بأن للشيخ الكرثي: "مسجد قبلة مقبرة مليكة، انعقدت فيه اجتماعات للهيئة العليا لوادي ميزاب"[3].

**-الشيخ عبد الله بن يحي(القرن 7هـ/13م):**

ومن الشخصيات التي كان لها حظ في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية الشيخ عبد الله بن يحي من علماء القرن (7هـ/13م)، وصفه يوسف بن بكير الحاج سعيد بأنه "قاوم الجهل بعزيمة وتخرج عنه علماء كثيرون"[4]. وجلس للوعظ والتدريس أينما حل، كان كثير التردد إلى أريغ بغية نشر العلم بين أهلها. ويروى أنه هَدَى له سكَّان العطف (تاجْنِينْتْ) بميزاب أرضًا بالقرب من المدينة حتى يتسنى له أن ينتفع بها فرفضها خشية أن تشغله عن الجهاد في سبيل العلم، وقال: "إنّي تصدَّقت بها على المسلمين ليتَّخذوها مقبرة"[5]، فكانت إلى الآن مقبرة عامَّة لأهل البلدة.

**5-توات:**

حظيت توات كغيرها من واحات المغرب الأوسط الصحراوية بحركة علمية وثقافية موازية للنشاط التجاري لها الذي برز للوجود بعد تحول الطريق الغربي من سجلماسة إليها، وأصبحت تمثل همزة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر الصحراء الكبرى.

وتشير المصادر بأن هذا النشاط الثقافي عرف ركود خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، نظرا لسوء الأوضاع السياسية والحروب والفتن التي سادت المنطقة على غرار ما يعرف بحرب يحمد وسفيان. واكتسحت البلاد فتن كثيرة حصدت الأخضر واليابس منها هجوم أهل أقبور على مدينة تمنطيط العام 620هـ/1232م[6]، وهجومات أخرى ولا يسعنا المقام لذكرها[7].

---

[1]- الدرجيني: المصدر السابق، ج02، ص ص 488-489.

[2]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 772.

[3]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 38.

[4]- يوسف بن بكير الحاج سعيد: نفس المرجع والصفحة.

[5]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 279.

[6]- زينب سالمي: **الحياة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: أ.د بودواية مبخوت، غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012، ص 23.

[7]- تعرضت توات إلى عدة هجومات خلال القرنين السابع والثامن الهجريين تعطلت على إثرها الحركة الثقافية بها، من بينها هجوم أهل واد الجنة من أرش أتشيت قصر المنصور وتاسمت وقصر مكيد سنة675هـ/1276م، وغارة جيش من عبدة على أهلها سنة 690هـ/1290م، وفي سنة 705هـ/1305م هاجم أولاد الطالب القادمون من وادي ريغ أهل تاورير.ينظر إلى: زينب سالمي:المرجع السابق، ص ص23-24.

وبالرغم من حالة اللاأمن التي عرفتها توات، إلا أن هناك شخصيات حافظت على أن تكون لها حضور علمي ثقافي بها سنذكرها لاحقا عند سردنا للائحة العلماء والشيوخ بتوات. وما إن حل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، بدأت الأوضاع تشهد نوعا من الانفراج والاستقرار السياسي والإزدهار التجاري وبالتالي انعكس ذلك على الواقع الثقافي الذي شهد هو الآخر نشاطا ملحوظا كان العلماء والشيوخ المحرك له إضافة إلى طلبة العلم.

عرفت توات على غرار المراكز الثقافية الأخرى عدة مؤسسات تعليمية كان لها الفضل في احتضان العلماء والشيوخ مع طلبتهم وتلقينهم مختلف العلوم الدينية والدنيوية. ومن بين هذه المؤسسات نذكر منها الكتاتيب، المساجد والجوامع، والزوايا.

**-الكتاتيب:**

يعود اتخاذ الكتاتيب كمؤسسة تعليمية ثقافية على عهد الرسول ﷺ[1]، والغرض من ذلك تحفيظ صغار المسلمين القرآن الكريم وتعليمهم القراءة والكتابة ومتون الشعر وأنظمته وقواعد النحو واللغة بالإضافة للحديث النبوي الشريف. وهي تعتبر بمثابة التعليم الابتدائي. لقد كَرَّهَ كثير من علماء المسلمين وجود الصبيان بالمساجد "لما في ذلك من كثرة التشويش على المصلين، وعلى حلقات الدرس لما يحدثه الصبية أيضا من العبث بحوائط المسجد وبنائه. وهو المكان المقدس الذي تتلى فيه آيات الذكر الحكيم"[2]، ما أدى بالفقهاء إلى تخصيص مكان بجوار المسجد يستخدم لتعليم الأطفال وهو ما يعرف بالكتاتيب.

وفي إشارة له كتب المالكي في رياض النفوس ما نصه: "كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان، فيسلم علينا، ونحن في الكتاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"[3]. من خلال النص المشار أعلاه يتبين لنا مدى قدم مؤسسة الكتاب في بلاد المغرب التي كما يبدو كان تواجدها بالموازاة مع تواجد المساجد والتي كانت حاضرة خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

إن تواجد الكُتَّاب بتوات بحسب تصريح مارتان في مصنفه، حيث تمكن هذا الأخير من معاينة مسجد في تمنطيط مكتوب على محرابه سنة تشييده بقوله: "في تمنطيط، عند أولاد ميمون، مسجد في محرابه يحمل تاريخ 106هـ/725م"[4]. وهذا ما يجعلنا أن نقول بأن مؤسسة الكتاب بتوات كان لها حضور

---

[1]- بشير رمضان التليسي: **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2003، ط01، ص 365.

[2]- يوسف بن عبد الهادي: **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، المعهد الافرنسي بدمشق، بيروت، 1994، ص 171.

[3]- أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، تح: البشير بكوش، مر: العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، 1994، ط02، ج01، ص 91.

[4]-Martin(A-G-P): Quatre siècles, Op.cit, p 108.

بالموازاة مع تشييد المسجد المتواجد بتمنطيط عام 106هـ/725م أي أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

وكان اعتماد المشائخ في تلقين رواد الكتاتيب على قراءة القرآن الكريم وتحفيظه حيث أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "فأمّا أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرّسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر"[1].

**-المساجد:**

يعتبر المسجد من أكثر المؤسسات التعليمية والعلمية شأنا عند المسلمين، حيث يعقد به حلقات الدرس منذ إنشائه، فقد كان الطلاب يتحلقون في المساجد حول العلماء، ويستمعون إلى ما يلقيه هؤلاء من علوم وآداب، وقد لا نبالغ إذا "اعتبرناه مدرسة ثانوية، وجامعة بمفهومنا اليوم"[2].

كانت مساجد توات من أهم المراكز الثقافية التي كان لها نشاط علمي وثقافي بالمنطقة، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الكتاتيب أين يتلقى طلاب العلم مختلف العلوم كالقراءات والتفسير والفقه والحديث، بالإضافة إلى علوم اللسان والفلك[3]. وينخرط طالب العلم في الدراسة بالمساجد لفترة طويلة، وبرغبة منه يكون اختياره لشيوخه وحلقات الدروس وأنواع المعارف والمصنفات التي يدرسها متنقلا من حلقة إلى أخرى.

**-الزوايا:**

صرح ابن مرزوق في مسنده بأن: "الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين واطعام المحتاج من القاصدين"[4]، بدأت بالظهور خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي لها فضل كبير في انعاش الحركة الثقافية والتوعية الدينية خصوصا بالبوادي والمناطق البعيدة عن العواصم[5].

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج01، ص 740.

[2]- بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص 386.

[3]- ابراهيم حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م**، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 2000، ج01، ص 23.

[4]- محمّد ابن مرزوق التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 413.

[5]- إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج01، ص 24.

وقد ارتبط وجود الزوايا بتوات بادئ الأمر كمكان لإطعام الضيوف وعابري السبيل، نظرا لوقوعها في صحراء قاحلة وممرا للقوافل التجارية. ويمكن تمييز نوعين من الزوايا:

**أ-زوايا مخصصة للإطعام:**

نظرا لانتشار القصور بتوات وبعد المسافات فيما بينها، وازدهار التجارة ومرور القوافل الحجيج بها من جهة، ومن جهة أخرى عدم توفر الفنادق والمطاعم والحمامات، انخرطت الزاويا في استقبال عابري السبيل والضيوف قصد التكفل بهم.

وقد أفادنا أحمد الطاهري الإدريسي ما نصه: "...والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كان في القصر زاوية...، يقصد دار الزاوية، فيجد فيها كل ما يحتاج إليه، حتى علف الدواب...، وإن لم تكن، فإن أهل القصر لهم عادة، ونوبة لكل واحد منهم، ولا يختلف هذا النظام، ولو أقام الضيف مدة طويلة..."[1].

**ب- زوايا العلم:**

شكلت هذه الزوايا مركزا للإشعاع العلمي والثقافي، يقصدها طلبة العلم والشيوخ من كل حدب وصوب قصد الاستزادة وتلقي مختلف العلوم. ومن الزوايا العامرة بالنشاط الثقافي والعلمي والتي استقطبت طلبة العلم والشيوخ والعلماء وكان لها دور فعال في تنشيط الحركة الثقافية بتوات نذكر من بينهم:

**-زاوية أولاد أوشن:**

تأسست هذه الزاوية على يد العالم الجليل مولاي سليمان بن علي[2] عام 593هـ/1196م، أين باشر تلقينه وتعليمه للطلبة الوافدين عليه قبل تأسيس زاويته بداية من العام 583هـ/1186م. ومن بين المقررات التي انتهجتها هاته الزاوية تعليم القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والفقه، بالإضافة إلى إطعام الطعام، وإيواء الضيوف. كما احتوت الزاوية على مكتبة تنوعت عناوينها، وتعددت محتوياتها، فكان فيها

---

[1]- مبارك جعفري: **"الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12هـ/18م"**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، العدد 15، 2011، ص 402؛ وتعتبر زاوية سيدي عبد الله بن طمطم بمنطقة اوقرت بتوات التي ذكرها العياشي خلال القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد في رحلته وصفا صاحبها بقوله: "...وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا، وأنه من أهل العلم الخير والدين، يطعم الواردين عليه، في بلاد كاد الطعام أن يكون فيها دواء". ينظر: العياشي: المصدر السابق، ج01، 80.

[2]- **مولاي سليمان بن علي**: ولد حوالي عام 549هـ/1154م ينتسب إلى أهل بيت الرسول ﷺ، كان من تلامذة الشيخ سيدي علي بن حرزهم دفين فاس النجباء. حل بتوات 580هـ/1185م وتجول بين قراها أين استقر بقرية أولاد عمور بتيمي عام 593هـ/1197م، وبنى زاويته. انتقل إلى جوار ربه عام 670هـ/ 1271م. ينظر: إدريس بن خويا وفاطمة برماتي: **"خزانة الشيخ سيدي سليمان بن علي بأدرار ودورها في الحفاظ على المخطوطات"**، مجلة الذاكرة، أدرار، العدد 04، 2014، ص ص 47-48.

العديد من الكتب الفقهية والنحوية، وعلوم اللغة، وعلوم القرآن، والرحلات، والسير والتراجم، وحتى الطب والحساب، وعلم الفلك[1].

وتعتبر زاوية أولاد أوشن مقرا للعلم والتعليم ومكان للعبادة والتصوف ومقصدا لقوافل الحجيج أين تنزل عندها القوافل بقصد الاستراحة من عناء الطريق ثم مواصلة المسير نحو البقاع المقدسة.

**-زاوية أبي يحي مُحَمَّد بن مُحَمَّد المنياري:**

تأسست هذه الزاوية أوائل القرن 9هـ/15م بتمنطيط، أين حل الشيخ أبو يحي بن مُحَمَّد المنياري عام 815هـ/1412م واستقر بها، قادما إليها من أرض التلول من المغرب[2]، وفي هذا الصدد صرح صاحب درة الأقلام بقوله: "وفي عام 815هـ[/1412م] جاء من المغرب العلامة سيدي أبو يحي بن مُحَمَّد قاضي على توات،...فنزل ببلاد تمنطيط وهو الذي جاء لتوات بمقادير المكاييل والموازين، وضبط قوانين الشرع وسار فيها سيرة العدل..."[3].

عُرِفَتْ هذه الزاوية بنشاطها الثقافي والعلمي حيث توغلت إلى بلاد السودان وباشرت في نشر الإسلام والإصلاح بين القبائل السودانية في الجنوب، وكان استغلالها لتجارة القوافل لنشر تعاليمها وأفكارها بين سكان توات وغيرهم[4].

**-زاوية أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي:**

تعتبر زاوية أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي من الزوايا العامرة بإقامة الدروس وتحفيظ القرآن الكريم، نزل صاحبها إلى توات قادما إليها من مسقط رأسه تلمسان عام 884هـ/1479م، أين استقر عند قبيلة أولاد يعقوب بتمنطيط، ثم رحل عنها نحو قبيلة أبو علي ليؤسس بها زاوية حملت اسمه[5].

بدأت نشاطها العلمي والثقافي عقب تأسيسها عام 885هـ/1480م بتوافد واستقبالها لطلبة العلم من جميع الأقطار والجهات. حيث كان لها دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار، والاهتمام بتلقين دروس في اللغة العربية ونشر الثقافة العربية الإسلامية، ونشر الإسلام بين المواطن والأقطار البعيدة عبر الأقاليم الصحراوية والممالك السودانية الوثنية[6].

---

[1]- إدريس بن خويا وفاطمة برماتي: المرجع السابق، ص 52.

[2]- عبد الله حمادي الادريسي: المرجع السابق ج01، ص 371.

[3]- عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع نفسه، ج01، ص ص 371-372.

[4]- زينب سالمي: المرجع السابق، ص 58.

[5]-Martin (A-G-P): Les oasis sahariennes, Op.cit, p 124.

[6]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص 261.

وقد كان لمؤسسها مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي دورا فعالا أقرته بذلك المصادر بمساهمته إلى حد كبير في إرشاد حكام الممالك السودانية في كيفية إدارة الحكم وإصلاح حال الرعية، ونشر العدل والمساواة بين أفراد المجتمع السوداني[1].

**- لائحة العلماء والشيوخ بتوات:**

عرفت توات نهضة فكرية وعلمية منذ القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، برز خلالها العديد من العلماء والفقهاء والمفتون، تعدى صيتهم ربوعها إلى مختلف حواضر المغرب الاسلامي والسودان الغربي، وتطور منهج تدريس العلوم بها من التلقين والتلقي إلى النقاش والبحث، وانكب كثير من الطلبة على دراسة مختلف العلوم كالمنطق، وعلم الكلام، والطب،...وغيرها من العلوم.

وقد رغب العديد من العلماء أن يتخذها دار هجرة، وكانت وجهة للعديد منهم، وقد صرح بذلك صاحب درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام بخصوص توات ما نصه: "أضعف بلاد المغرب قاطبة. غالب أهله ضعفاء مستضعفون ولقلة ضعف أهله، وهضم قوة النفوس، كثر فيه الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"[2]. وفيما يلي نرصد لائحة بأسماء العلماء الذين كان لهم دور ثقافي وعلمي بتوات.

**- الشيخ مولاي سليمان الإدريسي(ت670هـ/1271م):**

من علماء القرن السابع للهجرة، ولد حوالي عام 549هـ/1154م، وتعلم على يد العديد من الفقهاء، من بينهم الشيخ علي بن حرزهم[3]، الذي أمره بشد الرحال إلى توات. وعزم مولاي سليمان تنفيذ وصية شيخه وتوجه نحو توات أين وصلها عام 580هـ/1184م فنزل بتيليلان، ثم انتقل إلى أولاد عيسى فسكن بها مدة من الزمن، ثم ارتحل نحو قرية أوشن أين أسس بها زاويته.

قام الشيخ مولاي سليمان بتأسيس زاويته عام 593هـ/1197م، التي أصبحت تمثل منارة للعلم وقبلة لطلبته، ومما زاد من أهميتها "احتوائها على مكتبة تنوعت عناوينها، وتعددت محتوياتها فكان فيها العديد من الكتب الفقهية والنحوية، وغير ذلك من الطب والفلك والحساب"[4].

---

[1]- مبخوت بودواية: المرجع السابق، ص 262.

[2]- أحمد أبا الصافي جعفري: **الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية 13هـ**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ط01، ج01، ص 30.

[3]- **علي بن حرزهم**: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم الفاسي: من ولد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ الشيخ الفقيه المحدث الحافظ الفاضل المحقق العالم العامل أخذ عن عمه أبي محمَّد صالح وابن العربي وغيرهما وعنه أبو الحسن بن خيار وأبو محمَّد التادلي وأبو إسحاق المعروف بابن المرأة وأبو الصبر أيوب الفهري وأبو يعزى يلنور وأبو مدين الغوث وانتفعوا به، توفي في شعبان سنة 559 هـ ينظر إلى: محمد بن مُحَمَّد بن عمر قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج01، ص 234.

[4]- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 96.

**-الشيخ عيسى بن مُحَمَّد البطوي (ت بعد 714هـ/1314م):**

يعتبر من الشخصيات التي حلت بتوات عام 714هـ/1314م، ونزل بتمنطيط بحي أولاد أمُحَمَّد[1]. عرف بسيرته المحمودة، وأخلاقه المشهودة، وإقامة العدل والإنصاف بين الناس، فذاع صيته بين البلدان والأقطار، وانتشر خبر علمه بين الناس، فولي منصب قاضي الجماعة.

قام بتشييد مسجدا جامعا كانت له صومعة كبيرة[2] بحي أولاد أمُحَمَّد بتمنطيط، أين أصبح هذا الصرح الديني منارة للعلم وقبلة لطلبته لمن أراد الفقه واكتساب مختلف العلوم.

**-الشيخ أبو يحي بن مُحَمَّد المنياري (ت 840هـ/1436م):**

هو الرجل الفقيه الصالح، والعالم النابغة، أبو يحي بن مُحَمَّد المنياري ينتسب إلى قبيلة "بني منيار" المعروفة بأرض التلول، توجد حاليا ضواحي مدينة سعيدة[3]. نزل الشيخ عام 815هـ/1412م بتمنطيط وولي القضاء بها. وعن نشاطه العلمي فلم تسعفنا المصادر إلى ذلك.

وصفه صاحب التقييد في تاريخ توات بقوله: "وفي سنة خمسة عشر وثمانمائة بعث سلطان المغرب للشيخ سيدي أبي يحي بن مُحَمَّد قاضيا على توات،... ونزل ببلد تمنطيط، وتوطن بها، وهو الذي جاء إلى توات بمقادير المكاييل والموازين، وضبط قوانين الشرع"[4].

**-الشيخ يحي بن يدير بن عتيق التدلسي(ت 877هـ/1472م):**

أصله من مدينة تدلس[5] التي تقع بالواجهة البحرية للمغرب الأوسط، ولد بها وتعلم القرآن الكريم، ثم انتقل إلى تلمسان أين أخذ على علمائها العلوم الدينية[6]. ثم بعدها توجه إلى توات عام 845هـ/1441م، وفي هذا الصدد نقرأ عند صاحب كتاب درة الأقلام ما نصه: "وفي عام 845هـ[/1441م] جاء سيدي يحي بن يدير بن عتيق التدلسي وتقضى على توات"[7].

---

[1]- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 79.

[2]- رابح خدوسي وآخرون: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، ج01، ص 322.

[3]- محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص 352.

[4]- عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ج01، ص ص 372-373.

[5]- **تدلس**: مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطىء البحر المتوسط. تحيط بها أسوار قديمة متينة. وجل سكانها صباغون لوجود عدد من العيون والجداول بها. وهؤلاء السكان ذوو بشاشة ومرح، يحسنون تقريبا كلهم العزف على العود و القيتار. يملكون أراضي زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة، ويرتدون لباسا حسنا كلباس الحضريين الجزائريين. وقد تعودوا جميعا اصطياد السمك بالشباك، فيحصلون على كمية وافرة منه لا تباع ولا تشترى، وإنما يهدونه لم يرغب فيه. وتتبع دلس دائما عاصمة الجزائر في كل شيء، حكومة وإدارة. الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 42.

[6]- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ط02، ص 62.

[7]- عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ج01، ص 382.

بعد أن حل بتوات تصدر الشيخ مجالس الإقراء وتلقين الطلبة مختلف العلوم، "فأثروا بها الحركة العلمية، وقيدوا فيها العديد من المسائل والنوازل، وأفادوا الطلبة والعلماء، بما حازوه من الفضل والوجاهة"[1]. وقد تخرج على يده العديد من الطلبة منهم الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، الذي التقى به بتمنطيط وأخذ عنه بعد قدوم الشيخ بن عبد الكريم المغيلي إليها.

**-الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909هـ/1503م):**

هو الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي نسبة إلى قرية مغيلة بتلمسان، ذكره ابن القاضي أنه من مواليد 820هـ/1417م[2]، فيما أشار مبروك مقدم أن المغيلي ولد عام 831هـ/1427م[3]، حيث استند إلى ذلك من خلال مطابقة لمراسلاته وتنقلاته في إفريقيا الغربية[4].

نشأ مُحَمَّد بن الكريم في بيت علم وشرف، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب(ت875هـ/1470م)[5]، وأخذ عليه بعض أمهات الكتب الفقهية المالكية[6]. وبعدها واصل المغيلي تحصيله العلمي ليتصل بالشيخ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي(ت875هـ أو 876هـ/1470م أو 1471م)[7]، أين أخذ عنه تفسير القرآن الكريم والتصوف والقراءات.

استمر المغيلي في التحصيل العلمي ليسافر إلى بجاية حيث أخذ عن علمائها وشيوخها علوم التفسير والحديث، وفي مدينة فاس اتصل بشيخ الجماعة الإمام ابن غازي[8] وأخذ عنه. وبعد فاس اتجه المغيلي نحو

---

[1]- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 96.

[2]- ابن القاضي: **درة الحجال في اسماء الرجال**، تح: مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.ن، ج02، ص 285.

[3]- مبروك مقدم: **الإمام مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص 27.

[4]- عبد الرحمن بعثمان: حملة المغيلي على يهود توات وأثرها على الواقع الحربي في المنطقة، المرجع السابق، ص 128.

[5]- **مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى المغيلي**: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني الشهير بالجلاب، أحد فقهاء تلمسان تلمسان الحافظين لمسائل الفقه، نقل عنه المازوني والونشريسي في نوازلهما. توفي عام 875هـ. ينظر إلى: ابن مريم التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: مُحَمَّد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 236.

[6]- من بين أمهات الكتب الفقهية المالكية نذكر: الرسالة، ومختصر خليل، وابن الحاجب، وبعض كتب بن يونس. ينظر إلى: مُحَمَّد مقدم: المرجع السابق، ص 27.

[7]- **عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي**: هو عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي الْمَالِكِي. مِمَّن أَخذ عَن أبي الْقسم العبدوسي العبدوسي وحفيد ابْن مَرْزُوق والبرزلي والغبريني، وَحج وَأخذ عَن الْوَلِيّ الْعِرَاقِيّ، وَكَانَ إِمَامًا عَلامَة مصنفا اختصر تَفْسِير ابْن عَطِيَّة فِي جزءين وَشرح ابْن الْحَاجِب الفرعي فِي جزءين وَعمل فِي الْوَعْظ وَالرَّقَائِق وَغير ذَلِك وَمَات فِي سنة سِتّ وَسبعين أَو فِي أَوَاخِر الَّتِي قبلهَا عَن نَحْو تسعين سنة رَحمَه الله. أَفَادَهُ لي بعض الْفُضَلَاء من أَصْحَابنَا المغاربة. ينظر إلى: شمس الدين السخاوي: المصدر السابق، ج04، ص 152.

[8]- **ابن غازي**: هو مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن غازي العثماني المالكي، المكنى بأبي عبد الله، ولد بمكناس عام 841هـ له مصنفات: منها الفهرسة، وشفاء الغليل في حل مقفل خليل، وتحرير المقالة في نظائر الرسالة، والكليات الفقهية، كانت وفاته بفاس ودفن بها عام 919هـ. ينظر إلى: أحمد بابا التمبكتي: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة= =الاسلامية، طرابلس، 1989، ج02، ص ص 581-583.

نحو توات أين وصلها عام 865هـ/1460م، وأخذ على الشيخ يحي بن يدير ما كان يجهله من علم الفقه، وقد صرح بذلك بقوله: "حللنا بتوات فوجدناها دار علم وتقى فانتفعوا بنا وانتفعنا بهم"[1].

ذكر ابن عسكر في دوحة الناشر أن المغيلي اختلف مع السلطان الوطاسي ابن أبي زكرياء بفاس بخصوص مسألة اليهود ومضرتهم للدين وسيطرتهم على دواليب الحكم ومناحي الحياة، قرر حينها العودة مرة ثانية إلى توات والاستقرار بها بقوله: "ثم خرج عنه ولم يعد إليه، ثم هاجر إلى الصحراء وعاهد الله تعالى أن لا يلقي سلطان أبدا، فاستقر ببلاد توات من الصحراء ونشر العلم هناك، وبلغت دعوته إلى بلاد السودان"[2]. ونظرا لمكانته العلمية التي عرف بها تصدر المغيلي للتعليم بأولاد سعيد، وبنى مسجدا في قصر قصر أولاد هارون ومصلى العيدين بقصر أولاد موسى[3]، أين تخرج على يده العديد من طلبة العلم منهم الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي مُحَمَّد التازختي (ت936هـ/1529م)، والشيخ عمر بن أحمد البكاي الكنتي (ت959هـ/1552م)، والشيخ مُحَمَّد بن عبد الجبار الفجيجي (ت 954هـ/1547م).

وقد صنف عبد الحميد بكري آثار المغيلي الفكرية وهي كالتالي: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ورسالة إلى كل مسلم ومسلمة، والرد على المعتزلة للمغيلي، والمفروض في علم العروض، ومنح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، وتفسير سورة الفاتحة"[4].

**-الشيخ عبد الله العصنوني(ت 927هـ/1520م):**

تعتبر عائلة العصنوني من أهم البيوتات العلمية التي ساهمت بشكل كبير في إثراء الحركة الثقافية والعلمية بتوات من خلال نشر الثقافة الاسلامية بها وخارجها حيث وصلت إلى بلاد السودان[5]. ومن بين بين أبنائها الشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني التلمساني المولد، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه بتلمسان وتدرج كغيره من طلبة العلم حيث أشار ابن القاضي في درة الحجال ما نصه: "أخذ عن أبي العباس أحمد بن زكرياء المغراوى، وعن جماعة من العقبانيين بتلمسان، وعن جماعة من أهل بجاية"[6].

حل الشيخ عبد الله العصنوني بتوات عام 863هـ/1458م، وانخرط في مجالس الشيخ يحي بن يدير بن عتيق التدلسي، وأصبح من طلبته، وبوفاة شيخه يحي تولى قضاء توات 877هـ/1472م[7]. وقد تخرج

---

[1]- أحمد بابا التمبكتي: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ج02، ص 234.

[2]- مُحَمَّد بن عسكر الحسني الشيفشاوني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح: مُحَمَّد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 131.

[3]- عبد الرحمن بعثمان: حملة المغيلي على يهود توات وأثرها على الواقع الحرفي في المنطقة، المرجع السابق، ص 129.

[4]- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 102.

[5]- عبد الحميد بكري: المرجع نفسه، ص ص 98-99.

[6]- ابن القاضي: المصدر السابق، ج03، ص 55.

[7]- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 98.

تخرج على يده العديد من طلبة العلم من بينهم ابن أخيه الشيخ سالم بن مُحَمَّد بن أبي بكر العصنوني[1]، والشيخ أحمد الونشريسي. وقد خالف القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي في مسألة هدم كنائس اليهود بتوات، ورأى بأن لا تهدم[2]. التحق بالرفيق الأعلى عام 927هـ/1520م.

**6-بلاد الزاب:**

عرفت بلاد الزاب حركة ثقافية علمية نشطة نظرا لموقعها الجغرافي الذي يقع في ملتقى القوافل التجارية وأحدى أهم المحطات الرئيسية لها وطريق الحج، التي تربط بين شمال وشرق الصحراء وجنوبها أي بلاد السودان، "فيها تجتمع الرفاق، ومنها تخرج إلى جميع البلاد"[3].

ومن العوامل التي ساعدت أيضا في تفعيل الحركة الثقافية بالمنطقة تشجيع أولي الأمر للعلماء، واستفادة أهلها من أعلام بلاد المغرب الذين ينزلون بها. إضافة إلى ما أشرنا إليه فقد حظيت المنطقة بالعديد من المؤسسات التعليمية التي ساعدت في انتشار العلوم الشرعية ومختلف العلوم الأخرى بين عامة الناس، وبرزت نخبة من العلماء والشيوخ كان لهم تأثير وصدى في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وسوف نأتي في سردهم بعد تسليط الضوء على المؤسسات الثقافية الموجودة ببلاد الزاب.

وأثناء مروره ببسكرة صورها لنا البكري بأنها: "مدينة كبيرة...وبها جامع ومساجد كثيرة"[4]. إن تصريح البكري يبين لنا مدى بلوغ الحركة الثقافية والعلمية ببسكرة أوجها من خلال تواجد الجامع الذي يمثل في عهدنا هذا مؤسسة الجامعة، والذي يدرس به النخبة من طلبة العلم مختلف العلوم، إضافة إلى ذلك فإن كثرة المساجد دليل واضح على الإقبال الكثيف لطلبة العلم، وفي هذا الصدد يشير البكري إلى ذلك بقوله: "وببسكرة علم كثير وأهلها على مذهب أهل المدينة"[5]. فيما لم يشير البكري إلى تواجد الكتاتيب، الكتاتيب، وفي اعتقادنا فإن تواجد الكتاتيب يكون مرفوقًا بتواجد المساجد، لأنه يعتبر المرحلة الابتدائية في نظام التعليم وبالتالي لابد من تواجده بجوار المسجد.

وأما تهودة وهي إحدى قرى بسكرة أشار البكري إلى تواجد "جامع جليل ومساجد كثيرة"[6]، وأن أهلها "على مذاهب أهل العراق"[1]. هذا ما صرحت به المصادر بخصوص المؤسسات التعليمية التي

---

[1]- ابن القاضي: المصدر السابق، ج03، ص 313.

[2]- الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: مُحَمَّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، 1981،ج01، ص 239.

[3]- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 175.

[4]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 230.

[5]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 255.

تواجدت بمدن بلاد الزاب، حيث يرجع لها الفضل في تكوين نخبة من العلماء كان لهم شأن في تنشيط الحركة الثقافية بالبلاد أو خارجها. وفيما يلي نأتي على سرد لائحة العلماء والشيوخ ببلاد الزاب.

**-لائحة العلماء والشيوخ ببلاد الزاب:**

عرفت بلاد الزاب كغيرها من مدن الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط العديد من العلماء والمشائخ الذين اشتهروا وبرزوا في تنشيط الحركة الثقافية وعاشوا بالمنطقة سواء كانوا من أصيلي المنطقة أو من الذين استقروا بها لمدة معينة من الزمن. وإليكم لائحة بأسماء هؤلاء العلماء.

**- أحمد بن مكي بن أحمد بن قمود البسكري، أبو العباس (حيا 516هـ/حيا 1223م):**

من الشخصيات البارزة من أهل بسكرة، يبدو أنه ولد أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، تعلم ببلدته القرآن الكريم على يد شيوخها. وبعد ذلك أراد الاستزادة وطلب العلم فتوجه نحو مصر التي دخلها عام 516هـ/1223م[2]، درس بها حتى أصبح فقيهًا مشاركًا في بعض العلوم[3].

**- البسكري أبو الفضل(ت 568هـ/1172م):**

من مواليد عام 496هـ/1103م ببسكرة، تعلم القرآن الكريم واللغة العربية وبعض المتون. اتصل بعدها بالشيخ أبو الفضل النحوي التوزري (ت 513هـ/1119م) وكان من بين طلبته النجباء، وقد صرح الورتلاني بذلك بقوله: "أبو الفضل هذا هو تلميذ أبي الفضل النحوي"[4]. وصفه أحمد البختري بأنه: "شيخ العلماء الأستاذ البسكري المشهور بالزهد والعبادة"[5].

تخرج على يده العديد من طلبة العلم نذكر من بينهم أبو علي حسن النفطي[6](ت610هـ/1213م)، وأبو عبد الله البسكري. توفي عام 568هـ/1172م ودفن بقداشة ببسكرة.

**- أبو مُحَمَّد عبد الله البسكري (ت أوائل القرن 9هـ/15م):**

هو عبد الله أبو مُحَمَّد بن عمر بن موسى البسكري، من مواليد القرن الثامن الهجري، عالم فقيه مالكي صوفي، شاعر وأديب. رحل إلى المشرق وحج، واستقر بالمدينة المنورة[7]. أين اتصل بالحافظ المحدث المؤرخ

---

[1]- البكري: نفس المصدر والصفحة.

[2]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 42.

[3]- رابح خدوسي وآخرون: المرجع السابق، ج01، ص ص 316-317.

[4]- الحسين بن مُحَمَّد الوارتلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تح: مُحَمَّد ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص 91.

[5]- رابح خدوسي وآخرون: المرجع السابق، ج01، ص 315.

[6]- ينظر ترجمته إلى: التادلي: المصدر السابق، ص 294.

[7]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 43.

عبد الله بن مُحَمَّد المطري[1](ت765هـ/1363م) وأخذ عنه ولازمه. ذكر ابن سحنون الراشدي في كتابه الأزهار الشقيقة بأن: "البسكري معاصر لإبراهيم بن علي بن فرحون[2](ت 799هـ/1396م) مؤلف كتاب الديباج المذهب"[3].

**-عبد الله بن إبراهيم البسكري (ت829هـ/1425م):**

من كبار المقرئين، ومن فضلاء فقهاء المالكية، صوفي، ولد في بسكرة وبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى المشرق[4]، حيث استقر ببيت المقدس، أين تولى مشيخة دار القرآن المسماة "المدرسة السلامية"[5]. قال عنه السخاوي في الضوء اللامع ما نصه: "كَانَ يقرئ النَّاس فِيهَا على قَاعِدَة إِبْرَاهِيم الْأَمَوِي الصُّوفِي فَانْتَفع بِهِ خلق وَكَانَ يعرف الْقرَاءَات وَغَيرهَا ويستحضر كثيرا من الْمُدَوَّنَة"[6]. توفي عام 829هـ/1426م بعدما قارب التسعين أو جازها[7].

**-عيسى بن سلامة البسكري (ت 860هـ/1456م):**

هو عيسى أبو مهدي بن سلامة بن عيسى البسكري، عالم، فقيه صوفي، مؤرخ ومؤلف[8]. نشأ وتعلم بمسقط رأسه القرآن الكريم، تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي[9](ت875هـ/1470م) أين اتصل به في جزائر بني مزغنى. وانتقل فيما بعد إلى تلمسان وأخذ عن الشيخ ابن مرزوق الحفيد[10](ت 842هـ/1438م)، ثم رحل إلى تونس وأخذ عن أبو الحسن علي القلصادي[11](ت 891هـ/1487م)، والشيخ مُحَمَّد بن عقاب التونسي[12](ت851هـ/1447م).

رجع الشيخ عيسى بن سلامة إلى مسقط رأسه، وجلس للتدريس وتخرج علي يده العديد من طلبة العلم، ولكن لم تفدنا المصادر بأسمائهم. توفي عام 860هـ/1456م. من مؤلفاته "اللوامع والأسرار في

---

[1]- ينظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح: مُحَمَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1972، ط02، ج03، ص ص 65-66.

[2]- ينظر ترجمته: ابن القاضي: درة الحجال في ذكر أسماء الرجال، المصدر السابق، ج01، ص ص 182-183.

[3]- رابح خدوسي وآخرون: المرجع السابق، ج01، ص ص 317-318.

[4]- عبد القادر بوباية: **"الحركة العلمية في منطقة الزاب على عهد بني مزني"**، المجلة الخلدونية، بسكرة، العدد 09، 2011، ص 94.

[5]- **المدرسة السلامية**: نسبة إلى الخواجا مجد الدين السلامي من كبار التجار في عهد الناصر بن قلاوون الذي أوقفها بعد السبعمائة للهجرة 1300م. ينظر إلى: أحمد سامح الخالدي: **المعاهد المصرية في بيت المقدس**، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، 2014، ص 08.

[6]- السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المصدر السابق، ج05، ص 04.

[7]- السخاوي: المصدر السابق، ج05، ص 04؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 42.

[8]- رابح خدوسي وآخرون: المرجع السابق، ج01، ص 319.

[9]- ينظر ترجمته: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص ص 90-91.

[10]- ينظر ترجمته: السخاوي: المصدر السابق، ج07، ص 50.

[11]- ينظر ترجمته: الزركلي: المرجع السابق، ج 05، ص 10.

[12]- ينظر ترجمته: التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق، ص ص 527-528.

منافع القرآن والأخبار" ، "فتح المغرب"، "رسالة في التصوف"، "حزب الحفظ والسلامة في الحياة الدنيا ويوم القيامة"[1].

**-أبو علي الفزاري البسكري (ت 822هـ/1419م):**

يعد من بين الشخصيات التي برزت في بلاد الزاب ينتمي إلى أسرة كريمة هي منتهى رئاسة الزاب ومعقد آماله إذ كانت إمارة بسكرة وأرض الحضنة بيدها منذ تولاها جده الفضل بن علي[2]. اسمه ناصر بن أحمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن أحمد بن حسن بن عبد المعطي بن الحسين بن علي بن المزني، أبو زيان، ويكنى بأبي الفزاري البسكري.

ولد أبو علي الفزاري عام 781هـ/1379م بمسقط رأسه بسكرة أين حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية، ارتحل إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة، فأخذ القراءات عن أبي الحسن علي بن عبد الرحمن التوزري، والفقه عن أبي فارس عبد العزيز بن يحي الغساني البرجي، ومُحَمَّد بن علي بن إبراهيم الخطيب(ت820هـ/1417)[3]، وأبي عبد الله بن عرفة[4](ت803هـ/1400م)، وعيسى بن أحمد الغبريني[5](ت809هـ/1406م) ، وسمع عليه الصحيح[6].

انتقل إلى المشرق عام 803هـ/1400م، فحج فيها، ثم نزل بالقاهرة والتقى بعبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ/1406م)، وبالمدرسة الشيخونية[7] سمع صحيح البخاري على تقي الدين الدجوي[8](ت809هـ/1406م)، ولازم ابن حجر العسقلاني[9](ت852هـ/1448م) مدة طويلة[10]. طويلة[10]. توفي عام 823هـ/1420م بالقاهرة ودفن بها.

---

[1]- رابح خدوسي وآخرون: المرجع السابق، ج01، ص 319.

[2]- عبد الرحمن الجيلاني: **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ج02، ص 93.

[3]- ينظر ترجمته: السخاوي: المصدر السابق، ج 08، ص 223؛ الزركلي: المرجع السابق، ج06، ص 287.

[4]- ينظر ترجمته: الزركلي: المرجع السابق، ج 07، ص 43.

[5]- ينظر ترجمته: أحمد بابا التمبكتي: نيل الابتهاج في تطريز الديباج، المصدر السابق، ص 297.

[6]- السخاوي: المصدر السابق، ج 05، ص 180.

[7]- **المدرسة الشيخونية**: نسبة إلى الأمير سيف الدين شيخون، وَقَدِ ابْتَنَى مَدْرَسَةً هَائِلَةً وجعل فيها المذاهب الأربعة ودار للحديث وخانقاه للصوفية، ووقف عليها شيئا كثيرا، وقرر فيها معاليم وقراءة دَارَّةً. ابن كثير: **البداية والنهاية**، دار الفكر، دمشق، 1986م، ج14، ص 258.

[8]- ينظر ترجمته: بدر الدين العيني: **البناية شرح الهداية**، تح: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ج01، ص ص 68-69.

[9]- ينظر ترجمته: السخاوي: المصدر السابق، ج 02، ص 36.

[10]- عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 93.

**-أبو جعفر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر بن عنقة شمس الدين البسكري (ت 804هـ/1402م):**

من كبار المحدثين وفقهاء المالكية، ولد ونشأ في مدينة بسكرة، أين تعلم بها وحفظ القرآن الكريم على يد شيوخها، حيث برزت هذه المدينة من بين أهم مراكز الثقافة الإسلامية بالمغرب الأوسط إلى جانب كل من بجاية وقسنطينة وتوات. أفادنا السخاوي بأنه: "ولد سنة بضع وأربعين وسبعمائة"[1]، فيما ضبطه عادل نويهض بسنة 743هـ/1322م[2].

اتجه أبو جعفر نحو المشرق لغرض الإستزادة وطلب العلم أين دخل الشام ومصر والحجاز وغيرها، وفي هذا الصدد صرح السخاوي بقوله: "وَسمع الْكثير بِنَفسِهِ بِدِمَشْق ومصر وَغَيرهمَا فَحمل عَن بقايا من أَصْحَاب الْفَخر بن البُخَارِيّ والتقى الوَاسِطِيّ وَغَيرهمَا وَكَذَا سمع قَدِيما من الْجمال بن نباتة ثمَّ حمل عَن ابْن رَافع وَابْن كثير وَقَرَأَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة على الشَّمْس الششتري وَيحيى بن مُوسَى القسنطيني والجمالين الأميوطي ويوسف بن الْبناء"[3]. تحدث عنه ابن حجر العسقلاني بقوله: "كان يسكن المدينة ويطوف البلاد، وحصل الأجزاء، وتعب كثيرا ولم ينجب"[4]. توفي عام 804هـ/1402م بساحل بولاق بمصر.

---

[1]- السخاوي: المصدر السابق، ج09، ص 172.

[2]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 43.

[3]- السخاوي: المصدر السابق، ج09، ص 172.

[4]- ابن حجر العسقلاني: **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تح: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1969، ج02، ص 221.

**المطلب الثاني: المراكز الثقافية لبلاد السودان**

كان لانتشار الإسلام خلال القرن الأول الهجري السابع الميلادي (1هـ/7م) في بلاد السودان، بفضل جهود الفاتحين الأوائل وكذا التجار والدعاة أثر كبير على سكان المنطقة، فقد أصبح الإسلام القوة الدافعة التي أمدت البلاد وغيرت من أوضاعها في شتى المجالات، وفتحت أبوابها لتلقي العلوم والمعارف المختلفة.

ويعود الفضل إلى انتشار الإسلام ببلاد السودان إلى فقهاء وعلماء الأباضية الذين لجأوا إلى تلك الربوع، إلا أن المصادر الإخبارية من سير وتراجم لم تسجل إلا بعض الأسماء المرموقة من العلماء الكبار، وقد ذهب أحمد إلياس حسين بأن: "مجموعات كبيرة من أهل الدعوة تنقلوا إلى مناطق جنوب الصحراء وقاموا بنشر الإسلام إلا أن المصادر التاريخية أهملتهم"[1].

وقد كان لتأسيس منشآت ثقافية من مساجد وغيرها الدور الفعال بوجود مراكز ثقافية علمية كان لها الفضل بوجود حركة ثقافية يؤمها العلماء والشيوخ وبحضور طلبة العلم. وفيما يلي نذكر أهم المراكز الثقافية في بلاد السودان.

**1-تادمكة:**

تعد تادمكة من أهم الأسواق التي قصدها تجار وعلماء ودعاة الحواضر الصحراوية للمغرب الأوسط والتي كان منطلقها وارجلان، وردت في المصادر الأباضية غير مرة بإسم (تادمكت) أو (تادمكة). ويبدو أن العديد من التجار الأباضيين وعلمائهم كانوا يسكنونها بصفة دائمة ولعل هذا يأتي من أهمية هذه البلدة الواقعة في الطريق الرئيسي بين (وارجلان) (وجاو) أو (كوكو)[2]. صرح البكري في مصنفه بأن: "أهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء"[3].

وقد زارها العديد من الدعاة والشيوخ نذكر من بينهم الشيخ أبي صالح تيركت الياجلاني من علماء الطبقة الثامنة (350-400هـ)[4]، والشيخ سعيد بن يخلف المزاتي المدوني[5] وذكر أنّه وصل تادمكت في السودان الغربي[6]، إضافة إلى تملي الوسياني الذي ذكر في عدة مصادر إباضية على أنه استقر بتادمكة قصد التجارة، ويبدو أن هاته الشخصية ساهمت في نشر الإسلام، فهو عالم سخي عاصر أبا نوح سعيد

---

[1]- أحمد إلياس حسين: "**دور فقهاء الأباضية في نشر الإسلام في مملكة مالي**"، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1985، ص 94.

[2]- زاهر الحجري: المرجع السابق، ص 140.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 370.

[4]- أبو زكرياء: المصدر السابق، (عبد الرحمن أيوب)، ص 311.

[5]- الشماخي: المصدر السابق، ج 02، ص 556.

[6]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 187.

بن زنغيل، وأخذ العلم عن أبي خزر يغلا بن زلتاف(ت 380هـ/990م)[1]. وأما أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد السدراتي من علماء الوهبية، ويبدو من تسميته أنه من سدراتة بوارجلان، كان يسافر إلى بلاد السودان- تادمكة- للدعوة والتجارة عاش على الأرجح في النصف الأول من القرن 5هـ/11م[2].

**2-غانة:**

أصبحت غانة بلدا ينتشر به المسلمون الوافدون إليها من كل حدب وصوب منها رجال الدعوة من حواضر صحراء المغرب الأوسط، الذين حملوا على عاتقهم نشر الإسلام. ويخبرنا البكري بوجود مساجد بها أئمة وفقهاء وطلبة علم بقوله: "ومدينة غانة مدينتان سهليّتان، إحداهما المدينة الّتي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمّة والمؤذّنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم"[3].

صرح علي إبراهيم طرخان بأن: "مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانة في زمن مبكر، قبل دور المرابطين"[4]. وقد أشرنا سابقا بأن أغلب التجار التجار الأباضية الوافدون من حواضر الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط هم علماء ورجال دعوة، حيث تذكر المصادر بوجودهم بالمدينة بأعداد معتبرة، فهم إلى جانب تسويق السلع، كانوا يحملون آرائهم الدينية وثقافتهم الإسلامية، وكانوا مبشرين لتلك الثقافة في بلاد السودان[5].

ومن العلماء وأهل الدعوة الذين وصلوا إلى غانة عن طريق وارجلان ودلت عليه كتب السير والطبقات الأباضية نذكر منهم الشيخ أبي موسى هارون بن أبي عمران[6] الذي عده الشماخي من بين المعدودين من شيوخ أهل الدعوة من زناتة[7]، وهو معاصر للشيخ أبي صالح جنون بن يمريان شيخ وارجلان وارجلان وقد طَلَبَ منه أهل وارجلان أن ينشئ لهم الحلقة وألحوا على ذلك مقترحين عليه مساعدة مالية، لكنه رفض ذلك. ولا ندري سبب رفض هذا العالم طلب أهل وارجلان ولكن الذي نحتمله هو أن سفر مثل هذه الشخصية إلى غانة وتوغله إلى أبعد نقطة يصل إليها المسلمون أنذلك وهي غيارو لن يكون سببه الوحيد هو التجارة أو جلب التبر وطلب الربح الوافر كما يذهب إلى ذلك لفنسكي[8].

---

[1]- إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الأباضية، المرجع السابق، ج02، ص 106.

[2]- الوسياني: المصدر السابق، ج01، 446.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 363.

[4]- علي إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الرجع السابق، ص 43.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 283.

[6]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص ص 566-567.

[7]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 520.

[8]-Lewicki(T): **"L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle"**, Cahiers d'Études Africaines, Vol. 2,=

وقد أشار الوسياني إلى أنه سافر فعلا إلى غيارو حيث بقي إلى أن توفي[1]، وبحسب البكري تبعد غيارو عن مدينة الملك-غانة- مسيرة ثمانية عشر يوما[2]. وقد صرح مُحَمَّد صالح ناصر بقوله: "وإنما الذي نراه من أسبابه الدعوة إلى دين الله ونشر تعاليم الإسلام بين أناس بدائيين وقد طال مقامه بينهم إلى أن توفاه الله فدفن هناك، وما دام هذا العالم من المعدودين بين أهل الدعوة المقتدرين على التوجيه والإرشاد فإن ذلك يعزز من الاحتمال الذي نذهب إليه، ويقويه"[3].

وتذكر المصادر الأباضية شخصيات أخرى قصدت غانة من أجل التجارة والدعوة إلى الله ونشر الإسلام منها الشيخ فلحون بن إسحاق فقيه وتاجر وهبي من بني واسين ببلاد الجريد، كان معاصر لأبي نوح سعيد بن زنغيل، الذي قاد ثورة الأباضية الوهبية منتصف القرن العاشر[4]، سافر عن طريق وارجلان وسجلماسة إلى غانة واستقر بغيارو إلى أن توفي بها[5]، وذكر أبو الربيع بأن الشيخ فلحون بن اسحاق من بني واسين جاءه سائل... وذلك بسجلماسة يريد غانة[6]، وكان ذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري. ويبدو أنه كان في مهمة دعوية هناك[7].

وقد صرح الشماخي بأن بلاد السودان بغانة وما يليها كانت تدين بالمذهب الأباضي حتى "تسامعت بهم المخالفون فقصدوهم من كل صوب فردوهم إلى مذهبهم"[8]. إن هذا النص يعطينا مدى تغلغل الأباضية في بلاد السودان ونشرهم للإسلام قبل وصول أصحاب المذاهب الأخرى والتي من بينها المذهب المالكي، ويبدو أن ذلك ساد بالمنطقة منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي.

**3-كوكو:**

ارتبطت كوكو بعلاقات مباشرة مع التجار وأهل الدعوة الأباضية القادمون من وارجلان، حيث قام

---

=Cahier 8, 1962, p 529.

[1]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 567.

[2]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 364.

[3]- محمد صالح ناصر: دور الأباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، المرجع السابق، ص ص 22-23.

[4]- Lewicki(T): "**Quelques extraits inédits relatifs aux voyages des commerçants et des missionnaires ibadites nord-africaines au pays du soudan occidental et central au moyen âge**", Folia Orientalia, Pologne, 1961, p 24.

[5]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 567.

[6]- الوسياني: المصدر السابق، ج02، ص 708؛

-Lewicki(T): "Quelques extraits…", Op.cit, p 21.

[7]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 688؛ عبد القادر مباركية: "**التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء منخلال المصادر الأباضية الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م**"، إشراف: أ.د: علاوة عمارة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2012، ص 64.

[8]- الشماخي: المصدر السابق، ج02، ص 660.

هؤلاء بنشر الإسلام في ربوعها، وتشير المصادر الأباضية على أنها من البلدان التي يلجأ إليها التجار والعلماء من أهل الدعوة، حيث أقر المهلبي الذي كتب معلوماته حوالي 365 و 368هـ (975م) بأن: "ملكهم يظاهر رعيته بالإسلام وأكثرهم يظاهر به"[1]. وأضاف بأن مدينة الملك: "بها مسجد يصلي به الملك وحاشيته كما أنها تحتوي على مصلى ومدرستين قرآنيتين"[2].

وقد أثبت المستشرق الألماني جوزيف شاخت بأن: "حوالي 400هـ/1009م أحد ملوك سنغاي ينقل عاصمته إلى مدينة جاو معتنقا الإسلام، والذين جاؤوا من بعده من الأسرة الحاكمة كانوا كذلك... أن هذه الأسر إباضية"[3]، وأضاف شاخت أيضا بأنه: "ليس أدل على مذهبهم الأباضي هذا من أن المؤرخين العرب من السودان يأخذون عليهم انتسابهم لمذهب الابتداع، وهم يريدون فيما يبدو الخوارج"[4]. الخوارج"[4].

بالرغم من أن كوكو أو جاو كما تسميها بعض المصادر مركزا لنشر الثقافة الإسلامية واعتناق الأسر الحاكمة بها كما أشارنا المذهب الأباضي، لم تصل إلى مستوى الأصالة بالفكر السوداني، فقد ظلت في طور أخذ المعارف ولم تدخل طور الإنتاج والتكامل والتكافؤ المعرفي المتبادل[5].

انحصر التعليم بها بين مرحلة الكتاب الأولى والمرحلة المتوسطة التي تؤهل معلمين وشيوخ يعملون في المساجد والجوامع، وليس بفقهاء وعلماء بارعين، إضافة إلى ذلك لم تصرح المصادر الأباضية بأسماء الشيوخ والعلماء الذين قصدوها للتجارة والدعوة إلى الله ونشر الإسلام بالرغم من ارتباطها بمسلك تجاري مباشر بينها وبين وارجلان مرورا بتادمكة.

**4-أودغست:**

ارتبطت أودغست بعلاقات وطيدة مع الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط عبر وارجلان، حيث كانت صلتهم بها قوية، ودليل ذلك وجود أخلاط كثيرة من القبائل التي اعتنقت المذهب الأباضي بالمدينة ونقلا عن مُحَمَّد بن يوسف الوراق كتب البكري ما نصه: "وسكانها أهل إفريقية وبرقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة، وهؤلاء أكثرهم وبها نبذ من سائر الأمصار"[6].

وقد عرفت أودغست التطور العمراني مع استقرار الجاليات التجارية المغربية بها، حيث أجمع المؤرخون الأثريون المعاصرون[7] الذين اهتموا بتاريخها، على أنها حملت أي الجالية بذرة التحضر إلى هذه المدينة بما

---

[1]- المهلبي: المصدر السابق، ص 55.

[2]- المهلبي: نفس المصدر والصفحة.

[3]-Schacht (J): Op.cit, p 23.

[4]-Schacht (J): Ibid, p 23; Lethielleux (J): Op.cit, p 66.

[5]- زمان عبيد وناس: المرجع السابق، ص 180.

[6]- البكري: المصدر السابق، ج 02، ص 344.

[7]-Mauny(R): Tableau géographie, Op.cit, p p 389-390; DEVISSE(J): **"La Question**

أشاعته من أنماط العمارة والعيش منذ الربع الأخير للقرن 4هـ/10م[1]. وفي تقرير أعده جون دوفيس بخصوص حفريات أودغست كشف بأن تاريخ سيطرة الجاليات التجارية المغربية على المدينة كان في حدود 364هـ/975م[2].

شهدت المدينة على غرار الانتعاش الاقتصادي كثرة المؤسسات التعليمية بها تمثلت في الجامع والمساجد، والتي كانت تقوم بدور نشر الدين الإسلامي وتعليم القرآن الكريم، وقد صرح البكري بذلك بقوله: "بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن"[3]. ويبدو أن أهل الدعوة القادمون من وارجلان كان لهم دورا فعالا في تفعيل الحركة الثقافية بالمنطقة وانتشار الإسلام.

**5- تمبكتو**:

تعد تمبكتو من أهم مدن بلاد السودان، ومنذ تأسيسها على يد الطوارق الملثمين في أواخر القرن الخامس الهجري، أصبحت تمثل مركز إشعاع ثقافي وعلمي، حيث قامت بدور ثقافي بارز أقرته المصادر في طياتها. وقد صرح السعدي في تاريخه ما نصه: "وما دنستها عبادة الأوثان، وما سجد على أديمها قط لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار"[4].

وقد حظيت تمبكتو بأهمية بالغة خاصة بين مراكز العمران والاستقرار ببلاد السودان، لموقعها المهم على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحنى نهر النيجر الذي ساهم في ازدهارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري[5]، فأصبحت تمثل مركز الإنتاج الثقافي الأول في بلاد السودان.

وقد صرح القاضي محمود كعت بخصوص أهمية تمبكتو الثقافية وكأحد مراكز الإشعاع الثقافي في بلاد السودان ما نصه: "لا نظير لها في البلدان من بلاد السودان إلى أقصى بلاد المغرب من بلاد مل مروءة وحرية وتعففا وصيانة وحفظا للعرض ورأفة ورحمة بالمساكين والغرباء وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم"[6].

شهدت إذن تمبكتو نشاطا علميا لا نظير له بعد أن ضمها الملك منسى موسى إلى حكمه وجعل منها دار السلطنة عام 726هـ/1325م[7] عقب عودته من حجته الشهيرة. عرفت هذه المدينة بكثرة المؤسسات التعليمية بها التي كانت بمثابة منارات علمية زاخرة بالمعارف والعلوم منها المدارس والمساجد

---

**d'audagust", Tegdaoust I Recherche Sur Aoudaghost**, t01, artset métiers= =graphiques, paris, 1970, p 156.

[1]- أحمد مولود ولد أيده: المرجع السابق، ج01، ص 76.

[2]- Devisse(J): "La Question D'audagust", Op.cit, p 156.

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 344.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص 127.

[5]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص497.

[6]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 295.

[7]-Elias N. Saad: Op.cit, p11.

والجوامع. وفيما يلي نذكر أهم هذه المرافق التعليمية التي قامت بالدور العلمي والثقافي.

**1-المساجد:**

تزخر تمبكتو بالعديد من المساجد التي كانت طرفا في نشر الثقافة العربية الإسلامية، والعلوم والمعارف، منها من كان مقرا للتعليم، إذ تعقد فيها حلقات لهذه الغاية، وإلى جانب كل مسجد هناك غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد[1]. وبهذه المدينة العتيقة ثلاثة مساجد هامة، كانت هي جامعاتها ومعاهدها التعليمية. وتلك المساجد المعهدية هي: جامع تمبكتو الكبير، ومسجد سنكري، ومسجد سيدي يحي.

**1-1-جامع تمبكتو الكبير أو مسجد جنكر بيري:**

يعتبر مسجد جنكر بيري أو المسجد الأعظم كما يسميه أهل السودان، من أقدم المساجد بالسودان الغربي، عده مولاي أحمد الأرواني أول مسجد بني في تمبكتو[2]. تضاربت الروايات في تاريخ تأسيسه منهم من أشار إلى أنه "أقيم على أنقاض مسجد في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حيث بناؤه الأول على صورة متواضعة"[3]، ومنهم من يرى أن "السلطان منسى موسى هو الذي بناه عام 726هـ[/1326م]"[4]. أسند بناء المسجد إلى المهندس المعماري والشاعر الأندلسي أبي إسحاق إبراهيم الساحلي[5] والذي كان الطراز المغربي الذي تعرف على السلطان منسى موسى أثناء تواجده لقضاء فريضة فريضة الحج.

**1-2-مسجد سنكري:**

يعتبر مسجد سنكري من أعظم المساجد والمعاهد والجامعات التي نهضت بحركة التعليم في مدينة تمبكتو، ومن المراكز الثقافية والعلمية المهمة، صرح جونسون كرافت بقوله: "جعل مسجد سنكري مركزا للتعليم، وأساس لجامعة"[6] على نمط كبرى جامعات العالم الإسلامي في تلك الفترة على غرار جامع القرويين بفاس وجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة بإفريقية، والجامع الأموي بدمشق. فمن الملاحظ من اسم المسجد أنه "اسم حي من أحياء تمبكتو، كان به المسجد الذي عرف باسم هذا الحي"[7].

---

[1]- نعيم قداح: **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.ن، ط02، ص 159.

[2]- مولاي أحمد الأرواني: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية**، تح: الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001، ط01، ص 71.

[3]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 500.

[4]-Barth(H): **Travels and Discoveries in North and Central Africa**, The Minerva Library of Famous and Books, London, 1890, p 323.

[5]-ينظر ترجمته: لسان الدين ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط1، ج01، ص ص 170-177.

[6] -Johnson(G): **African Glory: The Story of Vanished Negro Civilizations**, Black Classic Press, Baltimore, 1986, p 98.

[7]- السعدي: المصدر السابق، ص 74، الهامش 02.

يقع مسجد سنكري في الشمال الشرقي للمدينة[1]، قامت بتشييده سيدة ثرية صرح بذلك السعدي قائلا: "وأما مسجد سنكري فقد بنته امرأة واحدة أغلالية[2] ذات مال كثير في أفعال البر"[3]. وعن تاريخ بنائه اختلفت وجهات النظر بين الباحثين، فموريس دولافوس كتب ما نصه: "أما بالنسبة لما يسمى بمسجد سنكري، فقد تم بنائه، في تاريخ غير معروف"[4].

فيما أشار سينيكي مودي سيسوكو النصف الأول من القرن الخامس عشر[القرن التاسع الهجري]"[5] هو تاريخ نشأة مسجد سنكري. ويأتي جون مارينر الذي يرى "أن المسجد أنشئ أعواما قليلة قليلة بعد عام [725هـ/]1325م، لكن التاريخ المحدد لهذه النشأة يبقى مجهولا"[6].

كانت جامعة سنكري من أهم مراكز التعليم الإسلامي منذ نشأته وحتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وفي مقال له بخصوص جامعة سنكري كتب زلكيفلي خيير ما نصه:" جامعة سنكري لم يكن لها إدارة مركزية؛ بدلا من ذلك، كانت تتألف من عدة مدارس مستقلة تماما أو كليات، يدير كل منها أستاذ أو باحث واحد فقط"[7].

انفتحت هذه الجامعة على العديد من مراكز العلم والثقافة في الأندلس والمغرب الإسلامي حيث كان التشابه واضحا بينها وبين المراكز السالفة الذكر في التدريس وأساليبه، وفي المناهج التي كانت تدرس بها ومدينة تمبكتو[8].

### 1-3-مسجد سيدي يحي التادلسي:

من المؤسسات التي حظيت هي الأخرى بإقامة حلقات التدريس وتعليم القرآن الكريم، وإثراء الحركة الثقافية والعلمية وتكوين طلبة العلم في مختلف المعارف والعلوم بتمبكتو، مسجد سيدي يحي التادلسي.

---

[1]- جاك ووديس: **جذور الثورة الإفريقية**، تر: أحمد فؤاد بلبع، مر: عبد المالك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1971، ص 563.

[2]- يرى محمد الغربي بأن هاته المرأة التي قامت بتشييد مسجد سنكري من قبيلة الأغلال التي قطنت جبال أدرار الصحراوية ببلاد شنقيط. محمد الغربي: المرجع السابق، ص 553؛ وأما ولد السالم يرى بأن قبيلة الأغلال: قبيلة تنحدر من الزاهد المشهور محمد غلي أحد مؤسسي مدينة شنقيط في القرن 7هـ/13م. السعدي: المصدر السابق، ص 206، الهامش رقم 01.

[3]- السعدي: نفس المصدر والصفحة.

[4] -Delafosse(M): Haut-Sénégal-Niger, Op.cit, t 02, p 271.

[5]- مجموعة من المؤلفين: **تاريخ إفريقيا العام**، المشرف العام: ج.ت نياني، اليونسكو، 1988، مج 04، ص 219.

[6]- عبد الحميد جنيدي: "**الحياة الثقافية في مدينة تمبكتو**"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 04، العدد 06، 2012، ص 203.

[7]-Khair(Z): **"The University of Sankore, Timbuktu"**, www.muslimheritage.com vu le le 15/06/2019 à 19:23.

[8]- محمد فاضل وآخرون: **المسلمون في غرب إفريقيا-تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ط01، ص 105.

يقال أنه أول مسجد بني في تمبكتو، وعرف بمسجد أمقشرن[1]، نسبة إلى الملك آكل[2] سلطان أمقشرن الطارقي[3]، كان ذلك خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ويبدو أن هذا المسجد تعرض تعرض للخراب وأندرس بانقراض دولتهم، ليأتي الشيخ مُحَمَّد نقي[4] الذي أعاد تجديده وبناءه، وولى إمامته للشيخ سيدي يحي التادلسي(ت866هـ/1461م) الذي نسب إليه.

لقد مثلت هذه المساجد الثلاثة بصفة خاصة، وإن كان هناك مساجد أخرى لكن ليست بالأهمية التي تمتعت بها المساجد السالفة الذكر، معاهد وجامعات تعليمية كبرى ومراكز إشعاع ثقافية وتربوية في آن واحد، فمرحلة الدراسات العليا من التعليم في هذه المساجد يشبه ما كان بجامع القرويين قديما وما هو كائن اليوم في جامعاتنا.

**2- المدارس(الكتاتيب):**

الكتاتيب هي عبارة عن مدرسة قرآنية لتعلم الأطفال الصغار، وتعد من أبسط مؤسسات التثقيفية والتعليمية. انتشرت هاته المؤسسة في العديد من المدن والقرى ببلاد السودان، مواد التدريس بها حفظ القرآن الكريم، وتعلم الصلاة، واللغة العربية ومبادئها، وإتقان الخط[5]. وكغيرها من المراكز الثقافية عرفت تمبكتو انتشار كبير للمدارس بشهادة القاضي محمود كعت حيث قال: "وفيها من مَدَارِسُ معلم الصبيان الذين يقرأون القرآن"[6].

**3-دور المكتبات:**

إن من أهم العوامل التي أدت إلى نشاط الحركة الثقافية والعلمية بتمبكتو توفر الكتب والمكتبات العامة والخاصة، وذلك لاهتمام أهلها باقتنائها واستنساخها، واستوى في ذلك العلماء والملوك والتجار[7]، حيث كانت مساهمة التجار في جلبها إلى أسواق المنطقة معتبرة صرح بذلك الحسن الوزان ما نصه: "وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع"[8].

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 74، الهامش رقم 02.

[2]- Delafosse(M): Haut-Sénégal-Niger, Op.cit, t 02, p 271.

[3]- مولاي أحمد الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، المرجع السابق، ص 72.

[4]- الشيخ مُحَمَّد نقي من قبيلة آجر الصنهاجية، وحاكم تمبكتو من قبل سلطان الطوارق آنذاك السلطان آكل، ولا نعرف تاريخا محددا لأنشاء هذا المسجد، ولكن من المحتمل أن يكون قد شيد في حوالي القرن التاسع الهجري(منتصف القرن الخامس عشر الميلادي) لأن فترة حكم الطوارق لهذه المدينة نحو أربعين عاما (837-876هـ/1433-1471م)، وظل الحكام يجددونه بين فترة وأخرى بما يتناسب وكثافة السكان وإمكانات البلاد المادية والمعنوية. ينظر إلى: مُحَمَّد فاضل وآخرون: المرجع السابق، ص ص 106-107.

[5]- عبد الحميد جنيدي: المرجع السابق، ص 207.

[6]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 296.

[7]- مُحَمَّد الغربي: المرجع السابق، ص 556.

[8]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 167.

عرفت تمبكتو العديد من المكتبات التي فتحت أبوابها لطلاب العلم للاطلاع على مكنوناتها، حيث شملت العديد من العلوم في شتى مجالات الحياة بما في ذلك الكتب الشرعية باختلاف فروعها. ومن بين المكتبات الخاصة التي اشتهرت بدورها الثقافي والعلمي بتمبكتو يشير عبد الحميد جنيدي إلى ذلك ما نصه: "ومن تلك الأسر، أسرة أبي العرف التي تملك الكثير من الكتب، وكذلك من المكتبات الكبيرة المشهورة في تمبكتو مكتبة مُحَمَّد محمود بن الشيخ، وهناك مكتبة الكوتي الأندلسية، وهي أيضا مكتبة عائلية يعود تاريخها إلى عام 872هـ/1468م"[1].

**-لائحة العلماء والشيوخ بتمبكتو:**

عرفت تمبكتو العديد من العلماء والشيوخ الذين كانوا طرفا في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية بها، وتنقلوا عبر مؤسساتها التعلمية من جامعات ومساجد، بحيث تخرج على أيديهم العديد من طلبة العلم. وفيما يلي نورد لائحة بأسماء علاء وشيوخ تمبكتو.

**-الفقيه الحاج( القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي):**

إن من أبرز الشخصيات التي ساهمت في إثراء الحركة الثقافية والعلمية بتمبكتو الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج[2] هكذا أشار إليه السعدي في مصنفه تاريخ السودان. تعتبر هذه الشخصية من علماء جامعة سنكري، تولى القضاء بتمبكتو في أواخر دولة مالي[3]. وقد صرح السعدي بأن الشيخ الفقيه الحاج: "هو أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعاليم في جامع سنكري بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء"[4].

جلس الشيخ الفقيه للتدريس بجامعة سنكري وتخرج على يده العديد من طلبة العلم والشيوخ، ولكن لم تسعفنا المصادر في ذكر اسمائهم ولا ندري لماذا صمتت عن ذلك. خلف الفقيه الحاج من نسله علماء أجلاء تولوا مناصب القضاء والتعليم من قبل الحاج أسكيا مُحَمَّد في غير مدينة تمبكتو منهم الفقيه القاضي عمر الساكن بِنْدِبُغ[5].

**-الفقيه أبو عبد الله أندغمحمد(كان حيا خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي):**

هو الفقيه أبو عبد الله بن مُحَمَّد بن عثمان بن مُحَمَّد بن نوح، ينحدر من الأسرة العريقة التي عُرِفَتْ بالعلم وأثروا في الحركة الثقافية والعلمية في تمبكتو ومدن أخرى بالسودان الغربي، أسرة أقيت. أشار كل من

---

[1]- عبد الحميد جنيدي: المرجع السابق، ص 208.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص 139.

[3]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: **"أشهر علماء تمبكت وجنى وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية"**، مجلة جامعة الأمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد 11، 1994، ص 213.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص 139؛ الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، المرجع السابق، ص 82.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 142.

السعدي والبرتلي بأن الفقيه أبي عبد الله هذا هو "معدن العلم والفضل والصلاح"[1]، تولى القضاء بتمبكتو أواسط القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي في دولة الطوارق وتوفي آخر ذلك القرن[2]، ونقلا عن أحمد بابا التمبكتي صرح السعدي ما نصه: "هو أول من خدم العلم من أجداده"[3].

قامت شخصية الشيخ أندغمحمد بدور بارز في جامعة تمبكتو التي تعد من المراكز التعليمية والثقافية الكبرى بالسودان الغربي خلال الحقبة موضوع الدراسة، وهو من شيوخ جامع سنكري وعلمائه[4].

فيما لم تفدنا المصادر عن أسماء طلبة العلم والشيوخ الذين تخرجوا على يده، إلا أن السعدي أشار إلى أن من نسله الكثير من شيوخ العلم والصلاح هذا نصه: "ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح"[5]. قراءة في كفاية المحتاج لأحمد بابا التمبكتي مفادها أن الفقيه عمر بن أحمد بن مُحَمَّد أقيت "أخذ عن جده لأمه الفقيه أندغمحمد"[6].

وفي هذا إشارة على أن الفقيه عمر بن أحمد كان من رواد الشيخ أندغمحمد لحلقة العلم والتدريس التي كان يقيمها بجامع سنكري، ويبدو أنه أخذ عنه الفقه لما تحتله العلوم الشرعية في تلك الفترة من مكانة واهتمام من قبل علماء وشيوخ بلاد السودان الغربي.

**-الفقيه أبو عبد الله مؤدب مُحَمَّد الكابرى (ت القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي):**

هو أبو عبد الله القاضي مؤدب مُحَمَّد الكابرى كان حيا خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، نسبته إلى مدينة كابرا[7]. انتقل إلى تمبكتو وتوطنها في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. جلس للتدريس في جامع سنكري وسمع به طلبة العلم السودانيين والمغاربة ونهلوا من علمه، وقد صرح السعدي بأنه: "لا ينسلخ شهرا إلا ويختم عليه تهذيب البرادعي[8]، والبلد حافلة يومئذ بالطلبة

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 142؛ البرتلي: **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد أبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 112.

[2]- الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، المرجع السابق، ص 82.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 142.

[4]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 216.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 142.

[6]- أحمد بابا التمبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: مُحَمَّد مطيع، مطبعة فضالة، المغرب، 2000، ج01، ص 133.

[7]- **مدينة كابرا:** مدينة كبيرة على شكل قرية مسورة، بعيدة بنحو اثني عشر ميلا من تمبكتو على النيجر. ومنها تنقل البضائع في السفن إلى غينيا[جنى] ومالي... والسود بها من مختلف الأجناس، لأنها الميناء الذي يقصدونه بزوارقهم من مختلف الجهات. ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 168.

[8]- يعد كتاب التهذيب في اختصار المدونة لأبي سعيد خلف بن أبي القاسم مُحَمَّد الأزدي القيرواني الشهير بالبراذعي(ت438هـ) من أهم المختصرات لكتاب المدونة، قصد فيه مؤلفه تيسير فهم المدونة وتسهيل حفظها وتدريسها، فعمد إلى اختصارها وتقريب مسائلها. ويكتسب هذا الكتاب أهميته من أمرين: **أولهما** كونه اختصارا للمدونة التي هي عمدة المذهب، وديوان أقوال الإمام مالك، وقيمتها لا تخفى في الفقه المالكي. **وثانيهما** حسن صنيع البراذعي في التهذيب والاختصار. وكان السبب الذي دعا البراذعي إلى هذا التأليف أن ابن أبي زيد اختصر=

السودانيين، أهل المغرب المجتهدين في العلم والصلاح"[1].

برع الشيخ مؤدب مُحَمَّد الكابري في الفقه وغيره من العلوم الدينية، وعاصر فيها العديد من العلماء والأشياخ منهم "الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي استقدمه السلطان منسى موسى من مكة المكرمة أثناء حجه"[2]. وأخذ عنه كثير من علماء تمبكتو نذكر منهم الفقيه عمر بن مُحَمَّد أقيت، والعلامة يحي التادلسي وغيرهما من العلماء[3].

وقد صور لنا الفقيه يحي التادلسي أحد تلامذة الشيخ الكابري أسلوبه في التدريس في هذه الأبيات الشعرية التي رثاه بها، بَيَّنَ من خلالها مكانته وأسلوبه المبسط لتقريب الفهم وتسهيل الاستيعاب مع التعمق في الدروس والمصابرة الطويلة في التحضير[4]، والتي أفدنا بها السعدي هذه نصها:

أطلاب علم الفقه تدرون ما الذي *** يثير هموم القلب من كل وافد
يثير هموم القلب فقد سميدع *** فقيه حليم حامل للفرائد
بحسن تعليم مقرب فهمه *** وفتاق تهذيب بحسن الفوائد
مُحَمَّد الأستاذ مودب ذي النهى *** رباطا صبارا أمره في التزايد
فيا عجبا هل بعده من مبين *** ويا عربا هل بعده من مجالد[5].

**– العلامة الفقيه يحي التادلسي (ت 866هـ/1461م):**

تعتبر شخصية الفقيه يحي التادلسي من الرعيل الأول من العلماء الذين ساهموا في إثراء الحركة الثقافية والعلمية في بلاد السودان عامة وتمبكتو على وجه الخصوص. السعدي في تاريخه ذكر نسبه بقوله: "وهو يحي بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحي البكاء بن أبي الحسن علي ابن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم... بن عيسى بن مُحَمَّد بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم ورحمهم أجمعين"[6].

---

=المدونة ليسهل تدارسها، وزاد في مختصره زيادات من الأمهات الأخرى، فامتنع الطلبة من درسه لما فيه من الزيادات، فبلغ ذلك أبا سعيد فاختصرها وهذبها دون أن يزيد فيها كما صنع ابن أبي زيد رحمه الله. ينظر إلى: الموقع الإلكتروني لمركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالمغرب: www.almarkaz.ma بتاريخ 2019/07/31 على الساعة 18:56.

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 177.

[2]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 227.

[3]- عبد الرحمن مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 286.

[4]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 227.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 219.

[6]- السعدي: المصدر نفسه، ص ص 184-185.

اشتغل الشيخ الفقيه بالتجارة أول أمره، ثم تركها وتفرغ للعلم والتدريس. وكان يدرس في مسجده الذي أشرنا إليها سابقا، واتخذ من بيته مقرا للتدريس وجامع سنكري أحيانا. وقد بلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح وانتشر ذكره في الآفاق[1].

ونظرا لمكانته العلمية أثنى عليه علماء المنطقة، فالقاضي محمود عميد أسرة أقيت في العلم صرح ما نصه بأنه: "ما طرأ قدم تمبكتو قط إلا وسيدي يحي أفضل من صاحبه"[2]، وأما الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن الفقيه محمود أدلى بشهادته أيضا هاته نصها: "فواجب على أهل تمبكتو أن يزوروا روضة سيدي يحي للتبرك في كل يوم، ولو كانت منهم على مسافة ثلاثة أيام"[3]. وقد لزم التدريس وإفادة طلبة العلم، إضافة إلى التأليف والإفتاء إلى أن وافته المنية عام ستة وستين بعد ثمانمائة[هجرية][4].

**– الفقيه القاضي الإمام كاتب موسى (ت القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي):**

مستشار الملك منسى موسى، الفقيه القاضي الإمام كاتب موسى، ومن الأئمة الكبار الذين تولى إمامة المسجد الكبير بتمبكتو وآخر الأئمة من السود صرح بذلك السعدي ما نصه: "وآخر الأئمة منهم فيها الفقيه القاضي كاتب موسى مكث في الإمامة أربعين سنة"[5]. ويعتبر الفقيه من أوائل علماء السودان السودان الذين رحلوا إلى فاس للتعليم بأمر من السلطان العادل الحاج منسى موسى، وكان من بين العلماء السودانيين الذين شكلوا البعثات الثقافية الأولى بين مالي والمغرب[6].

اشتغل كاتب موسى بالتدريس بالمسجد الجامع وبرز من بين علماء بلاد السودان الذين ظهر أثرهم جليا في الحركة الثقافية والعلمية بالمنطقة، وبإسهاماتهم بقسط وافر من العلم في ازدهار الحركة العلمية بها، حيث كانت مدينة تمبكتو بصفة خاصة قبلة لطلبة العلم والعلماء في السودان آنذاك[7]. لم تفدنا المصادر بأسماء الطلبة الذين تخرجوا على يده أو نهلوا العلم منه. وظل الفقيه كاتب موسى في مهنتي التدريس والقضاء إلى أن التحق بالرفيق الأعلى خلال القرن التاسع الهجري.

**–الشيخ عبد الله البلبالي(كان حيا خلال القرن 9هـ/15م):**

يعد الشيخ عبد الله البلبالي من علماء توات البارزين خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، صرح السعدي بأن الشيخ عبد الله البلبالي وفد إلى تمبكتو برفقة الإمام كاتب موسى ما نصه:

---

[1]– أبو بكر إسماعيل محمد ميقا: المرجع السابق، ص 228.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص 185.

[3]– السعدي: نفس المصدر والصفحة.

[4]– السعدي: المصدر نفسه، ص 186؛ البرتلي: المصدر السابق، ص 218.

[5]– السعدي: المصدر السابق، ص 193.

[6]– عبد الرحمن محمد ميقا: المرجع السابق، ص 282.

[7]– أبو بكر إسماعيل محمد ميقا: المرجع السابق، ص 229.

"جاء إلى تمبكتو صحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب موسى لما رجع من فاس"[1]. حضي العالم عبد الله البلبالي بمكانة علمية مرموقة، أين عُدَّ بشهادة السعدي "أول البيضان صلى بالناس في تلك المسجد[الجامع الكبير] أواخر دولة الطوارق وفي أوائل دولة سن علي"[2]، تَصَدَّرَ للخطابة والتدريس به وصفه البرتلي في فتح الشكور ما نصه: "كان رحمة الله عليه من عباد الله الصالحين زاهدا ورعا لا يأكل إلا من عمل يديه، وظهرت له كرمات وبركات...من أهل القرن التاسع"[3].

**-الشيخ أبو القاسم التواتي(ت922هـ/1516م):**

الشيخ أبو القاسم التواتي سمي بذلك نسبة إلى حاضرة توات التي ولد بها وتعلم وحفظ القرآن الكريم على يد علمائها، ثم تدرج كغيره من علماء عصره في طلب العلم حتى بلغ المراد. نزل تمبكتو مع جماعة من علماء وشرفاء تافيلالت بالمغرب[4]، وابتنى دارا بالقرب من المسجد الجامع حيث أثبت السعدي ذلك ما نصه: "قد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة، ليس بينها وبين داره إلا الطريق الضيق النافذ"[5].

جلس الشيخ أبو القاسم التواتي للتدريس والتعليم بعدما ابتنى محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها، وفيها يقرأ الأطفال، علاوة على ذلك أنه أول من بدأ بقراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حرف واحد من العشرينيات[6]. تولى إمامة المسجد الكبير بتمبكتو حتى وفاته المنية العام 922هـ/1516م خلفا للشيخ الفقيه العالم عبد الله البلبالي.

**- الفقيه المختار النحوي (ت 922هـ/1516م):**

هو المختار بن الفقيه أندغمحمد بن مُحَمَّد بن عثمان بن نوح المعروف بالمختار النحوي، من مواليد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. عرف عنه تضلعه في فن النحو[7]، وفاق علماء عصره في النحو[8]، وكان عالما بكل فن من فنون العلم. تتلمذ على يد الشيخ الفقيه مودب مُحَمَّد الكابرى، وكان من معاصري الشيخ سيدي يحي التادلسي.

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 194.

[2]- السعدي: نفس المصدر والصفحة.

[3]- البرتلي: المصدر السابق، ص ص 158-159؛ عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: المرجع السابق، ص 63.

[4]-سحر عنتر مُحَمَّد أحمد مرجان: **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي(628-1000هـ/1230-1591م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، ط01، ص 198.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 194.

[6]- السعدي: نفس المصدر والصفحة.

[7]- الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، المرجع السابق، ص 84.

[8]-عبد الرحمن مُحَمَّد ميقا:**الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13هـ**، البيضاوي، المغرب، 2011، ص 296.

وقد لازم الإمام الزموري[1] مدة أثناء إقامته الاضطرارية بولاتة[2] فأجازه كتاب الشفا للقاضي عياض عياض وغيره[3]. ساهم الشيخ المختار النحوي في وضع اللَّبِنات الأولى وإرساء قواعد النهضة الثقافية وازدهارها في بلاد السودان عموما وفي تمبكتو خصوصا. أورد البرتلي في مصنفه بأن انتقال الشيخ المختار النحوي إلى الرفيق الأعلى كان "أواخر العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة"[4]، فيما خالفه السعدي وأضاف خمسة أعوام لتصبح "أواخر العام الثامن والعشرين بعد تسعمائة"[5].

**-الشيخ مُحَمَّد بن أحمد التكراتي(ت 936هـ/1529م):**

ولد الشيخ مُحَمَّد بن أحمد التكراتي في نواحي توات خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، حفظ القرآن الكريم في بلدته، وحضر مجالس الشيخ المغيلي بتوات ودرس عليه، ثم شد الرحال إلى مصر ليواصل دراسته وللاستزادة[6]. دخل بلاد السودان أين حل بتمبكتو تولى القضاء بها، ودَرَّسَ في بعض مساجدها إلى أن وافته المنية العام 936هـ/1529م.

شهدت تمبكتو بفضل موقعها الاستراتيجي واهتمام ملوك وسلاطين بلاد السودان الغربي حركة ثقافية وعلمية على درجة عالية من الازدهار، وأصبحت تشبه في جميع جوانبها ما كان معمولا به في البلاد الإسلامية الأخرى على غرار بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام والأندلس، إضافة إلى ذلك استقطبت العديد من الأساتذة في مختلف المعارف والاختصاصات التي كانت سائدة في تلك الحقبة موضوع الدراسة.

وقد احتضنت تمبكتو بفضل مراكزها التعليمية التي تجاوزت سمعتها حدود بلاد السودان على غرار مسجد الجامع الكبير، وجامعة سنكري، ومسجد سيدي يحي التادلسي، طلبة العلم والشيوخ والعلماء من شتى أنحاء العالم الإسلامي، حيث ساهمت في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في المنطقة.

---

[1]- **الزموري**: هو عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يحي بن معاوية بن عبد الله الزموري: الشيخ الفقيه العالم المتفنن الحافظ المؤرخ الأديب العلامة ابن الفقيه أبي العباس، أخذ عن الإمام القوري وغيره، له شرح حسن على الشفاء اعتنى فيه بضبط ألفاظه وتحرير لغاته وتعريف رجاله، حسن مفيد نبيل سماه "إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء" في مجلد كبير رأيته بخطه، وكان ممن وصل إلى بلاد ولاتن المتصلة ببلاد السودان وأقرأ أهلها ولقي هناك فقهاءها فأثنى عليهم في العلم ثم رجع، وكان حيًا سنة ثمان وثمانين وثمانمائة. ينظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق، ج01، ص ص 234-235.

[2]- تحدث الأرواني عن حادثة رحيل الشيخ النحوي من تمبكتو إلى ولاتة هذا نصها: "رحل إلى ولاتة لما رحل إليها فقهاء سنكري من أجلخوفهم من الفاجر الظالم سني علي لما دخل تمبكتو عام 873 في رابع رجب وعمل فيها فسادا كبيرا وقتل فيها خلقا كثيرا رحل بأولاده الثلاثة المباركين الفقيه الحاج أحمد وهو أكبرهم سنا والفقيه عبد الله والفقيه محمود وهو أصغرهم سنا... ثم رجع ابنه سيد محمود بن عمر إلى تمبكتو سنة 885 أما والده فلم يرجع من ولاتة حتى توفي فيها رحمه الله". ينظر: الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، المرجع السابق، ص 83.

[3]- عبد الرحمن مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 296.

[4]- البرتلي: المصدر السابق، ص 113؛ الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، المرجع السابق، ص 83.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 143.

[6]- مُحَمَّد الغربي: المرجع السابق، ص 517.

### 6- جنى[1]:

تعتبر مدينة جنى من أهم المراكز الثقافية والعلمية بالسودان، صرح بذلك السعدي في تاريخه[2]. موقعها الجغرافي إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكتو، على مرحلة من الضفة اليسرى لنهر "بَنِي" أحد روافد نهر النيجر[3]. تباينت وجهات النظر حول من قام بتأسيسها فالحسن الوزان صرح بأنهم: "أسرة من أصل ليبي"[4]، فيما ذهب مُحَمَّد الغربي بأنهم: "برابرة صنهاجة"[5]، ويأتي جاك ووديس وأعتقد: "أن قبائل السنغاي قد أسستها في القرن الثامن"[6]، إلا أن معظم من كتبوا عنها اتفقوا على أن من قام بتأسيس المدينة هم السوننكي[7].

انخرطت جنى في الإسلام خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي بإسلام ملكها كُنْبُرُ وعدد كبير من أهلها، وقد نقل لنا السعدي وقائع إسلامه ما نصه: "ابتدأت في الكفر في أواسط القرن الثاني من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. ثم أسلموا عند تمام القرن السادس، والسلطان كُنْبُرُ هو الذي أسلم وأسلم أهلها بإسلامه. ولما عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا على أرض المدينة...فكانت مقبولة وهي كائنة إلى الآن بالمشاهدة والمعاينة"[8].

توافد إليها العلماء وشيوخ العلم منذ وقت مبكر ومن كل حدب وصوب، واتخذوا بها المساجد والمدارس لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية ومختلف العلوم الإسلامية، وقد أَقَرَّ السعدي بذلك بقوله: "وقد ساق الله لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى"[9].

وأصبحت بذلك تمثل مركزا إسلاميا وعلميا وثقافيا مباركا، واحتلت بذلك المدينة الدرجة الثانية بعد مدينة تمبكتو[10] من حيث الأهمية الثقافية والعلمية. وبشهادة السعدي فقد كانت مدينة جنى سببا في ازدهار مدينة تمبكتو وشهرتها في الآفاق وصرح قائلا: "ومن أجل هذه المدينة المباركة يأتي الرفاق من جميع

---

[1]- حول مدينة جِنَّى ينظر: حسين مجدي صالح: "**جنى من المملكة الوثنية إلى السلطنة الإسلامية (الملمح السياسي)**"، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية بالسودان وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، 26-2006/11/27، العدد 11، ص ص 425-440.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 117-121.

[3]- أحمد شلبي: المرجع السابق، ج06، ص 199.

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 164.

[5]- مُحَمَّد الغربي: المرجع السابق، ص 580.

[6]- جاك ووديس: المرجع السابق، ص 566.

[7]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 508.

[8]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 112-113.

[9]- السعدي: المصدر نفسه، ص 117.

[10]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 243.

الآفاق إلى تمبكتو شرقها وغربها ويمينها وشمالها"[1].

وأما أبرز المؤسسات التعليمية التي قامت باحتضان الحركة الثقافية والعلمية بالمدينة وازدهارها هي مؤسسة المسجد الجامع الذي بناه الملك كنبر في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وفي هذا الصدد صرح السعدي ما نصه: "ولما أسلم خَرَّبَ دار السلطنة وحولها مسجدا لله تعالى وهو الجامع"[2]. صرح موريس دولافوس بقوله: "إنه أول مسجد بني في المدينة كان من قبل مغربي يدعى ملوم إدريس"[3].

وقد مثل هذا المسجد مركزا ومعهدا للدراسات الإسلامية واللغوية وكان يضاهي معاهد تمبكتو[4]، الأمر الذي أدى إلى انتعاش الحركة التعليمية وقيام الحلقات الدراسية والمناظرات العلمية التي تجري في منتصف الليل، وذلك لانشغال الناس في بقية الأوقات[5] على ما يبدو. ويشير مطير سعد غيث بقوله: "وما يؤكد ما ذهبنا إليه من ارتفاع مستواها الثقافي هو ارتفاع أسعار الكتب بها"[6].

وبالإضافة إلى المسجد الجامع هناك المدارس والكتاتيب لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين، وما يثبت ذلك تصريح بعض الشيوخ الذين كانوا شهود عيان على الاستعمار الفرنسي عند استيلائه على تلك المدينة وما ارتكبوه ضد مؤسسات التعليم الإسلامي لأبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا مفادها: "عندما دخل الاستعمار الفرنسي كانت فيها خمس عشرة مدرسة-غير الكتاتيب لتعليم الصغار القرآن الكريم- وكثير من الكتب الدينية والعربية"[7].

وقد سَجَّلَ السعدي عددا لابأس به من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في الحركة الثقافية والعلمية بمدينة جنى إلا أن أغلبهم لهم حضور خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

ومن العلماء والشيوخ الذين وفدوا إليها قصد التعليم ونشر العلوم الدينية ومختلف المعارف، منهم:

**-الفقيه مورمغ كنكي (كان حيا خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي):**

يعتبر الشيخ مورمغ كنكي علما من أعلام الثقافة الإسلامية في مدينة جنى وفي بلاد السودان كله، لما خلفه من أثر في الحياة العلمية بين أهالي المدينة من علماء وطلاب علم وعامة الناس. صرح السعدي بأن: "أصله تاي قرية بين بيغ وكوكر"[8]. رحل الفقيه كنكي من قريته إلى كابرا أين نهل العلم من علمائها.

---

[1]- السعدي: المصدر السابق، ص 113.

[2]- السعدي: المصدر نفسه، ص 114.

[3]-Delafosse(M): Haut-Sénégal-Niger, Op.cit, t02, p 275.

[4]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 248.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 117.

[6]- أحمد مطير سعد غيث: **الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005، ط01، ص 200.

[7]- أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: المرجع السابق، ص 248.

[8]- السعدي: المصدر السابق، ص 117.

وبعد أن أتم له ذلك رحل إلى جنى أواسط القرن التاسع الهجري/القرن الخامس عشر الميلادي وسكنها. جلس للتدريس في المسجد الجامع حيث كانت له قدرة عجيبة في ذلك[1].

وصفه السعدي بأنه كان: "فقيها عالما عابدا جليل القدر. لما سمع به طلبة العلم التفوا من حوله لاقتباس فوائده. وفي نصف الليل يخرج من داره إلى الجامع لنشر العلم...إلى الإقامة لصلاة الصبح ثم يعودون إليه بعد الصلاة إلى الزوال وفيها يرجع إلى داره، ثم بعد صلاة الظهر كذلك إلى صلاة العصر"[2]. تخرج على يده العديد من طلبة العلم في جنى إلا أن المصادر لم تفدنا بأسمائهم.

شهدت جنى نشاطا ملحوظا في المجال الثقافي والعلمي خاصة في عهد دولة الآسكيا خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي أثبت ذلك السعدي في تاريخه أسماء علماء وفقهاء أجلاء كان لهم دور فعال من هاته الحركة بحيث أصبح جنى بفضلهم تنافس كبرى المراكز الثقافية ببلاد السودان مدينة تمبكتو.

**7-جاو:**

أصبحت مدينة جاو مركزا حضاريا منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بشهادة البكري الذي أفادنا بما نصه: "...أهلها مسلمون وحواليها المشركون،... وحواليها من معادن التبر كثير وهي أكثر بلاد السودان ذهبا"[3]، إلا أنها احتلت الدرجة الثالثة من ناحية الأهمية الثقافية بعد كل من تمبكتو وجنى.

عرفت جاو نشاطا ثقافيا مهما باعتلاء السلطان منسى موسى عرش مملكة مالي، وذلك بعد عودته من رحلة حجه الشهيرة عام 725هـ/1325م، حيث أمر السلطان المهندس الأندلسي أبو اسحاق الساحلي ببناء مسجد فخم بجاو[4]، وقد أشار ابن بطوطة في رحلته إلى وجود مسجدا للبيضان يَؤُمُّهُ فقيه فقيه من تافيلالت بقوله: "والفقيه مُحَمَّد الفيلالي إمام مسجد البيضان"[5].

انحصر التعليم بجاو بين المرحلة الابتدائية التي كان للكتاتيب احتضان الصغار وتعليمهم القرآن الكريم واللغة العربية والصلاة، ثم تأتي مرحلة التعليم المتوسط التي تنتج منها وتؤهل طلابها إلى معلمين في المساجد والجوامع، وليس بفقهاء وعلماء بارعين، على الرغم من وجود لأسماء لامعة بها[6]، من بينهم نذكر:

---

[1]-عبد العزيز بن راشد العبيدي:**"مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي"**،مجلة دراسات إفريقية،السودان،1989،العدد 05،ص 79.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص 117

[3]- البكري: المصدر السابق، ج02، ص 367.

[4]- فريد عبد الرشيد المهندس: المرجع السابق، ص 513.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 709.

[6]- زمان عبيد وناس: تاريخ مدينة كاو، المرجع السابق، ص 180.

**-الفقيه مُحَمَّد الفيلالي(كان حيا خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي):**

يبدو من خلال التسمية أن الفقيه مُحَمَّد الفيلالي قدم من تافيلالت بالمغرب الأقصى وهو من علماء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، التقى به ابن بطوطة أثناء نزوله بمدينة جاو أين نعته بقوله: "والفقيه مُحَمَّد الفيلالي إمام مسجد البيضان"[1]، ولا ندري متى توفي لصمت المصادر عن ذلك.

إن أغلب العلماء والفقهاء الذين ساهموا في الحركة الثقافية والعلمية بجاو برزوا خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أين أحاطوا ملوك سنغاي بها وهيئوا لها المناخ المناسب لجذب العلماء والفقهاء من مختلف المراكز الثقافية والعلمية في العالم الاسلامي للتدريس بها. فبذلوا لهم من ضروب المساعدة والاحترام ما يحمل البعض منهم على الإقامة لمدة طويلة في المدينة، كما فعل المغيلي، وعددا من علماء فاس ومراكش[2].

**8-نياني:**

تعد مدينة نياني من المراكز الثقافية بالسودان الغربي التي لا تقل أهمية عن غيرها، حيث حظيت باهتمام سلاطين مملكة مالي باعتبارها العاصمة السياسية لها، حيث انتقل إليها ماري جاطة حوالي العام 638هـ/1240م، موقعها الجغرافي على الشاطئ الأيسر لنهر سنكراني بالنيجر الأعلى. صرح العمري ما نصه: "اعلم أن هذه المملكة[مالي]...قاعدة الملك بها مدينة بيتي"[3].

عرفت العاصمة نياني ازدهارا ثقافيا وعلميا حيث كانت حافلة بالعلماء والفقهاء، والقضاة، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك ما نصه: "واستدعى الأمراء والفقهاء والقاضي والخطيب"[4]. ويبدو أن أغلب الفقهاء والقضاة ينحدرون من أصول مغربية.

وفي زيارة لمدينة نياني كشف الحسن الوزان مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عن أوضاعها الثقافية ما نصه: "ولهم مساجد كثيرة وأئمة، وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود المدارس"[5]. يبدو من خلال شهادة الوزان مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بأن مدينة نياني قد شهدت خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي نشاطا ثقافيا وعلميا من خلال المؤسسات التعليمية التي تزخر بها من مساجد ووفرة الأساتذة وإقبال طلبة العلم.

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 709.

[2]- زمان عبيد وناس: تاريخ مدينة كاو، المرجع السابق، ص 181.

[3]- العمري: المصدر السابق، ج 04، ص 49.

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 695.

[5]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص ص 164-165.

**9-أغاديس:**

كشف مرمول كاربخال في مصنفه إفريقيا بأن أغاديس تقع: "غرب إقليم جوبر وبتخوم البلاد الليبية"[1] وبالضبط في دولة النيجر، تبعد حوالي تسعمائة وخمسة وستين كيلومترا من عاصمتها نيامي. وبحسب أحمد بابا التنبكتي نقرأ في مصنفه نيل الابتهاج ما نصه: "بلدة قريبة من بلاد السودان عمرها صنهاجة"[2].

تأسست بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي من قبل الصنادلة إحدى قبائل الطوارق الوافدة إليها[3]. واشتهرت أغاديس بأنها مركز تجاري مهم، وملتقى لعديد من المسالك التجارية العابرة للصحراء الكبرى الرابطة بين مصر وبلاد المغرب وبلاد السودان.

وقد عرفت أغادس العديد من المؤسسات الثقافية والعلمية أهلتها بأن تنافس كبرى المراكز الثقافية في بلاد السودان على غرار تمبكتو وجنى وغيرها، كان من بين هذه المؤسسات كما أشار مطير سعد غيث "مسجد أسكيا الحاج مُحَمَّد، ومسجد مُحَمَّد الفزاني، ومسجد مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي"[4].

يبدو من خلال نسبة المسجد للشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي أن الرجل كان من مؤسسي هذا الصرح الثقافي والعلمي، أو ممن كان قد جلس للتدريس فيه. وقد أشار الهادي المبروك الدالي إلى ذلك ما نصه: "شيد العالم المغيلي بمدينة أقدز مسجدا صغير الحجم، عندما استوطن باقدز وكان هو نفسه يدرس العلم فيه"[5].

وأضاف الهادي المبروك الدالي بأن مساجد أغاديس كانت بمثابة مراكز علمية أمَّها العديد من الطلاب[6]، ومن ذلك أيضا أن عرفت المدينة وفود العديد من العلماء والفقهاء الذين كان لهم دور فعال في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية منهم الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي والفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي الذي درس عن الشيخ المغيلي ثم جلس للتدريس بها.

---

[1]- مرمول كاربخال: المصدر السابق، ج03، ص 206.

[2]- أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق، ص 353.

[3]-Cressier(P), Burnus(S): Op.cit, p 05.

[4]- أحمد مطير سعد غيث: الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد، المرجع السابق، ص 204.

[5]- الهادي المبروك الدالي: **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000، ص 159.

[6]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص 158.

**10-ولاتة(أيوالاتن):**

تأسست خلال القرن 2هـ/8م[1]، وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية في غرب الصحراء وبلاد السودان. اشتهرت ولاتة بفضل موقعها الهام كمركز تجاري ومسكن للعديد من مختلف القبائل، وكذلك عرف عليها استقبال القوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب صوب بلاد السودان والعائدة منه.

عرفت ولاتة أوج ازدهارها الثقافي والعلمي في فترة حكم مملكة مالي الإسلامية بشهادة ابن بطوطة الذي أفادنا بوجود المدرسين والفقهاء بها ما نصه: "منهم قاضيها مُحَمَّد بن عبد الله بن ينومر، وأخوه الفقيه المدرس يحي"[2]، ويضيف ابن بطوطة بأن أهلها مقبلون على تعلم القرآن الكريم والفقه بقوله: "وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن"[3].

وما يُؤَيّدُ ما ذكرناه تصريح السعدي بأن المدينة شهدت حركية ثقافية وبشرية ظهرت ذلك من خلال لائحة أسماء الفقهاء والعلماء الذين أنجتهم هذا نصه: "وإليه يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيه من الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة من كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالة وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك"[4].

وبخصوص مؤسساتها الثقافية والعلمية أشار ريمون موني إلى تواجد مؤسسة المسجد بقوله: "المسجد، الذي يقع على الحافة الشرقية، يمكن أن يكون، منذ بضعة قرون، محاطاً بمجموعات من المنازل التي اختفت الآن"[5]. وقد عرفت ولاتة عودة العديد من العلماء والفقهاء وطلاب العلم خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي من تمبكتو أين تعرضت هذه الأخيرة للحصار والهجوم من قبل جيوش سنى علي. ومن بين الشيوخ والعلماء البارزين نذكر:

**- الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي مُحَمَّد التازختي(ت 936هـ/1529م):**

من أشهر علماء ولاتة المعروفين والذين كان لهم دور في نشر الإسلام واللغة العربية والنهوض بالحركة الثقافية والعلمية بهاته المدينة الفقيه أحمد بن أحمد التازختي نسبة إلى قرية تازخت[6] قال عنه صاحب نيل

---

[1]-حماه الله ولد السالم: **تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، ص 252.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج02، ص 690.

[3]- ابن بطوطة: نفس المصدر والصفحة.

[4]- السعدي: المصدر السابق، ص ص 127-129.

[5]- Mauny(R): Tableau géographique…, Op.cit, p 485.

[6]- **تازخت**: تنطق محليا: تيزخت، تقع قريبا من مدينة ولاتة، على بعد بضعة كيلومترات. من كبريات الحواضر العلمية العتيقة بالصحراء، وكانت نظيرة ولاتة أو فاقتها. أول ذكر لها يعود لتواريخ تمبكتو، في تراجم بعض فضلاء العلماء التمبكتويين الذين قاموا بها من الأقيتين وهي أسرة أحمد بابا التنبكتي ومن غيرهم...وقد بلغت تازخت مبلغا عظيما من العلم، وكان بها أعيان العلماء من الشرفاء والعرب. ينظر: الطالب= =أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحاجي الوداني: **رحلة المنى والمنة**، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص 56.

الابتهاج وكفاية المحتاج بأنه: "قرأ ببلده... ثم رحل إلى تكدة فلقي بها المغيلي وحضر دروسه... ثم قفل للسودان فنزل ببلدة كشن[كتسيا] فأكرمه صاحبها غاية الإكرام وولاه قضائها"[1]. ويبدو أن لقائه بالشيخ المغيلي كان خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، أين كان يدرس بها.

**11-كانو:**

تعتبر كانو من أقدم المدن في بلاد السودان، موقعها الجغرافي بحسب مُحَمَّد بيلو حدده ما نصه: "ويلي هذا البلد من جهة اليمين وغربي برنو حوس وهو سبعة أقاليم لسانهم واحد، وعلى كل إقليم أمير نظير للآخر، وأوسطها كاشنة وأوسعها زكزك، وأوذبها غوبر، وأبركها كانو، وهي بلاد ذات أنهار وأشجار ورمال وجبال وأودية وغيال، يعمرها السودانيون من مماليك البربر من أهل برنو والفلانيين والتوارك..."[2].

موقعها الجغرافي هيأ لها بأن تكون همزة وصل بين بلدان كثيرة في بلاد السودان، وامتلاكها لثروات على اختلاف مصادرها جعلها تسد حاجياتها وحاجيات السكان القادمون إليها من مختلف المناطق المجاورة لها.

انخرطت كانو في الدين الإسلامي في العام 700هـ/1300م في عهد الملك الحادي عشر عثمان زمنقاوي من الأسرة الغوداوية[3]، ويرجع الفضل في ذلك إلى مجهودات علماء بلدة ونغارة الذين حلوا بكانو، على رأسهم الشيخ الفقيه عبد الرحمن الزنتي الونغاري، كرست هذه البعثة كل مجهوداتها حتى أسلم الملك وأسلم معه كثيرون، من ثم ازداد انتشار الإسلام لتصبح كانو بذلك قبلة العلماء.

صرح آدم عبد الله الآلوري ما نصه: "وفي عهد ابنه عمر الذي أحب الإسلام والعلماء وقربهم إليه وتعلم القرآن والحديث والفقه وعمل على نشر العلم، وأغدق على أهله الرزق وشجعهم على طلبه والإقبال عليه والتبحر فيه"[4]. وقد شهدت كانو في عهد السلطان مُحَمَّد رومفا(867-904هـ/1463-1499م)[5] الذي حكم كانو قرابة ثلاثٍ وثلاثينَ عاما، حركة ثقافية وعلمية تجسدت في بناء المساجد والاعتناء بالشعائر الدينية وإحيائها، وإدخال اللغة العربية وتوسيع قاعدة التعليم وتشجيع العلماء لنشر العلم في بقاع البلاد المختلفة[6].

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج وكفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 587.

[2]-مُحَمَّد بيلو: **انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تح: بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996، ص 67.

[3]-سكينة بوبكي: **"الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م"**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: أ.د عبد المجيد بن نعيمة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009، ص 41.

[4]- آدم عبد الله الألوري: **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص ص 82-83.

[5]- مجموعة من المؤلفين: تاريخ إفريقيا العام، المرجع السابق، ج03، ص 133.

[6]- عثمان برايما بارى: **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ط01، ص90.

أفادنا مسعود الخوند بأن السلطان رومفا قام بتشييد أول مسجد جامع ببلاده هذا نصها: "وبنى رومفا أول مسجد جامع مركزي في كانو"[1]، واحتل هذا الصرح الديني والثقافي دورا كبيرا في إنماء الحركة الفكرية والأدبية والحضارية بالإمارة[2]، مما شجع العلماء والشيوخ إلى الإقبال والجلوس للتدريس والتعليم بهاته الإمارة.

لقد عمل السلطان مُحَمَّد رومفا بعد أن هيأ الأجواء من تشييد للمساجد ونشر للدين الإسلامي في كانو إلى استقطاب العلماء والشيوخ قصد تنشيط الحركة الثقافية والعلمية بها. ومن بين العلماء الذين استقبلهم السلطان مُحَمَّد رومفا نذكر:

**- الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909هـ/1504م):**

حل الشيخ المغيلي بكانو خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ومكث بها حوالي عشرين سنة، تولى القضاء والإمامة، وقام بمساعدة السلطان مُحَمَّد رومفا لتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والعقدية أين أثمرت مجهوداته في تخريج عدد كبير من العلماء وتأسيس مدارس علمية كثيرة[3].

وقد طلب سلطان كانو من الشيخ المغيلي وضع كتاب يضم إرشادات بخصوص تسيير شؤون الإمارة والذي سمي بـ"تاج الدين على ما يجب على الملوك"، ويعد هذا الكتاب بمثابة مسودة دستور إسلامي شرح فيها الشيخ المغيلي نظام حكم الدولة الإسلامية.

بالإضافة إلى الشيخ المغيلي برزت شخصيات كثيرة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي على غرار الشيخ عبد الرحمن سوقين(ت 956هـ/1549م)[4]، والشيخ أحمد بن عمر بن مُحَمَّد أقيت(ت943هـ/1536م)[5]، والشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي(ت940هـ/1533م)[6]،

---

[1]- مسعود الخوند: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004، ج20، ص 59.

[2]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ط01، ص 155.

[3]- سكينة بوبكي: المرجع السابق، ص 42.

[4]- يعد الشيخ عبد الرحمن سوقيني من علماء المغرب الأقصى، تتلمذ على يد الشيخ ابن غازي المكناسي(ت919هـ/1513م)، وفد هذا= =العالم المغربي إلى كانو قادما إليها من مصر، أين جلس للتدريس في إحدى مدارسها العربية. ينظر: عثمان برايما بارى: المرجع السابق، ص 91.

[5]- قال عنه السعدي ما نصه: "ودخل كنو[كانو] وغيرها من بلاد السودان، ودرس العلم وأفاد وانتفع به جمع كثير". ينظر: السعدي: المصدر المصدر السابق، ص 158.

[6]- يعد الشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي من علماء الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبالضبط من واحة تابلبالت التي تقع جنوب توات وصفها الوزان بقوله: "هو مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا، على بعد مائتي ميل من الأطلس ومائة ميل جنوب سجلماسة...يتجرون مع بلاد السودان". أخذ العلم عن الشيخ الصالح عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن أقيت بولاتة، وتتلمذ على ابن غازي وغيره بالمغرب الأقصى، ثم إرتحل إلى مصر ودرس بالأزهر الشريف. وصفه أحمد بابا التمبكتي في مصنفه نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ما نصه: "بالفقيه الحافظ الحجة". دخل الشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي بلاد السودان الأوسط قادما من مصر أين حل بكانو وجلس للتدريس وأقرأ أهلها، وكان له دور كبير في تعليم اللغة العربية هناك. تخرج على يده العديد من طلبة العلم فيما لم تفصح المصادر عن أسمائهم لنا. ينظر=

وغيرهم كثير.

**12-كشن(كاتسينا):**

كاتسينا هو اسم زوجة مؤسس المدينة يدعى جنزما[1]، موقعها الجغرافي بحسب مارمول كربخال يقع "شرق إقليم كانو وتتألف من مناطق جبلية وسهول تنتج كميات وافرة من الشعير والذرة"[2]، فيما أشار الحسن الوزان إلى ساكنيها بأنهم: "شديدو سواد البشرة، أنوفهم كبيرة شنيعة، وشفاههم غليظة. وجميع الأماكن المسكونة في هذه البلاد قرى"[3].

وقد صرح آدم عبد الله الآلوري بأن شعب كاتسينا خليط: "من البول والبرابرة والونغارة والتوارك، ولقد تحضرت وتمدنت بازدهار سوقها الكبيرة التي ترتادها القوافل من بلاد العرب والبربر وبرنو وسنغى وغيرها حتى صار لكل هذه البلاد فيها شوارع وأحياء"[4]. وقد عرفت المدينة الدين الإسلامي منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، بفضل التجار الوافدين إليها من الونغارة والعرب والبرابرة.

برزت مدينة كاتسينا أو كشن كما يسميها صاحب نيل الإبتهاج كمركز ثقافي وعلمي منذ القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، في عهد السركي مُحَمَّد كوراو (891-901هـ/1445-1495م) الذي يعد أول قائد مسلم لكتسينة، وقد عمل السركي مُحَمَّد كوراو بتشييد المؤسسات التعليمية وبناء المساجد والتي من بينها مسجد غوبرو الذي تم بناءه خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[5]، ومن ذلك أيضا اجتهد في جلب واستقطاب العلماء والشيوخ للتدريس في مؤسسات الإمارة. وفيما يلي نورد لائحة العلماء والشيوخ الذين درسوا بكاتسينا.

**-لائحة الشيوخ والعلماء بكاتسينا:**

اهتم السلطان السركي مُحَمَّد كوراو بالحركة الثقافية والعلمية بإمارته بعد أن أتم تشييد مسجد غوبرو إلى استقطاب العلماء والشيوخ قصد تنشيط الحركة الثقافية والعلمية بها، أين حظيت الإمارة بوفود العديد من العلماء والشيوخ من مختلف البقاع نذكر من بينهم:

---

=مُحَمَّد عبد العظيم الخولي: **الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي 2 (648-923هـ/1250-1517م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011، ط01، ص 08؛ أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق، ص 608؛ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 129.

[1]- آدم عبد الله الألوري: المرجع السابق، ص 78.

[2]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ج 03، ص 208.

[3]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج02، ص 173.

[4]- آدم عبد الله الألوري: المرجع السابق، ص 79.

[5]- مجموعة من المؤلفين: تاريخ إفريقيا العام-إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، المرجع السابق، ج04، ص 280.

**- الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909هـ/1504م):**

بعد كانو حل الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي بكاتسينا وقام بالتدريس ونشر الثقافة العربية الإسلامية في مسجدها، وتولى منصب الإمامة والقضاء[1]، وقد نهل من علمه العديد من طلبة العلم والشيوخ ويدنون له بالولاء الفكري والأدبي ويعترفون بفضائله على مجتمعاتهم.

**- الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي مُحَمَّد التازختي(ت 936هـ/1529م):**

يعد الشيخ التازختي من أصيلي بلدة تازخت من أعمال ولاتة، وصفه السعدي بقوله: "كان فقيها عالما فهاما محدثا متفننا جيد الخط حسن الفهم كثير المنازعة"[2]. بعد أن قرأ ببلده ودرس عن المغيلي بتكدة، أراد الإستزادة فحل بالأزهر الشريف بمصر أين أخذ عن مشائخها الحديث وروي وحصل، وصار من المحدثين[3].

وبعد أن أتم له ذلك قفل راجعا إلى بلاد السودان، فنزل ببلدة كشن[كاتسينا] فأكرمه صاحبها غاية الإكرام وولاه قضائها[4]. وقد قام الشيخ التازختي بتآليف كثيرة منها تفسير نصوص بعض المختصرات الفقهية مثل مختصر خليل في الفقه المالكي في ذلك صرح السعدي ما نصه: "له تقييد وطرر على مختصر الشيخ خليل"[5]. قام الشيخ التازختي كغيره من العلماء والشيوخ بالتدريس في مسجدها ونشر الفقه والحديث وتخرج على يده العديد من الطلبة، فيما لم تسعفنا المصادر بإفادتنا بأسمائهم.

وكخلاصة لما سبق ذكره فإن العلاقات الثقافية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال القرون الثالث والتاسع الهجريين/التاسع والخامس عشر الميلاديين شهدت نشاطا ملحوظا أقرته المصادر المغربية والسودانية على السواء. وإن من بين وسائل انتشار الثقافة العربية والاسلامية من الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إلى بلاد السودان عديدة من بينها الهجرات القبلية البربرية والعربية، والتجار الوافدين، والعلماء والفقهاء ورجال الدعوة، وإلى جانب ذلك مشائخ الطرق الصوفية.

إن كل هذه الأسباب والعوامل السالفة الذكر قد اثمرت جهودها إلى بروز العديد من مظاهر الثقافة العربية الاسلامية في بلاد السودان كان من بينها انتشار اللغة العربية في جميع المجالات، وحلول النظام التعليمي بمراحله واستخدامه في تعليم وتربية النشء، ضف إلى ذلك إدراج المقررات الدراسية التي كانت تدرس بالمراكز الثقافية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط في المؤسسات الثقافية والعلمية لبلاد السودان.

---

[1]- مُحَمَّد الصديق بن صالح: **"التأثير الفكري والثقافي للمغرب الأوسط في السودان الغربي ما بين القرنين 7هـ-9هـ/13م-15م"**، مجلة الساورة للدراسات الإجتماعية والانسانية، جامعة المسيلة، العدد 08، 2018، ص 53.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص 163.

[3]- مُحَمَّد عبد العظيم الخولي: المرجع السابق، ص 07.

[4]- أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج وكفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 587.

[5]- السعدي: المصدر السابق، ص 168؛ عثمان برايما بارى: المرجع السابق، ص 91.

وقد شملت مظاهر انتشار الثقافة العربية الاسلامية وتعدت إلى فن العمارة التي ميزت نوعين هما العمارة الدينية من خلال تشيد المساجد والجوامع، والعمارة المدنية التي تجسدت في بناء البيوت والأسواق والممرات وما إلى ذلك.

وقد أبانت هذه الحركة الثقافية والعلمية بين طرفي التواصل إلى ظهور مراكز ثقافية وعلمية ساهمت بدورها في انتقال العلماء والفقهاء والكتب والمخطوطات فيما بينهما ونتج عنها كذلك تخرج العديد من طلبة العلم جلسوا للتدريس وللتأليف ونشر الثقافة العربية الاسلامية في بلادهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# خاتـمـة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**خـاتمة:**

بعد أن قمت بمعالجة مختلف العلاقات التي سادت بين الإقليم الصحراوي للمغرب والأوسط وبلاد السودان خلال الفترة موضوع الدراسة، حيث أجبت عن الإشكالية التي وردت في المقدمة، توصلت في الأخير إلى جملة من النتائج والتي ألخصها في الآتي:

الإقليم عبارة عن رقعة جغرافية تمتاز بوجود خصائص مشتركة فيما بينها. وقد بينا وجهات النظر بعد استقرائنا لمصادر الفترة الوسيطة حيث يعتبر المقدسي أول من فسر مفهوم الإقليم تفسيرا ميدانيا حيث عَدَّدَ لنا مكوناته، وجعله يشمل الكورة، والقصبة، والمدينة ثم القرية، وهو التقسيم المعمول به في عصرنا الحاضر. فيما أضاف إليه الإدريسي الإنسان، والنبات، والمعادن، والحيوانات. ويأتي الحموي الذي على ما يبدو استنتج أربعة مصطلحات لهذا المفهوم وهي أقوال العامة وجمهور الأمة، وأهل الأندلس، وأهل فارس قديما، والرابع والأخير استخدام دوائر العرض وخطوط الطول.

يبدو أن الطبيعة الجغرافية للمنطقة التي قمنا بدراستها بوعورتها وقساوة مناخها لم تكن عائقا أو حاجزا بين الضفتين في التواصل بينهما، خاصة إذا علمنا أن تضاريسها كانت على ما يبدو لا تتخللها مرتفعات أو جبال وعرة، ضف إلى ذلك باطن صحراء للمغرب الأوسط الذي يمثل خزانا للمياه الجوفية، الأمر الذي سَهَّلَ على القوافل العابرة للصحراء الكبرى خوض غمارها وقفارها من خلال تتبع نقاط المياه والمحطات التي نشأت على إثرها وارتقت إلى مراكز حضارية دونت تاريخها بحروف من ذهب.

بالإضافة إلى ذلك ساهمت وفرة المياه الجوفية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط إلى كثرة المحطات التي تمر بها القوافل في المسلك الواحد وبالتالي تسعى إلى تأمين القوافل التجارية من حاجياتها من المياه.

إن طبيعة قبائل زناتة الأمازيغية البترية الأباضية المذهب المعروف عنها قوة شوكتها ومعرفتها لدروب الصحراء ومسالكها، وبعد التضييق الذي مورس عنها من قبل صنهاجة المالكية من تهجير وتقتيل، انتجعت صحراء المغرب الأوسط توجهت على ما يبدو إلى إثبات وجودها بولوج عالم التجارة العابرة للصحراء نحو إلى بلاد السودان، فكان لها ذلك حيث كانت عنصرا فعالا ومهما يتحكم في اقتصاد المغرب الوسيط، ولا ننسى القبائل العربية وعلى رأسها بني هلال وسليم بعد استقرارهم بالمنطقة أصبحوا يمثلون عنصرا مهما في هاته المعادلة.

توصلنا إلى أن تحديد بلاد السودان وفق المصادر المعتمدة في ذلك إلى نوعين من الأنظمة الأول يسمى النظام الفلكي القائم على نظرية الأقاليم السبعة المكونة للمعمور من الأرض في تصور أصحابها، ذلك أنهم قسموا الأرض الكروية الشكل إلى أربعة أقسام، وصاحب هذه النظرية هو بطليموس؛ وفيما أطلق على الثاني النظام الوصفي هو نظام خاص بالعرب، اعتمد هذا النظام على تحديد البلدان من جهاتها الأربعة تحديدا جغرافيا واضحا، واعتمد أيضا على المكونات البشرية الحالَّة بها.

لقد ساهم الوسط الطبيعي لبلاد السودان الذي امتاز ببساطة تضاريسه ووفرة موارده المائية، في التواصل الحضاري بين الضفتين، ضف إلى ذلك سهولة التنقل لوجود أنهار في معظمها صالحة للملاحة على امتداد أرض بلاد السودان الغربي والأوسط حيث تقدر بآلاف الكيلومترات، نجدها لعبت دورا فعالا في تنشيط التجارة ونقل البضائع والسلع إلى الداخل، الأمر الذي انعكس على المنطقة من خلال نشأة المدن وتعميرها وبالتالي انتقال نمط معيشة الساكنة من نظام الترحال إلى نظام الحضر والاستقرار.

امتازت صحراء المغرب الأوسط بالعديد من المراكز الحضارية التي كانت طرفا على ما يبدو في تمتين وتعزيز العلاقات بينها وبين بلاد السودان الغربي والأوسط على غرار أسوف وأريغ ووارجلان وتوات وبلاد الزاب؛ كما لاحظنا أيضا في الضفة المقابلة للإقليم ميلاد العديد من المراكز التي كانت قد ساهمت بدور كبير في هذه المعادلة سواء في المجال التجاري أو الثقافي.

لقد أدت كل من وارجلان وتوات دورا فعالا في ربط الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط ببلاد السودان عبر مسالك كانت فيها منطلقا للعديد من المراكز الحضارية السودانية خاصة في الجانب التجاري والذي على ما يبدو كانت القوافل الوارجلانية والتواتية محل ترحاب أين ما حلت سواء في بلاد السودان الغربي والأوسط.

إن كثرة المسالك التي اخترقت بلاد السودان متخذة كل من وارجلان وتوات منطلقا لها، لدليل على مكانة الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتحكمه في اقتصاد العالم الوسيط بتحكمه في أهم سلعتين رئيسيتين التبر والرقيق الأسود.

قبل دعوة المرابطين خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يرجع الفضل إلى نشر الثقافة العربية الاسلامية إلى الجماعات الأباضية ورجالات الدعوة والمشائخ الذين رأيناهم قد ساهموا بجهد كبير لا يستهان به خاصة وأن المصادر أشارت إلى ذلك حيث أسلم أحد ملوك السودان على يد أحدهم. وفي المقابل فقد ساهم أيضا عدة شخصيات ونخب وعلماء مالكية حلوا ببلاد السودان درسوا وكونوا طلبة علم أصبحوا فيما بعد مشائخ وعلماء لهم حظوة لدى السلاطين، ويضرب بهم المثل في العلم والتقى عند علماء حواضر العالم الاسلامي في تلك الحقبة.

ولا يمكنني في الأخير التصريح بأنني قد أحطت بكل الجوانب المتعلقة أو الاستفاء الكلي لهذه الدراسة، وإنما هي محاولة أردت من خلالها تسليط الضوء وإبراز مدى الدور الذي قامت به حواضر صحراء المغرب الأوسط في مد جسور التواصل الحضاري وتمتينها مع إفريقيا فيما وراء الصحراء الذي ساده على ما يبدو في أغلب الفترات الاحترام المتبادل، فقد أوردنا رسالة أحد ملوك الكانم برنو يحث فيها علماء توات للعودة إلى بلاده لأجل التدريس ونشر الاسلام كما فعل آبائهم ومشائخهم من قبلهم.

وبخصوص الآفاق المستقبلية التي أود أن أطرحها في نهاية هذه الدراسة، أوجزها في الآتي:

– الاهتمام بالمدن الصحراوية القديمة والتنقيب عنها حتى يتسنى لنا معرفة مدى مساهمتها في تاريخنا الاسلامي خاصة وأن المنطقة الشرقية لبلادنا الحبيبة كانت ولا تزال في بعض المناطق تعج بالجماعات الأباضية، بعقد اتفاقيات مع مخابر البحث والتنقيب ذات خبرة ومهنية دولية لأجل إحيائها واستعمالها في مجال السياحة الروحية والحصول على العملة الصعبة لاقتصاد البلاد؛

– فتح مشاريع دكتوراه في تخصص العلاقات بين المغرب الأوسط وبلاد السودان خلال العصر الوسيط.

– عقد اتفاقيات للتبادل العلمي بين الجامعات الجزائرية والإفريقية خاصة منها موريتانيا، السنغال، مالي، النيجر، تشاد لأجل تسهيل عملية التنقل والبحث الأكاديمي خاصة وأن أغلب البلدان الإفريقية التي لها حدود معنا تملك مخطوطات ثمينة وقيمة تخص تاريخا المشترك.

– القيام بعقد ندوات وملتقيات وطنية ودولية بمشاركة مختصين وخبراء في هذا الميدان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# لائحة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**لائحة المصادر والمراجع:**

**أولا: المصادر**

1. القرآن الكريم.

2. ابن الأبار(ت658هـ/1260م): الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ط02، ج02.

3. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي مُحَّد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ط01، ج01.

4. ابن البيطار(ت646هـ/1248م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ط01، ج01.

5. ابن السماك العاملي(من أهل القرن 8هـ/14م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1978.

6. ابن الفقيه الهمذاني(ت340هـ/951م): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996، ط01.

7. ابن بطوطة(ت779هـ/1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: مُحَّد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ط01، ج02.

8. ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: مُحَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1972، ط02، ج03.

9. ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1449م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1969، ج02.

10. ابن حزم الأندلسي(ت456هـ/1064م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام مُحَّد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط05.

11. ابن حوقل(ت367هـ/977م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

12. ابن خلكان(ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994، مج07.

13. ابن زيات التادلي(ت627هـ/1230م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، كتاب- ناشرون، بيروت، 2016.

14. ابن سعيد المغربي(ت685هـ/1286م): بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماس، تطوان المغرب، 1958.

15.--------: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ط01.
16.ابن عبد الحق البغدادي(ت739هـ/1338م): مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة، دمشق، 1954، ج01.
17.ابن عبد الحكم(ت257هـ/871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999، ج01.
18.ابن عذاري المراكشي(ت695هـ/1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ط03، ج01.
19.ابن فضل الله العمري(ت 749هـ/1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ط01، ج04.
20.---------: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ط01.
21.ابن كثير(ت 774هـ/1373م): البداية والنهاية، دار الفكر، دمشق، 1986م، ج 14.
22.ابن مريم التلمساني(ت1020هـ/1611م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: مُحَمَّد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
23.ابن منظور(ت 711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1952، ط03، ج 01.
24.أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي(ت346هـ/957م): أخبار الزمان ومن أبداه الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
25.أبو الربيع سليمان الوسياني(كان حيا القرن 6هـ/12م): سير الوسياني، تحقيق: عمر بن لقمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009، ط01، ج 01-02.
26.أبو العباس أحمد ابن القاضي المكناسي(ت1025هـ/1616م): درة الحجال في اسماء الرجال، تحقيق: مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.س.ن، ج03.
27.أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ت 914هـ/1509م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: مُحَمَّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، الرباط، 1981، ج01.
28.أبو العباس القلقشندي(ت 821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: مُحَمَّد حسنين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج05.

29.أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي(ت بعد 460هـ/1067م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق: البشير بكوش، مراجعة: العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، 1994، ط02، ج01.

30.أبو حامد الغرناطي(ت 565هـ/1170م): تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تحقيق: العربي اسماعيل، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ط01.

31.أبو زكرياء يحي بن أبي بكر(ت 471 أو بعد 474هـ/1078 أو بعد 1081م): كتاب السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق: عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981، ط01.

32.----------: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط02.

33.أبو عبد الله مُحَمَّد الأنصاري(ت 894هـ/1489م): فهرست الرصاع، تحقيق: مُحَمَّد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د.س.ن.

34.أبو عبد الله مُحَمَّد الزهري(ت 549هـ/1154م: كتاب الجغرافية، تحقيق: مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س ن.

35.أبو عبيد الله البكري(ت 487هـ/1094م): المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج02.

36.أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت 255هـ/868م): كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1967، ط02، ج06.

37.أبو يعقوب يوسف الوارجلاني(ت 570هـ/1175م): الدليل والبرهان، تحقيق: سالم بن حمد الحارثي، مطابع العالمية، مسقط، 2006، ط02، ج03.

38.أحمد بابا التنبكتي(ت 1036هـ/1627م): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: مُحَمَّد مطيع، مطبعة فضالة، المغرب، 2000، ج01.

39.---------: معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الإسترقاق، تحقيق: فاطمة الحراق وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000.

40.---------: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989، ج02.

41.---------: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ج02.

42.أحمد بن سعيد الدرجيني(ت 670هـ/1272م): طبقات مشائخ المغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج01.
43.أحمد بن عبد الواحد الشماخي(ت 928هـ/1522م): كتاب السير، تحقيق: مُحَمَّد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ط01، ج02.
44.الإدريسي(ت 556هـ/1160م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
45.الإصطخري(ت حوالي 346هـ/957م): المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004.
46.الحسن الوزان(ت بعد 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ط02، ج02.
47.الحميدي(ت 488هـ/1095م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966.
48.الحميري(ت 900هـ/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984، ط02.
49.الرقيق القيرواني(ت 420هـ/1029م): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ط01.
50.عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد التجاني(ت بعد 717هـ/1317م): رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
51.المسعودي(ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ط01، ج02.
52.شمس الدين ابي عبد الله مُحَمَّد بن ابي طالب الدمشقي الانصاري المعروف بشيخ الربوه: (ت727هـ/1326م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تصحيح: اغشطس بن يحيى، مطبعة الاكاديمية، بطرسبورغ، 1864.
53.شمس الدين السخاوي(ت 902هـ/1497م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل الرابع، بيروت، د.س.ن، ج04.
54.الشهرستاني(ت 548هـ/1153م): الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، 1993، ط03، ج01.
55.عبد الرحمن ابن خلدون(ت 808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001، ج 06+07.

56.عبد الرحمن السعدي(ت بعد 1066 أو 1067هـ/ بعد 1655 أو 1656م): تاريخ السودان، تحقيق: ولد السالم حماه الله، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.
57.عبد الرحمن بن مُحَمَّد الأنصاري الأسيدي الدباغ(ت 696هـ/1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968، ط02، ج01.
58.عبد الله بن مُحَمَّد العياشي(ت1090هـ/1679م): الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006، ط01، ج01.
59.علي ابن أبي زرع الفاسي(ت 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
60.عماد الدين إسماعيل أبو الفداء(ت 732هـ/1331م): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.
61.القزويني(ت 682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.س.ن.
62.لسان الدين ابن الخطيب(ت 776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط1، ج01.
63.مارمول كربخال(ت 1009هـ/1600م): إفريقيا، ترجمة: مُحَمَّد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ج 01.
64.مُحَمَّد ابن مرزوق التلمساني(ت 781هـ/1379م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
65.مُحَمَّد بن عسكر الحسني الشيفشاوني(ت 986هـ/1578م): دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: مُحَمَّد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.
66.مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر العدواني(كان حيا 11هـ/17م) : تاريخ العدواني، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1996، ط01.
67.محمود كعت التنبكتي(ت 1002م/1593م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تحقيق: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2014، ط01.
68.المقدسي(ت 380هـ/990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ط03.

69.المهلبي(ت 380هـ/990م): المسالك والممالك، جمعه: تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ط01.
70.مؤلف أندلسي(كان حيا القرن 8هـ/14م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ط01.
71.مؤلف مجهول(كان حيا القرن 10هـ/16م): خبر السوق، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003، ط01.
72.مؤلف مجهول(كان حيا القرن6هـ/12م): كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
73.مؤلف مجهول(كان حيا القرن 6هـ/12م): كتاب المعلقات وأخبار وروايات رجال الدعوة، تحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، مسقط، 2009، ط01.
74.ياقوت الحموي(ت 626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995، ج01.
75.اليعقوبي (ت بعد 292هـ/904م): البلدان، تحقيق: مُحَمَّد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.
76.--------: تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010، ط01، ج01.

**ثانيا: المراجع**

**1-باللغة العربية:**

**أ-الكتب:**

1.إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر-قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ط02، ج02.
2.إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م-دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، 1993، ط02.
3.إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، تحقيق: إبراهيم بكير بحاز و سليمان بن مُحَمَّد بومعقل، العالمية، غرداية، 2013، ط01.
4.ابراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 2000، ج01.
5.إبراهيم على طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970.
6.----------: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1973.

7. إبراهيم مُحَمَّد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ط02.
8. إبراهيم مياسي: قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2010.
9. أنور محمود زناتي: معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
10. ابن بابا حيدا: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
11. أبو العباس أحمد الناصري: كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج02-ج03.
12. أحمد أبا الصافي جعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية 13هـ، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ط01، ج01.
13. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني- إمبراطورية مالي 1230-1430م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.
14. أحمد سامح الخالدي: المعاهد المصرية في بيت المقدس، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، 2014.
15. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج06.
16. أحمد مطير سعد غيث: الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس عشر والسابع عشر للميلاد، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005.
17. ----------: الثقافة العربية الاسلامية وأثرها على مجتمع السودان الغربي-دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار العربي، بيروت، 2005، ط01.
18. أحمد مولود ولد أيده: الصحراء الكبرى مدن وقصور، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج01.
19. أحمد نجم الدين فليجة: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س.ن.
20. آدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
21. آدم متز: الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري أو عصر نهضة الإسلام، ترجمة: مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.س.ن، ج02.
22. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.
23. --------: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

24. إسماعيل حامد إسماعيل علي: تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط، تقديم: حسين سيد عبد الله مراد وكرم الصاوي باز، د.د.ن، القاهرة، 2020.

25. اصطيفان أكزال: تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة: مُحَمَّد التازي سعود، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ج01.

26. إلهام مُحَمَّد علي ذهني: بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2009، ط01.

27. آمنة أبو حجر: المعجم الجغرافي، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009، ط01.

28. أندري روجي فوازن: سوف مونوغرافيا، ترجمة: أبو بكر مراد، دار المعرفة، الجزائر، 2016.

29. أنور عبد العلي العقاد: الوجيز في القارة الإفريقية، دار المريخ، الرياض، د.ت.ن.

30. بدر الدين العيني: البناية شرح الهداية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ج01.

31. بشار أكرم الملاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012.

32. بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، دار المدار الاسلامي، بيروت، 2003، ط01.

33. بكير بن سعيد أعوشت: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية –دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1991.

34. بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية (أدوارها–ومواطنها–وأعيانها)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج01.

35. بول مارتي: القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة، تعريب: مُحَمَّد محمود ودادي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001، ط01.

36. ------: من عرب مالي البرابيش "بنو حسان"، تعريب وتعليق: مُحَمَّد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

37. ------: من عرب مالي والنيجر كنتة الشرقيون، تعريب وتعليق: مُحَمَّد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

38. بيار جورج: معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة: حمد الطفيلي، مراجعة: هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، لبنان، 2002.

39. تادايوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جرار وديما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م.ن، 2007.

40. تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: تاريخ المسلمين في إفريقية، إصدارات دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2014، ط01.

41. توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام- بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971.

42. جاك ووديس: جذور الثورة الإفريقية، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، مراجعة: عبد المالك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1971.

43. جودة حسين جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1998.

44. جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

45. جورج غيرستر: الصحراء الكبرى، تعليق: خيري حماد، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961، ط01.

46. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.

47. ----------: قيام دولة المرابطين-صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ن.

48. الحسن بن الشيخ سليمان: تاريخ ملوك بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان، دار يوسف بن تاشفين، د.م.ن، 2009، ط01، ج02.

49. حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997.

50. الحسين بن مُحَمَّد الوارتلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق: مُحَمَّد ابن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

51. حسين مرزوقي: بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين إلى حدود القرن الثامن الهجري، تقديم: مُحَمَّد شقرون، مجمع الأطرش للنشر وتوزيع الكتاب المختص، تونس، 2018.

52. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ط01.

53. حماه الله ولد السالم: المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل(1591م-1898م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ط01.

54. ----------: تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ط01.

55.----------: تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
56.الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
57.رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.
58.روبيرتو روبيناتشي: العزابة حلقة الشيخ مُحَّد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الإسلام)، ترجمة: لميس الشجني، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م.ن، 2006.
59.ريمون فيرون: الصحراء الكبرى – الجوانب الجيولوجية، مصادر الثروة المعدنية، استغلالها، ترجمة: جمال الدين الدناصوري ونصري شكري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963.
60.زاهر الحجري: الإباضية في الغرب الإسلامي، مكتبة الجيل الصاعد، مسقط، 2012.
61.الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج02+05، ط15.
62.زمان عبيد وناس: تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط إمبراطورية السونغاي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء 81-999هـ/700-1590م، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
63.سحر عنتر مُحَّد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628-1000هـ/1230-1591م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، ط01.
64.سلسلة قصور غرداية قصر العطف-تجنينت، جمع وتنسيق: حمو علي حاج داود، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، غرداية، 2014.
65.السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج 02.
66.شوقي عطا الله الجمل: تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1971.
67.صالح إبراهيم يونس: تاريخ الإسلام والعرب في إمبراطورية البرنو، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1976.
68.صالح باجية: الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1976، ط01.
69.صالح بن عمر أسماوي: العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2006، ط01.
70.صلاح الدين أبو العلا: إنتاج النعام-تربية-رعاية- تغذية-منتجات-مشاريع، المكتبة الأكاديمية، مصر، 2009، ص 217.
71.الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحاجي الوداني: رحلة المنى والمنة، تحقيق: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.

72. الطالب مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: مُحَمَّد حجي و مُحَمَّد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981.

73. الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، مطابع حسناوي، الجزائر، 2011، ط01.

74. الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد الفلاتي: الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994، ط01.

75. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ط02.

76. عبد الجليل شاطر البصلي: حضارات السودان الشرقي والأوسط، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1972.

77. عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2007، ط02.

78. عبد الرحمن الجيلاني: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ج02.

79. عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار إلى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.

80. عبد الرحمن مُحَمَّد ميقا: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري، مطبعة البيضاوي، المغرب، 2011.

81. عبد الرزاق أبو نصر: تاريخ الغرب الإسلامي من خلال جغرافيات مشرقية مؤلفة قبل نهاية القرن الخامس للهجرة دراسة ونصوص،دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ج02.

82. عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبعة فضالة، المغرب، 1981، ج04.

83. عبد العلي الودغيري: اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الأفريقي وملامح من التأثير المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2011.

84. عبد الفتاح عبادة: انتشار الخط العربي في العالم المشرقي والعالم الغربي دراسة علمية تاريخية اجتماعية، دار الكتب المصرية، الجيزة، 2019.

85. عبد الفتاح فتحي أبو حسن شكر: الإحياء بعد الإنساء في أعقاب طبقة الأشراف الأولى بالحجاز الأشراف الموسويين الحسنيين، دار الكلمة، 2011، ج01.

86.عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا سلطنة البولالا، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ط01.

87.--------: حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985، ط01.

88.عبد القادر زبادية: الحضارة الإسلامية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

89.----------: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

90.عبد القادر علي حليمي: جغرافية الجزائر طبيعية-بشرية-إقتصادية، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة بوداود وشركاؤهما، الجزائر، 1968، ط01.

91.عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

92.عبد الله حمادي الإدريسي: الإمام مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ج01.

93.عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة-ليبيا، 2010، ط01.

94.عبد الله سيسي: حركات الاصلاح والتجديد في غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2018، ط01.

95.عبد الله عبد الماجد إبراهيم: الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت سودان وادي النيل، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، د.م.ن، ط01.

96.عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، الشروق، الجزائر، 2009.

97.عثمان برايما بارى: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ط01.

98.عز الدين عمر موسى: دراسات إسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ط02.

99.عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

100.عطية مخزوم الفتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات الجامعية قاز يونس، بنغازي، 1998، ط01.

101.علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة: الحاج سليمان بن ابراهيم بابزبز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008، ط03.

102.عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة: منتقيات من التراث مقالات ومحاضرات، مكتبة خزائن الآثار، سلطنة عمان، 2016، ط01.

103.----------: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراتة، مديرية الثقافة، ورقلة، 1997.

104.عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات قاريونس، بنغازي، 1998.

105.فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

106.فتحي مُحَمَّد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

107.فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

108.فريد عبد الرشيد المهندس: العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الإسلامية فيما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2017، ط01.

109.فليكس ديبوا: تمبكت العجيبة، ترجمة: عبدالله عبد الرازق إبراهيم، مراجعة: شوقي عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.

110.فيج.جي.دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة: السيد يوسف نصر، مراجعة: بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط01.

111.قاسم الشيخ بالحاج: مدينة وارجلان...قلعة الدين والعلم، العالمية للطباعة والخدمات، تيبازة، 2016.

112.ك.مادهو بانيكار: الوثنية والإسلام-تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998، ط02.

113.كمال الدين مُحَمَّد بن موسى الدميري: حياة الحيوان الكبرى، تصدير: أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1992.
114.مبروك مقدم: الإمام مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
115.مجموعة من المؤلفين: تاريخ إفريقيا العام، حسيب درغام وأولاده، لبنان، 1997، ط02، مج 03.
116.مجموعة من المؤلفين: تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد، 1984.
117.مجموعة من المؤلفين: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، المطبعة العربية، غرداية، 1999.
118.مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناري وآخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998، ط01، ج 19.
119.محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.
120.مُحَمَّد أعفيف: توات مساهمة في دراسة مجتمع الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2014.
121.مُحَمَّد السعيد القشاط: صحراء العرب الكبرى، دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، 1994، ط01.
122.مُحَمَّد الصالح الولاتي: الحسوة البيسانية في علم أنساب الحسانية، تحقيق: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015.
123.مُحَمَّد الصالح حوتية: آل كنتة-دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق 18-19م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
124.---------: توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة(الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج01.
125.مُحَمَّد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 و1980م، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1984، ط02.
126.مُحَمَّد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982.
127.مُحَمَّد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

128.مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عمر قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج01.

129.مُحَمَّد بيلو: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1996.

130.مُحَمَّد صالح ناصر: دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، دار الضامري، سلطنة عمان، 1992، ط01.

131.---------: منهج الدعوة عند الإباضية، تقديم: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار ناصر للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2013، ط05.

132.مُحَمَّد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

133.مُحَمَّد عبد العظيم الخولي: الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي2 (648-923هـ/1250-1517م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011، ط01.

134.مُحَمَّد عوض خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان، الأردن، 1982.

135.مُحَمَّد عيسى الحريري: مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، الدولة الرستمية (160-296هـ)، دار القلم، الكويت، 1983.

136.مُحَمَّد فاضل وآخرون: المسلمون في غرب إفريقيا-تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ط01.

137.مُحَمَّد لواء الدين أحمد: الإسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان بن فودي في ترسيخه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.

138.محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ط02.

139.محمود حسين كوردي: الحركة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي(خلال القرون 2-8هـ حتى 8-14م)، مؤسسة تاوالت الثقافية، د.م.ن، 2008.

140.مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2011، ج 05.

141.مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004، ج20.

142.مسعود مزهودي: الأباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، جمعية التراث، القرارة، 1996.

143.مفدي زكرياء: أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تحقيق: ابراهيم بحاز، منشورات ألفا، الجزائر، 2010، ط01.

144.مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثاره الحضارية، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، 1998، ط01.

145.مهدي ساتي صالح: مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الخرطوم، 1991.

146.موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1998.

147.مولاي أحمد الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق: الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001، ط01.

148.الناني ولد الحسين: صحراء الملثمين دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م، تقديم: مُحَمَّد حجي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007.

149.نبيلة حسن مُحَمَّد: في تاريخ إفريقية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007.

150.نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، سلسلة الثقافة الشعبية، دمشق، 1960.

151.------: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.ن، ط02.

152.نور الدين شعباني: محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، الجزائر، د س ن.

153.الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000.

154.----------: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 1999، ط01.

155.---------: مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها بالمغرب وليبيا من القرن 13-15م، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ط01.

156.وتسما وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، 1998، ط01، ج24.

157.يسرى عبد الرزاق الجوهري: شمال إفريقية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1980.

158.----------: شمال إفريقية-دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1970.

159.يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب-دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2014، ط03.

160.يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد، المعهد الافرنسي بدمشق، بيروت، 1994.

**ب-المقالات:**

1. إبراهيم حامد لمين: "إسهامات قبائل كنتة والفلان في التواصل الثقافي بين إقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن 13هـ/19م"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواقشوط، العدد 07، 2016، ص 17-30.

2. إبراهيم فخار: "الجماعات الأباضية في شمال إفريقيا"، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 03، 1971، ص 109-116.

3. أبو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا: "أشهر علماء تمبكت وجنى وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية"، مجلة جامعة الأمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد 11، 1994، ص 211-264.

4. أحمد إلياس حسين: "دور فقهاء الإباضية في نشر الإسلام في مملكة مالي"، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1985، ص 81-102.

5. إدريس بن خويا وفاطمة برماتي: "خزانة الشيخ سيدي سليمان بن علي بأدرار ودورها في الحفاظ على المخطوطات"، مجلة الذاكرة، أدرار، العدد 04، 2014، ص 46-90.

6. أمين توفيق الطيبي: "كانم-برنو بالسودان الأوسط في العصر الوسيط علاقات تاريخية عريقة بالعرب والمسلمين"، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد 37، 1988، ص 115-129.

7. حسين سيد عبد الله مراد: "الصلات بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي (خلال ق2-6هـ/8-12م)"، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، العدد 11، 2006، ص 373-423.

8. حسين مجدي صالح: "جنى من المملكة الوثنية إلى السلطنة الإسلامية (الملمح السياسي)"، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية بالسودان وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، العدد 11، 26-2006/11/27، ص 425-512.

9. حمد مُحَمَّد الجهيمي: "العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/التاسع والحادي عشر الميلاديين"، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمر المختار، ليبيا، د.س.ن. ص 1-25.

10. الدهماني سالم الدهماني: "وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا وأثره في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصور الوسطى"، مجلة المنهل، ص 01؛ أو ينظر إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: https://platform.almanhal.com/Files/2/76448 بتاريخ 2019/10/28 على الساعة 11:16.

11. السير سيد أحمد العراقي: "بلاد غربي إفريقيا الإسلامية عبر التاريخ –الدور الحضاري والثقافي"، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، جامعة إفريقيا العالمية، ليبيا، العدد 08، نوفمبر 2006، ص 31-55.

12. صباح إبراهيم الشيخلي: "النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري"، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984، ص 29-46.

13. عباس إبراهيم حمادي وعبد الحسن كاظم عناد: "مملكة أودغشت الإسلامية-دراسة في أحوالها العامة 62-446هـ/682-1054م"، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، بابل، المجلد 23، العدد الأول، آذار 2016، ص 203-222.

14. عباس عبد الله: "التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي في العصر الوسيط"، مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية – أدرار، العدد 34، 2015، ص 96-120.

15. عبد الحميد جنيدي: "الحياة الثقافية في مدينة تنبكت(تمبكتو)"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 04، العدد 06، 2012، ص 201-223.

16. عبد الرحمن بعثمان: "حملة المغيلي على يهود توات وأثرها على الواقع الحرفي في المنطقة"، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، أدرار، العدد الرابع، جوان 2013، ص 123-136.

17. عبد العزيز بن راشد العبيدي: "مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي"، مجلة دراسات إفريقية، السودان، العدد 05، 1989، ص 69-82.

18. عبد القادر بوباية: "الحركة العلمية في منطقة الزاب على عهد بني مزني"، المجلة الخلدونية، بسكرة، العدد 09، 2011، ص 87-98.

19. علاوة عمارة: "بين الأوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الاباضية بالزاب (ق 2-3هـ/ق 8-9م)"، ترجمة: عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، العدد 09، 2015، ص 244-281.

20. عمر السعيدي: "الواجهة العسكرية للحضارة العربية الإسلامية، فتح إفريقية"، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، العدد 05، جويلية، 1981، ص 45-55.

21. عمرو خليفة النامي: "ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري"، مجلة الأصالة، العدد 42، الجزائر، 1977، ص 14-34.

22. فاطمة بلهواري:"العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي"، دورية كان التاريخية، دار نائري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2010، العدد 10، ص 13-37.

23. فوزي مصمودي: "الزاب...المصطلح والدلالات"، المجلة الخلدونية، بسكرة، العدد 09، جانفي 2011، ص 105-125.

24. قادة دين: "أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية"، مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، العدد 07، 2017، ص 68-81.

25. مبارك جعفري: "الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرن 12هـ/18م"، مجلة الواحات للدراسات والأبحاث، غرداية، العدد 15، 2011، ص 399-409.

26. محفوظ رموم: "توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية"، مجلة الحوار الفكري، جامعة أحمد دراية أدرار، العدد 12، 2016، ص 81-116.

27. مُحَمَّد الصديق بن صالح: "التأثير الفكري والثقافي للمغرب الأوسط في السودان الغربي ما بين القرنين 7هـ-9هـ/13م-15م"، مجلة الساورة للدراسات الإجتماعية والانسانية، جامعة المسيلة، العدد 08، 2018، ص 43-57.

28. مُحَمَّد أمين أبه الأبقاري: "نشأة الممالك والدويلات الإسلامية"، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا، العدد 14، 2006، ص 429-443.

29. مُحَمَّد بن عميرة: "معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط"، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، العدد09، د.س.ن، ص 115-132.

30. مُحَمَّد صالح أيوب: "أثر انتشار الدعوة والحضارة الاسلامية على الحياة الاجتماعية حول حوض تشاد"، مجلة دراسات دعوية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، العدد 04، 2000، ص 45-87.

31. مُحَمَّد قويسم:" مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط"، مجلة كان التاريخية، العدد 13، سبتمبر 2011، ص 55-61.

32. موسى هواري: "الدَّرَقَة اللَّمْطية"، الملتقى الوطني الأول حول: دراسات تاريخية تخليداً لروح الأستاذ موسى لقبال وطالبته الأستاذة المرحومة سامية سليماني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، يومي 29-30 أفريل 2009، ص 01-13.

33. مولاي بلحميسي: "ورقلة من خلال النصوص الأجنبية"، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 41، 1977، ص 207-214.

34. نور الدين شعباني وزينب جعني: "الفن والعمارة في مملكة مالي الإسلامية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، العدد 04، 2016، ص 243-260.

**ت- الأطروحات والمذكرات:**

1. أحمد ذكار: "حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000هـ إلى 1301هـ/1591م إلى 1883م"، إشراف: د: مُحَمَّد حوتية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2010/2009.

2. إلياس حاج عيسى: "مدينة وارجلان-دراسة في النشاط الإقتصادي والحياة الفكرية- (في الفترة 4-10هـ/10-16م)"، تحت إشراف: أ.د عبد العزيز لعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ-شعبة التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2009/2008.

3. بدر الدين مصباحي: "تجارة الصحراء بين الجزائر وغرب إفريقيا من 10هـ-16م/13هـ-19م"، تحت إشراف: أ.د مُحَمَّد حوتية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2016/2015م.

4. البشير بوقاعدة: "خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م"، تحت إشراف: أ.د مبارك بوطارن، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2013/2012م.

5. جميلة بن موسى: "تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى القرن الخامس هجري(9م-11م)"، إشراف: أ.د: إبراهيم فخار، بحث لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001/2000.

6. زهراء يوسف إسماعيل: "هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري"، إشراف: أ.د: أنوار جاسم حسن العنبكي، مذكرة لنيل

شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، 2018/2017.

7. زينب سالمي: الحياة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: أ.د بودواية مبخوت، غير منشورة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012/2011.

8. سكينة بوبكي: "الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن 19م"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: أ.د عبد المجيد بن نعيمة، غير منشورة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009/2008

9. عبد الرزاق خالدي: "دور الطرق التجارية في إنشاء المدن بالمغرب الأوسط في العهد الوسيط-مدينة وارجلان نموذجا- "، تحت إشراف: د. عز الدين بويحياوي و د. مُحَمَّد نجيب خالف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009/2008م.

10. عبد القادر مباركية: "التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن 3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م"، إشراف: أ.د: علاوة عمارة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي بإفريقيا جنوب الصحراء، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2012/2011.

11. عز الدين جعفري: "أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات"، إشراف: أ.د: شعيب مقنونيف، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، تخصص: التراث اللامادي الجزائري، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان،2018/2017.

12. علال بن عمر: "إنتاج الفكر الإباضي في الحواضر الصحراوية لبلاد المغرب الإسلامي وانتقاله من القرن 3هـ/9م إلى القرن 9هـ/15م"، تحت إشراف: أ.د إبراهيم بن بكير بحاز، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، 2018/2017م.

13. عمار غرايسة: "المدينة الدولة في المغرب الأوسط – وارجلان أنموذجا"، إشراف: أ.د عبد العزيز فيلالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008/2007م.

14. عمر صالح سليم الفنوس: "دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا(4-10هـ/10-16م)"، تحت إشراف: أ.د: صباح إبراهيم الشيخلي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الفنون، جامعة بغداد، 2002/2001.

15. فاطمة علي إمُحَّد أحويلات: "تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة من (600هـ-1164هـ/1203 إلى 1750م)"، تحت إشراف: أ.د عبد الفتاح مُحَّد الكباشي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2016/2015.

16. لامعة زكري: "الرحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7-9هـ/13-15م"، تحت إشراف: د. مبخوت بودواية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تلمسان، 2010/2009.

17. مبارك قبابلة: "تطور مواد البناء وأساليبها في العمارة الصحراوية"، إشراف: أ.د صالح بن قربة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص آثار صحراوية، غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2010/2009م.

18. مبخوت بودواية: "العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان"، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، إشراف: أ.د: عبد الحميد حاجيات، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان، 2006/2005.

19. مُحَّد بن ساعو: "التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 7-9هـ/13-15م"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تحت إشراف: أ.د مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، 2014/2013.

20. مُحَّد بن سويسي: "العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات – تمنطيط أنموذجا"، إشراف: أ.د: عبد العزيز لعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008/2007.

21. مُحَّد رشدي جراية: "الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100 ق.م-1000 ق.م"، إشراف: أ.د عبد العزيز بن لحرش، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص تاريخ الحضارات

القديمة، غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007م.

22. مسعود خالدي: "الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي) بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين"، إشراف: أ.د: مسعود مزهودي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009/2008م.

23. --------: "وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجريين/السابع الحادي عشر الميلاديين"، تحت إشراف: أ.د اسماعيل سامعي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2000/1999م.

24. ناهد بوسكين: "الحركة العلمية في بلاد السودان الأوسط وأثرها على الحياة الإجتماعية من القرن 5هـ-10هـ/11م-16م"، إشراف: أ.د يوسف عابد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العلاقات الإقتصادية والثقافية لبلاد المغرب الإسلامي وبإفريقيا جنوب الصحراء، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2013/2012م.

25. وسيلة علوش: "الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، خريطتها، منشآتها، استغلالها"، إشراف: أ.د: إبراهيم بحاز، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2013/2012م.

**2-باللغة الأجنبية:**

1. -Alvise Ca' Da Mosto: Relation de voyages à la Côte Occidentale d'Afrique 1455-1457, publier par Charles Schefer, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1895.
2. -Balont(L): Aperçu sur l'évolution du pays âge quaternaire et de peuplement de la région de Ouargla, Libyca, tome20, 1972.
3. -Barth(H): Travels and Discoveries in North and Central Africa, The Minerva Library of Famous and Books, London, 1890.
4. -Basil Davidson: L'Afrique ancienne, francais maspero, paris, 1973.
5. -Binger(L): Du Niger au Golfe de Guinée, Librairie Hachette, Paris, 1892, t 01.

6.-Capitaine Bajolle: Le Sahara de Ouargla – de L'oued Mia à L'oued Igharghar, Imprimerie de l'association ouvrière, Alger, 1887.
7.-Chudeau(R): L'Afrique Occidentale Française, Institut fondamental d'Afrique noir, Dakar, 1904.
8.-CLAUDE (C): L'or du Soudan avant les Almoravides mythe ou réalité, Revue Français d'outre-mer, 1979.
9.-Cressier(P), Burnus(S): La grande mosquée d'Agadez, In: Journal des africanistes, 1984, tome 54, fascicule 1.
10.-Daveau Suzanne: Le lac Tchad. In: Annales de Géographie, t. 69, n°372, 1960.
11.-David C. Conrad: Empires of Medival West Africa – Ghana, Mali, and Songhay, Chelsea House, New York, 2009.
12.-De La Ronciere(CH): Découverte D'une Relation De Voyage Datée Du Touat et Décrivant en 1447 Le Bassin Du Niger, Imprimerie nationale, paris, 1918.
13.-De Lauture (E): Routes africaines-moyens de transport-caravanes, Imprimerie de martinet, paris, 1853.
14.-Delafosse(M): Haut- Sénégal-Niger, Le pays, les peuples, Les langues, l'histoire, les Civilisations, Emile larose libraire éditeur, Paris, 1912, t 02.
15.----------: Les noires de l'Afrique, payot, paris, 1941.
16.-Devisse(J): "La Question D'audagust", Tegdaoust I Recherche Sur Aoudaghost, Tome 1, artset métiers graphiques, paris, 1970.
17.----------: Routes De Commerce Et Echanges En Afrique Occidentale En Relation Avec La méditerranée, Revue d'histoire économique et sociale, Vol. 50, No. 3, 1972.
18.-Didier (P) et autres: Poissons d'Afrique et Peuples de l'eau, Ird Editions, Marseille, 2011.
19.-Duveyrier(H): Les Touarg du Nord, Imprimerie de J. Claye, Paris, 1940.
20.-Elias N.(S) : Social history of Timbuktu, the role of Muslim scholars and notables 1400-1900, London, 1983.
21.-Felix Dubois: Timbuctoo The Mysterious, Tr. Diana White, Longmans, Green, and Co, New York, 1896.
22.-Gautier (E.F): Sahara algérien, Librairie Armand Colin, Paris, 1908, t 01.

23.-Gerhardt(R):Voyages et Exploration au Sahara, Trad. Jacques Depetz, Editions Karthala, Paris, 2001, t 01.
24.-Jacob (O): Les Juifs au Sahara Le Touat au Moyen Age, CNRS Editions, paris, 1994.
25.-Johnson(G): African Glory: The Story of Vanished Negro Civilizations, Black Classic Press, Baltimore, 1986.
26.-Joseph (C): *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique* occidentale du VIIIe au XVIe siècle, Editions du Centre National de la recherche scientifique, paris,1974.
27.-Jule Forest: Commerce et Industrie Production des Plumes d'Autruche de Barbarie, Le Sel Gemme Saharien, Librairie africaine et coloniale, paris, 1895.
28.-Largeau (V): Le pays rirha ouargla voyage à ghadames, Librairie hachette, Paris, 1879.
29.----------: Sahara premier voyage d'exploration, Sandoz et Fishbacher, Paris, 1877.
30.-Letheilleux (J): Ouargla cité saharienne, libraire orientaliste paul geuthner, s.a, paris, 1983.
31.-Lewicki (T): "Les Origines et l'islamisation de La Ville de tadmakka d'après les sources arabes", In: Revue francaise d'histoire d'outre-mer, tome 66, n° 242-243, 1er et 2e trimestres, 1979.
32.----------: Etudes maghrébines et soudanaises, Editions Scientifiques de Pologne, Pologne, 1983, t 01-02.
33.----------: Les Ibadites En Tunisie Au Moyen Age, Angelo Signorelli Editore, Roma, 1958.
34.----------: "L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle", Cahiers d'Études Africaines, Vol. 2, Cahier 8, 1962.
35.----------: "Quelques extraits inédits relatifs aux voyages des commerçants et des missionnaires ibadites nord-africaines au pays du soudan occidental et central au moyen âge", Folia Orientalia, Pologne, 1961.
36.-Lombard (M): Les bases monétaires d'une suprématie économique: l'or musulman du VIIe au XIe siècle. In: Annales Economies, Sociétés, Civilisations.2e Année, N. 2, 1947.

37.-M.L De Mas Latrie: Traites de Paix et de Commerce, Henri Plon Imprimeur Editeur, paris, 1866.
38.-Marouf (N): Lecture de L'espace Oasien, Edition Sindbad, Paris, 1980.
39.-Martin (A.G.P): Quatre Siècles d'Histoire Marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912 d'après archives et documentations indigènes, librairie felix alcan, paris, 1923.
40.----------: Les Oasis Sahariennes, Edition de l'imprimerie Algérienne, Alger, 1908.
41.-Mauny (R): "Les peintres rupestres de l'abri d'aguntour El-abiod à Tegdaoust", Tegdaoust I -Recherches sur Aoudaghost, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1970.
42.----------: Tableau géographique de l'ouest africaine au moyen âge d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie, Ifan, Dakar, 1961.
43.-Meniaud (J): Haut - Sénégal - Niger (Soudan Français) - Géographie Economique, Emile Larose, Paris, 1912, 2éme Série, t 01.
44.-Mercier(M): "Notes sur une architecture berbère saharienne", Hesperis, VIII, 1928.
45.-Michel (A): Juifs Maghrebines et Commerces Transsaharien (VIIIe-XVe Siecles), revue français d'outre-mer, 1979.
46.-Nahemia (L): Ancient Ghana and Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980.
47.-Nahum-Slouschz : Hébreo-Phéniciens et Judéo Berbères, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1908.
48.-Prevost (V): L'aventure ibadite dans le sud tunisien (VIIIe-XIIIe siècle), distribution Tiedekirja Kirkkokatu, Finland, 2008.
49.-Ramos (C):Béni Abbés (sud oranais), Archives de l'institut pasteur d'Algérie, Mars 1941.
50.-Rolland (G):Géographie du Sahara Algérien et Aperçu Géographie sur le Sahara de l'océan Atlantique à la mer rouge, Imprimerie Nationale, Paris, 1890.
51.-Saffroy (B): Chronique du touat (des repères pour une histoire), Centre de Documentation Saharienne Ghardaia, Algérie, 1995.

52.-Sarr, Assan: Islam, power, and dependency in the Gambia River Basin: The Politics of Land Control, 1790-1940, University of Rochester Press, USA, 2006.
53.-Schacht (J): Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le sahara, Institut de recherche saharienne de l'université d'Alger, tome 11, 1954.
54.-Urvoy(Y): Histoire de l'empire du Bornou, Librairie Larose, Paris, 1921.

**3– المواقع الإلكترونية:**

1-www.almaany.com.
2- www.almarkaz.ma.
3- www.muslimheritage.com.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**– فهرس الأعلام–**


أ

إبراهيم أبي اليقظان–233

إِبْرَاهِيم الْأَمَوِي الصُّوفِي–251

إبراهيم العوامر–68–69

إبراهيم بحاز–38–229–239

إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام–64–220–225–226

إبراهيم بن علي بن فرحون–251

إبراهيم بن معاذ–232

إبراهيم بن مناد التاجنينتي–239

إبراهيم علي طرخان–88–90–91–255

إبراهيم فخار–202

إبراهيم مياسي–68–69

ابن البيطار–181

ابن الفقيه–89–107–157–179

ابن بطوطة–51–58–93–111–121–122–123–124–125–127–128–130–131–133–134–135–136–137–162–163–164–179–182–185–193–195–198–199–205–209–210–213–270–271–273

ابن حجر العسقلاني–252

ابن حوقل–16–27–44–54–89–112–117–121–134–135–145–154–155–157–172–177–179–184

ابن خلدون–21–22–23–24–25–26–27–28–29–30–38–39–40–44–47–48–51–52–61–62–66–72–75–78–79–82–83–92–94–95–108–109–115–124–128–133–135–136–141–145–147–150–158–166–168–242

ابن خلكان–48

ابن زورسكن–223

ابن سعيد المغربي–33–44–58–61–100–101–109–115–144–147–150–161

ابن سوردين-223
ابن عبد الحكم-106-107-167
ابن عذاري-78-79-106
ابن غازي-248
ابن غانية الميورقي-66
ابن فضل العمري-100-164-205-208
ابن مرزوق الحفيد-251
ابن مرزوق-242
أبو إسحاق إبراهيم أطفيش-75
أبو اسحاق إبراهيم الواغلاني-235
أبو الحسن علي القلصادي-251
أبو الحسن علي بن مجبر الوسياني-114
أبو الخطاب عبد السلام المزاتي-232
أبو الربيع الملتاني-115
أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي-222-226-227
أبو الريحان-18
أبو العباس أحمد بن زكرياء المغراوى-247
أبو الفداء-45
أبو الفضل النحوي التوزري-249
أبو القاسم التواتي-264-265
أبو القاسم يونس-201
أبو بكر إسماعيل مُحَّد ميقا-268
أبو بكر بن عمر اللمتوني-91
أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي-238
أبو جعفر مُحَّد بن مُحَّد بن عمر بن عنقة شمس الدين البسكري-251
أبو حامد الغرناطي-114
أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني-61-112-221-226-230-231-235
أبو زيد عبد الرحمن-263

أبو سليمان أيوب بن اسماعيل-227-228
أبو سليمان داود بن أبي يوسف إلياس الورتاجني-234
أبو صالح الياجراني-109
أبو صالح جنون بن يمريان-159-174-223-224-227
أبو عبد الله أندغمحمد-261
أبو عبد الله مُحَمَّد الأنصاري-82
أبو عبد الله مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي-76-220-224-225-226-229-232-233-236-237-238
أبو عبد الله مؤدب مُحَمَّد الكابرى-262
أبو عبيد الله المهدي-65
أبو علي الفزاري البسكري-251
أبو علي حسن النفطي-249
أبو عمار عبد الكافي التناوتيالوارجلاني-227-237
أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي الدمريني-234
أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني-236
أبو قرة الصفري-79
أبو مُحَمَّد عبد الله البسكري-249
أبو مُحَمَّد عبد الله اللواتي-147-231
أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد السدراتي-179-253
أبو مدين شعيب-244
أبو معروف ويدرن بن جواد-181-202
أبو موسى هارون بن أبي عمران-116-159-254
أبو نوح سعيد بن زنغيل-110-114-224-231-235-253-255
أبو نوح سعيد بن يخلف-233
أبو يحي بن مُحَمَّد المنياري-243-245
أبو يزيد مخلد بن كيداد-24-27
أبو يعقوب يوسف الوارجلاني-119-168-169-173-179
أبو يعقوب يوسف بن سهلون البرياني-223-234

أبو يعقوب يوسف بن نفاث القنطراريالنفوسي-234
أبي حنيفة-208
أبي إسحاق إبراهيم الساحلي-217-258
أبي الحسن علي بن عبد الرحمن التوزري-251
أبي صالح تيركتالياجلاني-253
أبي عبد الله بن عرفة-251
أبي فارس عبد العزيز بن يحي الغساني البرجي-251
أحمد البختري-249
أحمدالطاهريالإدريسي-242
أحمد الونشريسي-248
أحمد إلياس حسين-253
أحمد بابا التمبكتي-262-275
أحمد بن عمر بن مُحَمَّد أقيت-274
أحمد بن مكي بن أحمد بن قمود البسكري-249
أحمد شلبي-201
إدريس بن علي-103
الإدريسي-16-19-43-49-51-52-61-110-114-117-118-119-121-
131-135-144-145-147-148-151-157-162-163-169-170-173-
174-186-189-190-195-217-242-244
آدمُ الفُندُكي-208
آدم عبد الله الآلوري-273-275
الأسكيا الحاج مُحَمَّد-96-97
إسماعيل بن علي الفزاري-202
الإصطخري-16-44-45
الإمام كاتب موسى-264
الإمام مالك-205
أمين توفيق الطيبي-200
الأميوطي-252

أندري روجي فوازن-69
أنطونيو مالفنتي-129-194
البرتلي-262-265-266
البسكري أبو الفضل-249
البكري-27-49-50-51-52-53-54-61-70-89-90-91-93-101-102-
103-104-105-106-107-108-109-110-111-112-113-116-117-
120-121-138-141-142-146-150-151-152-154-155-156-157-
158-159-160-161-162-171-172-174-175-177-179-182-184-
187-189-197-198-202-203-248-249-253-254-256-257-269
الدرجيني-62-66-69-109-119-146-178-180-220-221-223-224-
225-226-227-228-229-230-233-234-236-239
الرقيق القيرواني-32-79
الزموري-265
الزهري-63-64-91-111-115-117
السركي مُحَمَّد كوراو-275-276
السعدي-52-81-88-93-95-96-97-98-122-128-130-166-167-193-
198-199-205-206-213-257-258-261-262-263-265-266-267-
268-269-272-276
الششتري-252
الشماخي-24-28-62-69-73-114-158-202-220-224-227-229-231-
235-236-237-254-255
العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي-271
العدواني-68-72-73
العياشي-39-40-69
الفقيه الحاج-261
القاضي عياض-213
القزويني-45-172
القلقشندي-87-94-100-104-157-161-164

المقدسي-16-45-54-145
المقري-123-127
المهلبي-101-110-113-121-161-172-175-178-255
الناصري-29
الناني ولد الحسين-47-137
الهادي المبروك الدالي-271
الحسن الوزّان-62-97-100-111-118-122-125-129-130-136-138-140-
147-162-165-166-185-199-210-212-260-267-270-271-275

**ب**

بابه السعد الداوي-238
بلونت-62
بليني-58
بوزياني الدراجي-21-24-26-27
بول مارتي-199-200-207
بيير روفو-75

**ت**

تاديوسليفنسكي-21-25-27-29-69-108-110-112-114-115-118-119-
120-122-123-124-128-145-146-202
تقي الدين الدجوي-252
تملي الوسياني-110-202-253
تنكامنين-89-91-
توماس أرنولد-201-206-207

**ج**

ج. رولاند-35
جاك منيود-140
جاك ووديس-267
جاكوب أوليال-94-190-191-193
جعفر بن أبي طالب-29

جورج غيرستر-63
جوزيف شاخت-214-215-216-256
جون دوفيس-193-256
جون مارينر-259
جونسون كرافت-258

ح

حسان بن النعمان الغساني-79
حسن أحمد محمود-50-101-208
حسين مرزوقي-43
حماه الله ولد السالم-32-88-156-159

د

دوفيريي-63

ر

روبير سرج-202
روبيرتو روبيناتشي-220
رولفقيرهارد-82
ريمون موني-122-125-140-142-154-166-171-218-272

ز

زيري بن لقمان الورزماري-28
زيري بن محصن-70

س

سارة اللواتية-25-236
ساندياتا كيتا-سانجاتا كيتا-93-94-95-115
سترابون-62
ستيفان قزال-83
سعيد إبراهيم كريرية-102
سليمان نار-98
سن علي-99

سينيكي مودي سيسوكو-259

**ش**

شمس الدين السخاوي-250-252

**ص**

صالح باجية-23

صالح بن عمر أسماوي-237-238

**ع**

عاصم السدراتي-73-79

عائشة بنت معاذ-231

عباس عبد الله-200

عبد الجليل-102

عبد الحميد بكري-187-247

عبد الحميد جنيدي-261

عبد الرحمن التميمي-205-263

عبد الرحمن الزنتي الونغاري-273

عبد الرحمن الكرثي المصعبي-239

عبد الرحمن باكلي-230

عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج-261

عبد الرحمن بن حبيب-107

عبد الرحمن بن رستم-79-223

عبد الرحمن بن زنتا-208

عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي-247

عبد الرحمن سوقين-274

عبد العلي الودغيري-208

عبد القادر الجيلاني-206

عبد القادر حليمي-35

عبد القادر زبادية-98-134-211

عبد الله البلبالي-264-265

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الله المديوني-222
عبد الله بن إبراهيم البسكري-260
عبد الله بن أبي بكر العصنوني-248
عبد الله بن مُحَمَّد المطري-250
عبد الله بن ياسين-86-91
عبد الله بن يحي-239
عبد الله سالم بازينة-163-206
عبد الله سيسي-88-98
عبد الوهاب-120-161
عبود بن منار-221
عبيد الله بن الحبحاب-107
عبيد الله حبيب بن أبي عبيدة الفهري-107
عثمان زمنقاوي-273
عز الدين عمر موسى-200
عقبة بن نافع-65-75-80-82-83-85-106-159-167
علاوة عمارة-71-79
علي إبراهيم طرخان-254
علي بن يخلف المزاتي-202
علي كولن-99
علي يحي معمر-28-65-74-76-77-147-232-237
عمار غرايسة-63
عمر الماحي-210
عمر بن أحمد البكاي الكنتي-247
عمر بن إدريس-102-103-104-105
عمر بن مُحَمَّد أقيت-263
عمرو بن حفص-80
عمرو خليفة النامي-144-219
عيسى بن أحمد-239

عيسى بن أحمد الغبريني-251
عيسى بن حمدان -239
عيسى بن سلامة البسكري-251
عيسى بن مُحَمَّد البطوي-245
عيسى بن يرزكشن-220

**ف**

فاضل علي باري-103
فريد عبد الرشيد المهندس-211
فلحون بن إسحاق-202-255
فوزي مصمودي-79
فيليكسديبوا-166

**ق**

قالون-212

**ك**

كاياماغانسِسى-90
كنبر-267
كنكن موسى-82-99
كي مُحَمَّد نض-205

**ل**

ليثيو-63-145-173-215

**م**

مادهوبانيكار-99-103-166
مارتان-33-82-84-85-204-241
مارسيل مارسية-216
ماري جاطة-93-95
ماكسن بن الخيّر-231
مُحَمَّد أعفيف-32-85-86
مُحَمَّد العنابي-83

مُحَمَّد الفزاني-271
مُحَمَّد الفيلالي-131-269-270
مُحَمَّد الوجدي التازي-131
مُحَمَّد بن أحمد التكراتي-266
مُحَمَّد بن أحمد بن أبي مُحَمَّد التازختي-247-272-276
مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى المغيلي-246
مُحَمَّد بن سليمان النفوسي-220
مُحَمَّد بن عبد الجبار الفجيجي-247
مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي-204-208-244-246-248-271-274-276
مُحَمَّد بن عبد الله بن ينومر-272
مُحَمَّد بن عقاب التونسي-251
مُحَمَّد بن علي بن إبراهيم الخطيب-251
مُحَمَّد بن عمر البوداوي-82-83-85
مُحَمَّد بن عمرة اليروتني-220
مُحَمَّد بن مبارك-83
مُحَمَّد بيلو-273
مُحَمَّد رمفا-208
مُحَمَّد صالح ناصر-215-254
مُحَمَّد محمود بن الشيخ-261
مُحَمَّد نقي-260
محمود فرج محمود-83
محمود كعت-89-90-94-95-96-98-99-189-212-257-260
المختار النحوي-265-266
مخلوف البلبالي-204
مسعود الخوند-274
مسعود بن وانودين-26
مطير سعد غيث-268-271
معاذ بن أبي علي-231

مفدي زكرياء-76
ملوم إدريس-268
منسى موسى-83-96-99-136-183-205-208-257-258-263-264-269
مورمغ كنكي-268
موريس دولافوس-89-94-98-99-123-199-259-268
موسى بن نصير-106
موسى بن هارون بن عمران الوسياني-205
مولاي أحمد الأرواني-258
مولاي سليمان بن علي-243

**ن**

نزوراس بن يوسف-231

**هـ**

هشام بن عبد الملك-64-65-106
هيرودوت-63
هيوم بن عبد الجليل-102

**و**

ورش-209-212-213

**ي**

ياقوت الحموي-17-62-73-101-102-107-150-162-172
يحي التادلسي-205-206-259-260-263-265-266
يحي بن يدير بن عتيق التدلسي-245-246-248
يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني-226
يحي بن مُوسَى القسنطيني-252
يخلف بن يخلف التميجارى-227
يزيد بن يخلف الزواغي-232
يعقوب بن أفلح-66
يوسف بن الْبناء-252
يوسف بن بكير الحاج سعيد-239

يوسف بن تاشفين-92
يوسف بن مزني-124

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**-فهرس القبائل-**


| |
|---|
| **أ** |
| أمازيغ-21-24-25-49-50-51-52-54-61-68-69-72-82-83-84-102-197-198-199-238 |
| أولاد جار الله-30 |
| أولاد سليمان-53 |
| أولاد غانم-53 |
| أولاد يعقوب-53 |
| الروم-32 |
| **ب** |
| بامبارا-47 |
| بيزنطين-20-32 |
| **ت** |
| تكرور-48 |
| تنجور-53 |
| تيبو-168 |
| **ج** |
| جالونكي-47 |
| جدالة-49-50-51 |
| جزولة-49-51-52 |
| **ح** |
| حراطين-20-32 |
| حسان-53 |
| **د** |
| درجين-23 |
| ديلمي-53 |
| **ذ** |
| ذي يزن-102 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| |
|---|
| ر |
| رياح-30<br>ريغة-26-27-72-75-147 |
| ز |
| زغاوة-47-49-49-101-102-120-121-153-167-168-169-175-178<br>زناتة-20-21-22-23-24-25-26-27-29-32-62-64-66-69-70-72-75-<br>79-83-84-85-113-114-129-156-197-198-237-238-254-256<br>زنداك-زنداج-زنراج-27<br>زواودة-30 |
| س |
| سدراتة-25-66-73-79-168-169-173-178-202-214-223-228-229<br>سنجاس-26<br>سنغاي-47-48-97-98-163<br>سوننك-47-87-89-90-157 |
| ش |
| شوا-53-201 |
| ص |
| صنهاجة-21-26-49-50-51-52-59-82-83-106-108-113-124-130-136-<br>154-156-161-166-178<br>صوصو-47-87-88-92-157 |
| ط |
| طوارق-49-52-55-101-165 |
| ع |
| عرب-20-21-24-29-30-32-40-45-47-53-54-63-66-72-84-85-97-<br>102-103-106-129-142-165-168-178-198-199-200-201-201-241-<br>263-275 |
| ف |
| فولاني-47-48-87 |

| ق |
| --- |
| قصري-53 |
| ك |
| كنتة-53-94 |
| كابري-53 |
| ل |
| لمتونة-50 |
| لمطة-51-52 |
| لواتة-20-21-24-25-113-156-197-231-235-256 |
| م |
| مَارغَنِّي-29 |
| مالنكي-47 |
| ماندنجو-47 |
| مداسة-52 |
| مسوفة-49-51-52-91-137-156 |
| مصاب-23-24-43-75 |
| معقل-29-30-199 |
| مغراوة-20-22-24-25-26-27-66-70-72-83-229 |
| موشي-موش-47-49-95 |
| ن |
| نفوسة-23-28-29-113-156-197-225-231-233-256 |
| هـ |
| هلال-24-29-66-70 |
| هوارة-52 |
| و |
| واركلا-21-22 |
| واسين-24 |
| ورزمار-27-28 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| |
|---|
| ولوف(جولوف)-47-48 |
| **ي** |
| يالدس-22-23 |
| يفرن-22-24-231 |
| يهود-20-32-33-82-84-106-120-128-129-148-149-176-186-187- |
| 188-189-190-191-192-193-194-195 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**-فهرس الأماكن-**


| أ |
| --- |
| أبلسة- 108 |
| أجلو- 230-231 |
| أداماوا- 55 |
| أدرار أفوغاس- 19 |
| آدرار-55 |
| أذنة-27 |
| أركي- 50 |
| أروان-57-199 |
| أريغ-ريغ- 21-23-28-36-69-70-72-73-76-78-79-85-119-134-147-156-173-179-186-229 |
| أسوف-سوف-68-78-173-235 |
| الأطلس الصحراوي-19-35-41 |
| أغاديس-125-164-165-270-271 |
| أغمات-146 |
| إفريقية-18-19-22-24-26-27-32-33-44-46-52-53-57-64-71-79-84-87-90-104-107-108-110-113-144-145-147-152-156-158-166-171-188-190 |
| انكلاس-120 |
| أودرف-120 |
| أودغست- غسط-111-153-154-155-156-256 |
| الأوراس-70 |
| أوليل-171 |
| آير-19 |
| البصرة-44-118-188 |
| التكرور-45-47-48-51-95-103 |
| الجريد-23-173 |

الحبشة-45
الحضنة-78
الزاب-22-24-25-26-27-30-32-39-62-64-66-70-72-73-78-79-85-
150-173-248-249-250-251
الزيلع-45
الصين-18-188
القلعة-61-112
القليعة-108-112-125-127
القيروان-28-61-70-108-152-161-188-225
الكونغو-58
المسيلة-78-80
المغرب الأقصى19-49-83-91-106-107-110-112-118-119-146-153-159-
162-179-187-188-190-194-199-215
المغرب الأوسط-16-35-38-61-133-144-170-176-182-197-219
النوبة-43-45-47-101-121
الهقار-108-127
الهند-44-188
الهوسا-163-200
اليمن-44

ب

بادس-78-79
باماكو-58-87-94
بجاية-30-72-188-192
بحيرة تشاد-46-48-49-57-101-103
بحيرة كوري-103-168
برج مختار-109
بردامة-51-133
برقة-29-78-104-231

برنو-46-53-94-100-101-103-104-124-138-161-168-173-175-185-200-204-208-272-275
بريسى-51-143-172
بسكرة-16-22-25-62-78-79-119-124-150-151-191-248-249-250-251
بغداد-95-188
بلاد الأتراك-178
بلاد الزاب-32-72-75-80-81-87-124-134-150-151-152-173-248-249-251
بلاد الصقالبة-178
بلاد أنبية-179
بودة-بودا-29
بورم-108
بوغرات-52
بئر الجمالين-113
بئر الكاهنة-178
بئر واران-113
بيرو-121-163

ت

تابلبلت-122-274
تاتنتال-121
تاجديت-تجديت-232-233-234
تادمكة-تادمكت-28-49-61-108-109-110-111-125-153-159-160-161-173-174-175-182-189-218-252-253
تارغين-120
تازقى-113
تاسرهلا-122-128
تافيلالت-112-191-199-265-269

تامرما-120
تاهرت-219-223-232
تبسة-78
تسابيت-40
تساليت-109
تشاد-55-118-120-168
تطاوين-120
تغيارت-114
تكانت-55
تكرت-124-265
تكورارين-تكرارين-تكدرارين-26-29-38-150-156-161
تلمسان-61-129-136-145-146-188-191-192-195-207-243-245-250
تماسين-70
تمامانات-51
تمنطيط-تمنطيت-29-149-187-194
تندفس-113
تهودا-تهودة-79-151-248
توات-21-22-26-29-33-38-40-53-81-82-83-84-85-109-122-124-125-127-128-129-130-131-133-134-148-149-150-161-163-164-166-170-171-176-178-179-186-187-188-189-191-192-193-194-195-198-199-200-204-207-239-240-241-243-244-245-247-252-265-272
تونس-23-125-129-145-150-191-250-251
تيديكلت-21-83
تيرى-120
تيزيل-61
تيميساو-109
تين زاواتين-108

| |
|---|
| تينيسلي-234 |
| **ج** |
| جادو-جادوا-120 |
| جبل جاتم-78 |
| جبل راشد-24-25-39 |
| جبل عيّاض-72 |
| جبل قيطري-75 |
| جبل كريكرة-25 |
| جبل نفوسة-28-119-120-121-145-159-187-219-238 |
| جربة-70-119 |
| جنى-266-267-268 |
| جيمي-100-103 |
| **د** |
| دارفور-49-55 |
| درجين-23 |
| دمقلة-43-118 |
| **ذ** |
| ذهيبات-120 |
| **ز** |
| زافون-رافون-95-117-189 |
| زغاوة-120-168 |
| زويلة-103-119-120-121-165-167-218 |
| **س** |
| سامقندى-سمقندة-116 |
| سباب-120 |
| سجلماسة-22-29-39-50-51-54-61-65-83-85-110-111-112-113-114- |
| 115-117-118-119-121-122-123-124-127-128-130-133-140-145- |
| 146-148-153-155-158-163-164-171-172-173-175-179-185-187- |

| |
|---|
| 255-254-239-218-194-192-191-190-189 |
| سجيوري-94 |
| سدراتة-25-66-73-173-214-215 |
| سلى-51-143-172 |
| سوكوتو-57 |
| **ش** |
| شط ملغيغ-35 |
| **ص** |
| صوصو-47-87-88-92-157 |
| **ط** |
| طاقة-116 |
| طبنة-27 |
| طرابلس-28-32-70-103-130-139-152-158-183-188-246 |
| طرة-119 |
| طولقة-25-79-151-152 |
| ع |
| عين زيز-109 |
| عين صالح-108-125-127 |
| غ |
| غات-125-127 |
| غامبيا-48-59 |
| غانة-43-46-47-48-50-51-52-53-54-55-87-88-89-90-91-92-93- |
| 94-95-97-102-109-111-112-113-114-115-116-117-118-121- |
| 122-141-143-144-153-155-156-157-158-159-162-163-171-172- |
| 173-174-175-177-184-190-192-193-202-253-255 |
| غدامس-52-122-124-128-130-159-165-166-173-175-187 |
| غرتيل-116 |
| غيارو- غيارا-115-116-153-158-162-163-177-254 |

غمراسن-120

ف

فارس-18-44-188-208

فاس-123-124-125-127-130-146-166-179-188-192-195-199-205-242-246-247-264-265-269-272

فوتاجالون-55-58-59

ق

قابس-119-187

قرارة-112

قسطيلية-61-69-70-71-110-119

قسنطينة-30-125-145-146-147-191

قصر بكر-65

قلعة البكري-108

قليعة ولان-108

قنطرارة-70-233

قيطون بياضة-152

ك

كَارْسَخُو-123

كازامنس-59

كانم-46-53-100-101-102-103-104-138-161-168-173-175-185-200-208

كانجابا-47

كاهر-127

كرمان-44

كوبر-124

كوغة-51-54-117-118

كوكو-كاغو-كوكيا-43-44-47-51-52-95-108-130-160-161-162-198-255

كومبي صالح-92-111-156-158-202-218
كيدل-108

ل

لعصانة-55
لقواط-لغواط-25
لوحقة-119
ليبيا-55-97-157-199

م

مالي- ملل- مل-30-45-46-47-48-51-53-58-81-84-87-92-93-94-95-
96-97-98-103-115-118-121-122-123-127-129-130-131-133-
136-141-157-162-163-164-173-182-185-189-191-192-199-202-
205-207-208-261-264-269-270
مداسة-52
مصر-18-21-32-44-45-47-49-95-101-102-103-110-111-118-121-
122-125-127-128-136-147-164-165-166-168-183-188-190-199-
211-249-252-266-270
مليلة-79
موريتانيا-153-193
مويدير-108
ميمة-130

ن

نفزاوة-39-54-70-197-256
نفطة-70-119
نقاوس-72
نهر السنغال-45-47-48-59-94-143
نهرالنيجر-45-46-48-49-55-57-58-59-94-123-143-160-161-165-166
-200-201-266
نهر فليمي-111

نهر غامبيا-59
نوميديا-62-122-140-274
نيجيريا-201

**هـ**

هضبة تادمايت-36
هنين-129-192

**و**

واد-إزوف-68
وادي أغرغار-40
وادي الساورة-40
وادي النسا-39
وادي النيل-45-49-102-111-116-121-130-131-142-161-162-172-
وادي أمكيدن-40
وادي جدي-39
وادي درعة-32-51-54-83-106
وادي زلفانة-39
وادي صالح-40
وادي كير-39-40
وادي نون-50
وادي مية-36-39
وادي ميزاب-33-75-76
وارجلان—واركلا-واركلان-وارجلن-وارقلان-ورغلة-25-28-61-62-65-66-74-108-110-
111-112-114-115-117-118-119-120-121-123-124-125-144-145-
147-158-167-168-171-172-173-174-175-176-177-178-181-186-
187-189-219-220-221-222-223-224-225-226-227-228-234
وغلانة-أوغلانة-234
ولاتة-إيوالاتن-122-123-127-130-163-262-271-274

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**–فهرس الخرائط:**


| الرقم | العنوان | الصفحة |
|---|---|---|
| خريطة رقم 01 | المجال الجغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 20 |
| خريطة رقم 02 | انتشار القبائل الأمازيغية والعربية في المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 31 |
| خريطة رقم 03 | انتشار اليهود والحراطين والروم البيزنطيين في المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 34 |
| خريطة رقم 04 | المظهر الجغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 37 |
| خريطة رقم 05 | المظهر الهيدروغرافي للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 42 |
| خريطة رقم 06 | المجال الجغرافي لبلاد السودان | 46 |
| خريطة رقم 07 | طبيعة المجال الجغرافي لبلاد السودان | 56 |
| خريطة رقم 08 | المظهر الهيدروغرافي لبلاد السودان | 60 |
| خريطة رقم 09 | موقع المركز الحضاري لوارجلان وحدودها | 67 |
| خريطة رقم 10 | موقع المركز الحضاري لأسوف وحدودها | 71 |
| خريطة رقم 11 | موقع المركز الحضاري لأريغ وحدودها | 74 |
| خريطة رقم 12 | موقع المركز الحضاري لوادي ميزاب وحدودها | 77 |
| خريطة رقم 13 | موقع المركز الحضاري لبلاد الزاب وحدودها | 80 |
| خريطة رقم 14 | موقع المركز الحضاري لتوات وحدودها | 86 |
| خريطة رقم 15 | موقع المركز الحضاري لمملكة غانة وحدودها | 92 |
| خريطة رقم 16 | موقع المركز الحضاري لمملكة مالي وحدودها | 96 |
| خريطة رقم 17 | موقع المركز الحضاري لمملكة سنغاي وحدودها | 99 |
| خريطة رقم 18 | موقع المركز الحضاري لمملكة الكانم برنو وحدودها | 104 |
| خريطة رقم 19 | المسالك التجارية الواصلة إلى بلاد السودان إبتداء من وارجلان | 126 |
| خريطة رقم 20 | المسالك التجارية الواصلة إلى بلاد السودان إبتداء من توات | 132 |

**-فهرس الموضوعات-**


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | 01 |
| الفصل الأول: المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة(3هـ-9هـ/9م-15م) | 16-104 |
| المبحث الأول: الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط (المفهوم، المجال، الجغرافيا) | 16 |
| المطلب الأول: مفهوم الإقليم | 16 |
| المطلب الثاني: المجال الجغرافي والتركيبة السكانية | 19 |
| أ-المجال الجغرافي | 19 |
| ب-التركيبة السكانية | 20 |
| 1-قبيلة زناتة | 21 |
| 2- قبيلة لواتة | 24 |
| 3-قبيلة مغراوة | 25 |
| 4-قبيلة نفوسة | 28 |
| 5- العرب | 29 |
| 6- الحراطين | 32 |
| 7- الروم | 32 |
| 8- اليهود | 32 |
| المطلب الثالث: جغرافية الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 35 |
| 1- طبيعة المجال الجغرافي | 35 |
| 2-المظهر الهيدروغرافي | 38 |
| المبحث الثاني: بلاد السودان (المجال والجغرافيا) | 43 |
| المطلب الأول: المجال الجغرافي لبلاد السودان | 43 |
| أ-تحديد بلاد السُّودان وفق النظام الفلكي | 43 |
| ب-تحديد بلاد السُّودان وفق النّظام الوصفي | 44 |
| المطلب الثاني: التركيبة السكانية | 47 |
| أ-السودان | 47 |
| ب-الأمازيغ (المغاربة) | 49 |

| | |
|---|---|
| ج- العرب | 53 |
| المطلب الثالث: جغرافية بلاد السودان | 54 |
| 1-طبيعة المجال الجغرافي | 54 |
| 2-المظهر الهيدروغرافي | 57 |
| أ-البحيرات والأحواض | 57 |
| ب- الأنهار | 58 |
| المبحث الثالث: نشأة المراكز الحضارية وتطورها بين ضفتي الصحراء | 61 |
| المطلب الأول: نشأة المراكز الحضارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتطورها | 61 |
| 01-وارجلان | 61 |
| 2-أسوف أو سوف | 68 |
| 3- أريغ أو ريغ | 72 |
| 4-وادي ميزاب | 75 |
| 5- بلاد الزاب | 78 |
| 6- توات | 81 |
| المطلب الثاني: نشأة المراكز الحضارية ببلاد السودان وتطورها | 87 |
| أ- السودان الغربي | 87 |
| 01-مملكة غانة (...-469هـ/300م-1076م) | 87 |
| 02-مملكة مالي الإسلامية (599-874هـ/1203-1469م) | 93 |
| 03-مملكة سُنْغاي الإسلامية | 97 |
| ب- السودان الأوسط | 100 |
| 1-مملكة الكانم | 101 |
| 2-مملكة البرنو | 103 |
| الفصل الثاني: العلاقات التجارية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة(3هـ-9هـ/9م-15م) | 106-195 |
| المبحث الأول: المسالك بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان | 106 |
| المطلب الأول: المسالك الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من وارجلان | 108 |
| 1-وارجلان- تادمكة-كوكو | 108 |
| 2-وارجلان-سجلماسة-أودغست-غانة | 111 |

| | |
|---|---|
| 3-وارجلان- غيارو(غيارة) | 115 |
| 4-وارجلان- زافون | 117 |
| 5-وارجلان-كوغة | 117 |
| 6-وارجلان-كوار | 118 |
| 7-وارجلان- زغاوة | 120 |
| 8-وارجلان - زاغري- مالي | 121 |
| 9-وارجلان - تاكدة | 123 |
| 10-وارجلان- أغاديس | 125 |
| المطلب الثاني: المسالك الواصلة إلى بلاد السودان ابتداء من توات | 127 |
| 1-توات-تاكدة | 127 |
| 2-توات-ولاتة | 127 |
| 3-توات-تغازى-تمبكتو | 128 |
| 4- توات-كوكو(كوكيا) | 130 |
| المطلب الثالث: النقل والمواصلات بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان | 133 |
| 1- القافلة التجارية | 133 |
| أ-مقدم القافلة | 135 |
| ب- دليل القافلة | 135 |
| ج- الترجمان | 136 |
| د- التكشيف(الكشاف) | 136 |
| هـ- فقيه القافلة | 137 |
| و-خفارة القافلة | 137 |
| 2-وسائل النقل | 138 |
| أ-وسائل النقل البرية | 138 |
| 1- وسائل النقل البرية الحيوانية | 138 |
| 1-1- الجمال | 138 |
| 1-2-النقل على ظهور الحمير | 140 |
| 2-النقل البشري | 141 |

| | |
|---|---|
| ب-النقل النهري | 142 |
| المبحث الثاني: المراكز التجارية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان | 144 |
| المطلب الأول: المراكز التجارية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 144 |
| 01- وارجلان | 144 |
| 02-أريغ أو ريغ | 147 |
| 03-وادي ميزاب | 147 |
| 04- توات | 148 |
| 05- بلاد الزاب | 150 |
| المطلب الثاني: المراكز التجارية لبلاد السودان | 153 |
| 1-أودغست | 153 |
| 2-غانة (كومبي صالح) | 156 |
| 3-تادمكة | 159 |
| 4-كوكو | 160 |
| 5- غيارو | 162 |
| 6-ولاتة(إيوالاتن) | 163 |
| 7-تاكدة | 163 |
| 8-أغاديس | 164 |
| 9-تمبكتو | 165 |
| 10-جنى | 166 |
| 11- كوار | 167 |
| 12- كانم-برنو | 168 |
| 13-زغاوة | 168 |
| المبحث الثالث: السلع التجارية المتبادلة ووسائل التعامل التجاري بين تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجار بلاد السودان | 170 |
| المطلب الأول:صادرات الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط نحو بلاد السودان | 170 |
| 1-الملح | 170 |
| 2- التمر ومشتقاته | 173 |
| 3-الإبل(الجمال) | 174 |

| | |
|---|---|
| 4-الأقمشة والمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية | 174 |
| 5- المصنوعات النحاسية والحديدية | 175 |
| 6- سلع أخرى | 175 |
| المطلب الثاني: واردات الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط من بلاد السودان | 176 |
| 1-الذهب | 176 |
| 2-الرقيق(العبيد) | 177 |
| 3-الدُّرَق اللَّمَطية | 179 |
| 4-منتجات النعام | 180 |
| 5- سلع أخرى | 180 |
| المطلب الثاني: وسائل التعامل التجاري بين تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وتجار بلاد السودان | 182 |
| 1-العملات النقدية | 182 |
| أ-الدنانير الذهبية | 182 |
| 2-وسائل التعامل التجاري | 182 |
| أ- التعامل بالنحاس | 182 |
| ب-التعامل بالقماش | 183 |
| ج-التعامل بالصكوك والسفنجات | 183 |
| د- التعامل بالمقايضة | 184 |
| - مقايضة الملح بالذهب | 184 |
| - مقايضة سلعة بأخرى | 185 |
| -التجارة الصامتة | 185 |
| المبحث الرابع: دور اليهود في التجارة العابرة إلى بلاد السودان | 186 |
| المطلب الأول: نشأة وتطور التجارة بين اليهود وتجار بلاد السودان | 186 |
| 1-المرحلة الأولى(2-5هـ/8-11م) | 186 |
| 2-المرحلة الثانية(5-منتصف القرن7هـ/11-13م) | 190 |
| 3-المرحلة الثالثة(8-9هـ/14-15م) | 191 |
| المطلب الثاني: السلع التي اختص بها اليهود في تجارتهم مع بلاد السودان | 192 |
| 1-اليهود وتجارة الذهب | 192 |

| | |
|---|---|
| 2-اليهود وتجارة النحاس | 193 |
| 3-اليهود وتجارة الملح | 194 |
| 4-اليهود وتجارة الرقيق | 194 |
| الفصل الثالث: العلاقات الثقافية بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م) | 277-197 |
| المبحث الأول: وسائل انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان | 197 |
| المطلب الأول: دور الهجرات الأمازيغية والعربية | 197 |
| المطلب الثاني: دور التجار | 201 |
| المطلب الثالث: دور العلماء والفقهاء ورجال الدعوة | 203 |
| المطلب الرابع: دور مشائخ الطرق الصوفية | 206 |
| المبحث الثاني: مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان | 208 |
| المطلب الأول: انتشار اللغة العربية | 208 |
| المطلب الثاني: النظام التعليمي ومراحله | 209 |
| أ-مرحلة التعليم الأولى(الكتاتيب) | 209 |
| ب-مرحلة التعليم الثانية(المسجد) | 211 |
| ج-مرحلة التعليم العالي(الجامعات) | 211 |
| د-التعليم المهني(الحرفي) | 212 |
| المطلب الثالث: المقررات الدراسية | 213 |
| المطلب الرابع: فن العمارة: البناء، النحت، النقش | 214 |
| أ-العمارة الدينية المنتشرة في الصحراء | 214 |
| 1-العمارة الدينية الأباضية | 214 |
| 2-العمارة الدينية المالكية | 217 |
| ب-العمارة المدنية | 218 |
| المبحث الثالث: المراكز الثقافية في الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان | 220 |
| المطلب الأول: المراكز الثقافية للإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط | 220 |
| 1-وارجلان | 220 |
| 2-أريغ | 230 |

| | |
|---|---|
| 3-أسوف | 236 |
| 4-وادي ميزاب | 237 |
| 5-توات | 240 |
| 6-بلاد الزاب | 249 |
| المطلب الثاني: المراكز الثقافية لبلاد السودان | 254 |
| 1-تادمكة | 254 |
| 2-غانة | 255 |
| 3-كوكو | 256 |
| 4-أودغست | 257 |
| 5- تمبكتو | 258 |
| 6- جنى | 268 |
| 7-جاو | 270 |
| 8-نياني | 271 |
| 9-أغاديس | 272 |
| 10-ولاتة(أيوالاتن) | 273 |
| 11-كانو | 274 |
| 12-كشن(كاتسينا) | 276 |
| خاتمة | 278 |
| لائحة المصادر والمراجع | 282 |
| الفهارس | 310 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# ملخص الأطروحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# أطروحة دكتوراه

# العلاقات بين الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط وبلاد السودان خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م)

**الطالب: مُحَمَّد العيد تيته**

**تخصص: تاريخ المغرب الأوسط وحضارته في العصر الوسيط**

**ملخص:**

يندرج محتوى الدراسة ضمن مظاهر التواصل الحضاري بين الشعوب والأمم، وقد شكل الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط حلقة وصل كانت لمراكزه الحضارية الدور الفعال في تجسيدها مع نظيراتها من بلاد السودان خلال الفترة (3هـ-9هـ/9م-15م) على الرغم من صعوبة الصحراء وقساوتها لم تك حاجزا أو عائقا في مد جسور التواصل بين الضفتين.

يبدو أن العلاقات التجارية بين الضفتين كانت لها السبق في ذلك حيث تحمل تجار الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط مشاق وطول المسافات وخطورة المسالك التجارية للولوج إلى المراكز التجارية السودانية قصد توزيع بضائعهم المتنوعة في أسواقها مقابل الحصول على الذهب والرقيق السلعتان المهمتان في اقتصاد العصر الوسيط.

وتأتي العلاقات الثقافية نتاج التواصل والاحتكاك بين الوافدين من الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط على اختلاف اختصاصاتهم ومهامهم وساكنة المراكز الحضارية السودانية، ترتب عنه انتشار للثقافة العربية الاسلامية في تلك الربوع، كعمارة المساجد والجوامع التي على ما يبدو تأثرت بالفقه الأباضي والفقه المالكي اللذين انتشرا بالمراكز الحضارية لصحراء المغرب الأوسط. وقد خلص ريمون موني إلى أن التجار العرب والبربر الذين سكنوا المنطقة نقلوا معهم خصائصهم المعمارية، ونمط معيشتهم، وأدواتهم ومعداتهم إلى جنوب الصحراء.

**الكلمات المفتاحية:** الإقليم الصحراوي للمغرب الأوسط، بلاد السودان، وارجلان، توات، علاقات تجارية، علاقات ثقافية، المراكز الحضارية، المسالك، المؤسسات الثقافية.

***Résumé:***

*Le contenu de l'étude s'inscrit dans le cadre des manifestations de communication civilisée entre les peuples et les nations, et la région désertique du Maghreb Centrale était un lien dont les centres civilisations ont joué un rôle actif dans leur incarnation avec leurs homologues soudanais pendant la période (3H-9H/9AD-15AD), malgré la difficulté et la cruauté du Sahara*

*qui ne constituait pas une barrière ou un obstacle à la construction de ponts de communication entre les deux banques.*

*Il semble que les relations commerciales entre les deux rives aient pris le pas. En cela, ou les marchands de la région saharienne du Maghreb Centrale ont enduré des difficultés la longueur des distances et le risque de routes commerciales vers les centres commerciaux soudanais afin de distribuer leurs différents biens sur leurs marchés en échange d'or et d'esclaves les deux matières premières importantes de l'économie du Moyen Age.*

*Les relations culturelles sont le résultat de la communication et des frictions entre ceux de la région saharienne du Maghreb Centrale, indépendamment de leurs spécialités, de leurs tâches et du relâchement des centres culturels soudanais, entraînant une prolifération de la culture arabo-islamique dans ces zones, telles que l'architecture des mosquées, qui semblent avoir été touchées avec la jurisprudence Ibadite et la jurisprudence Malikite, qui se sont étendues aux centres culturels du désert du Maghreb Centrale. Raymond Mauny a conclu que les marchands arabes et berbères qui habitaient la région avaient transféré avec eux leur caractéristiques architecturales, leurs mode de vie, leurs outils et leur équipement en Afrique subsaharienne.*

***Mots clés:*** *la région saharienne de Maghreb Centrale, Bilad Soudan, Wargalan, Touat, Les relations Commerciales, Les relations culturelles, Les Centres civilisations, Les routes, Les institutions culturelles.*

***Summary:***

*The content of the study is part of the manifestations of civilized communication between peoples and nations, and the Desert Region of the Central Maghreb was a link whose civilizations centers played an active role in their embodiment with their counterparts from Sudan during the period (3H-9H/9A-15A) , despite the difficulty and cruelty of the Sahara that did not constitute a barrier or obstacle in the construction of bridges of communication between the two banks.*

*It seems that business relations between the two shores haves taken precedence. In this, where the merchants of the Saharan region of the Central Maghreb endured hardships the length of distances and the risk of commercial routes to Sudanese commercial Centers in order to distribute their various goods in their markets in exchange for gold and salves the two important commodities of the Middle Ages economy.*

*The Cultural relations are the result of communication and friction between those from the Saharan region of the Central Maghreb, regardless of their specialties, tasks, and the inhabitant slackness of Sudanese civilization centers, resulting in a proliferation of Arab-Islamic culture in those areas, such as the architecture of mosques, which appear to have been affected. With the Ibadite Jurisprudence and Maliki jurisprudence, which spread to the cultural centers of the Central Maghreb desert. Raymond Mauny concluded that the Arab and Berber merchants who inhabited the area had transferred with them their architectural characteristics, lifestyle, tools and equipment to Sub-Saharan Africa.*

***Keys Words:*** *The Saharan region of the Central Maghreb, Bilad Sudan, Wargalan, Touat, The civilization centers, The Cultural relations, The routes, The commercial relations.*

People's Democratic Républic of Algéria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abd Elkader
University For Islamic
Sciences – Constantine–

Arts and Islamic Civilization
Faculty
Département of History

Serial Number ……..

Registration Number ……..

# Relations between the Saharan region of the Maghreb Central and Bilad Sudan during the period (3H-9H/9A-15A)

Thesis Doctorat LMD in Human Sciences-History

Speciality: History of the Maghreb Medieval and its Civilization in the Medieval age


Présented by:

Mohammed Laid TITA

Supervision Professor :

Youcef ABED


Membre of the Discussion committée

| Name & Surname | Rank | Original University | Character |
|---|---|---|---|
| Brahim BENMEYIHA | Professor | Emir Abd Elkader University – Constantine– | Président |
| Youcef ABED | Professor | Emir Abd Elkader University – Constantine– | Super & Rappt |
| Kamel BENMARS | Professor | 08 May 1945 University -Guelma– | Discussant |
| Rabbeh OULED DHIAF | Professor | 08 May 1945 University -Guelma– | Discussant |
| Ahmed BENKHIRA | Professor Lecturer | Hamma Lakhdar University -EL OUED– | Discussant |
| Abdelkhalil BENGUERIAN | Professor Lecturer | Emir Abd Elkader University – Constantine– | Discussant |

University year : 1441-1442 H / 2020-2021 AD